بداية ونهاية

دولة إسرائيل

رؤية تاريخية ودينية

د. حسن عوض

الطبعة الثانية

(2002)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَمْحُ اللهُ الباطلَ
وَيُحِقُّ الحقَّ بكلماته

صدق الله العظيم

اهـــداء

إلى كل باحثٍ عن الحقيقة فى مسألة بنى إسرائيل ليطمئن قلبـــه .

د/ حسن عوض

بنها فى 2001/9/1

ت 013/2436'79

شكر واجب

الحمد لله ذى الفضل والمنّة أولاً وأخيراً الذى وفقنى وأعاننى حتى يخرج كتابى هذا إلى النور .

ولايسعنى فى هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الواجب للأستاذ / عبد العزيز موافى (الناقد والشاعر المعروف) .

وللدكتور / سعيد شوقى (كلية الآداب جامعة المنوفية) على ماقدماه لى من مراجع هامة أفادتنى كثيراً فى دراستى هذه .

د/ حسن عوض

تقديم الطبعة (1)

حيـــن شرعت فى كتابة هذا الكتاب كان فى نيتى تسطيره فى حـــدود مائـــة صفحة على الأكثر ولكن ما إن بدأت بتناول الموضوع وجدتـــنى مدفوعـــا ومسوقاً لأن أتناول الموضوع بكافة جوانبه ولكى يـــتفهم القارئ ما يحدث ويجرى على الساحة الآن عليه أولاً أن يرجع للماضـــى الســـحيق حيـــث النشـــأة والتواجد والأصول الأولى للشعب الإســـرائيلى المعنى بدراستنا هذه . وخامرنى خاطر أن أتحدث بإيجاز عـــن ذلـــك التاريخ القديم على أن استفيض بالتوسع فى الحديث إذا ما تـــناولت الحاضر ولكننى وجدت أنه من الأصوب أن تكون الإستفاضة فى الحديـــث والبحث من نصيب الماضى لأنه لو عرفت الماضى حق المعرفة تيسر معرفة الحاضر .

وبـــدأت فى تجمعيع المراجع ليشمل موضوع البحث والدراسة كافـــة جوانـــب الماضى فوجدتها تربو وتزيد على المائة من المراجع الهامـــة الـــتى اختصت بالموضوع . وفكرت فى أن أتعرض لكل هذه المـــراجع ولكننى – مرة أخرى – تخيرت منها الأشمل والأعم والأهم وواجهتـــنى إشكالية أخرى فى كيفية التعرض لهذه المراجع هل اكتفى بـــأن أشـــير إليها ثم أعرضها بأسلوبى أنا ولكننى تراجعت سريعا عن ذلـــك لســـبب هام وجوهرى وهو أن تناول الموضوع بإسلوبى قد يفهم عـــلى أنـــه وجهـــة نظرى الخاصة كما أنه قد يقول قائل أننى أفرض

بصمتى وأفكارى على العمل الذى أتناوله بالعرض ومن ثم فإننى – إذا ما حدث ذلك – إما أغفلت – عن عمد وقصد – رؤية المؤلف أو أننى لـــم أفهم ما قصده المؤلف جيداً أو أننى قد حرّفت المعنى وأخذته إلى الوجهة التى أريدها.

ولـــذا فقـــد آثرت أن أعرض ما جاء فى أىٍ من تلك المراجع بإســـلوب كاتـــبه دون تدخل منى إطلاقاً إيمانا وأمانه حتى تتشكل أمام القـــارئ رؤى مختلفة ووجهات نظر عديدة كلها تصبّ فى هدف واحد وهـــو تـــناول موضـــوع بنى إسرائيل بكافة جوانبه التاريخية والدينية والإنســـانية والإجـــتماعية و... و... إلـــخ . ومن مجموع تلك الرؤى يصبح القارئ على دراية كاملة وشاملة .

ولايغيـــب عـــن فطـــنة القارئ أن تاريخ بنى إسرائيل لم ينشأ مـــنعزلاً عن باقى تواريخ الشعوب المعاصرة له . بل تاثر ذلك التاريخ – إلى حـــد كـــبير – بشـــعوب كثيرة أهمها الشعب المصرى القديم – والحديـــث – حيـــث كانت الهيمنة المصرية تشمل ممالك ودول الشام بالإضـــافة لغيـــرها مـــن الأمم ولقرون طويلة وبالمثل مع باقى الأمم القديمـــة والمعاصـــرة كان التاثر واضحاً لذلك الشعب بمن حوله وبمن احتضنه داخل حدود دولته فى شتى النواحى الحياتية والثقافية وغيرها.

أمـــا مـــن ناحيـــة العرض الدينى خصوصا من وجهة النظر الإســـلامية فقد ارتأيت أن أتحدث بإسلوبى مشيراً إلى المراجع المختلفة

(القــرآن الكــريم وكتب التفاسير والحديث وسير الأنبياء) كما تقتضيه الأمانة العلمية والأدبية .

وبعد تلك العروض المختلفة ستكون هناك وقفات – فى فصول أخرى – مع التسمية والمؤامرة وغيرها ثم وجهة نظرى الشخصية فى الموضــوع كله بشتى نواحيه وجوانبه لنصل إلى الرؤية الشاملة لذلك الشــعب الذى أثار الكثير من الجدل والقلاقل قديماً وحديثاً تلك الرؤية الموضوعية بدون تجاوز أو تضليل أو افتراء .

وبعــد – عزيــزى القارئ – أرجو أن تتفهم جيداً لماذا بعض العــروض – خصوصــاً الــتاريخية والثقافية والسوسيولوجية – التى تــناولت ذلــك الشــعب رغم أن عناوين تلك المراجع قد يوحى بعدم أهميــتها بخصوص الموضوع الذى نتناوله . فلكى (نتعرف) جيداً على شخصٍ ما يجب أن نلمّ بحياته الإجتماعية والثقافية وحياة من حوله فى محيــط أســرته وأصدقائه حتى يكون التحليل دقيقاً و(المعرفة) صادقة والرؤية أمينة.

أرجــو – عزيــزى القــارئ – أن تغفــر لى إن أخطأت فى اجتهادى وتدعو لى إن أصبت.

وشكــراً

د/ حسن عوض

بنها فى 2001/2/1م

تقديم الطبعة الثانية

بعد صدور الطبعة الأولى من دراستي هذه في 2001/2/1م أبلغني بعض القراء ببعض الملاحظات التي أقنعتني بوجاهتها مما أوجب عليّ إما إضافة إيضاح منى لما أبداه القراء فى طبعة جديدة وإما إعادة صياغة الأجزاء التي بدت غامضة أو مبهمة على بعض القراء . ولم تطل حيرتي كثيراً حيث وجدت أنه من الأفضل أن أعيد صياغة الجزء التاريخي (الفصل الثاني) على وجه الخصوص بطريقة أكثر سلاسة وأوضح تبيانا خصوصا وأنني كنت قد عرضت هذا الفصل تبعاً لما كانت تقع عليه يدي تباعاً من المراجع دون اعتبار لما تحتويه تلك المراجع من مادة دينية أو تاريخية.ولذا جاء ترتيب عرض تلك المراجع بطريقة بدت وكأنها قطع من الموزاييك رُتبت ووضعت بغير نظام ودون هارمونية من حيث المادة العلمية التي تحتوى عليها . وكان عذري فى ذلك أن تلك المراجع لم أحصل عليها فى آن واحد وإنما تم ذلك بطريقة قدرية لا دخل لى فيها . حيث استعرت بعضاً منها فى أوقات مختلفة حسبما جاد به الأصدقاء مشكورين وحسبما عثرت على الباقي منها سواءً بالشراء فى أوقات متفاوتة – حسب توافرها – أو بالبحث فى سراديب ودهاليز مكتبتي الخاصة غير المرتبة لعدم وجود الوقت لدى لترتيبها من ناحية وللعبث بها مراراً من ناحية أخرى .

ولأنني كنت فى عجلة من أمري لخروج هذه الدراسة فى أسرع وقت ممكن لم أراع – مضطراً وآسفا – تصنيف وترتيب المراجع بالصورة والكيفية التي سيجدها القارئ فى هذه الطبعة (الثانية) حيث راعيت ذلك جيداً

بالإضافة إلى إعادة تبويب الفصل الثاني من الطبعة الأولى ليصبح فصلين بدأتهما بالرؤية الدينية / التاريخية . ثم الرؤية التاريخية / الدينية وفى كل منهما ما يخص تلك الرؤية دون تكرار للسرد – كما حدث فى الطبعة الأولى – مع الأخذ فى الاعتبار التوثيق والإحكام بهوامش لكل فصل – والفصول الأخرى أيضا – فى آخر الفصل فيها تفصيلات تهم القارئ المتخصص والباحث الجاد وفى ذات الوقت لا تشغل فكر القارئ العادي الذي لا يهمه التوثيق ولا يهمه معرفة المصدر بقدر ما تهمه المعلومة والفكرة والرأي . إضافة إلى أنني راعيت عدم تكرار المعلومات أو سرد أفكار غير صحيحة فى سياق عرض المراجع – أى مرجع – حتى لا يلتبس الأمر على القارئ فيظن أن ذلك صواباً.وهو ما نبهني إليه بعض القراء بعد صدور الطبعة الأولى خصوصا وأنني آليت على نفسي – وقتها – ألا أتدخل فى أسلوب عرض المرجع –أى مرجع – وأيضا تركت الأمر لفطنة القارئ لاستنباط الصواب من الخطأ وأشرت لبعض الأفكار الخاطئة فى موضعها ولكن يبدو أن ذلك لم يكن جلياً بالصورة التى كنت أرومها وأتوقعها فحدث اللبس الشديد وحدث اللوم من بعض القراء على ذلك .

من أجل ذلك وجدت لزاماً عليّ أن أعيد صياغة هذا الجزء من دراستي بطريقة لا تحتمل الشك أو الالتباس وعلى منوال الرسالات العلمية ونهج الدراسات الأكاديمية وخصوصاً أن هذا الجزء يشكل أكثر من نصف الدراسة فى الطبعة الأولى وكان هو المدخل لبقية الدراسة . أعدت الصياغة وأيضا السرد والأفكار ليس فى هذا الجزء وحده وإنما فى كل الدراسة مع إضافة ما يلزم وحذف ما انتفى الغرض منه سواءً للتكرار أو الوضوح فى الشروح.وإعادة الصياغة استوجبته أيضا وجود عدة مراجع إضافية خصوصاً

المراجع الدينية ولوجود قضايا طُرحت على الساحة بعد صدور الطبعة الأولى كنت طرفاً فيها . أولها مقالة للكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود (سأنشر صورة ضوئية منها فى جزء الملاحق آخر الكتاب) بعنوان (إسرائيل طاعون العصر ودولة الارهاب) وهى منشورة فى الصفحة الثالثة عشرة من (جريدة الأهرام) المصرية الصادرة فى يوم السبت الموافق 23 يونيو عام 2001 م . وأيضا نشرت لى مقالة فى جريدة (السياسى المصرى) فى عددها الصادر يوم الأحد الموافق 24 يونيو عام 2001 م . فى صفحتها الخامسة وأيضا بعد لقاءٍ ثقافى تليفزيونى معى فى قناة النيل الثقافية الفضائية (برنامج قمر النيل على الهواء) أذيع على الهواء مباشرة فى مساء يوم السبت الموافق 7 يوليو عام 2001م . وأيضا بعد عدة ندوات ثقافية ودينية فى منتديات ثقافية ومراكز إسلامية فى عدة مدن بجمهورية مصر العربية طُرح فيها العديد من الاستفسارات والأفكار والحوارات والتي وجدت نفسي بعدها فى حاجة إلى إضافة ما استجد من قضايا كنت أحسب أن الغالبية من الناس تعرفها وتعرف دقائقها غير أنني وجدت تشويشاً والتباساً وخلطاً لدى الكثير من الناس .

لكل تلك الأمور وجدتني مدفوعاً لإخراج هذه الطبعة الثانية مع مراعاة – من جانبي – التدقيق الشديد فى تصويب الأخطاء المطبعية التي وردت فى الطبعة الأولى والتي حدث بسببها بعض الالتباس خصوصا ما مس منها بعض كلمات من آي الذكر الحكيم فى مواضع مختلفة دون قصد مني بالقطع نتيجة لكثافة المجهود الذي قد بذلته أثناء إخراج الطبعة الأولى.منها على سبيل المثال كلمة (إذْ) وردت (إذا) وكلمة (إنه) وردت (إن) وكلمة (قال) وردت (قل) كما سقطت سهوًا دون عمد بعض الحروف والكلمات فى قليل

جداً من آيات القرآن الكريم التي استشهدت بها فى دراستي وقد فوجئت بتلك الأخطاء بعد طباعة الكتاب فحزنت كثيراً لذلك.وإني إذ آلمنى وأهمّني ما حدث أعتذر عن ذلك بشدة وأرجو أن يلتمس لي القراء العذر فيما حدث لكثافة المجهود وإجهاد البصر ومشقة العمل الذي أديته وحدي من الألف إلى الياء أى منذ الحصول على المراجع والمصادر المختلفة حتى الطباعة – بنفسي – مروراً بالعرض العلمي التاريخي والديني والمراجعة وعمل المونتاج الفني لأصول الكتاب .. الخ .

وإنى إذْ أحمد الله كثيراً على تمام ذلك العمل فى الطبعة الأولى وأيضا فى هذه الطبعة (الثانية) بعون الله وحده فإني لا أجد ملجأ من الله إلا إليه طالباً العفو من الله الغفور الرحيم على ما حدث من أخطاء مطبعية لم أدركها فى وقتها فى بعض الكلمات من بعض آيات القرآن الكريم الذي اتخذته حَكَماً عدلاً فى دراستي هذه عسى الله أن يتقبل منى هذا العمل ابتغاء وجه الكريم وابتغاء مرضاته جل شأنه فى إعلاء كلمة الحق والصدق والدين فهو وحده جل علاه العليم بما فى الصدور . اللهم إليك أنبت . وعليك – سبحانك – توكلت وإليك وحدك المرجع والمصير . اللهم فتقبل. اللهم فاشهد .

د. حسن عوض

عضو اتحاد كتاب مصر

بنها فى 1/9/2001

الفصل الأول

رؤية دينية / تاريخية

تمهيد

لتناول المسألة الإسرائيلية / اليهودية / الصهيونية هناك طريقان أساسيان هما الدين والتاريخ . لأن التاريخ الإسرائيلي شديد الارتباط بالجانب الديني **حيث تقوم الفكرة الصهيونية (السياسية) على التأريخ التوراتى (الديني)** لتأصيل وترسيخ المفاهيم اليهودية **انطلاقاً من نصوص العهد القديم** الذي يرسم الخطى ويوجه دفة المتلقي إلى الوجهة التي أرادها كاتبوا تلك النصوص سواءً كان ذلك مطابقا للتاريخ وموافقاً له أو منحّياً للثوابت التى باح بها التاريخ وأثبتها لغير صالح النص التوراتى(المحرَّف والمختَلَق).

والباحث المنصف الجاد ليس له إلا أن ينحّي النص التوراتى جانباً قبل أن يشرع فى تناول الموضوع من كل جوانبه ليضمن السلامة لنتائجه وفيما يتوصل إليه لأسباب كثيرة سنتناولها فى دراستنا هذه . أما إذا وضع الباحث النص التوراتى ليقوده إلى النتائج فإن كثيراً من تلك النتائج سيشوبها القصور إن لم يكن التضليل فى أغلب الأحيان.وإضفاء صفة القداسة على التاريخ الملفّق وإلباسه ثوبا فضفاضا ليشمل كل الطموحات اليهودية أمر غير علمي ولا موضوعي .

والطرح الدينى / التاريخي أو التاريخي / الديني أيهما أولى بالبدء . لا يشكل معضلة فكرية اللهم إلا وضع النقاط فوق الحروف وإضاءة الطريق لاستجلاء المعالم واستنارة المسالك كي لا يضيع الجهد فيما لا طائل منه .

والعثرات ـ أية عثرات ـ إذا ما نحيناها في البدء نضمن سلامة المسير وقلة المخاطر والمزالق . وتأصيل المنهج وتأطير النهْج وإزاحة العثرات منذ البدء أمر ضروري وهام للتوصل إلى نتائج يوثق بها ولا يشوبها الاعتوار . ولذا فقد آثرت البدء بالطرح الديني / التاريخي حتى تنجلي ظلمات الميل والزيغ والحَيْدة عن الحق بعد ترسيخ المفاهيم وتأصيلها وتوثيقها بما هو أجدر وما هو أحق .



مفهوم الدين والشريعة

خلق الله الإنسان واستخلفه فى الأرض . ليعمرها بعدما سخر الله له كل شيء ليعينه على ذلك . فوفر له الهواء والماء والغذاء والكساء . وأعطاه العقل ليميز الأشياء . ويبتكر ما يعينه على الحياة والرقى والتطور . **وأرسل له الرسل كل فترة من الزمان** ليعيدوا له الاتزان فى سعيه وحياته. وليهدوه إلى طريق الرشاد والخير كلما أغواه الشيطان وأضله . وليعلم الإنسان أن عليه واجبا هاما يلازمه طيلة حياته على الأرض.مطلوب منه حسن الأداء لتكون عاقبته حسنة وليرض عنه خالقه :

*__وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون__ * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون *إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين [1].

وتعاقب الرسل كان لتصحيح مسيرة الإنسان كلما حاد عن الطريق . طريق شكر الله وحده على نعمائه . طريق إفراد الله بالعبادة لكونه - سبحانه- الأحق بذلك . دونا عن باقي المخلوقات وتفرداً له وحده دون شريك . وكان من رحمته جل شأنه أن ابتعث الرسل من الناس وأرسلهم بالدين الحق والشريعة التي تنظم حياتهم وتصلح أحوالهم فى الدنياوالآخرة:

*** وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** [2]

ومن رحمته أيضا - جل شأنه - أن بعث فى كل أمة رسلا على مدار الزمان :

*ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [3]

وهؤلاء الرسل هم سفراء من الله إلى البشر بالبشارة والنُذُر حتى لا تكون هناك حجة من الناس يوم الحساب :

* رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حُجّة بعد الرسل . وكان الله عزيزاً حكيما. [4]

ولم يترك الله - سبحانه - خلقه يهيمون فى الأرض على غير هدىً يتعبدون المخلوقات الأخرى فيلتمسون عندهم الأمن والرزق من دون الله . ومن هنا كانت الحاجة المستمرة لابتعاث رسل الله لخلقه أجمعين . فكانت الرسالات والكتب المنزلة **من قِبَل الله لتصحيح مسار البشرية كلما** انحرفت عن جادة الصواب وعبدت المخلوقات من دون الخالق اتباعا لغواية وضلال الشيطان عدو الإنسان الدائم والملازم له طيلة حياته . وكل هذه الرسالات - السماوية - يبلغها أنبياء الله ورسله لأقوامهم لترسيم وترسيخ شريعة الله وأوامره ونواهيه بما فيه خير الإنسان وصلاحه فى الدنيا والآخرة . والديانات والرسالات السماوية ليست تأريخا للشعوب أو القبائل بقدر ماهى منهاج حياة ونبراس هداية وعظة وعبرة لغيرها من الأمم . ولإقناع الناس بصدق النبوة أو الرسالة تكون هناك **الحاجة الماسة إلى إظهار المعجزات والآيات من قِبَل الخالق** للدلالة على أن الأمر من عند الله لا من عند غيره . فنرى على مسيرة البشرية معجزات للرسل والأنبياء تنتهى بانتهاء النبوة أو الرسالة وتظل عالقة - المعجزات - فى الأذهان **تتناقلها الأجيال حتى تنسى بمضى العهد وطول الأمد . فتأتى رسالة أو نبوة أخرى لتعيد** تأكيد ماسبق وتذكّر الناس بحق الله عليهم من إفراده بالعبودية وتنزيهه عن الشريك والند . وهكذا تستمر مسيرة البشرية على مر الزمان وعند غياب الوازع والوعى الدينى واتباع الهوى تنحرف المسيرة ليتخذ كل إنسان معبوداً له من دون الله . ويتبع – حينئذ - هواه وما يمليه عليه عقله

ورغباته ليتمثل له معبوداً ويبتدع له شعيرة وطقوساً يظن فيها الرشاد وينتظر من معبوده - الوثن - القبول والنجاح والفلاح فيما يسعى إليه ويبتغيه بظنه. **وتنشأ تبعاً لذلك الأساطير والخرافات والشعائر الباطلة .**

فالأساطير فى حقيقتها بدأت كفكرة يشيعها الخوف من المجهول والتماس المدد والعون والتأييد اتقاءً للشرور وجلباً للخيرات.وبتعدد الحاجة تعددت المعبودات والآلهة وتعددت شعائر استرضائها والتزلف إليها واستجلابها وقت الحاجة إليها. فالشعيرة ربما لا تتصل بعقيدة صارمة بل أسطورة كما يظهر ذلك جلياً فى اليونان القديمة . إلا أن الأساطير المتعلقة ببعض المقدسات والطقوس الفردية مجرد جزء من المؤسسة الدينية مع ملاحظة أن العابد . كان مخيراً بين عدة تفسيرات للشيء نفسه ولم يكن الإيمان بسلسلة من الأساطير أمراً إلزاميا باعتباره جزءاً من الدين ولا كان يفترض أن يكتسب المرء بإيمانه مكانة دينية ما أو يحظى بعطف الآلهة . وعليه **فالأساطير فى كل الحالات كانت تستقى من الشعيرة لا العكس . فالشعيرة الدينية ثابتة وإلزامية أما الأسطورة فمتغيرة ومتروكة لاختيار العابد** . ومن المسلَّم به أن الأسطورة ليست تفسيراً لأصل الشعيرة الدينية بالنسبة لمن لا يؤمن بأنها رواية لبعض الأحداث الحقيقية .**وعليه فعند دراسة الديانات القديمة ينبغى علينا أن نبدأ لا بالأسطورة بل بالشعيرة الدينية والعرف الموروث . وكذلك لا ينبغى أن نبدأ بالتساؤل عما ورد عن الآلهة بل عن ماهية المؤسسات الدينية العاملة وكيفية صوغها لحياة أتْباعها** (5).

ففى المجتمعات القَبَلية أو القومية فى العالم القديم لم يكن هناك فارق بين الدين والحياة اليومية . فكان كل فعل من الأفعال الاجتماعية يتضمن إشارة إلى الآلهة والبشر على السواء إذْ لم يكن الكيان الاجتماعي يتألف من البشر وحدهم

بل من الآلهة والبشر معا .إلا أن الديانة التقليدية العادية التي اعتنقها الناس فى اليونان وروما على السواء لم تخرج عن الطابع البدائي بدرجة كبيرة . وكان التفكك النهائي للديانة القديمة في البلاد ذات الحضارة الإغريقية والإيطالية قد جاء أولا على يد الفلاسفة ثم الديانة المسيحية . أما في المجتمعات الحرة القديمة في الأراضي السامية الشمالية فقد كان تأثر الدين والمجتمع المدني على السواء . فلم يعد مجتمع الدين الواحد يتطابق مع الدولة . واستمر الترابط القديم بين الحياتين المدنية والدينية ولكن بصورة مختلفة . ولما كانت المجتمعات السامية القديمة تتسم بصغر الحجم والتباعد بسبب الضغائن المستمرة فيما بينها لذا كان لابد من عودة الخصوصية الإقليمية التى ميزت المجتمع السياسي إلى الظهور من جديد فى مجال **بناء الدين على مبدأ التضامن بين الآلهة وأتْباعهم. فأعداء الإله وأعداء شعبه سواء . ومادامت آلهة المجتمعات السامية على اختلافها كانت تشارك على هذا النحو فى العداوات الموروثة لدى أتْباعهم كان من المستحيل على الفرد أن يغير ديانته دون تغيير قوميته كما لم يكن من الممكن لمجتمع بأكمله أن يغير ديانته دون أن يذوب فى جنس شعب آخر.**

وكان الاندماج الاجتماعي بين مجتمعين يؤدى إلى اندماج دينى مواز . وكان هذا يحدث بطريقتين :

1- **إلهان يندمجان ليصبحا إلهاً واحداً** . (جمعت غالبية بنى إسرائيل بين يَهْوَه فى ديانتهم المحلية وبَعْليم إله المرتفعات عند الكنعانيين . ونقلوا عنهم طقوس المزارات المقدسة فى عبادته دون أن يروا فى ذلك ما ينم عن تراجع ولائهم ليهْوَه عن ذى قبل) .

2- **اندماج أتْباع الآلهة فى دولة موحدة فتندمج الآلهة على اختلافــها .**
(كان تميز الآلهة أكبر من أن يفقدها تفردها واستقلاليتها)[6] .

وفى العالم المصري القديم لا يستطيع المرء أن يلم إلماماً كافيا بأســماء الآلهة المصرية القديمة التى جمعها عالم المصريات الفرنسي (بيريه) فيمــا أسماه مجمع (بانثيون) الآلهة المصرية (على غرار البانثيون اليونــاني) إذْ أن عدد هذه الآلهة يربو على الألفين . ولا يهولن القارئ هذا الرقم الضخــم فترسب فى وجدانه تلك الفكرة الفجة بأن الديانة المصرية لم تكن أكــثر مــن ديانة بدائية ذلك لأن الكثيرين من علماء المصريات - بعد دراسة مســتفيضة للنصوص الدينية التى تحت أيدينا - قد أعلنوا بوضوح **أن الديانة المصرية قد تخلصت منذ زمن مبكر - قبل أى شعب آخر - من طابعها البدائي ومضــت قُدُماً نحو التوحيد الإلهي** ووصلت إلى أرقى التصورات العقلية فيما يتعلــق بطبيعة الإله الخالق وعلاقته بالمخلوقات والثواب والعقاب وما بعد المــوت . **وهو الميراث الذي أخذه العبرانيون والإغريق وصدّروه بإســمهم . باسـم الدين أو الفلسفة . وإذا كانت الديانة المصرية قد ظلت تحتفظ حتى عصــر متأخر بأسماء الآلهة المحلية فإن هذه الآلهة كان دورها يقتصر على الــدور الذى يلعبه الآن القديسون والأولياء والشفيعون فى عصرنا الراهن دون أن يمس ذلك وحدانية الله أو السمو الأخلاقي للدين**[7].

وكان من أهم الآلهة المصرية القديمة :

1- **أوزيريس (أوزير) :**

وهو إله الموتى . وهو أحد (سادس) أعضاء التاسوع الإلهي فى أون [تمو ، شو ، تفنوت ، سب، نوت ، أوزيريس، إيزيس ، ست ،نفتيس]

وقد جُسّد (أوزيريس) فى طبيعة الحياة الأبدية وسرعان ما أضيفت عليه

صفات (رع) و (أتوم) وغيرهما من الآلهة . وصار فـــى النهايـــة إلـــهاً للموتى وللأحياء أيضا وسيداً للأبدية ورئيسا لمحكمة الآلهة فى العالم الآخر .
وكتجسيد للموت والبعث كان يروق للمصري أن يتوحّد به بعد موته لدرجـــة أنه لا يُخاطب بإسمه بعد الموت إلا مقترنـــا باســم أوزيريـــس ، وثـــالوث (أوزيريس - إيزيس - حورس) وهو ما يسمى بالثالوث الأوزيـــرى كـــانت تُصنع له التماثيل الصغيرة الدقيقة التى يحملها المصري معه أينمـــا ذهـــب . **وهذا الثالوث قد تجاوزحدود مصر إلى بلاد الإغريق والرومان وحتى الـــهند شرقا وفرنسا غربا** . وظلت طقوس العبادة تمارس حتى ظـــهور المســـيحية بأكثر من أربعة قرون .

2-إيزيس (إزيت) :

وهى زوجة (أوزيريس) الوفيـــة وأم (حورس) وابنـــــة (ســب) و(نوت) . ووردت أوصافها فى مختلف النصوص على أنها الإلهة العظيمـــة والأم المقدسة . وفى عصر **متأخر سميت** أم الآلهة وكانت تُمثل غالبا علـــى هيئة امرأة ترضع طفلا (حورس) وكانت البقرة حيوانـــها المقـدس وقـــد تحولت من إلهة محلية (فى الدلتا) إلى إلهة عالمية غزت العالم القديم .

3-حورس (حرو ، حرور) :

وهو الإله الشمسي البالغ القدم ويمثل على هيئة صقر **وهـــو أول كـــائن عبده المصريون** . أما حورس بن إيزيس فيمثّل دائما على هيئة طفل وإصبعه فى فمه .

4-ست (ساتى ، سوتخ) :

وهو فى الأسطورة الأوزيرية **يمثل إله الشر** الذي يجـــب محاربتـــه أو مداهنته وتجنب شره . **وهو معبود الهكسوس.**

5- نفتيس (نبت - هات ، نبت حت):

وهى ابنة (سب) و (نوت) شقيقة أوزيريس وإيزيس وشقيقة وزوجه (ست) .

6- أنوبيس (إنبو) :

سيد الجبّانة ورسول (أوزيريس) **وحامى المومياء** . ونراه حارسا وضابطا للميزان فى النقوش ويصوَّر على هيئة إنسان برأس ابن آوى (الثعلب) .

7- تحوتى (تحوت، توت) :

وهو إله الحكمة وهو الذى نطق بالكلمات التى أوجدت العالم وقام بتنفيذها الإلهان (بتاح) و (خنيمو) . وفى اللاهوت القديم اُعتبر خالق نفسه والإله العظيم للأرض والسماء والبحر والهواء . وينسب إليه الإغريق كل ما يتعلق بالسحر أو الهرمزية (نسبة إلى نظيره اليوناني هرمز) . وهذه القدرة السحرية تفسر حرص المتوفى على شفاعته لأنه القادر على حمايته من القوى الشريرة التي تعترضه وهو الذى يمنح المتوفَى ملايين السنوات من الخلود .وفى الحياة الأخروية يلعب دور القاضي ويظهر غالبا فى صورة إنسان برأس طائر أبى منجل (أبيس) محاطاً بتاج أو قرص يحتضنه قرنان قابضاً على علامة الحياة (الأنخ) فى يده اليمنى وفى يده اليسرى رمز السيادة . وأحيانا يمسك بالمحبرة ورمز الهلال البيضاوى . وكثيراً ما يظهر فى صورة قرد ممسكا بأدوات الكتابة .

8- ماعت :

وتشمل معان متعددة مثل **الحق والعدل والصدق والحقيقة** والاستقامة والجوهر ومالا يقبل التبدل أو التغير .. الخ .

وماعت ابنة (رع) وزوجة (تحوت) وتُجَسِّد على هيئة سيدة جالسة تحمل على رأسها ريشة العدل والحق .

وتظهر فى صورتين (فى المحاكمة) إحداهما تجسد القانون الوضعى والأخرى تمثل القانون الإلهي أو الإنساني أو الأخلاقي .

9-حتحور (حت - حرو ، حت - حرت) :

إلهة الحب والجمال والسعادة . تصورها المصريون على هيئة بقرة كان (حورس) إله الشمس يشرق ويغرب بين كفليها . واعتبرها الإغريق مثيلة للإلهة(أفروديت) . وكانت على صورة لبؤة متوحشة تلتهم لحم أعدائها . وقد وجد المصريون أن طبيعتها الجميلة الوادعة لا تتعارض مع صورتها المخيفة تلك التى تشبه الإلهة (سخمت) . فالحب يجمع بين النقيضين معا .

وتنقسم الديانات إلى :

1- **ديانات روحية :** وهى تلك التى يبعث بها الله الرسل . (**ديانات سامية**) مثل الديانة المسيحية واليهودية.وفكرة الأبوة الإلهية فيها منْبَتّة عن الأساس المادي للأبوة الطبيعية (البنوة لله مسألة تشريف ومِنَة) .

2- **ديانات مادية :** وهى تلك الديانات الوثنية التى تكون فيها أبوة الإله أبوة مادية (عند اليونان)(**ديانات آرية**).وللدلالة على الفارق الجوهرى بين المفهومين الآرى والسامى فيما يتعلق بالطبيعة الإلهية يقال أن الأساطير الآرية التى تتصرف الآلهة فيها كالبشر ويختلطون بهم بل ويشتركون معهم فى حياة واحدة لا مكان لها فى الديانة السامية . إلاأن هذه الفرضية لا أساس لها . وباستثناء الأدب المسمارى البابلى فليست هناك

كتابات قديمة عن الوثنية السامية . غير أن الساميين لم يكن لديهم شعور ملحمي أسطوري مقارنة بنظيره عند اليونان (الإغريق) إلا أن العبقرية السامية كان يشوبها القصور فى مجال الإبداع المنظم والمثابر (الشعر العربى القديم ليس له صلة كبيرة بالدين وليست هناك أساطير كثيرة فى أشعار الجزيرة العربية الوثنية) .

وفى واحدة من الآثار القليلة من الأساطير القديمة تم زرعها ضمن النقوش العبرية دون تغيير نقرأ عن أبناء الآلهة ممن اتخذوا زوجات من بنات البشر وأصبحوا آباءً لأبطال العصور الغابرة (إزدوبارفى الأساطير البابلية وهو من لم تأنف الإلهة عشتار من أن تمنحه نفسها) .

والشعوب السامية القديمة تزعم انتسابها لجد واحد وتنتشر فى ديانتهم القومية فكرة فحواها أن الإله وأتباعه ينتمون لأصل واحد وهو ما يُعدّ دليلا قويا على أن أسس ديانة الساميين قد وضعت قبل بدء التاريخ المكتوب بحقب بعيدة فى عصور سحيقة كانت القرابة فيها هى النمط الوحيد المعترف به للعلاقة الودية بين أفراد بنى البشر ثم بينهم وبين كيان غيبى ما . ويلاحظ فى مختلف أركان المنطقة السامية أن هناك آلهة كانت فى الأصل إناثاً ثم غيروا جنسهم وتحولوا إلى آلهة ذكور (عشتار تحولت إلى عشتر) .

ويلاحظ أيضا أن القبائل الرعوية البدائية التى كانت قطعانها تتكون من أبقار وثيران كانت تعتبر أن البقرة والثور من الكائنات المقدسة التى لم تكن لتؤكل أو لتذبح أو لتقتل فى أقدم العصور إلا كقرابين .

ولا يمكن الزعم بأن الدين القديم كقوة اجتماعية وسياسية قد فشل فى أداء مهمته فى المراحل الأولى من تطور المجتمع السامى إلا أن صلته بنظام

الأسرة والعشيرة التقليدية الموروث كانت أوثق من أن يحتفظ بحيويته الكاملة مع انهيار النظام الاجتماعي . وحين تغيرت حدود الشعوب (بالهجرة القبليـــة أو بالترحيل الجماعي كما فى سياسة الآشوريين الغزاة) كان مـــن الطبيعـــي بالنسبة للقادمين الجدد أن يسعوا إلى الانضمام إلى المعابد التى يُعبد فيها إلـــه البلاد المحلى وكان يفلحون فى ذلك بتقديم أنفسهم بإعتبارهم رعايا لـــه (لـــم يكن رعايا الإله يقفون بالضرورة من أتْباعه القدامى موقف التبعية السياسية) إلا أن العلاقة بين أتباع الإله الجدد والإله لم تعد كما كانت فى النظام القومـــي القديم بل فقدت قدراً من ثباتها واستقلاليتها(بالخضوع مـــن جـــانب الأتْبـــاع والسخاء من جانب الإله). وعندما كانت العلاقة بين الإنسان والإلـــه تـــزداد تباعداً بدأ البشر يزدادون خوفا من الإله ويبدون مزيداً من المذلة فى تعبدهـــم له فى حين أن مشاعر الإخلاص كانت تنمو باضطراد نتيجة للاعتقـــاد بـــأن رضا الإله وعطفه كان مِنة منه لا حقاً مكتسبا . (**نجد فكـــرة تبعيـــة بنـــى إسرائيل للرب واقامتهم فى أرض لاحقّ لهم فيها معتمديـــن علـــى ســـخائه اعتماداً مطلقاً كما ورد ذلك فى التوراة) أى التقوى المشوبة بالجبْن و التى ميزت اليهودية فى حقبة ما بعد السَبْي البابلى عن بنى إسرائيل القديمة.كان الرعايا الجدد يتم قبولهم على أساس حسن سلوكهـــــــم**[8]. وكـــانت روح الشرعية فى اليهودية ترتبط بالجدية الأخلاقية الحقة أما عند الساميين الوثنيين فنجد نفس روح الشرعية ونفس الشك الخفي تجاه موقف الإنسان مـــن الإلـــه الذى يحتاج إلى حمايته فى حين أن الفكرة عما يرضى الإله لـــم تكـــن قـــد ارتفعت لنفس المستوى الأخلاقي بعد .

وكانت الفكرة العبرية عن المِلْكية الإلهية (تبعية الفرد للإله) باعتبـــار الرب إلهاً يحب شعبه تتوقف على ناموس الحق المطلق . واندمجت المفـــاهيم

عند بنى إسرائيل وحدهم فى ديانة الإله القومي السائدة بينهم .

ومن المعلوم أن كل الأفعال الدينية القديمة لها تجسيد مادى . وهو أمر لم يُترك لاختيار العابد بل تحكمه قواعد محددة . فهى لاتمارس إلا فى أماكن محددة وفى أوقات محـــددة وبأدوات ماديــــــة محـــددة وفقــــا لآليــات محــــــددة [9].أى أن البشر لا يستطيعون إقامة حوار مع الآلهة إلا من خـلال أشياء مادية محددة.

وفى الأساطير البابلية نجد أن الإنسان والحيوان خُلقا من طين ممـــــزوج بدم إله كما أن قصص انحدار الإنسان من نسل الآلهة عند اليونان تقف جنبـــا إلى جنب مع الأساطير القديمة التي تحكى عن نشأة الإنسان مـــن الشـــجر أو الصخور أو عن أجناس من البشر وُلِدوا من أم شجرة وأب إله . ولنفس هـــذه المرحلة من مراحل التطور الفكرى تنتمى حكايات مسخ البشر فـــى صـــورة حيوانات (أساطير الجزيرة العربية وأساطير المسخ عند ساميي الشمال التـــى وصلت إلينا فى أشكالها الإغريقية) وأيضا فى الفن التشكيلي يتضـــح الولـــع بالوحوش الخرافية التى يكون نصفها بشريا ونصفها الآخر حيوانيـــــا (فـــى كلدانيا وبابل وفينيقيا) .

ولعل تأثير هذه الأفكار على الأنساق الدينية المبكرة أمر يمكن تناوله فـــى نقطتين :

1- إن نطاق الغيبيات شاسع لدرجة أن الدين القديم يحاول أن يتعامل مـــع كل مظاهره (السحر وقراءة الغيب) .

2- لم تكن للآلهة سمات تميزها بوضوح من حيث طبيعتها عن أنساق الكائنات الشيطانية الأدنى أو حتى عن المحسوسات التى كان يُعتَقد أن لها صفات شيطانية وتكمن سمتهم المميزة فى علاقتهم بالإنسان (أتْباعهم) .

ويمكن النظر فى العلاقات المحلية بالآلهة من ناحيتين :

أ- كانت قوة نشاط الآلهة ونطاق سيطرتها يُعتَقد أنه محدود ببعض القيود المحلية .

ب- كان من المعتقد أن الآلهة تتخذ من المعابد سَكناً ومقاماً لها.

وهذان المفهومان لا ينفصلان حيث كان نطاق السلطة والنفوذ الإلهين يحيط بالمعبد مقر الإله (كنعان أرض الرب يَهْوَه وشعب بنى إسرائيل شعب الرب يَهْوَه) [10]

وأن الإله لا يُعْبَد خارج أرضه (تُعتَبر البلاد الأجنبية فى لغة العهد القديم أرضاً نجسه) [11].

وكان يُعتقد فى عقيدة القدماء أن الآلهة الوثنية لم تكن قادرة على كل شىء بل يُعتقد أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا إلا فى وجود كهنتها وأن نطاق سيادتها ونفوذها الدائم ينحصر فى مقرها .

وفى أقدم أشعار العبرانيين حين يَحلِّق الرب فوق أرضه - فى العاصفة - فإنه لا ينطلق من السماء بل من جبل الطور وكان إيجاد أقداس جديدة وإنشاء هياكل جديدة ومعابد لا يتم إلا فى المكان الذى قدّم الإله دليلا قاطعا على وجوده فيه (بالتجلي لأتْباعه) . وكان التجلي فى الأسفار الأولى من التوراة

يؤخذ دائما على أنه مبرر قوى لتقديم القرابين فى نفس المكان . فنجـــــــد (شاؤل) بنى مذبحاً فى موقع انتصاره على الفلسطينيين[12]. وأيضـــــا يقدم (جدعون ومنوح) قربانا فى المكان الذى تلقيا فيه رسالة من الرب[13] .

والرب فى ديانة العبرانيين ليس قريبا فى كل مكـــان وزمـــان - كمـــا يشيعون - وليس شرطا أن تكون التجليات حديثة بل يفترض أنها حدثت مـــن قبل ومن المفترض أن يتجلى الرب عندها مرة أخرى . فحين يرى يعقـــوب (إسرائيل) فى المنام تجليا إلهيا فى (بيت إيل) يستنتج أن الـــرب حـــاضر هناك وأن المكان هو (بيت الرب وبوابة السماء) ولذا فقد ظل (بيت إيـــل) يُعدّ أحد الأقداس الكبرى حتى السَبى البابلى (ومثلها بيت شكيم وبيرســـبع) وكانت تلك الأماكن تُعدّ وثنية فى نظر الأنبياء (لأن الـــرب قريـــب يجيـــب دعوات البشر فى كل مكان والرب يُعبد فى كل مكان) .

وللشياطين - كما للآلهة - أقداس خاصة . وهـــى أمـــاكن لـــها رهبتـــها وخطرها عند الأتباع . والجن غرباء وبالتالى فـــهم أعـــداء (وفقـــا لقـــانون الصحراء والبداوة) فى حين أن الإله فى نظر أتباعه الذين يـــترددون علـــى قدسه قوة معروفة وصديقة .

وانتصار الآلهة على الشياطين كانتصار الإنسان على الوحوش لابد وقـــد حدث بصورة تدريجية ولم يستقر إلا فى المرحلة الزراعية حيث أصبح إلـــه الجماعة هو نفسه سيد الأرض وواهب كل ما بها مـــن طيبـــات وخـــيرات . وببلوغ هذه المرحلة فإن الشياطين والأرواح الخبيثة إما طردت إلى الخرائـــب والأماكن المهجورة أو تراجعت مكانتها لتصبح كائنات تابعة لا يُحســـب لـــها حساب إلا فى الغيبيات الفردية الخاصة دون أن تكون لها صلة بالديانة العامة

(وهذا هو الرأى الذى شاع بين العبرانيين القدماء والذى ساد أيضا - بالطبع بين جيرانهم الكنعانيين) . والفارق بين ماهو (مقدس) وما هو (عادى) من أهم النقاط فى الدين القديم .

وقداسة الآلهة تعبير يصعب حصره فى معنى محدد بمعزل عن قدسية بيئته المادية المحيطة به وتتجلى فى الحُرْمة التى تُضفَى على الأشخاص والمواضع والأشياء والأوقات التى يتم التواصل بين الآلهة والبشر من خلالها (ممارسة الكهانة أو الطقوس أو الصلوات) .

وكانت القرابين فى الديانة القديمة وسيلة من وسائل الدعاء والتضرع وكان العابد حين يقدم قربانه يتطلع إلى دليل ملموس ينم عن إجابة دعائه (كأن يغوص القربان فى أعماق الآبار وعيون المياه المقدسة أو المحرمة إذا ماحاز القبول أما إذا طفا على السطح فلا قبول للدعاء والطلب) . والطقوس الدينية العامة عند الساميين - فى الدين القديم - يتم التعبير عنها وممارستها لبيان مدى الثقة فى العناية الإلهية التى تخص الجماعة في مهامها وأهدافها العامة . (يلتقى أعضاء الجماعة لتناول الطعام والشراب - مثلا - على مائدة إلههم فيتجدد إحساسهم أنه معهم) . **وطبقا لذلك فإن الجماعة حين تتحد فى كيان واحد مع نفسها (أخوة العقيدة والدين) وفى كيان واحد مع إلهها فإن لها أن تفعل ما تشاء مع كل من هم خارجها طبقا لما تنص عليه تلك الديانة. فأصدقاؤها أصدقاء الإله وأعداؤها هم أعداء الإله** . وفى العهد القديم نجد أن المائدة المشتركة كانت تُعد لإبرام التحالفات (التحالف كان ملزِماً غير قابل للنقض) .

والقرابين - فى الأصل - يلتهمها الأتْباع وشيئاً فشيئاً توقف التهام بعض أجزاء القرابين العادية وكل لحم القرابين غير العادية (قرابين التكفير) . وما كان يلتهم كان يُحرق وبمرور الزمن أصبح يُحرق على المذبح ويعتبر منحة للإله.**وكان الهدف العام للطقس (القربان) هو الحفاظ على رباط القدسية المادية التى تحفظ وحدة الجماعة الدينية (القرابين العادية) .**

وهناك نوع من (القرابين المقدسة) تُقدم فى عدد من المناسبات دون وجود إحساس بالخطيئة (مثل استهلال الحملة العسكرية بتقّدمة قربان يُحرق وكان الغرض منه مباركة المحاربين) (قديش ملحماة) وهو ماكان يُعدّ من أشد القرابين قدسية فى إسرائيل القديمة .

والقرابين التكفيرية السنوية التى كان يُحتَفى بها بطقوس استثنائية ينبغى إرجاع أصلها الأول إلى إحساس متنام بالخطيئة أو الخوف من غضب الإله (مثل عيد الفصح العبرانى فى شهر نيسان / أبريل فى الربيع وعيد الغفران الكبير).وقرابين التكفير الخاصة (الفردية) التى يقدمها الفرد عن خطاياه تُعد طقسا دينيا حديثا نسبيا.



اليهودية دين ودنيا

كشف (جاك أوستراك) الطبيب الفرنسي (1684 - 1766م) عن وجود اسمين مختلفين للإله فى سفر الخروج : إلوهيم ، يَهْوَه .

واكتشف (أوستراك) أن الأجزاء التى تستخدم اسم (إلوهيم) تروى رواية مختلفة عن تلك التى تستخدم اسم (يَهْوَه) . وأنه قد أُستخدم اسم (إيل) فى سفر التكوين أكثر من اسم (يَهْوَه) ومنه جاءت تسميات إسرائيل وإسماعيل . والمعروف أن الإيلوهيم (الآلهة) هو جمع للإسم (إيل) أى الإله السامي .

والتوراة إسم يُطلق مجازاً على أسفار العهد القديم لكنه فى الحقيقة يختص بالأسفار الخمسة الأولى وهى :

التكوين - الخروج -اللاويين - العدد - التثنية (تثنية الاشتراع) .

وكلمة (سِفْر) معناها كتاب وجمعها أسفار واُصطلح على إطلاق الاسم على جزء مستقل من أجزاء العهد القديم . وهذا الجزء يُجمع تحت عنوان يحمل دلالة حدث هام مثل **التكوين** (خلق السماوات والأرض) **أو الخروج** (خروج بنى إسرائيل مع موسى من مصر) أو يسمى على (إسم قبيلة أو سِبْط يهودى) **مثل اللاويين** . أو (شخص) مثل أيوب وعوبديا وإرميا أو إسم غير محدد مثل المزامير والجامعة وأخبار الأيام والملوك ... الخ .

كذلك(العهد القديم) أُطلق على هذا الجزء من (الكتاب المقدس) تمييزاً له عن العهد الجديد (الإنجيل) كتاب المسيحيين المقدس .

والنص العبراني الذي بين أيدينا اليوم يضم تسع وثلاثون سِفْراً تُقسم إلى ثلاثة أقسام هى :

التوراة - الأنبياء - الكتب .

وهذه الأقسام الثلاثة تسمى بالعبرية تناخ أو تنخ Tankh

(الاسم مشتق من الحروف الأولى للكلمات العبرية (توراة -نبيئيم - كتوبيم) كذلك يسمى هذا الجزء المعتمد عند اليهود باسم (المقْرا) أى النص المقروء و (المصورة) أو المصورات نسبة إلى العلماء المصورين الذين بحثوا فى الحروف الصوتية للغة العبرية . والنص النهائى (**للتوراة الماصورية**) انتهى وضعه فى القرن الثامن الميلادي وهو يختلف اختلافا طفيفا عن الترجمة اليونانية التى ترجمها حوالي سبعين شخصا فسمى (النص السبعينى) وقد وضع هذا النص خلال القرن الثالث ق . م . وبشىء من التفصيل فإن الأسفار الخمسة الأولى هى :

1- **التكوين** : وتبدأ بحكاية خلق الكون فتسرد سلالة الإنسان منذ آدم مروراً بقصص نوح والطوفان وسيرة إبراهيم (عليه السلام) من وجهة نظر يهودية ثم سيرة ذريته مع التركيز على إسحاق ويعقوب (الذى يسمى فيما بعد بإسرائيل) وهجرة يعقوب وراء إبنه يوسف إلى مصر .

2- **الخروج :** ويقص محنة بنى إسرائيل فى مصر إلى أن بُعث فيهم موسى فيقودهم للخروج من مصر إلى برية سيناء حيث يتيهون فيها أربعين عاما إلى أن يدخلوا الأرض المقدسة بقيادة يشوع بن نون فتى موسى (عليه السلام) وقائد جيوشه.

3- **اللاويين :** ويركز على الشرائع الكهنوتية ويرسخ مكانا خاصا للكهنة فى شعب إسرائيل .

4- **العدد :** وينظم بنى إسرائيل ويحصيهم حسب إرادة الإله ثم يسرد جانباً من سيرة موسى (عليه السلام) وتذمرات بنى إسرائيل عليه .

5- **تثنية الاشتراع (التثنية) :** وفيه يتم إعادة نص الشريعة التى وردت فى سفر اللاويين بصيغة أخرى فيجنح بشكل غير مباشر لإقرار الحكم الملكوتى فى إسرائيل . وقد دون هذا السفر فى القرن الثامن ق. م ويقال أن التشريعات التى وردت مأخوذة عن أمم أخرى (الشوميريين والأكاديين والمصريين) كما سنرى فيما بعد.

ويتألف **قسم الأنبياء** من أسفار يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى وأخبار الأيام الأول والثانى وإشعياء وإرميا وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجّاى وزكريا وملاخى على الترتيب . ويتضمن هذا القسم (الأنبياء) باقى تاريخ العبريين بعد موت موسى (عليه السلام) وحتى السَبْى البابلى فيسرد تاريخ استيلاء العبرانيين على بعض أراضى فلسطين وحروبهم مع جيرانهم من سكانها الأصليين ثم يروى أحداث حكم القضاة الدينيين للشعب حتى تبلغ مملكة إسرائيل أقصى مجدها على عهد النبييَن داوود وسليمان (عليهما السلام) . ومن بعد

سليمان تنفصل المملكة إلى مملكتين على عهد إبنه رحبعام . ثم تمضى الإصحاحات تروى ما قام بين المملكتين من حروب ومناوشات تشى بالانفصال الاجتماعي والكراهية السياسية إلى أن تنهض مملكة آشور فى العراق فتستولي على مملكة الشمال (إسرائيل أو السامرة) وتسْبى سكانها (الأسر ثم النفى) ثم تخلف مملكة آشور مملكة بابل وتكرر الفعل مع مملكة الجنوب (يهوذا) فتقضى على آخر كيان سياسى لليهود فى فلسطين وحتى عصرنا الحالى (القرن العشرين).

ويقسم البعض أسفار الأنبياء تلك إلى أسفار الأنبياء الأول والأنبياء الآخر الذين كثر ظهورهم مع الأنبياء الأخيرة لإسرائيل فى فلسطين (أيام الكيان السياسي للمملكة) حيث بلغت آثام وشرور بنى إسرائيل مداها . واستتبع اضطراب أحوالهم الدينية اضطراب فى أحوالهم السياسية والاجتماعية إلى أن انتهى أمرهم جميعا إلى السَّبْي فى مدن العراق على يد آشور وبابل .

أما **أسفار الكتب** الأخرى فتحوى كلمات الحكمة . مثل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد ومراثى إرميا والجامعة وأستير ودانيال وعَزْرا ونحميا ويغلب على تلك الأسفار (الأخيرة) الطابع الأدبي شعراً ونثراً وتروى قصص وحكم تواترت عبر الأجيال أو ارتبطت بحوادث اجتماعية وسياسية ودينية .

وهناك توراة سامرية وأخرى عبرية . **فالتوراة العبرية** تحتوى على أسفار مقبولة من اليهود العبرانيين (الجنوبيين) **ويطلق عليها الأسفار القانونية الأولى** . وهى أسفار مقبولة من كل الطوائف المسيحية . **أما الأسفار القانونية الثانية** فهى أقل حظا فى القبول وتسمى (**الأبوكريفا**) أى

(**المخفية**) وهو الاسم الذي أُطلق عليها من طائفة البروتستانت المسيحية التى رفضت هذه الأسفار باعتبارها مدسوسة على التوراة ولا ترقى إلى مستوى الوحي الإلهي. وتضم موضوعات غير ذات أهمية أو خرافات لم يقبلها اليهود ولا أصحاب التيار الإصلاحي المسيحي (البروتستانت) معتمدين فى رفضهم أن (يوسفوس) المؤرخ والمؤلف اليهودي الشهير لم يذكرها ولم يستشهد بها بعض الآباء الأوائل للكنيسة . **وهكذا اعتمدوا على مؤرخ عار من القداسة لتقرير قضية إلهية هامة وهى ألوهية نصوص مقدسة** . ويقال أن هناك أسفار أخرى لفقها اليهود والهراطقة ورفضتها كل الكنائس المسيحية مثل أسفار عَزْرا (الثالث والرابع) وأسفار المكابيين (الثالث والرابع والخامس) وغيرها . ومن المعروف أن (**التوراة السامرية**) تلك التى تُنسب لليهود الذين سكنوا مملكة إسرائيل (فى الشمال) واتخذوا مدينة شكيم (نابلس) عاصمة لهم واعتقدوا فى قدسية (جبل جرزيم) .

أما (**التوراة العبرانية**) فتلك التى تُنسب لليهود الذين سكنوا مملكة يهوذا (فى الجنوب) واتخذوا مدينة أورشليم (القدس) عاصمة لهم واعتقدوا فى قدسية (جبل صهيون) . وكلاهما قد أقام لنفسه معبداً للإله (هيكلا) فوق الجبل المقدس (جرزيم وصهيون) [14]

ويزعم (السامريون) أنهم هم البقية الباقية على اليهودية الصحيحة وأن الجبل الذى يقدسونه (جرزيم) هو المكان الذى بنى عليه أباهم الأعلى يعقوب (عليه السلام) معبده المكرس للرب . ويرفض السامريون الأنبياء الذين أتوا فى إسرائيل بعد موسى (عليه السلام) ويرفضون الأسفار اليهودية المقدسة الأخرى (ماعدا الأسفار الخمسة الأولى) .

أى أنهم يرفضون المِشْنا والتلمود والمِدّراش والتي يعتبرونها من أعمال الكفر . ومن هذا الافتراض **تُعتبر التوراة السامرية لم تُكتب أو تُجمع أثناء السَبْى البابلى بل حدثت قبل هذا التاريخ بسنين طويلة .**

إن العداء بين يهود مملكتى الشمال والجنوب لا يمكن تجاهله بل تحكى التوراة العبرانية فصوله وهى تؤرخ لمملكة يهوذا . ولذلك فليس مستغربا أن تصف التوراة العبرانية صراحة وفى أكثر من موضع مملكة الشمال (إسرائيل) بأنها مؤسسة على الكفر ورفض الدين التوحيدى والأكثر رفضا وتنكيلا للأنبياء وبالتالى فالسامريون (فى نظر العبرانيين) لا يتم الاعتراف بهم كيهود ولا بتوراتهم (التوراة السامرية) بعد السَبْي الآشوري وصاروا (جوييم) أى غرباء.

أما السامريون (وهم الآن قلة تعد بالمئات) فينسبون أنفسهم إلى (هارون) أخي موسى (عليه السلام) ويعيشون فى عزلة عن باقى اليهود من كل الطوائف . والسامريون - فى توراتهم - لا يجسدون صورة الإله بل كل موضع فى التوراة يكون فيه تجسيد يستبدلونه بكلمة ملاك الرب أو ملاك الله (فمثلا إذا كانت التوراة العبرانية تقول ظهر الرب لإبرام تقول التوراة السامرية : وتجلى ملاك الرب لإبرام .. وهكذا) .

على أن علماء الغرب الذين اضطلعوا ببحث ودراسة الكتاب المقدس يتعاملون دائما مع التوراة العبرانية على أنها النص الوحيد المعتمد . وحتى زمن السَبْى البابلى كان اليهود شبه متفقين على الأسفار الخمسة الأولى من التوراة . وفى السَبْى لم يحدث اختلاط كبير بين أهل يهوذا (الجنوب)

المَسْبيين حديثا وأهل إسرائيل (الشمال) الذين تم سَبْيهم قبل ذلك بسنين كثيرة (135 عاما) . ومازال هذا الشقاق قائم حتى إبان العودة من السَبْى (أيام حكم كورش الملك الفارسى) **ومن ذلك نفهم أن عَزْرا** *(**كاتب التوراة فى السَبْى) أثناء السَبْى كانت له وجهة نظر فى التوراة فأعاد صياغة الأسفار الخمسة الأولى منها وأضاف لها ما أضاف فقبل العبرانيون منه ذلك بينما رفض ذلك السامريون واحتفظوا بنسختهم التى حوت الأسفار الخمسة الأولى قبل تدخل عَزْرا فيها . وعلى هذا فإن التوراة العبرانية هى توراة الأغلبية اليهودية والتى يؤمن بها العالم المسيحى ويسميها العهد القديم .**

وعن توراة موسى (عليه السلام) يقول (**عاطف عبد الغنى**) فى كتابه (أساطير التوراة)[15]أنها ربما اقتصرت على الوصايا العشر التى نُقشت على لوحى حجر احتواها(تابوت العهد)[16]ونصوص الشريعة التى تخدم قضيتى التوحيد والإيمان . **أما (عَزْرا)صاحب التوراة العبرانية فى صورتها الأخيرة فهو رجل صاحب أيديولوجية سياسية دينية كان جل هدفها أن تجمع شتات بنى إسرائيل من النفى فى بلاد العراق. تجمعهم نفسياً قبل أن تجمعهم عدديا وتقنعهم بالعودة إلى فلسطين - أرض الميعاد - ولذا فقد شرع عَزْرا يجمع (أو بالأصح يكتب) للمسبيين تاريخاً مقدساً يربطهم بأول الزمان وآخره فيبرز فيه المواعيد المقدسة بين الإله وإسرائيل . وفى هذا التاريخ اختلط اللاهوت بالسياسة والحكمة بالأسطورة وفلسفات المدنيات التى تأثرت بها اليهود فى تاريخهم** . (وجد هوبر[17]أن التوراة لم تُكتب بواسطة موسى وأن

(*) أثبت البحث العلمى أن الشطر الأكبر من العهد القديم قد تم تدوينه فيما بين عَزْرا (421 ق.م) والفتح الرومانى (63 ق.م) والأدلة كثيرة منها نصوص التوراة الحالية نفسها .

سِفْر يشوع لم يصدر من قلم يشوع وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة كُتب زمن السَبْى أو بعد العودة إلى فلسطين).

ومفهوم النبوة فى إسرائيل أصبح فيه اختلاط بين النبوة الموهوبة من الإلـه والتنبؤ الحِرْفة أو الصَنْعة التى هى من عمل الشيطان تُستجلب عن طريق السحر والعرافة (الكَهَانة) فجعلت استحضار روح الرب واستجلابها يأتى بالعزف المقدس (ميراث طقسى موروث من المعابد المصرية القديمة) . وجعلت صموئيل (مثلا) يعين ويعزل الملوك ويمسح الأنبياء فى إسرائيل ويرضى ويسخط ويمسك السيف بيده فيقطع به رقبة أسير أعزل . وجعلت (أيضا) ناثان يحاكم النبى داود (عليه السلام) رغم أننا لا نجد فى سيرتى صموئيل وناثان ما يؤهلهما لهذا التكريم والاصطفاء . **ومن المفاهيم المغلوطة التى تقررها التوراة فى مسألة النبوة أن جعلتها للنساء** (مريم أخت هارون وموسى - دبورة قاضية إسرائيل زوجة فيدوت - خلْدة امرأة شلوم) .

وعن **مفهوم التبرير** يقول (**عاطف عبد الغنى**)[18] أن الكتبة (كتبة التوراة) حاولوا دائما إعطاء سند إلهى لأكثر الحوادث الوارد ذكرها فى التوراة لإضفاء صفة الشرعية عليها ودعم صدقها حتى ولو كانت تجافى العقل والمنطق مادامت هى إرادة السماء . فمثلا بررت التوراة الموقف العدائي لبنى إسرائيل من الكنعانيين إلى سبب قديم جداً يعود إلى عهد نوح (عليه السلام) فتحكى رواية التوراة أن (حام) أحد أبناء نوح (الثلاثة) قد كشف عورة أبيه . فلما عرف نوح الخبر لعن ذرية حام فى (كنعان) إبنه ونسله وحكم عليه أن يكون عبداً لأخويه (سام ويافث) . وأيضا فى قصة زنا ابنتى لوط (عليه السلام) بأبيهما – بهتانا - مايبرر حرب بنى إسرائيل ضد نسل العمونيين والمؤابيين . وأيضا جعلت التوراة سببا لانقسام مملكة بنى إسرائيل بعد

سليمان (عليه السلام) إلى مملكتين متناحرتين بأن وصمت سليمان - زوراً - بالشرك وأنه :

*لم يكن قلبه كاملا مع الرب كقلب داود أبيه [19].

وكان (عَزْرا) يبحث عن مبرر قوى لإقناع أكثر اليهود بالعودة إلى فلسطين فلم يجد خيراً من الدين يؤثر به على الوجدان فيثير العاطفة نحو أرض الميعاد ويحيي فيهم وعود الرب التى قطعها لهم علامة ودليلا على رضائه عن شعبه وإبنه البكر إسرائيل .

والتوراة الموجودة بين أيدينا الآن مليئة بالأرقام والأعداد وفيها مبالغات كثيرة مثل الحديث عن تعداد شعب إسرائيل الذى خرج من مصر كان أكثر من مليون (عند دخولهم مع يعقوب (عليه السلام) وأخوه يوسف (عليه السلام) كان عددهم فى حدود السبعين) رغم أن المدة التى مكثوها فى مصر حوالي أربعة قرون (قدرتها التوراة 430 عاما وقدرها الباحثون بحوالي 230 عاما) هذا بخلاف التناقض الحادث فى أعمار الأنبياء .

وعن الأمراض المقدسة Crten ورد مرض البَرَص وكأنه قمة انتقام الرب من العبد ويُعدّ دليلا على النجاسة . وهناك أيضا بَرَص الملابس والأقمشة التى تعرض على الكاهن ليقرر إصابتها من عدمه وكذا بَرَص البيوت (المباني) وللطهارة من مرض البَرَص طقوس شكلية غريبة تنتهي بتقديم ذبيحتى خطية ومحرقة مع تَقْدُمَة [20].

وفى سِفْر العدد نجد شريعة نجاسة المرأة بعد الولادة تفرّق فى النجاسة (النِفاس) حسب نوع المولود . فإذا كان ذكراً فالمرأة تكون نجسة سبعة أيام

ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . أما إذا كان المولود أنثى فـــالمدة ترتفع إلى الضعف .

وعن الدراما التوراتية Crncey [21]يقول عاطف عبد الغنى فى كتابـــه أساطير التوراة أن نظرية الدراما التى أسس لها أرسطو تفترض أن التراجيديا بدأت بالقصة الخرافية البسيطة (الأسطورة أو الأحدوثة) ويحدث فيها تغيــير للأحداث بتسلسل حتمي ومنطقي ومحتمل لا يتغير تغــيراً فجائيــا . ولا بــد للتراجيديا أن تحتوى على ستة أجزاء أهمها القصة ثـــم الطبـــاع أو ســمات الشخصية المميزة أو العواطف (المحاكاة) ثم يأتى النظّـــم (الســـرد) فــى المرتبة الثالثة وهو إما أن يكون نثراً أو شعرا .

والتراجيديا ليست محاكاة للأشخاص ولكن محاكاة للأفعال . للســعادة أو الشقاء . على أننا يجب أن نضع فى الاعتبار أن الخير المطلق هو الــهدف الحقيقي للحياة . وبالقياس على القصص التوراتية نجد أن الأحداث تتغير فجأة بلا مقدمات أو تبريرات بل نجد المبالغات ولا منطقية الأحداث (مثل قصـــة بلعام فى سِفْر العدد وقصة أستير فى الأسفار القانونية الأولى والثانية وسِـــفْر أستير) .

وقصة أستير تعتبر نموذجا لتحول الأسطورة القومية إلى أسطورة دينية ويتضح فيها التأثر بحضارة بابل (أسماء أبطال القصة جميعهم ذات أصـــول بابلية أو علامية حيث أستير مشتق من عشتار إلهة البابليين ومردوخاى مـــن مردوخ الإله البابلى وهامان إسم الإله العيلاّمى همان) . **وقصة يهوديت** فــى السِفْر المسمى بإسمها [22].وتروى أحداث السِفْر كيف أوقعت يــــهوديت قـــائد العدو الآشورى فى حبائلها بجمالها الأخّاذ وأسكرته ثم ذبحته فتحولـــت إلـــى

قديسة وبذلك يبرر الكتاب المقدس (العهد القديم سِفْرا يهوديت وأستير تحديداً) مشروعية استخدام فتنة المرأة وجمالها كوسيلة مشروعة لكسب المغانم وقتـل الأعداء . ويضفى على ذلك الفعل هالة من التبجيل تنقل الفاتنات اليـهوديات إلى مصاف القديسات .

مما تقدم نتبين أن تراجيديا التوراة تغلـب عليـها روح الأسـطورة الشعبية فى بداياتها ثم الأسطورة القومية بعد ذلك ثم التقديـس والتبجيـل مؤخرا . أما شخصيات الأنبياء والرسل (أحيانا يمنحونها لمن لا يسـتحقها) فهى عرضة للاستهزاء بها ونزع القداسة عنها .

وعلى الرغم أن النص التوراتى كان يصرح دائما بأن روح الله تشـمل هذه الشخصيات فإن نفس النص سلبهم العصمة التى يسبغها الإلـه علـى المصطفين من عباده . إن صفات التأليف البشرى وهناته تسـيطر علـى الحكايات الدرامية التوراتية . فالغرض الدائم فيها هو إظهار التدخل الإلـهى لصالح الشعب المختار فى أكثر المواقف تأزما .

وهذه لا يمكن أن تُصنَّف على أنها معجزات إلهية لأنها مواقـف متعسـفة وتظهر فى بعض الأحيان عجز الإله - حاشا لله أن يكون كذلك - كما ورد فى قصة بلعام وقصة قتل أبكار المصريين التى وردت فى سفر الخروج . ولغـة الخطاب فى بعض النصوص فيها الكثير من المجادلة واللجاجة وسـوء الأدب مع الذات الإلهية العلية كما جاء مثلا فى سِفر الخروج:

*فقال موسى للرب استمع أيها السيد[23]

وأيضا عندما صارع يعقوب (عليه السلام) الـرب كمـا جـاء فـى سِـفر التكوين[24] وهزمه - حاشا لله - وطلب منه الرب أن يطلق سراحه - كـذا - وغير ذلك الكثير . بالاضافة إلى القصص الجنسـية الصريحـة فـى نشـيد الإنشاد. وسِفر إرميا وسِفر حزقيا[25]. وفى إصحاحات المزامير نجـد خلـط التوراة للأزمنة واضحا .

وقد اشتهر (عَزْرا) بين كتبة اليهود وكهنتهم بأنه كاتب ماهر فـى شريعة موسى . واشتهر فيما بعد الأسر البابلى بجمعه للتـوراة العبرانيـة وضم إليها سِفراً سماه على إسمه (سِفر عَزْرا) .

ويلاحظ أن هذا السِفر متقدم فى ترتيب أسفار التوراة رغم تأخره فـى الزمن المدون به (تاريخ الأحداث التى يسردها) على كثير من الأسفار التـى جاءت بعده . وعَزْرا فى سِفْره المشار إليه أصبغ على دعوة الهجرة من بابل إلى فلسطين صبغة دينية حتى أنه جعلها إرادة إلهية وربـط المسـألة كلـها بوصية من الوصايا العشر (**وصية السبت**) **فى تخريجه عجيبة** تفتق عنـها ذهنه فقال :

*حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت فى كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة [26].

حيث اعتبر عَزْرا أن مكوث اليهود فى السبى بعيداً عن فلسطين حوالى سبعين سنة هى فترة زمنية جعلها الإله لتستوفى أرض فلسطين سبوتها (جمع سبت) . وفى هذا يتحدث عَزْرا عن يهود مملكة (يهوذا) ويغفل يهود مملكة (إسرائيل) الذين كانوا قد تم سَبْيهم قبل ذلك بحوالى 133 سنة. وكانت وجهـة نظر عَزْرا فى ملوك آشور وبابل أنهم مجرد أدوات منفذة لإرادة الله . وهـم

فى هجومهم على مملكتى إسرائيل ويهوذا **لم يكونوا أشراراً وإنما هـــم أداة تأديب من الرب للشعب الذى نقض العهد .**

وعلى الرغم أن العودة من بابل إلى فلسطين ارتبطت بشخصيات أخرى - غير عَزْرا - مثل نحميا وزر بابل ويشوع بن يوصادق وغيرهم من قــادة يهود العودة إلا أن عَزْرا نال شهرته وتمـيزه لأنـه كـان بمثابـة المنظّـر الايديولوجي أو المفكر الكهنوتى الأعظم لليهود العـبرانيين . **وقـد جمـع (عَزرا) كل ما اعتقد فى قدسيته وأعاد ترتيبه وتنقيحه من وجهـة نظـره الشخصية** . بحيث استخلص من تاريخ الخلق تاريخاً لبنى إسرائيل منذ نـوح (عليه السلام) وحتى السَبْى البـابلى وهو التاريخ الذى ربطه بحبل الوعـد الإلـهى لبنى إسرائيل فى الأرض المقدسة . وهو الوعد الذى تم تدعيمه بالأسـطورة الدينية والتكرار (تكرار الوعد من الإله كل حقبة من الزمن).

أما الأسطورة فكان قوامها فكرتين أساسيتين هما :

1- **العنصرية :** بمعنى تفضيل الإله للشعب الإسرائيلى على كافـة أجنـاس البشر . ويدخل ضمنها(**النقاء السلالى**) الذى ادعاه اليهود دوما فقـالوا إنهم خالصون من نسل إسرائيل . وإسرائيل خالص من نسل سام بن نوح (حقيقة دعوته أنها دعوة سياسية وليست دينية كمـا ادعـى وفضحتـه التوراة نفسها عندما أعلن إيليا النبى بقبول من يدخل اليهودية فى شـعب الله) .

2- **جلد الذات :** حيث قال وأكد أن الشعب أخطأ - ومعهم الأنبياء والرسـل - بارتكابهم الكبائر التى استوجبت عقاب الله لهم :

*منذ أيام آبائنا ونحن فى إثم عظيم[27]

وظهرت فى نصوص التوراة إمارات الخلاص بتمجيد القوة والبطل الأسطورى أو المسيح المخلّص (**المسيّا**) ولما يئس اليهود من بعث هذا (المسيّا) بين ظهرانيهم جعلوا(قورش) الملك الفارسى الوثنىهو نفسه المسيح المنتظر وجعلوه يتصل بالرب مثل الأنبياء والمرسلين :

***هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمماً وأحقاء ملوك** . أَحُلُّ لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تُغْلَق [28].

ومن الغريب أن الزمن الذى عاش فيه قورش وسمح للمَسْبيين بالعودة إلى فلسطين يجىء بعد هذا الزمن بحوالى مائتين وعشرين عاما . وبينما وجد (عَزْرا) سببا إلهياً لمذلة بنى إسرائيل فى بابل فإنه لم يجد هذا السبب فى تجربة بنى إسرائيل فى مصر . ولذلك قبلت المبالغة الأسطورية فى الضربات التى حلت بشعب مصر حتى جعل الله يتدخل كثيراً فيزيد قلب فرعون قساوة على بنى إسرائيل ليزيد هو ضرباته على مصر . ورغم ذلك وردت شذرات فى التوراة تشى بأن بنى إسرئيل لم يلاقوا من مصر كل هذا التعنت المذكور فى توراتهم . (شعب مصر هو الذى أكرم وفادتهم واستضافتهم فى منطقة جاسان بالشرقية أجود وأخصب أراضى وادى النيل فى فترة قدومهم الأول مع يعقوب (عليه السلام) وهو الشعب الذى أعطاهم ذهبه عند خروجهم مع موسى) :

*وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عَبْر النهر وفى مصر وأعبدوا الرب.[29]

ومن النص نفهم أن بنى إسرائيل زاغوا فى مصر وعبدوا آلهة المصريين وآلهة أخرى جاءت معهم عبر النهر . **وبسبب هذا بعث الله فيهم موسى** (عليه السلام) **يدعوهم إلى التوحيد والعودة لعبادة إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف** (عليه السلام) **. بل ودعاهم إلى الخروج هرباً من فرعون ورجاله ليثبّت الرسالة فى المقام الأول** وليس للهرب من الاضطهاد كما تحاول التوراة أن توهمنا .

ويشير (عاطف عبد الغنى) إلى أنه فى السنة الثانية من حكم الامبراطور الفارسى (دار يوس) نشطت الدعوة بين يهود السَبْى فى العراق إلى إعادة بناء بيت الرب فى أورشليم . وكالعادة جعلوها دعوة إلهية مدعمة بنبوءات إثنين من الأنبياء هما (حجّي) و (زكريا) .

ويرى ريتشارد كروسمان [30]وإيمانويل فلايكوفسكى [31] أن لليهود دورة خاصة فى التاريخ يتعاقب فيها الخروج والدولة والكوارث كما تتعاقب الخطيئة البشرية والقربان اليهودى باعتبارهم شعب الله . وكل هذه التصورات والمفاهيم يجرى تغذيتها وتعزيزها بالتوراة حتى لا يقال أن شعب الله المختار يبحث عن مسوغات أخرى خارج كتابه المقدس . وإلى جانب التلمود وكتاب السَبّى البابلى (العهد القديم) تصطف المساهمات الألمانية العِرْقية بجوهرها كما هو الحال عند نيتشه وجوميلوفكس وجوبينو وليبنتز أو بإسقاطاتها المختارة والملفقة كما هو الحال بالنسبة لأعمال هيجل وكانط. **ويقرر(سبينوزا)** [32]أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تُجمع فى مجموع واحد غير أن **يداً واحدة تظهر فى كل الأسفار من أولها لآخرها وهذه اليد**

الواحدة(*) هى التى رتّبت ودمجت وجعلت تلك الأسفار مترابطة فى سلسلة واحدة وحدث ذلك بعد كتابة كل الأسفار المقدسة.

ويقول موفق محادين [33]فى نقده للصهيونية الروحية والمرجعية المقدسة (التوراة) التى يستند إليها اليهود اليوم لتحقيق مآربهم :

إن أكبر تزويرات التوراة إثارة - من حيث أهميتها وحساسيتها - هى التزويرات التى طالت علاقة موسى (عليه السلام) بالتوراة . فقد بات معلوما أن نسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى هو افتراض إيمانى يُنسب تأليفها إلى النبى موسى (عليه السلام) حتى صار ذلك الافتراض عقيدة يهودية منذ عهد فيلون السكندرى ويوسفوس (المؤرخ) فى القرن الأول قبل الميلاد اللذان عاصرا المسيح وأعلنا أن موسى هو مؤلف التوراة . وهى العقيدة التى ظلت تأخذ بها الكنيسة إلى زمن قريب ولا تزال سائدة فى كثير من الكنائس .

وفى ذلك يؤكد (توماس هوبز) من أن تدوين التوراة تم بعد موت موسى بزمن طويل (حوالى سبعة قرون) . وماجاء فى الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدس الصادر عام 1960م أنه :

مامن عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة أو أنه أشرف على وضع النص . لأن ذلك النص قد كتبه عديدون بعده . لذلك يجب القول أن ازدياداً تدريجيا قد حدث وسببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية .

(*) تلك اليد هى يد (عَزْرا) الذى أعاد كتابة الأسفار التوراتية فى السَبْى البابلى .

ومن اليهود أنفسهم الذين كتبوا ضد يوسفوس (داكوستا) [34] في كتابه اختيار التقاليد الفريسية ومقارنتها بالشريعة المكتوبة . وفيه اعتبر الشفهية اليهودية بدعة فريسية.

و (سبنيوزا) [35] الذى انتهى إلى إنكار أى احتمال يمكن بموجبه نسبة التوراة إلى موسى . وقدم على ذلك شواهد عديدة وقدم قرائن تشير إلى أن كُتُبَ العهد القديم بدءاً من سِفْر التكوين وحتى سِفْر الملوك الثانى قد كتبها (عَزْرا) الذى عاش فى القرن الخامس ق . م ومنها :

(1)أن مقدمة سِفْر التثنية (وهى الواردة بصيغة المتكلم للايحاء بأن كاتبها هو موسى (عليه السلام) لم يكن من الممكن أن يكتبها موسى حيث أن المقطوع به أن **موسى (عليه السلام) لم يعبر نهر الأردن أبدا :**

*ذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل وقال لهم أنا اليوم ابن مائة وعشرين سنة . لا أستطيع الخروج والدخول بعد . والرب قد قال لى لا تعبر هذا الأردن [36].

*وكلم الرب موسى قائلا اصعد إلى جبل عباريم . هذا جبل بنو الذى فى أرض مؤاب الذى قبالة أريحا . وانظر إلى أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل مُلْكا . فإنك تنظر الأرض من قبالتها (من خارجها) **ولكنك لا تدخل إلى هناك**إلى الأرض التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل[37].

*وصعد موسى وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهام وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها . **قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هنا لا تعبر .**

(2)إن سِفْر التثنية يرد فيه القول :

*وكتب موسى هذه الشريعة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت العهد ولجميع شيوخ بنى إسرائيل [38] .

وهو كلام لا سبيل لنسبته لموسى (عليه السلام) فهو قول كاتب آخر يروى ما فعل موسى وما قال .

(3)ورد فى سِفْر التكوين القول أن ابراهام (إبراهيم)(عليه السلام) دعى اسم الموضع الذى أمره الرب أن يقدم ابنه اسحاق فيه ضحية للرب (يَهْوَه يرأه) بحيث بات الموضع يدعى اليوم جبل (يَهْوَه سوف يرى) **وهذه التسمية لذلك المكان لم تطلق عليه إلا بعد بناء الهيكل فى عصر سليمان(عليه السلام)(960-962ق.م) ولم يكن اختياره فى عصر موسى(عليه السلام)**.وسِفْر الخروج تأتى النصوص التى تتحدث عن موسى (عليه السلام):

* وتكلم الرب مع موسى وجها لوجه[39] .
* فحمى غضب موسى[40]
* فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض مؤاب حسب قول الرب[41]
* ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه[42]

(4) فى التوراة كثير من أسماء الأماكن والمواضع الجغرافية يستحيل علم موسى بها لأنها فى عمق أرض فلسطين وموسى مات ولم تطأ قدمه أرض فلسطين . ومعظم هذه التسميات حدثت بعد موسى بثلاثة أو أربعة قرون . مثل (دان) [43]وكذا مجموعة القرى المعروفة باسم (يائير) [44]وهى القرى التى لم تظهر إلى الوجود إلا فى عصر القضاة [45]بعد موسى بقرون .

(5) فى قصة يوسف يوجد خطأ تاريخى هائل حيث يطلق على فلســـطين اســـم أرض العبريين وليس أرض الكنعانيين[46] .

(6) وردت عبارة فى سفر التكوين والعدد :

* قبل أن يملك ملك من أبناء إسرائيل[47]

وهى جملة لا يكتبها إلا شخص عاصر العهد الملكى لإسرائيل وعـرف بقيام المملكة بعد موسى بأربعة قرون .

(7)المرات الثلاث التى تعرضت فيها التوراة لتزويرات كبيرة هى عندما **أعـد الكهنة والملك يوشع (يوشيا) سِفْر الشريعة حوالى عام 600 ق.م . وعندما أعد الكهنة من مدرسة حزقيال وإشعيا الثانى ما عُرف (بالقانون الكـهنوتى). وعندما أعد عَزْرا ونحميا التوراة نفسها أثناء الأسر البابلى** (تشير دائـــرة المعارف البريطانية أن عَزْرا هو الذى نشر الشريعة اليهودية اعتماداً علـــى التوراة نفسها) .

ومن كل ماسبق لا يخفى على أحد أن التوراة لا يمكـــن الأخـذ بـــها تاريخيا . فهى ليست تأريخا موثوقاً به للأسباب المذكورة ولأسباب أخـــرى سبق ذكرها ولأسباب يسوقها المفكر السورى والبـــاحث فـــى الميثولوجيــا وتاريخ الأديان(فراس السواح)[48] حيث يقول :

من خلال دراسة الوثائق التاريخية لثقافات الشـــرق القديـم ودراســة أحدث نتائج التنقيب الأثرى فى فلسطين نجد أن **التقاليد التوراتية قد خلقـــت (إسرائيلا) خاصة بها لا علاقة لها بإسرائيل التاريخيـــة وأن جـل البحـث التاريخي الذى تم حتىوقت قريب فى مسألة أصول إسرائيل وتاريخها قد انصـب**

على أخيولة لا تمتلك من الوجود الواقعي إلا أقله . وأن ما بدا لنا حتى الآن من اتصال الإسرائيلي باليهودي هو ابتداع توراتـــي اســـتكمل المحـــررون التوراتيون من خلاله أخيولتهم الأدبية الرامية إلى ابتكار أصول لليهوديـــة المحدثة في فلسطين خلال العصر الفارسي والعصر الهلينستي . وإســـرائيل الثالثة في فلسطين (حاليا) لا علاقة لها بإسرائيل التوراتيـــة أو إســـرائيل التاريخية . ويسوق (فراس السواح) بعض البراهين والأدلة على استنتاجاته فيقول[49]:

1- إن النقد النصي والتاريخي والأركيولوجي لروايات الآباء والخروج قد أوصلنا إلى القول بكل ثقة علمية إلى أن **جميع الوقائع تنفي نفيا قاطعا وجود كيان إثني إسمه (كل إسرائيل) خلال أية فترة من عصر البرونز الوسيط أو عصر البرونز الأخير وصولا إلى عصر الحديد الأول حوالي 1200 ق.م**[*]

2- إن الشواهد الأركيولوجية من الفترة الانتقالية مـــن عصـــر الـــبرونز الأخير إلى عصر الحديد **تنفي نفيا قاطعا رواية سِفْر يشوع عـــن الاقتحـــام العسكري لأرض كنعان .**

3- إن نتائج المسح الأركيولوجي الشامل لمنطقـــة الـــهضاب المركزيـــة ولمنطقة مرتفعات يهوذا في المستويات الأثرية العائدة لعصر الحديـــد الأول **تنفي نفيا قاطعا ظهور مجموعة إثنية واحدة في كل المنطقتين خلال الفـــترة المفترضة لعصر القضاة والاستقرار في الأرض** . فالقرى التي ظهرت بشكل بطيء في الهضاب المركزية خلال عصر الحديد الأول كانت قرى كنعانيـــة من أصل زراعي محلي مرتبطة ثقافيا بعصر البرونز الأخير ولا علاقة لـــها

---

*) عصر البرونز (3500 – 800ق .م).عصر الحديد (1200 –300 ق.م)

بالقبائل الرعوية التوراتية . وقد سبق استيطان منطقة الـــهضاب المركزيـــة الاستيطان فى منطقة يهوذا بحوالى قرنين من الزمان . الأمر الـــذى ينفـــى وجود قاعدة مشتركة بين المنطقتين كما ينفى قيام إثنى يشـــتمل علـــى (كـــل إسرائيل) خلال عصر القضاة التى تغطى بالكامل فترة الحديد الأول.

4- **لم يتوفر خلال القـــرن العاشـــر قبـــل الميـــلاد الأســـاس الســـكانى والاقتصادي اللازم لقيام مملكة قوية فى الهضاب المركزيـــة أو مرتفعـــات يهوذا (فى الجنوب) ناهيك عن قيام مملكة موحدة متسعة الأرجاء بسـطت سلطانها على كامل أراضى فلسطين** . فإضافة إلى الفقر المدقع لقرى الهضاب المركزية المبعثرة فإن يهوذا كانت خالية من السكان . **وأورشليم كانت بلـــدة متواضعة وغير صالحة لأن تكون عاصمة للمملكة المذكورة فى التوراة.**

5- **لا يوجد ذكر لكيان سياسى إسمه إسرائيل فى جميع وثائق الشـــرق القديم قبل أواسط القرن التاسع قبل الميلاد (أى بعد أكثر مـــن قـــرن علـــى تشكيل مملكة إسرائيل التوراتية)** عندما بدأ اسم إسرائيل يظهر فى الســـجلات العسكرية الآشورية وللدلالة حصراً على مملكة السامرة (فى الشمال) التـــى تشكلت تاريخيا حوالى 880 ق.م . وكذلك الأمر فـــى مملكـــة يـــهوذا (فـــى الجنوب) التى لم يرد ذكرها فى السجلات الآشورية إلا نحـــو نهايـــة القـــرن الثامن قبل الميلاد وعندما بدأت مملكة إسرائيل بالأفول .

6- **لا يوجد فى وثائق الشرق القديم ذكر لكيان سياسي إسمه إســـرائيل بعد دمار مملكة السامرة (شمالا) على يد الآشوريين عام 721 ق.م** وسَـــبْى أهلها الذين لم يرجعوا إلى أوطانهم قط . أما المقاطعة الآشورية التى قـــامت فى الهضاب المركزية بعد سَبْى الإسرائيليين واحلال أقوام جديدة محلهم فقـــد

دُعيت بمقاطعة السامرة واستمرت تُدعى بهذا الاسم خلال العصر الفارسى والهلينستى والرومانى . وفيما يتعلق بمنطقة يهوذا فقد أطلق عليها مقاطعة اليهودية بعد عودة المسبيين إليها من بابل واستمر هذا الاسم قائماً حتى العصر الرومانى.

7- لايوجد أثر للمعتقد الدينى التوراتى فى منطقة إسرائيل ويهوذا وفى بقية أنحاء فلسطين خلال الفترة السابقة على السَبْى البابلى . والديانة التى سادت هنا هى ديانة كنعانية تقليدية (آلهة البانثيون الكنعانى) .

والوثائق التى عثر عليها فى جزيرة فِيَلَة (بأسوان) والتى ترجع إلى الفترة من 495 - 394 ق.م وهى الفترة التى شهدت إعادة سكن أورشليم وبناء الهيكل الثانى (هيكل زربابل) وهذه الوثائق مكتوبة باللغة الآرامية وهى تضم وثائق تجارية وعقود زواج ومراسلات بين رئيس الجالية اليهودية فى فِيَلَة المدعو (جيدانة) أو جيدانيه وعدد من الشخصيات السياسية فى فلسطين (فى اليهودية والسامرة وكهنة أورشليم) يستعلم منهم عن بعض القضايا الطقسية والسنن الدينية .

والاستنتاج المنطقى الذى يطرح نفسه هو **أن ديانة (يَهْوَه) فى فلسطين لم تكن حتى ذلك الوقت المتأخر قد اكتسبت الشكل التوراتى بعد . وأنها مازالت فى طور التشكيل على أيدى كهنة أورشليم بعد العودة من المنفى .**

وفى تقييمه للأسفار المدعوه بالتاريخية يقول فراس السواح [50]:

إنها سلسلة من المرويات الشعبية ذات الأصول المختلفة جُمعت إلى بعضها فى نسيج واهى الحبكة وتاريخ زمنى مفروض عليها من خارجها .

أما الزمرة الثانية من أسفار التـوراة (أسـفار الأنبيـاء) فليسـت **إلا مجموعة من أقوال ومأثورات حِكَموية قديمة تختصر ألف عام تقريبا مـن التقاليد النبوئية فى فلسطين والمناطق المجاورة لها .**

وقد قام المحررون التوراتيون بجمع هذه المادة الغنية القديمة فرتبوهـا وصنفوها ووضعوها على لسان شخصيات نبوية متميزة قد يكون بعضها مـن أصل تاريخى ثم جعلت هذه المادة تدور حول فكرة أساسية فى جميع الأسـفار (أسفار الأنبياء) وهى أن دمار إسرائيل ويهوذا كان بمثابة عقاب إلهي علـى خطايا الجماهير والحكام وتجاهلهم عبادة الإله الحق وأن الرحمـة الإلهيـة سوف تلحق بالتوابين العائدين من السَّبْى البابلى إلى حظيرة الرب .

والمصادر الكتابية التى يدعى المحررون فى بعض المواضع الاسـتناد إليها فإننا غير متأكدين من وجودها أصلا ولا مـن الطريقـة التـى عمـد المحررون إلى الإفادة منها وذلك مثل سفر باشر وسفر موسى وغيرها .

والنص التوراتى لم يتعرض - مثلا - لإسم الفرعون المصرى المعنـي فى سفر الخروج وإنما تعرض للشعوب والقبائل المجاورة للمناطق الهضبية التى قامت على أراضيها - فيما بعد - دولتى إسرائيل ويهوذا وذلـك مثـل مؤاب وأدوم وعمون فى الشرق وفلستيا فى الغرب . وغالبا ماوردت أسماء هذه الشعوب فى سياق زمنى يتضمن مفارقة تاريخية واضحة فممالك شرقى الأردن التى قهرها موسى فى آخر مراحل ملحمة الخروج لم تكن موجـودة فى ذلك الوقت على ما بينه المَسْح الأركيولوجى للمنطقة . ومنطقة السـاحل الفسلطينى الجنوبى التى يدعوها سِفْر الخروج بأرض الفلستينيين لم تكن قد استقبلت زمن الخروج أية موجة من موجات شعوب البحر Sea people مـن

فلستين وغيرهم . ومن بين جميع الممالك الفينيقية على الساحل السورى لـم يرد ذكر أيا منها إلا صيدون . أما بقية الممالك من أو جاريت إلـى صـور فغائبة تماما . ومثلها تلك الممالك الكبرى التى ازدهرت مـن حـول أولئـك الإسرائيليين المفترضين عبر عصورهم فبابل حمورابى فى بـلاد النـهرين ومارى على الفرات الأوسط وحلب (يمخاض) وألا لاخ فى الشمال السورى وقطنة وقادش فى سوريا الوسطى غائبة عن سير عصر الآباء الذين كـانوا يرتحلون بين الفرات وفلسطين وكأنما يتحركون على مسرح خال تماما إلا من القبائل الرحل وآبار المياه فى الواحات . وكذلك الأمر فيما يتعلـق بالممـالك الحيثية الجديدة فى الشمال السورى والممالك الأرامية الجديدة علـى نـهرى الخابور والفرات وفى المناطق الغربية التى ازدهرت منذ مطلع عصر الحديد فجميعها غائب عن عصر يشوع وعصر القضاة . وكذلك مصر التى كـانت تسيطر عليها فى ذلك الوقـتوعلـى وادى يزراعيـل وعـدد مـن النقـاط الاستراتيجية الأخرى . وفى عصر المملكة الموحدة لا يرد ذكر لآشـورالتى كان نفوذها قد تجاوز الفرات ووصل إلى مناطق الساحل ولا الممالك الأرامية القوية التى كانت تقارع آشور على الفرات وفى الشمال السورى . وبدلا مـن هذه الممالك التى تجملها أخبار الملك داود تحت عنـوان (آرام التـى عـبْر النهر) **فإن محرر سِفْر الملوك الأول يبتكر ممالك لم يرد لهاذ كر فى التاريخ ولم تقم الدلائل الأركيولوجية على وجودها وذلك مثل آرام صوبـة ومعكـة وبيت رحوب وجيشور وغيرها** . وبالمقابل فإن جميـع السـجلات الكتابيـة للحضارات القديمة لم تورد خبراً واحداً يدعم الرواية التوراتية مـن عصـر الآباء إلى قيام أسرة الملك (عمرى) وبناء مدينة السامرة فى النصـف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد .

ومن نفس المنطلق يبين **(توماس ل. طومسون)** [51]فى كتابه الـهام **(التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى)** أنه اعتمد فى البداية فى كتابة تاريخ إسرائيل على المعطيات التوراتية لكن تراكم المعطيات الأركيولوجية والتزايد الكبير فى الاكتشافات الهامة فى الشرق الأدنى القديم إضافة إلى البحث النقدى المتراكم أدى إلى تحول العنصر التاريخى فى الدراسات التوراتية . فقد أكد الكثير من المؤرخين عدم تاريخية بعض الحقب مثل حقبة الآباء - الغزو - القضاة . وشككوا بتاريخية بعض الرموز الأساسية مفضياً ذلك إلى التخلى عن الافتراضات المسبقة التى فرضها التفسير التوراتى **حيث أن التاريخ يقوم على الأبحاث وهو يتعلق بالطبيعة وليس بما وراء الطبيعة . وعليه فلا يمكن استخلاص تاريخ إسرائيل القديم من التوراة . كما أن أساس التقييم النقدى يبقى منفصلا عن التوراة فى تاريخ نقوش وحفريات أقاليم فلسطين .**

وهناك ثلاث نظريات ومناهج عالجت تاريخ إسرائيل :

(1) مدرسة تاريخ الأديان (ويلهاوزن) :

وتشير هذه الفرضية إلى أن تشكيل الأسفار الخمسة الأولى من التوراة (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية) تم من خلال أربعة مصادر مستقلة فى الأصل :

أ- **اليهْوَهية** : مع الملكية الموحدة يهوذا وسلالة داود (1050- 953 ق.م) .

ب- **الإلوهيمية** : مع المَلَكية المنقسمة ودولة إسرائيل (953- 722ق.م)

ج- **التثنوية** : مع اصلاحات يوشيا (648-608 ق.م)

د-**الكهنوتية** : مع مراحل النفى البابلى ومابعده .

والعنصر الأساسي لفرضية ويلهاوزن تفترض أن هذه المصادر الأربعة للأسفار الخمسة الأولى يجب فرضها على أنها **وثائق أدبية تم تأليفها وقت كتابتها . ولذا فهي كمواد مؤلَّفة تعكس فهم ومعرفة مؤلفيها وعالمهم** .. وبذا لا يمكن أن نحصل منها على أي شيء تاريخي يُعتمد عليه عن المراحل السابقة لتاريخ إسرائيل .

أما (ماير) زميل (ويلهاوزن) فقد رأى أن التراث الذي استمدت منه المصادر الوثائقية **كان في الأصل مرويات شفوية ومجموعة من القصص التي تألفت من الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم** . فلم يُنظر إلى مؤلفي المصادر اليهْوَهية والإيلوهيمية على أنهم كُتّاب ومؤرخون لماضي إسرئيل بل جامعون ومحررون لأساطير وحكايات شعبية مختلفة متعددة الأصول والتواريخ .

(2) الاتجاه التوفيقي المحافظ :

وهذا الاتجاه عند (آلت) و(أولبرايت) وغيرهم أعطى للمرويات التوراتيه قيمة تاريخية . وبذل (أولبرايت) Albright جهده للتوفيق بين المكتشفات الأثرية والمرويات التوراتية ورفض النظرة التطورية لأصول الديانة الاسرائيلية مؤكداً على أصول التوحيد الإسرائيلي في التعاليم الموسوية وعلى أن ماترويه التوراة عن إسرائيل موحدة وغزوها لفلسطين قد تأيد بما نعرفه عن تدمير المدن الكنعانية في العهد البرونزي المتأخر على يد الإسرائيليين البدو .

واعتبر (آلت) Alt أن أهم مفتاح لفهم أصول إسرائيل هو تمايزها وعدم توافقها مع المجتمع الكنعاني السابق لها .

ويقول طومسون Tomas L. Tompson [52]إن الدراسين لم يعودوا يجـــدون براهين أركيولوجية ظاهرة على غزو إسرائيل للمـــــدن الكنعانيـــة . وفشـــل الحفريات الكبرى فى مواقع عاى وأريحا أضعف بالتأكيد حجج أولــــبرايت . وأن محاولة التوفيق بين البيّنات التوراتية وغير التوراتية كإثبات لتاريخانيـــة إسرائيل القديمة سرعان مادخلت مرحلة الانهيار التى مازالت متواصلة حتـــى اليوم .

(3) تفكيك التاريخ التوراتى :

بيّنت (**هـــ . فريس**) H.Friis (عام 1968م) **أن المرويـــات التوراتيـــة** التى حددت تشكيل الدولة أو الملكية الموحدة تحت حكم داود كانت **من انتـــاج فترة السَبى البابلى** . كما حددت أصول التوحيد اليهْوَهى فى تلك الفترة أيضا . ورأت أن الروايات التى تقول بأن أصل إسرائيل من مصر مجرد أســـاطير وأن قصص سفر الملوك الثانى بكاملها قد كُيِّفت لتشرح أسباب السَبْى إلى بابل ويجب أن تكون قد كُتبت بعد السبَى بفترة من الوقت . .

ويشير طومسون إلى أن عملية المراجعة التاريخية النقدية لفهمنا للأسفار الخمسة الأولى التى مازالت مستمرة حتى يومنا هذا عمقـــت اتجـــاه تفكيـــك التاريخ التوراتى وأطلقت تحديا أساسيا لافتراضـــــات عديـــدة تمســـكت بـــها الاتجاهات الرامية إلى اثبات تاريخ إسرائيل على أساس التوراة .

ويوجز طومسون تحليله ووصفه للتوراة فيقول :

إن المرويات التوراتية ماهى إلا شظايا ذكريات مكتوبة أو شــــفهية ، سلاسل من القصص ، أعمال أدبية معقدة ، سجلات إدارية ، أغانى ، حِكَـــم نبوية ، كلمات مأثورة عن فلاسفة ، قوائم وحكايات اعتــــبرت ذات معنـــى

ضمن كُلٍّ مترابط ومتراكم . جُمع ونُظم انتقائيا وفُسر باعتباره ماضيا مبعثرا[53] .

والجدير بالذكر أن (توماس ل.طومسون) هذا قد فقد وظيفته كأستاذ علم الآثار فى جامعة ميلووكى بضغط من أوساط اليهود بعد تأليفه هذا الكتاب ونشره[54].

ويعرض طومسون ثلاث بدائل أخرى كلاسيكية موروثة عن الجيل السابق كنماذج لنشوء إسرائيل : غزو - استيطان - ثورة . وفى الفصل الرابع[55] من كتابه الهام وتحت عنوان (منطلقات جديدة نحو تاريخ مستقل لإسرائيل) يعرض تلك الفرضيات والنماذج وهى :

(1) مراجعة أنثروبولوجية لفرضية آلت عن الاستيطان :

لكتابة تاريخ مستقل لإسرائيل القديمة يجب الأخذ فى الاعتبار ثلاثة أشكال مختلفة من البيّنات المباشرة المستخلصة من المصادر الأولية لإعادة بناء تاريخ إسرائيل القديمة :

أ- **الحفريات الأركيولوجية :** وتحليلها وتصنيفها وتفسير الحقائق المستخلصة من الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان القديمة فى فلسطين المعروفة جغرافيا وإقليميا .

ب- **ثروة الآثار الكتابية القديمة :** المرتبطة مباشرة أو مداورة بفلسطين القديمة : الشعب - جيرانه - اقتصاده - البنى الدينية والسياسية - نمط الحياة والحوادث المعروفة.

ج- **المرويات التوراتية** : التى تعكس صراحة أوضمنا العصر الذى تشــكلت فيه والذى يرسم تصور إسرائيل التى نبحث عن أصلها . والضرورة تدعـــو إلى التمييز بين ما تورده القصص التوراتية كحقائق وماتورده كرواية . فمثلا هناك اختلاف كبير بين قصص الشعوب التى نعرفها من واقع حياتها السياسية مثل عمون ومؤاب وأدوم وآرام ومَدْيَن والفلسطينيين والمصريين والآشوريين والتى نعرفها من المرويات مثل : الحوريين والجرجاشيين والفرزيين وحتـــى الكنعانيين والعبرانيين . أو الأماكن المذكورة فى الروايات مثل عـــدن وأرام نهرين وجرار وجاسان وسدوم وعمورة وسالم وحتى حار سيناء بالمقارنة مع الأماكن المعروفة فعلا لدى المنقحين مثل القدس وجـــازر ومَجِـدّو وأريحـا وعـــاى . والمصادر المتصلة بالوضع المادى فى إسرائيل القديمة وإمكانيـــة إعادة بناء تصور لذلك الوضع ذات فائدة غير مباشرة فى مجال إعادة بنـــاء تاريخ إسرئيل . ونؤمّن مع ذلك معلومات أولية مثل جغرافية فلسطين ومعرفة تاريخ وثقافة العالم القديم . والدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية تقدم لنا نماذج لما قد تكون إسرائيل قد كانت عليه . أى مجرد نماذج وأشكال وليـــس مادة تاريخية . تقارُب هذه النماذج هام جداً منهجيا . وينبغى أن يُبحث عـــن نماذج من الشرق الأوسط (لاسيما من نفس مناطق فلسطين) وإذا أمكن مـــن الحقبة القريبة من وقت نشوء إسرائيل. وعلينا أن نفحص مدى ملائمـــة كـــل نموذج فى كل حالة على حدة وأخذ نقائصه بالاعتبار عند التقويم .

وكتاب ن . بى . ليمخى (ليمشى) N.P.Lemche **(إسرائيل القديمـــة)** هام جداً بالنسبة لهذا الموضوع بالذات . وكذلك دراســـات **(كوتى)** Coate و **(وايتلام)** White Lam و**(فنكلشتين)** Finkelestein تقوم على أساس البيّنات غـــير التوراتية (تقوم على الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان فى فلسطين).

ويقدم (ليمشى) كبديل للتاريخ التوراتى مراجعة للتحول من العصر البرونزى المتأخر إلى العصر الحديدى فى فلسطين بالاستناد إلى المصادر الأركيولوجية . ويلاحظ بدقة أن **التمييز الشائع بين ثقافة الكنعانيين والإسرائيليين لا مبرر له فى سجل الأركيولوجيا حتى الآن** . وهذا قاده إلى استنتاج تاريخى يشاركه فيه عدد من الدراسين وهو أن :

إسرائيل كانت محلية فى فلسطين .

وهو لا يختلف فى ذلك عن (آلت) . ويرى (سوجين) أن قصص الملكية الموحدة تشكل علاقة تحوّل فى القصص التوراتى من أدب شعبى لا يُعتَمد عليه تاريخيا (قبل قصص شاؤل وداود) والقصص التاريخية الموثّقة عن الملكية .

ويبرهن (ليمشى) بوضوح على الحاجة إلى التأكيدات والبيّنات غير التوراتية قبل أن تتمكن المرويات التوراتية من تزويدنا بالأساس الملائم لإعادة بناء تاريخ إسرائيل .

وينتقد (**لوريتز**) Laretz بحدة جهود المؤرخين الرامية إلى الربط بين (**عابيرو**) الذين نجدهم فى رسائل تل العمارنة كطبقة اجتماعية دنيا ناقمة ولاجئين تحولوا إلى قُطّاع طُرُق ولصوص فى المناطق الجبلية والـ (**عبرانيين**) كعِرْق يشير إلى الإسرائيليين (أصله عبريم) . وينتقد لوريتز كل ذلك مبيناً الخطأ الفادح الذى تنطوى عليه تلك المحاولات لشرح أصول إسرائيل على أساس هذا الربط حيث يقول :

إنه لا توجد بيّنات تاريخية تربط بين رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م و (العابيرو) المذكورين فيها مع أصول إسرائيل . فلا سبب يدعونا لأن نرى هذا الموضوع اللغوى مرتبطا بأى شكل كان بتاريخ إسرائيل.

وهناك برهان آخر أورده (ليمشى) فى نقده لكتاب (**جوتوالد**) Gott Wald ومفاده :

إن معظم روايات عصر السَبْى البابلى وما بعده كُتبت بشكل مستمر بعد قرون من نشوء البِني الاجتماعية فى العصر الحديدى فى فلسطين .

(2) الزراعة فى المرتفعات الوسطى :

وكلها دراسات فى ممارسة الزراعة ومايلزمها مثل تنظيم المصاطب فى المناطق الجبلية وإزالة الغابات ، والزراعة الانسيابية والابداع فى تخزين المياه والأدوات الحديدية المستخدمة واعتماد الدورات الزراعية والتسميد وإراحة الأرض واختراع معصرة الزيت الخشبية ووسائل التخزين المبتكرة والعمل الحقلى وأنواع المحاصيل وتلفها (بسبب الآفات وخلافه) ومشاكل خصوبة الأرض .

وهذه الدراسات تعطى رؤية كافية عن المسار الاستيطانى فى المناطق الجبلية التى يُفتَرض وجود مستوطنات إسرائيلية بها .

(3) السوسيولوجيا ونشوء المَلَكية :

وَصْف (هوبكنز) لنشوء المَلَكية بأنه :

معارض لأسس الحياة القروية الإسرائيلية الهادفة لتأمين الكفاية غير سديدٍ تاريخيا وتحليليا . ويرى (هوبكنز) أيضا أن الملكية مسئولة عن حصول تغيير مزدوج فى الانتاج الزراعى . ولا برهان عنده بأن الضرائب كانت السبب الرئيسى للتغيرات الكاسحة فى زراعة المناطق الجبلية خلال فترة الانتقال إلى المَلَكية . وكذلك تأكيده أن فلاحة الكفاية كانت سمة مميزة للفلاحة فى المرتفعات التى يفترض وجود الإسرائيليين بها . وتقوم فكرة (كوتى) ، (وايتلام) White lam&Coate **عن أصول إسرائيل فى أن بدايات الاستيطان فى المرتفعات والسهوب أوائل العصر الحديدى جاءت نتيجة لانهيار التجارة أواخر العصر البرونزى وأن انتعاش التجارة مجدداً فى العصر الحديدى الأول أمسك بزمام النمو التجارى الذى قاد إلى تشكيل دولة إسرائيلية تحت حكم داود وسليمان** وينتقد (**طومسون**) Tomas L. Tompson[56] ذلك معترضا على تلك التفاسير فيقول إن :

1- معظم السكان يسكنون الوديان والأراضى المنخفضة والمواقع الجديدة فى المرتفعات قليلة وصغيرة وهشة .

2- ليس واضحا أن هذا الاستيطان الجديد أتى نتيجة إنهيار التجارة فى أواخر العصر البرونزى بل توجد عوامل أخرى مؤثرة مثل دور الامبراطورية المصرية فى دعم التجارة ودور الدول المُدُنِيَة الفسلطينية والاستقرار السياسي والاقتصادي فى المرتفعات .

3- الاستيطان الجديد لم يقتصر على المرتفعات والسهوب فقد وجد أيضاً فى السهل الساحلي وجرزيل منذ أواخر العصر البرونزى وحتى العصر الحديدى .

4-استيطان المرتفعات والسهوب لم يحدث دفعة واحدة وفى وقت واحد بل تدريجيا . واعتمد كثيراً على التجارة الإقليمية .

5-لم تتوافر بيّنات على أن تلك التغيرات تُفسَّر حصراً على أنها تحوّل سكانى من الأراضى المنخفضة إلى المرتفعات والسهوب .

6-الانهيار اعترى التجارة الدولية وليس الإقليمية ولكنه قد يكون عمّق الركود الاقتصادى فى العصر الحديدى الأول وشجع على الرحيل من المدن .

7-التزايد الدرامى فى عدد سكان المرتفعات فى أواخر العصر الحديدى الأول وأوائل العصر الحديدى الثانى بسبب علاقته بزراعة الأشجار المثمرة وانشاء المصاطب كان يستلزم افتراض استقرار لمدة طويلة فى المنطقة .

8-افتراض كوتى ووايتلام وغيرهم بوجود صراع عنيف وحروب مفتوحة بين الإسرائيليين والفلسطينيين فى هذا الوقت المبكر غير محقّق ويقوم على أساس انعكاس تاريخى مشوّش لمرويات توراتية لاحقة .

(4) الأركيولوجيا وتاريخ مستقل لإسرائيل :

يخالف (فنكلشتين)Finkelestein الأركيولوجى الإسرائيلى نظرية (آلت) Alt عن البداوة الرعوية بالقول إن أصل مستوطنى المرتفعات محلى .

وتشير (هـ . ويبرت) **H.Weippert فى كتابها**[57]إلى :

إن فهم أركيولوجيا المنطقة يستلزم الاشارة المستمرة إلى ماهو خارج حدودها وإدراك أنه لا يوجد موضوع أركيولوجى واحد فلسطينى تحديـــدا . ففلســـطين نفسها منقسمـــة إلى مناطق منفصلة ومتمـــيزة. وكتـــاب (جـى الستروم)G. Ahlestrom [58] يركزعلى **موضوع الإقليمية ويتعامل معها تاريخيـا (فى موضوع إسرائيل) مستقلا عن التاريخ التوراتى .** فهو يظهر بوضوح إمكانية كتابة تاريخ (علْمانى) إلا إنه يعود مجدداً فيستعين بالأدبيـــات غـــير التوراتية والقصص التوراتية فى محاولات خلق توفيق متناسق بينها للتدليـــل على بعض القضايا فى الحقبة الملكية (سواء الملكية الموحدة تحت حكـم داود وسليمان (عليه السلام) أو دولتى يهودا والسامرة المنفصلتيـــن أو النزاعـــات مـــع الفلسطينين وغيرهم من الجيران) .

و (**هـــ . ويبرت**) توصى بالحذر عند تحديد الأركيولوجين الميدانييـــن للدمار فى حقبة (دبورة) أو (داود) أو عنـــد تحويـــل المبـــاني الإداريـــة والتحصينات إلى(سليمان) . وهى توجهنا إلى الاهتمام بالبيّنات الأركيولوجية المتراكمة خلال القرن (التاسع عشر الميلادي) وأساسيات التفسير التـــاريخي للآثار الأركيولوجية . وتحثنا على مزيد مـــن الاهتمـــام بالتسلســـل الزمنـــى والدلالات التاريخية للتوجهات الجديدة والعناية التامة بالأركيولوجيا الإقليميـــة على مبدأ (**معاصرة ماهو متعاصر**) .

ويثير (**ن . بى ليمشى**) Lemche فى دراسته الحديثة عن الكنعـــانيين مسألة ماإذا كانت القصص التوراتية تاريخية فى الواقع أم لا . ويستنتج أن :

وصف المرويات التوراتية الكنعانيين لم يشر إلى أى إثنية فى العالم الحقيقى لإسرائيل القديمة أو أى كيان تاريخى ـ سياسى محدد . وسمة تلك القصص والتقاليد التوراتية انعكاس لايديولوجيا الحقبة الفارسية (مماثل لفهم كينوف وجاربينى) وكونها قصص يجعل مسائل المرجعية تبتعد كثيراً عما يستطيعه التاريخ (**المرويات التوراتية أقرب إلى روايات الأصول منها إلى التاريخ**) .

ويشير (طومسون) [59] **إلى إنه ينبغى أن نتخلى عن استخدام التاريخ التوراتى كمصدر صالح لكتابة التاريخ .** فالسكان الأصليون فى فلسطين لم يتغيروا كثيراً منذ العصر الحجرى.وخلال الألف السادس (أى الرابع ق.م) وفلسطين أصبحت سامية (بمفهوم لغوى) . وخلال العصر البرونزى القديم أقامت نمطاً استيطانياً واقتصادياً بقى من خصائص المنطقة حتى الحقبة الآشورية على الأقل . والسمة الأهلية للسكان لم تعد موضع تساؤل الآن . وهى السمة التى تظهر بوضوح فى جذور الثقافة المادية فى العصر البرونزى القديم (والظاهرة فى الأواني والبناء وطقوس الدفن وأنماط الاستيطان) . وبذا تنهار فرضيات الغزو الخارجى . والسيناريو القديم عن الغزو البدوى كسبب للدمار المفاجئ فى مدن وقرى العصر البرونزى القديم تخلى عن مكانته للإيضاحات المناخية والايكولوجية للانهيار التدريجي لحضارة العصر البرونزى القديم .

ويلاحظ (**يوركو**) أن الفنانين المصريين يرسمون سكان إسرائيل بنفس الأسلوب الذى يرسمون به سكان عسقلان وجازر (فى لوحة مرنبتاح المكتشفة فى تل العمارنة) . وأن مجموعة إسرائيل التى هزمها مرنبتاح هى مجموعة محدودة تماما ضمن سكان فلسطين تحمل الإسم الذي يرد هنا لأول

مرة . وفى مرحلة لاحقة متأخرة من تاريخ فلسطين أصبح يحمل معنىً مختلفاً إلى حد كبير.

ويعتبر (طومسون) أن (نُصُب إسرائيل) هو مجرد إسم فى بيئة تاريخية شاع فيها تغيير الأسماء الجغرافية والقبلية وتشويشها على مدى قرون . والبيّنات المستخلصة من الأركيولوجيا تقدم دليلا ضد أى توكيد لوجود أى بِني سياسية غير إقليمية فى مرتفعات فلسطين . وبالتالى فإن وجود إسرائيل أو يهودا فى مثل هذا التاريخ المبكر لاتؤيده المعلومات المتوفرة عن فلسطين فى تلك الفترة .

ويوجز (**أوديد**) B.Oded عدداً من الأسباب التى جعلت الآشوريين يعمدون إلى التغيير السكانى فى البنية السكانية فى الامبراطورية لأسباب منها :

1- استخدام التهجير كعقاب على المقاومة أو الثورة .
2- القضاء على المنافسين المحتملين .
3- القضاء على إمكانية المقاومة والعصيان .
4- سياسة التوطين هدفت إلى إيجاد جماعات تعتمد عليها السلطة الآشورية ضمن الشعوب المحكومة فتبقى مخلصة لها .
5- التجنيد العسكرى والسيطرة على الزعماء السياسيين والنخبة .
6- احتكار اقتصاد الحرفيين والعمال المهرة والسخرة وتجارة عبيد محدودة .
7- بعض المستوطنات الجديدة أقيمت لأغراض استراتيجية وشملت عدداً من المستوطنات شبه العسكرية .
8- بعض السكان نُقلوا فى محاولة لإعادة بناء المدن المفتوحة واستيطان

الأراضى الخالية .

9- السيطرة على البدو الجامحين وتوطينهم .

10- تقسيم أراضى يهودا على ملوك أشدود وعفرون وغزة التابعين لآشور لمساعدتهم فى صراعهم ضد أورشليم .

11- اخضاع حزقيال وجعل أورشليم دولة تابعة لآشور .

12- إيجاد الولاء ودعم السكان ضد حكامهم الذين يعارضون السياسة الآشورية والحكم الآشورى عند إعادة استيطانهم .

وإشارة لمكانة القدس (أورشليم) يقول (طومسون) [60]

الاستراتيجيات الاقتصادية التى سادت فى فلسطين على مدى قرون كانت تؤدى إلى اللامركزية (لا المركزية) للسلطات المحلية المركزية فى فلسطين مثل صور وحاصور ومجدّو وجازر ولخيش وبئر السبع وعَسْقلان وغزة وتل المشاش وشكيم والقدس استندت سلطتها مبدئيا على الروابط الاقتصادية المحلية المقتصرة على مناطقها . وظهور سلطات عبر إقليمية مثل توطيد القدس لنفوذها خارج وادى عيلون وهضبة القدس ليشمل مرتفعات يهودا وبعدها شمال النقب وشيفيلة ودمج السامرة الظاهر للمرتفعات الوسطى المتنوعة وتوسيع مصالحها ونفوذها إلى المناطق الغنية زراعيا والكثيفة السكان فى جرزيل ووادى الأردن الشمالى وبالتالى حتى البحر إلى الغرب وشرق الأردن إلى الشرق . وكل ذلك يستلزم إيضاحا تاريخيا لهذه التوسعات باعتبارها حالات شاذة فى تاريخ فلسطين .

والتأريخ التوراتى الذى يركز مع الفلستيين باعتبارها عامل توحيد وبناء أمة ويعتمد على استقامة قيادة كارزمية مثل شاؤل وداود يدخل فى نطاق الأدب الرائع لكنه لايشرح شيئا تاريخيا . وما كشفت عنه الحفريات التى

تمركزت فى المرتفعات الوسطى فى فلسطين عن الانهيار فى العصر البرونزى الأخير والانتقال إلى العصر الحديدى الأول وكذا الدراسات الجغرافية والانثروبولوجية والأركيولوجية توضح مسار تشكل الدولة إذا تجاوزنا الحدود الزمنية التى يضعها (آلت) عن ظهور دورة إقليمية فى المرتفعات الوسطى.وتوجه مصالح القدس جنوباً فى يهودا جاء نتيجة توسع وطموح تجارى وليس لهدف سياسى أو عسكرى . فالتجارة الإقليمية كانت جوهر وقاعدة اقتصادها.ومصالح القدس (جنوبا) الزراعية توسعت بعيدا فى وادى عيلون . **وامتداد سلطة القدس السياسية فى يهودا جاء بعد لاقبل الاستقرار فى المرتفعات** (خلال العصر الحديدى الثانى) وهو الذى استلزم اخضاع المراكز التجارية التى تنافسها . ولم تأخذ القدس ببعض مظاهر الدولة الإقليمية المسيطرة إلا فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ق.م وباشرت القدس دورا ثانويا على حافة العالم الآشورى ولم تأخذ طابع العاصمة الإقليمية وحجمها إلا بعد تحرك آشور ضد الجنوب (فى نهاية القرن الثامن ق. م) وتدمير لخيش .

والوضع السياسى المتغير فى فلسطين والحاجة إلى استيعاب تدفق اللاجئين ضمن سكانها حول القدس من دولة إقليمية زراعية صغيرة تشبه مؤاب وأدوم فى شرق الأردن إلى مجتمع طبقى ونخبة مسيطرة (وربما معبد يكرس دين الدولة) ودولة عازلة بين القوتين الامبرياليتين الرئيسيتين : مصر (فى الجنوب) وآشور (فى الشمال) .

وهذا التنامى فى ثروة ورخاء وهيبة نخبة القدس وانخراط القدس تدريجيا فى سياسات التجارة الدولية قادها فى النهاية إلى مواجهة مباشرة مع الجيش الآشورى مما أدى إلى تدميرها وتفكيكها من جانب البابليين . وهو الدمار الذى

أدى إلى ركود اقتصادي مدمر وانهيار المجتمع بكامله .

وفى محاولة جادة لشرح الوضع الاجتماعى لليهود خلال التاريخ كما تبينه النصوص التوراتية يقول(موفق محادين) [61]:

إن اليهود لم يخرجوا عن وظيفتهم التاريخية غير الانتاجية للأسباب التالية :

أولا : ظلت الوظيفة الاجتماعية اليهودية تملي على الحاخامات إعادة انتاج تفاسير العهد القديم بما يخدم هذه الوظيفة وخاصة الرموز الفِلاحية . فنقرأ فى الأسفار التوراتية [62]أن الأماكن المرتفعة وتقديسها هى طقوس وثنية لاتليق بالشعب المختار . ولعل ترميم سِفْر التثنية وتخليصه من الرموز والطقوس الفِلاحية الوثنية أهم مؤشر مبكر على العداء اليهودي للفلاحين . (تم تأليف هذا السفر فى القرن السابع ق.م. أى بعد موسى بحوالي سبعة قرون) .

ثانيا : الانحياز لـ (هابيل) الراعى ضد قايين (قابيل) المزارع وليعقوب ضد عيسو . وظلت التوراة تربط بين الأغيار والفلاحين على إطلاقهم وتعتبرهم أدنى درجة من اليهود شعب الله المختار من الناحية البيولوجية **وظلت الشعوب الفِلاحية بالنسبة لليهودى تساوى (قايين) الملعون فى التوراة ومصدر كل خطيئة بما هو فلّاح . وأن الخروج من مصر (قديما) ومن أوروبا الشرقية (حديثا) والتيه فى الصحراء ثم الشرق الأوسط ليس إلا تكفيراً عن خطيئة العيش مع الشعوب الفِلاحية فى مصر وأوروبا الشرقية .**

ثالثا : رغم الحديث التوراتى عن الأرض الموعودة للشعب المختار **إلا أن الأرض لم تحتل سوى قيمة ثانوية جداً فى الفكر الصهيوني كما فى الواقع اليهودي نفسه** (تذكر التوراة أن إبراهيم (عليه السلام) اشترى أرضاً من عفْرون الحيثى ليدفن زوجته سارة مع إنه كان مقيماً فى الأرض المدعوة للشعب المختار) .

رابعا : لا حظ (**إبراهام ليون**) [63]أن الأرض التى كانت ملكا لليهود كانت تتشكل أساساً من عمليات مضاربة ذات طبيعة ربوية أو تجارية .

ويذكر (إسرائيل شاحاك) اليهودى أن سمات المجتمع اليهودى ظلت سمات غير فِلاحية ابتداءً من القرون الوسطى وحتى القرن العشرين .

خامسا : يُعتبر الإله اليهودى (يَهْوَه) إلهاً رعوياً وليس زراعياً أو فِلاحياً (العصا فى القصّ التوراتى عن موسى ترمز كإسقاط مقدس لوظيفتها بالنسبة لأى راعى) .

ويقول (أ . ليون) [64]: لم يُشتت اليهود إطلاقا منذ سقوط أورشليم إذْ كانت الغالبية العظمى من اليهود قد تبعثرت فى أنحاء العالم قبل هذا الحدث بعدة قرون (ثلاثة أرباع اليهود كانوا يسكنون خارج فلسطين قبل سقوط القدس بمدة طويلة) .

ويرى (موفق محادين) [65]أن الجيتّو اليهودي (العزلة) Getto من اختراع اليهود أنفسهم ولأسباب اقتصادية أضفى عليها الحاخامات طابعا دينياً من أجل تكريس دورهم داخل هذه الطوائف . وأن ايديولوجيا العزلة التى حاولت تسويغ المشروع الصهيوني بالإعلان عن صعوبة اندماج اليهود

مع الآخرين بسبب لاسامية هؤلاء (تجلت فى مذابح دائمة ضـد اليـهود) ليست ايديولوجيا رجعية فحسب بل مزعومة فى الأساس . لأن الانغـلاق الداخلي (العزلة) لم يكن مقصوراً على اليهود وحدهم بل على كل المجـاميع البشرية وبسبب غياب شرط الأمة الكاملة فى مراحل ماقبل الرأسمالية .

ويقول (أوسويل) [66]: إن اليهود عاشوا كطائفة منفصلة لأنهم مثلوا نظام (اقتصاد السوق) بين ظهرانى شعوب تعيش فى نظام (اقتصاد طبيعي) .

ويقول (كانتور)[67]الأمريكي : إن اليهود تعرضوا للاضطهاد والمغـادرة أحيانا فى نطاق الامبراطورية الرومانية فى وقت لاحق لأنهم أنكروا ألوهيـة القياصرة انطلاقا من الإيمان بالإله الواحد (كما أدى ذلك أيضا إلى اضطـهاد المسيحيين) .

ويشير(ليونارد تشاين)[68]إلى أن : اليهود قد استقروا قبل انهيار الدولـة اليهودية بوقت بعيد فى مصر وبرقـة (ليبيـا) وسـوريا ومابين النـهرين (العراق) وإيطاليا واليونان . **وقد كان عدد اليهود على أعتاب المسيحية 700 ألف شخص فقط فى حين كان عددهم فى الامبراطورية الرومانيـة وحدهـا زهاء أربعة ملايين .**

ويضيف الباحث (**أحمد عثمان**[69]) قائلا :

ليس صحيحا أن هجرة اليهود خارج فلسطين (الشتات) جاء نتيجة لمنع الرومان لهم من دخول القدس . وليس صحيحا أن تلك الهجرة كانت جبرية مفروضة عليهم بل أن معظم الهجرات تمت قبل تدمير المعبد فى سـنة 70 ميلادية (عهد الامبراطور الرومانى طيطس) وهكذا تركت غالبية اليـهود

أرض فلسطين بشكل اختيارى وانتشروا فى آسيا الصغرى وسوريا.وتقـــوم تعاليم أحبار التلمود على أساس (الجنس الطاهر) . وتلك التعاليم هى التى أدت فى النهاية إلى عزلة اليهود فى بلدان العالم التى هاجروا إليها اختياريا ثم وقوعهم ضحية للاضطهاد بعد ذلك .

ويعترف (شاحاك) [70]اليهودي بأن الإسلام عامل اليهودية بتسامح يفوق التسامح الذي لاقته من المسيحية .

وفى ظل الامبراطورية العربية المسلمة (العثمانية) كان بإمكان اليـــهود بصفتهم رعايا للسلطان أن يسافروا من وإلـــى فلســـطين ولكنـــهم فضلـــوا واختاروا العيش فى القسطنطينية (اسطامبول) ودمشـــق والقـــاهرة لافـــى فلسطين . وكان من نتائج أزمة عام 1929 م (الركود الاقتصادى العــــالمى) طرد اليهود من الرايخ الثالث (كانوا حوالى 500 ألف يهودى عـــام 1933م) وغادروا الرايخ حوالى 226 ألف يهودى بخلاف المهاجرين من السياســـيين ومن الآريين فوصل العدد حوالى 400 ألف توجه معظمهم إلى فلسطين .

وظهرت أحزاب جديدة على غرار الفاشية والنازية فى بولونيا وهنجاريا ورومانيا تشكلت من المثقفين والخريجين الذى اعتقدوا بأن اليهود يزاحمونـــهم على المهن . وطالبت تلك الأحزاب بدكتاتورية عنصرية تأخذ علـــى عاتقـــها مهمة تطهير البلاد من اليهود وقطع دابرهم . وفى هـــذه المناخـــات وُلـــدت الحركة الصهيونية كحركة برجوازية صغيرة وليـــس كحركـــة للبرجوازيـــة الكبيرة وبالتالى كان مشروعها انعزاليا وليس اندماجيا .

ويصف (هرتزل) و (ليوبينسكر) [71]الصهيونية فيقولا:

الصهيونية ردّة فعل البرجوازية اليهودية الصغيرة .

ويقول (إبراهام ليون) [72].:

إنها تلك البرجوازية المختنقة بين الاقطاعيـــة المنــهارة والرأسـمالية المنحطة . وقدمت ايديولوجيا الصهيونية نفسها بشد (هيجل) إلى (كـانط) وترويج الميتافيزيقا الصهيونية انطلاقا من لاسامية (الأنا) التى لا تعـترف بالصهيونية كفكرة مطلقة مقدسة متعالية.

فالقضية تقابل الشيء فى ذاته (عند كانط) والصهيونيـة - كايديولوجيـة عزلة – عنوانها : نوح - المصطفى - هابيل - إبراهيم.المتحولين مـن جهـة **وامتدادهما الرمزى بعد زواج اليهود من آخرين** . كدلالـة سـامية عِرْقيـة اطلاقية ضد التعيّن الأرضى كمعادلة للاندماج . فلا تستعيد الفكرة نفسها على طريقة التركيب (الهيجيلية) (نفى النفى يتوسط الواقع) أى واقع الفكـرة . بل على طريقة الخلق من خطيئـة الآخرين وبطريقـة القفـزة الحدْسية (كيركغادر زائد شيلنج) مضافا إلى ذلك أن مثل هذه الاستعادة فى صورتـها المماثلة للخلق الأول **تعنى أن كل خلق أول هو خلـق يـهودى بـالضرورة يتوجب عليه أن يظل نقيا** بدون أن يتلوث بدماء الآخرين من خلال الاندماج . كما أن الاعتراف بالتعيّن اليهودى يعنى الاعـتراف بالسـيرورة وقوانينـها الموضوعية . **ويجرّ إلى القول بأن دمار مملكتى إسرائيل ويـهودا وكذلـك الشتات اليهودى عقاب لبنى إسرائيل أنفسهم وليس للآخرين الذين دمـروا هاتين المملكتين** . ويظل اليهود - ماداموا نخبة خاصة عِرْقيا فى عرفـهم - تعبر عن الفكرة المقدسة - لديهم - التى لم يلوثها الاندماج حيث يكف اليهودى عن كونه يهوديا فى حالة الاندماج أو الذوبان مع الآخرين . وهو مـا يفسـر الاستعارة الصهيونية لمفهوم الخطيئة فى التوراة وفق المقـابلات المفارقـة التالية :

(أ) إذا كانت الخطيئة تطال كل البشر فـــى طوفـــان التـــوراة باســـتثناء نوح وقومه الأقربين فإن إسرائيل صورة مصطفاة معاصرة أخرى لنوح الذى اصطفاه الله من بين البشر الخطّائين وأعاده إلى السماء بعد الطوفـــان وأورث أحفاده الخُلّص من اليهود خصائص بيولوجية مطلقة تسمو على بقية البشر .

(ب)اليهود خارج الخطيئة . فالخطيئة دنيوية واليهود شعب الله فإن العقـــاب والندم لايطالان إلا غير اليهود فقط. بل وإزاء اليهود أيضا باعتبارهم وكـــلاء الله الذين حملوا رسالته إلى البشر .

ويقول (هرتزل) [73]: **لايستطيع اليهود أن يعيشوا بانسجام مع غـير اليهود .**

ويقول (بينسكر) [74]: إن اليهود يشكلون عمليا بيئة منعزلة عـــاجزة عن التمثّل مع أية أمة ولذا **لا تستطيع أية أمة أن تطيق اليهود فى بيئتها .**

وفكرة المجيء اليهودية ترتبط بالأسر البابلى والتيه فى سيناء ودعوة الرب لشعبه واتحاده المقدس معه من خلال إعادة بناء الهيكل وقيام (**المسيح اليهودى**) من نسل داود . وفى الأساطير أن التاريخ هو الذى منح الحضـــور الجديد لأسطورة قديمة . فليس الماضى إلا تجسيداً للمستقبل وليس المســـتقبل إلا استعادة للماضى تقوم على تكرار النماذج الأولى ورفض الزمان الواقعي . وحسب **مأثورات الأزتك** دُمِّر العالم ثلاث مرات ولا يزال بانتظار الرابعـــة . وبين المرة والمرة ألف عام .

وفكرة (الألفية) هذه لم تحتل حيزها فى الموروث اليهودى نفسه إلا مؤخراً وبصورة مغايرة للفكرة اليهودية نفسها . فلم يعد المخلِّص المنتظر ملكا يهوديا من نسل داود بل أصبحت إسرائيل بكاملها . ولكن كمقدمة لانبعاث (المسيح المسيحي) وليس (المسيح اليهودي) .

وكان للإصلاح الكنسي البروتستانتى دوراً فى ضرب التنميط والإطاحة بحق الكنيسة فى احتكار الكتاب المقدس وتحديد الرؤية المسيحية الفكرية . فكل بروتستانتى أصبح حراً فى دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل ما . ففتح ذلك الباب للبدع فى اللاهوت المسيحى التى رأت أن اليهود شعب مميز وليس من الصحيح أنهم قتلة المسيح وكفرة وهراطقة وشعب عاق شتتهم الله فى المنافى عقاباً لهم على ما ارتكبوه من الخطايا والآثام .

وبالتزوير التاريخي تسلل إلى العقل الأوروبي ما يسمى (بالحق التاريخي) لليهود فى فلسطين كما لم يعد المسيح اليهودي المنتظر يهودياً بل مسيحياً باعتبار أن المسيح (عيسى) قد جاء وانتهى . ونشأت فكرة أن مجيء المسيح وانبعاثه لا يتم إلا بعد قيام إسرائيل وبناء الهيكل . ولذا فالوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله وعدم مساعدة اليهود على استكمال السيطرة على فلسطين يعنى تأخير عودة المسيح (المسيحي) .

ويصل تحليل (**بوروشوف**) [75]مستنتجا أن حل المسألة اليهودية لن يأتى عن طريق النضال فى سبيل (الاستقلال الذاتى القومى الثقافى) كما كان يطلب (البوند) ولا عن طريق الاندماج والنضال إلى جانب القوى الثورية المحلية فى سبيل الثورة الاجتماعية وإنما عن طريق الهجرة المنتظمة إلى

المكان الذى يوفر لليهود إمكانية تغيير تركيبتهم الاجتماعية ويسمح لهم بالنفاذ إلى مرافق الإنتاج الأساسية . **وعندما تغيب الأرض والطبقة يكون دور الطبقة استعادة الأرض وحل المسألة القومية كإطار للصراع الاجتماعي لاحقاً .**

ويقول (سوكلوف) [76]**:** يشكل اليهود وحدة عِرْقية وتاريخية وثقافية هى الأساس المشترك لبعث حياة قومية كاملة فى وطن آبائهم .

وعند **(مارتن بوبر)** [77]: اليهود هم الشعب الوحيد فى العالم الذى تكّون خلال الأزمنة الغابرة كأمة وكسبط دينى فى آن واحد .

وكل هذه التصورات والمفاهيم يجرى تغذيتها وتعزيزها بالتوراة حتى لا يُقال أن شعب الله المختار يبحث عن مسوغات أخرى خارج كتابه المقدس.

وإلى جانب التلمود وكتاب السَبى البابلى (المرويات التوراتية غير الأسفار الخمسة الأولى) تصطف المساهمات الألمانية العرقية بجوهرها كما هو الحال عند نيتشه وجومبلوفكس وجوبينو وليبينتز أو باسقاطاتها المختارة والملفقة كما هو الحال بالنسبة لأعمال هيجل وكانط[78].

ويشير (**د. أحمد أبو النور**) فى كتابه الثاني من سلسلة (رسائل آخر الزمان) [79] إلى أن المعتقدات اليهودية المقدسة تدور فى فلك كتابين أساسيين هما :

1-**التوراة :** مرفق بها تراث الأنبياء التاليين لموسى (عليه السلام) والسابقين لعيسى (عليه السلام) .

2-**التلمود :** [80]وهو الكتاب الأقدس عند اليهود

ويمثل الكتابان خلاصة السيرة العقائدية والتاريخية لليهود طيلة أزمنتهم. أما (بروتوكولات حكماء صهيون) فيعتبرونها اللائحة التنفيذية لكتابهم الأقدس التلمود .

وعن التوراة يقول : إن التوراة الحقيقية التى حصل عليها موسى (عليه السلام) من ربه تعالى على ألواح الحجارة وكان موسى منفرداً فى حضرة ربه تاركاً بنى إسرائيل لأخيه هارون:

*ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحي الشهادة . لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله [81]

أى أن التوراة الحقيقية هى لوحي حجر بما يمكن ترجمته فى حدود 15 صفحة فلوسكاب . ويتساءل (د. أحمد أبو النور) عن حجم التوراة المتداولة حاليا وهى حدود 300 لوحا حجريا بوزن يتجاوز 600 كجم . وعن مدى صحة مافى هذه النسخة والاضافات الكبيرة فيها . والقرآن يقول :

* وكتبنا له فى الألواح من كل شيءٍ موعظة وتفصيلا لكل شيء . [82]

أى أن التوراة المنزلة كانت تفصيلا وليست ايجازاً ولفظ الجمع (الألواح) غير لفظ المثنّى (لوحي حجر) ويعتقد الكاتب أن التوراة كانت مكتوبة فى حوالى 15 لوحة حجرية وزنها جميعا فى حدود 60 كجم .

وفى نقده للتوراة المتداولة يقول : إنها خلت مـن موضـوع البعـث وحساب الآخرة . وكأى دين سماوى لامجال لإنكار البعث أو الحساب .

ويتناول بعد ذلك (**التلمود**) بالنقد فيقول[83]:

إنه صناعة بشرية 100% وقد جاء به على سبيل المثال :

*إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليـها . ومـن درس المِشّناة فعل فضيلة استحق أن يُكافأ عليها . ومن درس الجِمَارا فعل أعظـم فضيلة .

ويتكون التلمود من قسمين رئيسيين هما : المِشْنا (المِشّناة) والجِمارا .

و(**التلمود**) يحوى آراء الحاخامات اليهود على مر العصور شـرحا وتفسيراً فى كافة نواحي الحياة وكذلك آراء المحاكم العليا لديهم بعدما صارت التوراة بالنسبة لهم بمثابة الرجل الهرم الذي شاخ.

و (**المِشْناة**) : هى بمثابة الأساس البنائى للتلمود كله . ويذهبون إلـى أن موسى (عليه السلام) هو واضع بذرة هذا الأساس بعد تلقيه شفاهة من الله . أمـا (**الجِمارا**) فهى خلاصة الشروح والنقاشات الفكرية المختلفة لأحبار اليـهود وحاخاماتهم على مر العصور فى تناول المِشّناة تحليلا وتفسيراً ولقد أجمعـت المصادر التاريخية على أن فئة (**الفريسيين**) أو المعتزلين أو المنشقين هى صاحبة بدعة القانون الشفوى أو التلمود . ولأن التلمود تمتد إليه الأيادى علنـا وصراحة وفى وضح النهار فقد كان له الدور الأكبر كأداة تفريغ لكل أحقـاد اليهود وأحبارهم تجاه شعوب الكرة الأرضية ودياناتها باعتبار أنهم يفسـرون نصوص توراتية قديمة سواء لإقحام ما يريدون إقحامه وإعطائه منزلة القداسة من خلال كتاب المِشّناة أو من خلال إضافته لجزء الجِمارا . **وقد طبع التلمود فى القرن السادس عشر الميلادي .**

وفى التلمود يُعتبر روح اليهودى هى جزء من روح الله (تعـــالى الله عن ذلك) كما أن الإبن هو جزء من أبيه . وأى روح غـــير يهوديــة فـــهى أرواح شيطانية تقارب أو تشابه أرواح الحيوانات . وأن الجنة لن يدخلـــها إلا اليهود أما باقى الشعوب والأمم فمأواهم الجحيم . والمسلمون - فى نظر اليهود - لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلــهم (يقصـــدون الوضـــوء) والمســـيحيون يحركون أصابعهم (يقصدون أنهم يرشمون الصليب) ويدعون زوراً أنه :

*لاشغل لله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة .

وعن المسيح وأمه يقولون فى التلمود[84]:

*إن يسوع الناصرى (يقصدون المسيح بن مريم) موجود فى لجان الجحيـم بين الزفت والنار . وأن أمه أتت به من العسكرى (باندارا) بمباشرة الزنـــا وأن الكنائس النصرانية بمثابة قاذورات وأن الواعظين بـــها أشـــبه بـــالكلاب النابحة وأن قتل المسيحى من الأمور المأمور بها وأن على اليهودى أن يلعـــن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى . وأن يسوع (المسيح) قد ارتدّ عـــن الدين اليهودى وعبد الأوثان .

وفى التلمود أيضا أن المسيح ولد غير شرعى حملت به أمـــه وهـــى حائض . وإن مريم هذه كانت تدعى (ستادا) وأنها كانت عاهرة هربت مـــن زوجها واقترفت الزنا وفيه أيضا أن الكفار هم يسوع ومن اتبعه .

وكما نرى فهى افتراءات باطلة جملة وتفصيلا .

وعن تعامل اليهودى مع الغير - كم جاء فى التلمود - نقرأ[85]:

***إن أموال المسيحيين مباحة لليهود** كالأموال المتروكة أو كرمال البحـــر . فأول من يضع يده عليها يمتلكها .

***إن الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأمى ماله المفقود.**

***يسمح بغش الأمى (أى غير اليهودى) وأخذ ماله بواسطة الربا الفــاحش** لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودى شيئا فلا تخدعه أو تغشه .

***غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا .**

***إذا وقع أحد الوثنيين (أى غير اليهود) فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر.**

وعن (**بروتوكولات حكماء صهيون**) [86]وهى المخطط التنفيذى للتلمود لحكم العالم يورد(د.أحمد أبو النور) بعضا منها :

***إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم إنما يعمل فى غفلة مـــن الآخرين كقناع لأغراضنا [87].**

***نحن أقوياء جدا . فعلى العالم أن يعتمد علينا ويرجع إلينا وإن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولوصغيرة دون أن نتدخل فيها سرا [88].**

***بحكمى فليحكم الملوك[89]**

*حكمنا سيبدأ فى اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتـــهم الخلافــات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم فيصرخون هاتفين إخلعوهم واعطونـــا حاكمـــا عالميـــا واحداً يستطيع أن يوحدنا.حاكمـــا يســتطيع أن يمنحنـــا الســـلام والراحة[90].

*ولكى نخرب صناعة الأمميين (غير اليهود) ونساعد المضاربات سنشــجع حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل وفى الوقت نفسه ســـنرفع أثمـــان

الضرورات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك . كما سننسف بمهارة أيضا أسس الانتاج ببذر الفوضى بين العمال ونشجعهم على إدمان المُسْكِرات (المخدرات) وفى الوقت نفسه سنستعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاءٍ أعمى من الأرض (أى كل شخص غير يهودى ذى قيمة ومهارة) [91]

*وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة ويجب أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات . ولكننا فيما يسمى اللغة الرسمية سوف نتظاهر بعكس ذلك كى نظهر بمظهر الأمين الممثل للمسئولية[92].

*إن لنا طموحا لا يُحدّ . وشَرَهاً لايشبع ونِقْمة لا ترحم . وبغضاء لاتُحس . **إننا مصدر إرهاب بعيد المدى** [93].

*نحن جيش مشتت عن الوصول إلى أغراضنا بالطرق المستقيمة . فالمراوغة - فحسب - هى الوسيلة الصحيحة وهى الأصل فى تنظيمنا للماسونية التى لايفهمها أولئك الخنازير الأمميين (غير اليهود) [94]

وعن (الماسونية) يقول [95]:

إن اليهود فى تاريخهم الطويل ليسوا هم أهل التنفيذ لما يريدون ولكنهم أهل تخطيط المؤامرات من الألف للياء . وعلى الآخرين المختارين أن يقوموا بالتنفيذ . **ومن أبرز الأيادى الصهيونية الأخطبوطية تلك المحافل الماسونية وأندية الروتارى وشهود يَهُوَه والليونز وغيرها** . وهى منظمات وتجمعات أخذت صفة الدولية والعالمية . وهم يسعون وينجحون فى استقطاب وضم

معظم نجوم المجتمعات التى يعملـــون داخلـــها لاجتماعـــات ومحـــافل هـــذه التنظيمات .

وتعتبر المحافل الماسونية أقدم من حركة الصهيونية العالمية الرســـمية المعلنة . ولفظ الماسونية مشتق من مسمى (**البنائين الأحــــرار**) Free Mason وعملهم البنائى الوحيد هو محاولة بناء هيكل اليهود فى القدس مكان المســـجد الأقصى .

وعن تنظيم (**شهود يَهْوَه**) يقول (د. أحمد أبو النور) :

إن هذا التنظيم استعار اسم (يَهْوَه) كإسم لله تعالى ورد فى العـــهد القديـــم . واعتبروا أنفسهم هم شاهده الوحيد . أو شهوده وكفّروا كل مؤمنى العالم مـــن كل الملل والديانات . وهو تنظيم دينى هدفه:

1- **هدم المسجد الأقصى والصخرة وكنيسة القيامة . ولكل هـــدم وقتـــه المناسب.**
2- **بناء الهيكل .**
3 -**إعلان التنظيم اليهودي الصهيوني العالمي الجديد والذي بمقتضاه تكون إسرائيل الكبرى هى مملكة الله .**

وعن نفس المسميات السابقة يأخذنا (**د. عبد الوهاب المسيرى**)(96) فـــى جولة مع دراسته فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية شارحا بقوله :

العداء لليهود والاستيطان هما وجهان اختزاليان وعنصريان لعملة واحدة فكلاهما يؤكد وحدة اليهود . وكلاهما يطالب بطرد اليهود من أوطانهم .

والنموذج الاختزالي العدائى لليهود : يتهم اليهود بأنهم يحيكون مؤامرة يهودية عالمية وردت وقائعها فى (بروتوكولات حكماء صهيون) وأيضاً فى (التلمود) . ومن أهم تجليات هذا النموذج ما يقال له (المؤامرة اليهودية الكبرى)أو (المؤامرة اليهودية العالمية) والتى تفترض أن أعضاء الجماعات اليهودية يكوّنون كُلّاً واحداً متكاملا متجانسا . وأن لهم طبيعة واحدة . **ويتسم اليهودى حسب هذا النموذج بالشر والمكر والرغبة فى التدمير والاستحواذ والسيطرة على العالم.والتاريخ اليهودي بأسره إن هو إلا تعبير عن هذا النموذج وعن هذه المؤامرة الأزلية المستمرة. واليهود - من ثم - هم المسئولون عن الشرور والمنكرات فى كل زمان ومكان .** فهم على سبيل المثال الذين أراقوا دم المسيح (حسب الرواية المسيحية) . وهم الذين وضعوا السم للرسول (ﷺ) فى الشاة المشوية . وهم وراء مؤامرة عبد الله بن سبأ (ثم أتْباعه من بعده) للقضاء على الإسلام . وهم الذين قاموا بدس الإسرائيليات دساً على الدين الحنيف . بل ويُنسب إليهم ذبح أطفال المسلمين وإستخدام دمهم فى صنع خبز الفطير الذى يأكلونه فى عيد الفصح . وفى العصر الحديث هم وراء أشكال الانحلال المعروفة العلنية والخفية وهم وراء المحافل الماسونية التى أسسوها أداة لمؤامراتهم . وهم وراء البهائية التى تسعى لإفساد الإسلام وكل العقائد . بل وهم على اتصال بعالم الجريمة للمساعدة فى إفساد العالم . وهم الذين أدوا إلى ظهور الرأسمالية بكل بشاعتها والبلشفية بكل إرهابها والإباحية . وهم الذين أسقطوا الدولة العثمانية (من خلال يهود الدونمة) ويتحكمون فى الصحافة ووسائل الاعلام . وهم الذين ضغطوا على الامبراطورية البريطانية لتصدر (وعد بلفور) وهم الذين يحركون - الآن - اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مآربهم وتنفيذ مصالحهم .

والصهيونية ليست مرتبطة بظهور الامبريالية الغربية وبهيمنتها على العالم وإنما هى مجرد تعبير عن الشر الأزلى الكامن فى النفس اليهودية ويرى هذا الفريق (التآمريون) أن اليهودى يعانى من إزدواج الولاء ويقاوم الاندماج فى الأغيار ويقع ضحية لعنفهم معه .

وعن(**بروتوكولات حكماء صهيون**) يقول د/ عبد الوهاب المسيرى[97] :

إنها وثيقة كتبت عام 1897 م فى بازل بسويسرا (عام انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول) وتشمل أربعة وعشرين بروتوكولا (وثيقة أو اتفاقية) فى نحو مائة وعشر صفحات ونشرت عام1905 م . ملحقا لكتاب من تأليف الروسى (سيرجى نيلوس) . وتلك الوثيقة المنشورة مزورة لأنها :

1- وثيقة روسية بالدرجة الأولى والأخيرة .
2- محاولة لبيان الخطر العالمى لليهود على لسان حكماء صهيون .

وثمة رأى يقول أن الصهاينة يقومون بالترويج لهذه البروتوكولات لأنها تخدم المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى ضرب العزلة على اليهود وتحويلهم إلى مادة خام صالحة للتهجير والتوطين فى فلسطين المحتلة . ويساهم بعض أعضاء النخب الحاكمة فى الترويج لهذه البروتكولات لتبرير العجز العربى والتخاذل أمام العدو الصهيونى . وقد أثبتت الانتفاضة الفلسطينية مدى زيف تلك الدعاوى المذكورة فى البروتكولات .

وعن (**التلمود**) يقول د. المسيرى[98]:

إنه من أهم الكتب الدينية عند اليهود . وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية (السماعية) وهو تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (**التوراة**) أى

(القرائية) . **وهناك تلمودان :**

1-**التلمود الفلسطينى أو الأورشليمى** (تلمود أهل الغرب)٠

2-**التلمود البابلى .** (تلمود أهل الشرق) .

وكلا منهما مكون من المِشْناه والجِماراه . والمِشْـــناه فـــى **كـــلِ مـــن التلمودين لاختلاف بينهما . أما الجِماراه فاثنتان** وضعـــت إحداهمـــا فـــى فلسطين والأخرى فى العراق(بعد السَبْى) والتلمود البابلى هو الأكثر تـــداولا وهو الكتاب القياسي عند اليهود لأن الجِماراه البابليـــة أكمـــل وأشـــمل مـــن الفلسطينية .

ويضم التلمود ملاحظات مهينة ضد المسيحية كعقيدة . **فيذكر التلمود أن** المسيح عيسى (عليه السلام) كان يهوديا مرتداً كافرا . وأن تعاليمه كفرٌ بيّـن . وأن المسيحيين كفرة مثله . وأن أمه حملت به سفاحا من جندي روماني يُدعـــى (بندارا) **ويضم التلمود أجزاء عن محاكمة المسيح فى السنهردين . ويقر بأن اليهود هم الذين صلبوا المسيح . ويُعتبر التلمود ـ لذلك ـ مسئولا عن عـــدم اعتناق اليهود المسيحية . وإذا كانت صهيون هى الوطن الوهمي البعيد فإن التلمود أصبح هو الوطن المتنقل** . وحل التلمود محل التوراة في العصـــور الوسطى باعتباره كتاب اليهود المقدس الأساسي . ومن القرن السادس عشـــر الميلادى أخذت (قبالاه الزوهار) والكتب القبالية الصوفية الأخرى تحل محل التلمود . وفى الوقت الحالى فإن الأغلبية العظمى مـــن أعضـــاء الجماعـــات اليهودية يرفضون التلمود بل ويجهلون ماجاء فيه (كان مكتوبا بالآرامية) .

وأثر التلمود واضح على قوانين الأحوال الشخصية لليهود . **والتصور التلمودى للإله يشكل نكسة للفكر التوحيدى وللرؤية التى طرحها الأنبياء فى العهد القديم .** ويخلع التلمود العديد من الصفات الإنسانية واليهودية على الإله . ويتناسى التلمود الفرق بين الأخيار والأشرار من الأغيار(غير اليهود) ويطالب اليهود أن يستخدموا مقياسين أخلاقيين . واحد للتعامل مع اليهود وآخر للتعامل مع الأغيار والتلمود لا يرحب بالمتهودين لأن اليهود وحدهم يجسدون روح الإله . وأصبح التلمود مجالا للتعويض عما يلاقونه اليهود من اضطهاد فتحول التلمود إلى صياغات لفظية يمارسون من خلالها الانتقام من أعدائهم وإظهار التفوق اليهودى ويتكون التلمود من نص وشرح وتعليق وتعليق على التعليق وإضافات شتى واستمرت عملية وضعه مئات السنين فى أزمنة وأمكنة مختلفة (من السبى البابلى حتى القرن التاسع عشر الميلادى).

وعن (الإسرائيليات) يقول (د. المسيرى) [99]**:**

الإسرائيليات هى مجموعة من القصص والتفسيرات لقصص وأحكام القرآن الكريم . ولما كان القرآن الكريم لم يذكر قصص الأنبياء كاملة فإن كُتّاب الإسرائيليات يلجأون إلى ملء الثغرات - فى تفاسيرهم - بالعودة إلى كتب اليهود الدينية . **ومما تتناوله الإسرائيليات عقائد مثل المسيح المخلِّص والمهدى المنتظَر وآخر الأيام وعذاب القبر واسم الإله الأعظم . وتتسم معظم الإسرائيليات (بل كلها) بطابعها الحلولى المتطرف الذى يتناقض وبشكل حاد مع الفكر التوحيدى .** وتساهل المفسرون وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها عن أهل التوراة ولا تحقيق عندهم . **وكلها تفاصيل روائية لا فائدة من معرفتها .** وقد دخلت الإسرائيليات إلى كتب التفاسير عن طريق اليهود الذى اعتنقوا الإسلام فى مرحلة مبكرة مثل كعب الأحبار .

ولكن بعد فترة لم يعد اليهود الذين أسلموا هم وحدهم مصدر الإسرائيليات بل كان كثير من المفسرين المسلمين يعودون بأنفسهم إلى الكتب الدينية اليهودية أو الفولكلور اليهودى لتفسير القصص القرآني. **كما أن الوجدان الشعبى نسج وولّد قصصا وتفسيرات على منوال الإسرائيليات .**

وعن (**يهود المارانو**) يقول يقول د. المسيرى : [100]

إنهم اليهود المتخفين (فى أسبانيا والبرتغال) الذين **تراجعوا ظاهريا عن اليهودية وادعوا اعتناق الكاثولوكية (المسيحية**) حتى يتمكنوا من البقاء فى شبه جزيرة أيبريا مع تراجع الحكم الاسلامى وبعد طرد يهود البرتغال عام 1480م ويهود أسبانيا عام 1492 ويطلق عليهم تعبير (**كونفرسوس**) أما المسيحيون الجدد فيسمون (**كريستاوس نوفوس**) .

واسم يهود المارانو العبرى هو (**أنوسيم**) أى المُكْرَهين أو الذين أُكرهوا على التنصر واستمر أغلبهم فى التخفى حتى بعد أن أصبح من حق اليهود ممارسة شعائر دينهم علناً فى أسبانيا والبرتغال . وقد تأثروا بالطقوس الكاثولوكية . وهم يشبهون من بعض الوجوه ظاهرة (**الموريسيكيين**) وهم العرب المسلمون الذين اُضطروا إلى التنصُّر بعد استرداد المسيحيين لأسبانيا (الأندلس) .

وعن (**يهود الدونمة**) يقول د. المسيرى [101]:

هؤلاء اعتنقوا الإسلام طواعية دون قسر . والدونمة تعنى المرتدين: وهم جماعة يهودية تركية شبتانية من اليهود المتخفين استقرت فى سالونيكا وأشهرت إسلامها تشبهاً بالماشيح الدجال (شبتاى تسفى) . **وكانوا يمارسون**

شعائرهم اليهودية سرا . وهم عدة فرق منهم اليعقوبلية والأزميرلية . وكانوا يحللون لأنفسهم كثيراً من تحريمات التوراة (تبادل الزوجات ـ الزنا .. الخ).

وعن (الماسونية) يقول د. المسيرى[102]:

تعرف بأنها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التى تمارس هذه التعاليم . والتى تضم البنّائين الأحرار والبنّائين المقبوليـن أو المنتسبين (الذين لا يمارسون حرفة البناء) . **وتلك الطائفة تؤمن بالحريـة والمساواة الإنسانية . وهى علْمانية** . ويتم توريث المعلومات فيها والخبرات المختلفة من خلال النقابات الحِرَفية . وظهرت الماسونية الرمزية أو الفلسـفية أو النظرية التـى حلـت محـل الماسـونية الفعليـة . وبداياتـها كـانت علّمانية(**الماسونية الأولى/ الفكر الربوبى**). وتحولت فى مرحلتها الثانية إلـى ثورة إلحادية (**الماسونية الثانية)** ثم تحولت إلى ـ بعـد أن فقـدت دورهـا الثورى ـ ما يشبه النوادى التى تضم أعضاء لهم مصلحة مشـتركة وتشـكل إطاراً يتبادل داخله الأعضاء الخدمات (**الماسونية الثالثة**) . وظهرت فـى الولايات المتحدة الأمريكية محافل ذات طابع اجتماعى ترفيهى أغلب أعضائها من الماسونيين ويقال لهم (الحرميون) وفيها يسمح للنساء بالإنضمام إليـها . وتُعد نوعا من الابتذال وهو يشار إليه بالماسونية السـوقية أو المتأمركـة أو ماسونية عصر الاستهلاك وما بعد الحداثة (**الماسـونية الرابعـة**) . وقـد وصف البابا كلمنت الثانى عشر عام 1738 م الماسونية بأنها **ديانة وثنية غـير مقدسة.**

وقد حلت الماسونية مشكلة اليهود الذين كانوا يريدون الانضمام والاندماج فى مجتمع الأغيار ولكنهم لا يريدون التنصُّر . وكان المطلوب منهم ـ اليـهود

وغيرهم - إزاحة وتهميش الدين وإعادة تأسيس عقيدتهم على العقل(**العلّمانية)** لا الغيب (التدين) . ولذلك انخرط اليهود بأعداد كبيرة فى المحافل الماسونية لأسباب منها :

(أ) الماسونيون معادون للكنيسة والكهنوت . وهذه نقطة لقاء بينهم وبين أعضاء الجماعات اليهودية الذين فقدوا إيمانهم (وهؤلاء أغلبية يهود العالم) .

(ب) التركيب المهنى والوظيفى لليهود يجعل أغلبيتهم الساحقة من القطاعات التى تشكل أعضاء المحافل الماسونية (العناصر المالية والتجارية والمهنية) .

(ج) الماسونية حركة أممية تتجاوز الولاءات القومية . وعنصر اليهود المهاجرة ليس لها ولاء قومى قوى بل الولاء للمصالح المالية وغيرها.

وعن (**العبقرية اليهودية**) يقول د. المسيرى[103]:

يمكن تفسير ذلك لأسباب عديدة منها :

1- العباقرة فى الغرب الحديث يحققون تميزهم لا بمقدار تعبيرهم عن يهوديتهم وإنما بمقدار تخليهم عنها وتصاعد معدلات العلّمنة . (مثال اسبينوزا - ماركس - فرويد-اينشتاين . وكلهم ملحدون)

2- تركيز اليهود فى الحقل الاعلامى جعلهم يسلطون الأضواء على الأنشطة التى يقومون بها واعطائها الأهمية أكثر مما تستحق .

3- تخليهم عن الدين يشعر اليهود بعدم حرمة أى شىء وتحررهم من قيود الحلال والحرام وسباحتهم مع تيارات العلمنة والمادية فبرزوا فى قطاعات مختلفة .

4- كونهم من العناصر المهاجرة التى لا تنتمى لمجتمع بعينه ولا لنظـــام يقيد حركتها فأصبحوا عناصر حركية متحررة من القيم والمطلقات تبحث عن الحراك الاجتماعى .

5- ارتباطهم بالطبقات الحاكمة ساهم فى زيادة بروزهم .

6- تميزهم الوظيفى حيث يضطلوعون بوظائف معينة دون غيرها .

وعودة إلى مابدأه د.المسيرى يؤكد وينبه على أن:

الحركة الصهيونية ليست جزءاً من تاريخ يهودى عالمى وهمى ولا هى جزء من التوراة والتلمود وإنما هى جزء من تاريخ الامبريالية الغربيـــة . ويدلل على ذلك بأن الصهيونية لم تظهر بين يهود اليمن أو الهند أو المغـــرب **وإنما ظهرت بين يهود العالم الغربى . وهى لم تظهر فى العصور الوســطى وإنما ظهرت مع التشكيل الاستعمارى الغربـــى .** والساســـة الإســـرائيليون يدركون هذا تماما وهم لايكفون عن الحديث عن أهميـــة **إســـرائيل كقـــاعدة عسكرية وحضارية وأمنية للغرب وهى قاعدة رخيصة التكلفة للغرب أرخص من بناء عشر حاملات للطائرات تكاليفها خمسين مليار دولار كانت الولايات المتحدة الأمريكية ستضطر لبنائها وإرسالها للمنطقـــة لحمايـــة المصـــالح الأمريكية . وعلى هذا فإن إسرائيل تعتبر(دولة وظيفية) وكنز اســـــترتيجى بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية.**

وعن (**الوصايا العشر**) التى ورد ذكرها كثيراً فى أسفار العهد القديـــم يقول (**عاطف عبد الغنى**)[104] إنها :

1- احفظ السبت :

وقيل فيه أن الله ما اختار اليهود شعباً له إلا ليحفظوا السبت . ويقال أيضا أن الكتاب المقدس فسر مسألة السَبْى الذى استمر حوالى سبعين عاما فاعتبر أن الأرض فى هذه المدة كانت تستوفى (سبوتها) وهذا مما يتفق مع اعتقادات الكهنة . والطقس السبتى (أى راحة يوم السبت) يبدوا مقنعا كإجراء طبيعى اجتماعى صحى يهدف إلى الراحة الجسدية والذهنية التى يحتاج إليها البشر لمواصلة الحياة . ويوم السبت (اليوم السابع) يدعى اليهود أن الله لما خلق السماوات والأرض فى ستة أيام كان فى حاجة إلى يوم يرتاح فيه وكان هذا اليوم (يوم السبت) هو اليوم السابع [سيأتى توضيح دينى لتلك الفرية فى الفصل السادس].

2- لايكن لك آلهة أخرى أمامى (عدم الشِرْك بالله):

وهى وصية تدعو إلى التوحيد ونبذ الآلهة الأخرى (سواء فى السماء كالنجوم والكواكب أو الأرض كالتماثيل وغيرها) .

3- لاتزن :

ولقد وردت الشريعة الأولى فى سِفْر الخروج تنهى عن فعل الزنا . ولكنها لم تناقش تفاصيل تلك الجريمة ولا عقابها مثلما فعلت مع باقى الجرائم التى ورد تحريمها ضمن الوصايا العشر وتدارك الكهنة ذلك الأمر فأوردوه فيما بعد فى نص سِفْر التثنية [105]بكثير من التفصيل أهمها رجم الزانى والزانية بالحجارة إذا كانا محصنين (متزوجين) والزواج من الفتاة المزنى بها مع تعويض أهلها بالمال إذا كانت غير مخطوبة. ولا يحق للرجل فى هذه الحالة طلاق تلك المرأة مدى الحياة.

4-لاتقتل :

ومن القتل الجماعى (الإبادة) والتحريم الذى أقرته التوراة لبنى إسرائيل فجعلته دستوراً لحروبهم مع الآخرين إلى حد القتل الذى يُطبَّق على الإنسان جزاءً لجرم ارتكبه (العين بالعين والسن بالسن) .

5-لاتسرق :

والسارق يُعوَّض عن سرقته (سِفْر التثنية يجيز سرقة الغريب ويحرمه بين اليهود بعضهم البعض).

6-أكرم أباك وأمك :

أى برُّ الوالدين . وتقرن التوراة ذلك بطول العمر على الأرض التى يعطيها الرب لبنى إسرائيل .

7-لاتشته :

وقصر النص تحريم الاشتهاء على ماللقريب فقط . أما فيما يملكه الغريب فقد أطلق اليدّ فيه (تأصلت صفة الجشع فى بنى إسرائيل ولم يعد اليهودى يفرّق بين القريب والغريب).

8-تحريم الربا :

تحريم الربا فى النص مقصود به تحريم الربا من اليهودى . ولكن بالنسبة للأجنبى (غير اليهودى) فهو مباح.

9-رفض الرِشْوَة :

لأنها تَعمى المبصرين .

10-الأمر بالإحسان :

فلا يطالَب المرتهن برد الرهن إن كان ثوبا عندما يأتى المساء علـــى الراهن فلعل هذا الثوب غطاءً لصاحبه .

ويشير (عاطف عبد الغنى) إلى أن تلك الوصايا هـــى خاصـــة فـــى التعامل بين اليهود بعضهم البعض أما فى تعاملهم مع الأجـــانب والأغيـــار (غير اليهود) فكل شئٍ مباح .



الهوامش

[1]) سورة الذاريات : 56-58

[2]) سورة إبراهيم : 4

[3]) سورة النحل : 36

([4]) سورة النساء : io5

[5]) ديانة الساميين:(روبرتسن سميث) ص 18-22

[6]) نفس المصدر السابق : 39

[7]) كتاب الموتى الفرعونى : (والسن بدج) ص 249ومابعدها .

[8])ديانة الساميين : (روبرتسن سميث) ص 74

[9]) نفس المصدر السابق : ص 89

[10]) سفّر هوشع : 9: 3

[11]) سِفّر عاموس : 7 : 17 & سفر يشوع : 22 : 19

[12]) سِفّر صموئيل الأول 14 : 35 .

[13]) سِفّر القضاة : 6 : 20 & 13 : 19

[14]) كان (عَمَرى) أحد ملوك إسرائيل قد اشترى جبلا من شخص يدعى (شامر) وبنى عليه مدينة سُميت (الشامرة) ثم تحور إسمها إلى (السامرة) وإليها يُنسب السامريون (يهود الشمال - إسرائيل) أما اليهود الذين سكنوا الجنوب وأقاموا مملكة (الجنوب - يهوذا) فقد ظلوا يُسمون العبرانيين . واختصت كل طائفة منهما بتوراتها .

[15]) أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 27

[16]) اختلاق إسرائيل القديمة : (كيث وايتلام) ص18.

[17] تاريخ نقد العهد القديم : (زالمان شازار) ص 101

ونفس الرأى للناقد العبرى ش.ل.هيرش.

[18] أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 89 – 93 .

[19]) نفس المصدر السابق : ص92.

[20])سِفْر اللاويين : 14 : 1–9 & سِفْر العدد 12: 1–6

[21]) أساطير التوراة : ص100 ومابعدها .

[22]) سِفْريهوديت : 10 : 2–8 & 10 : 17 ،18 & 16 : 8–11

[23]) سِفْر الخروج : 4 : 10

[24])سِفْر التكوين : 32: 24 –30

[25]) سِفْر إرميا : 2: 20& 3: 6 ، 8،9 .

سِفْر حزقيا : 16 : 15 & 16 : 25 ، 26 & 23 : 8 – 12 & 23 : 20 ، 21 .

[26]) سِفْر أخبار الأيام الثانى : 26: 32

[27]) سِفْر عَزْرا : 9 :7

[28]) سِفْر أشعياء : 45 : 1

[29])سِفْر يشوع : 24 : 14

[30])انبعاث أمة : (ريتشارد كروسمان)

[31])عصور فى فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى).

[32]) تاريخ نقد العهد القديم : (زالمان شازار) ص 96.

رسالة فى اللاهوت والسياسة : (سبينوزا)

[33]) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 166

34) نفس المصدر السابق : ص 167 .

35) نفس المصدر السابق : ص 167 وما بعدها .

36) سِفْر التثنية : 31 :1 ، 2

37) سِفْر التثنية : 32 : 48 ، 49 ، 52 & 34 :4.

38)سفر التثنية : 31 : 9

39) رسالة فى اللاهوت والسياسة : (سبينوزا)

قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385 .

سفر الخروج : 33 : 11

40) قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385 .

سِفْر الخروج : 32 : 19

41) قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385

سِفْر التثنية : 34 : 5

42) سِفْر التثنية : 34 : 10

43) سِفْر التكوين : 14 : 14 & سِفْر التثنية 34 :1

44) سِفْر التثنية : 3 : 14 & سِفْر العدد : 32 : 41

45) سِفْر القضاة : 10 : 14

46) سِفْر التكوين : 40 : 15

47) سِفْر التكوين : 36 : 31 & سفر العدد : 7 : 24

48) آرام دمشق وإسرائيل : (فراس السواح) ص 11 ، 12

49) نفس المصدر السابق : ص 182 - 185

50) نفس المصدر السابق : ص 268 - 270

51) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى : (توماس ل . طومسون) ص 80 82

52) نفس المصدر السابق : ص 22 - 25 .

53) نفس المصدر السابق : ص292.

54) نفس المصدر السابق : ص 5

55) نفس المصدر السابق : ص 91 ومابعدها .

56) نفس المصدر السابق : ص 107 - 110

57) أركيولوجيا فلسطين قبل العصر الهيلليني : (هـ . ويبرت)

58) تاريخ فلسطين القديم : (جى . ألستروم) G.Ahlestrom

59) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى : (توماس ل.طومســـون) ص 124 ، 131 ، 189 ، ص 234.

60) نفس المصدر السابق : ص 219 – 229 .

61) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 14 – 16.

62) سِفر إرميا : 3 : 6 & 17 : 1، 2

سِفر حزقيال : 20 : 21 – 28 ،

سِفر الملوك الثانى : 23 : 4 – 20

63) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود:(شاحاك) ص 88 ،89

64) المفهوم المادى للمسألة اليهودية : (إبراهام ليون)ص 18،19 ، 32 ، 49

65) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 53

66) نفس المصدر السابق : ص 54 .

67) جريدة الرأى الأردنية : العدد الصادر فى 1995/9/2. (كانتور)

68)احذروا الصهيونية : (يورى ايفانوف) ص 17

69) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 57

70) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود:(شاحاك) ص 10–12.

71) الدولة اليهودية : (هرتزل).

التحرر الذاتى : (ليوبنسكر) .

72) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 72 ، 73 ، 75 ، 76

73) الدولة اليهودية : (هرتزل).

74) التحرر الذاتى : (ليوبنسكر).

75) الأممية الشيوعية وفلسطين : (ماهر الشريف) ص70 – 72.

76) احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 56

77) نفس المصدر السابق : (ايفانوف) ص 44 .

78) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 119 .

79) سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 43 .

80) التلمود : عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الميتافزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية وغيرها . ويتضمن فصولا عن الزراعة وفلاحة الأرض والصناعة والمهن الأخرى ويغطى كل جوانب الحياة الخاصة لليهود .

الكنز المرصود فى فضائح التلمود : (د. محمد عبد الله الشرقاوى).

التلمود تاريخه وتعاليمه : ظفر الدين خان .

81) سفر الخروج : 31 : 18

82) سورة الأعراف : 145

83) سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 66 ، 67

84) نفس المصدر السابق : ص 70 ، 71

85) نفس المصدر السابق : ص 71

86) نفس المصدر السابق : ص 74

87) بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة (محمد خليفة التونسى) من البروتوكول الرابع .

88) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الخامس)

89) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الخامس)

90) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول العاشر)

91) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الرابع)

92) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول السابع)

93) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول التاسع)

94) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الحادى عشر)

95) سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 76 ومابعدها .

96) اليد الخفية : (د. عبد الوهاب المسيرى) ص 9-13 .

97) نفس المصدر السابق : ص 14 ، 16 ، 20.

98) نفس المصدر السابق : ص 21-40.

99) نفس المصدر السابق : ص79 – 81 .

100) نفس المصدر السابق : ص 81-90

101) نفس المصدر السابق : ص 100 وما بعدها .

102) نفس المصدر السابق : ص115 – 135 .

103) نفس المصدر السابق : ص 219 ومابعدها .

104) أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 29 ومابعدها . وهى مذكـــورة فـــى سفر الخروج : 20 : 7-17 & سِفّر التثنية : 5: 15 -21

105)سفر التثنية : 22 : 13 – 30

الفَصْلُ الثَّانِي

رؤية تاريخية / دينية

تمهيد

إن تاريخ بنى إسرائيل لم ينشأ منعزلا عن باقى تواريخ الشعوب المعاصرة له . بل تأثر ذلك التاريخ - إلى حد كبير - بشعوب كثيرة أهمها الشعب المصرى (القديم والحديث) حيث كانت الهيمنة المصرية تبسط يدها على ممالك ودويلات الشام بالاضافة لغيرها من الأمم ولقرون طويلة : وبالمثل مع باقى الأمم القديمة والمعاصرة كان التأثر واضحا للشعب الإسرائيلى بمن حوله وبمن احتضنه داخل حدود دولته فى شتى النواحى الحياتية والثقافية والدينية وغيرها . ولكى نتعرف جيداً على شعب من الشعوب يجب أن نلم بحياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها وحياة مَنْ حوله من الأمم والشعوب لتكون الرؤية صادقة وأمينة لهذا الشعب الذى أثار الكثير من الجدل والقلاقل قديما وحديثا.تلك الرؤية الموضوعية بدون تجاوز أو تضليل أو افتراء .

يقول (إرنست جلنر) Ernest Gellner [(1)]:

إن القومية ليست إيقاظ الشعور بالذات لدى الأمم . بل إنها تخترع الأمم حيث لا تكون موجودة .

ويعتقد (ديفيز) **Davis** : [(2)]

أن ميلر وهيز Miller & Hayes (1986) يمثلان ذروة الكتابات التاريخية التوراتية . وأن الطريق إلى الأمام - إن وجد - سيبدو رهناً بالمناهج (المتوافقة) للعلوم الاجتماعية : علم الاجتماع . الانثروبولوجيا وعلم الآثار

القديمة . وستقلب النتائج مكانة الأدب التوراتى وبدلاً من السؤال عن كيفية تفسير التاريخ بواسطة الأدب ينبغى لنا أن نسأل عن كيفية تفسير الأدب بواسطة التاريخ . وإذا كان البحث الأدبى يدير وجهه بعيدا عن التاريخ للتركيز على ماضى النص وليس على ما وراء النص . تظل للمؤرخ مع ذلك مهمة مشروعة . لكن هذه المهمة ستنفصل تدريجيا عن النقد الأدبى.

ويعتقد (جن) [3] Gunn أيضا :

أن دراسة التاريخ ستمضى قدما بطريقة مماثلة . ويتكهن بأن النتائج لن تشبه ما الذى حدث التاريخ التالى . إذ سيكون تقسيم التاريخ إلى فترات أكثر رجحانا . وسيعتمد على النقد الأدبى (بما فى ذلك البنيوى) فى تخصصه للنصوص .

ويقول (فنكلشتين)[4] finkelestein الأركيولوجى الإسرائيلى:

إن استيطان الإسرائيليين فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م وتحولهم من مجتمع مكون من قبائل متفرقة إلى مملكة منظمة هو واحد من أكثر الفصول إثارة وإلهاما . وفى الوقت نفسه إثارة للجدل فى تاريخ أرض إسرائيل .

ويؤكد (مندنهول) :

على خصوصية إسرائيل المبنية على عقيدتها .

وتقول **(كينيون)** [5] **Kenyon :**

إن عمر مملكة إسرائيل لا يزيد عن ثلاثة أرباع القرن. وكانت الفترة الوحيدة التى أصبح فيها اليهود قوة سياسية مهمة فى غرب آسيا . وقد سجلت أمجادها بمباهاة فى التوراة. وكان لهذا كله أثر عميق على فكر اليهود

وتطلعاتهم. لكن على الرغم من ذلك فإن المكتشفات الأثرية المتعلقـــة بــهذه الفترة شحيحة جداً .

ويقول (كيث وايتلام) [6] K. whitelam :

إن هناك فِرَق من العلماء تناولوا التاريخ الإســرائيلى . **يمثـــــل** الفريق الأول (من العلماء التوراتيين) **كــل مــن : أولــبرايت & برايــت** (Albright & Bright) وآلت & نوت (Alt & Noth) ومندنهول & جوتوالــد (Mendehall & Gott wald) . وهؤلاء اعتبروا التوراة كتابا تاريخيـــا[7] . فجاءوا بالكتاب المقدس فى يد والمجراف فى اليد الأخرى إلى فلسطين . وهذه الفئات الثلاث لم تختلف إلاّ فى تفسير أسباب نشـــوء إســرائيل القديمـــة (الغــزو -التغلغل السلمى - الثورة الداخلية) على الترتيب . ثم ظهر فريـــق آخر فى الثمانينات من علماء توراتيين حاول تحدى أفكار الفريق التقليـــدى . وكان هــذا الفريق مكونا من آلســـتروم (Ahlstrom) وليمشــى (Lemche) وفنكلشتاين (Finkelstein) وكوت ووايتلام(Coote&Whitelam) وطومســون (Tompson) وديفر (Dever) وغيرهم .

وهذا الفريق انتقد الفريق الأول لعدم عمل حسابات للمعلومات الأثريـة المتزايدة فى المنطقة . وإن كان هذا الفريق (الأخير) لم يتمكن من الافـلات من قبضة الدراسات التوراتية التقليدية فظل سجيناً لها . ممّاساهم فى إســكات التاريخ الفلسطينى وطمسه بدلاً من إيجاد فضاء له لكى يعـــبّر عــن نفســه كموضوع قائم بذاته .

ومن أبرز الباحثين ضمن هذا الفريق **(توماس ل . طومســون)** [8] الذى يقول :

إن مجموع التاريخ الغربى لإسرائيل والإسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال . [بسبب هذا الكتاب طُرد طومسون من منصبه فى جامعة ماركويت فى ميلووكى وكان يعمل بها أستاذاً لعلم الآثار] وفى كتابه الأخير [9] يقول :

فى تفسيره للنقش الذى ورد على (لوح مرنبتاح) الحجرى والمكتشف فى تل العمارنة أن إسم إسرائيل يرجع إلى القرن 13 ق.م . حيث كانت إسما لشعب كنعان (فلسطين الغربية) الذى يقول النقش إن جيش الفرعون المصرى دمره . **وربط إسرائيل بكنعان في هذا النقش المبكر لا يمكن اعتباره مرادفا لإسرائيل الواردة فى التوراة وإنما هو مجرد أول ورود تاريخى لاستخدام إسم إسرائيل معروف لدينا** . وهذا لايشير إلى إسرائيل التى نعرفها من الكتابات الآشورية والنصوص الفلسطينية القديمة . فإسرائيل تلك كانت دويلة محلية سيطرت على المرتفعات شمالى القدس . **وقد ظهرت للوجود بعد بضعة قرون من الفرعون مرنبتاح** . وهذا لا يمكن اعتباره مرادفا لإسرائيل التوراتية. فإذا كان نقش مرنبتاح يعبر عن أي حقيقة تاريخية فإن التوراة لا تذكر عنه شيئا .

وللخوض فى التاريخ الإسرائيلى علينا ألا نغفل تاريخ الأمم والشعوب المحيطة والمعاصرة لكى نتفهم ماهية الكيان السياسى الذى تكون ونشأ وسط الامبراطوريات القديمة التى لها ثقلها . وحجم هذا الكيان الإسرائيلى وعمره دون تهوين أو تهويل . وهذا ما سنتناوله بالتفصيل .



مصر القديمة

كانت توجد صعوبة كبيرة فى فهم اللغة المصرية القديمة إلى أن جاء (شامبليون) الفرنسى وحل رموزها بعد اكتشاف حجر رشيد . ومنذ هذا الوقت أخذ تاريخ البلاد الحقيقى ينجلى شيئا فشيئا مما قضى على الأساطير والخرافات التى نقلها كُتّاب اليونان الذين رادوا وادى النيل وكتبوا عنه . وباستمرار أعمال الحفائر وحل رموز النقوش التى كانت على جدران المعابد وفى أوراق البردى فى وادى النيل بدأ كشف النقاب عن تاريخ البلاد الحقيقى . ونشأ (علم ما قبل التاريخ) وهو الذى يبحث فى حل مسألة أصل الإنسان قبل التاريخ أى قبل ظهور الكتابة وذلك بدراسة بقايا العظام الإنسانية والآثار الأخرى . وكان السبق فى صياغة هذا العلم للعالمين **(بوشيه)** و **(بيرن)** حيث وضعامؤلفاً يبحث فى عصر ما قبل التاريخ وجاء بعدهما طائفة من العلماء توصلوا إلى تثبيت هذا العلم ببحوثهم . ففى **العصر الحجرى** وجد أن القدامى كانوا يستعملون الظران المهذب ثم المصقول . ثم تلا ذلك **عصر استعمال المعادن** بدءاً بالنحاس ثم البرونز ثم الحديد . **والعصر التاريخى** هو عصر استعمال الكتابة والقراءة فى تدوين الحوادث والأعمال . على أن الأمم لم تتساو كلها فى الوصول إلى هذه الدرجة (الكتابة) بسرعة واحدة أو فى وقت واحد . فالبلاد المصرية مثلا والأقطار الكلدية تعرفان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين قبل التاريخ الميلادى فى الوقت الذى بقيت فيه زمنا طويلا تجهل وجود الحديد . وفى المقابل نجد سكان ممالك البحر المتوسط مكثوا عدة قرون مدفونين فى ظلمات عصر ما قبل التاريخ ومع هذا كانوا يعرفون الحديد منذ أزمان طويلة قبل الفتح الرومانى . وكان العالم الفرنسى

(**أرسلان**) Arcelin أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ فى مصـــــر . وتبعه فى ذلك كثيرون منهم **لنرمان Lanarmont وهنرى Henry** والأب **رتشارد** وجاء **جاك دى مرجان** الأثرى ببحث أيد فيه فكرة وجود عصر مـــا قبل التاريخ فى مصر وأثبت بالبراهين قدَم الآلات التى يرجع عهدها إلى مـــا قبل التاريخ عن الآلات التى بقى الإنسان يهذبها بطريق العـــادة علـــى نمـــط سالفتهـــا فى العصـــور التاريخيـــة ثم يستعملهـــا (فـــــى حياتـــه اليوميـــة). وأثبت(**مرجان**) بصفة نهائية أن عصر الحجر المهذب فى مصر قـــد سـبق عصر الحجر المصقول-وأن هذا العصر الأخير قد خلفـــه عصـــر اســتعمال المعادن . وقد مهدت أبحاث (**فلندرز بترى**) و (**دىمرجان**) السبيل لايجـــاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ المصرى وعصر الدولة القديمة . وقد أطلـــق على هذه الفترة (**عصر ما قبل الأسرات**) وعثر الأثرى (**لجران**) والعالمـــان (**ستون**) و (**كار**) وغيرهما على محطات أخرى جديدة فى هذا المضمـــار . وقد أشار (**شيفينفورت**) الألمانى على وجود عدة محطات فيها آلات يرجـــع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ . ويُعد العصر الحجرِي القديم الذى وجد فيه أول أثر لبقايا الانسان ينقسم إلى ثلاثة عصور :

(1)العصر الحجرى القديم الأسفل :

ويشمل ما يقابله فى أوروبا من الصناعات الشيلية والآشـــيلية (نســـبة لبلدة شيلى التى وجد فيها أقدم صناعة من عصر الحجر القديـــم الســفلى) . وهذا العصر لا يمكن تحديده على وجه الدقة (التقديرات المعتدلة تقدره بعـدة آلاف من السنين) وهذا العصر يقع فى أوائل الزمن الجيولوجى الرابع وبعـد نهاية عصر الجليد الأول . وآلات هذا العصر من الحجر الصلب ذو حافـــة كالشفرة الحادة (تستعمل كسكين أو كمقشط) .

(2) العصر الحجرى القديم المتوسط :

وهو العصر الذى يتفق مع عصر جليدى طويل امتد حتـــى العصـر الحجرى القديم الأعلى . وهو العصر الذى سكن فيه الإنسان الكهوف العميقـة وآلات هذا العصر من الظران (حجر صلب حاد وصـوّان) مثلثـة الشـكل مرهفة الحد سُمّيت بظهر السلحفاة لقربها من هذا الشكل . ووجــدِت أيضـا الآلات المدببة (الحجرية) والبلَط (جمــع بلْطــة) . ويتمـــيز بوجـــود المامــوث (الفيل كثيف الشعر) وجاموس البحر .

(3)- العصر الحجرى القديم الأعلى :

وفى هذا العصر ندر وجود الماموث وبدأ ظهور الوعول ذوى القرون المتفرعة والحصان . ويسمى بعصر فن الحفر الدقيق وعصر صناعة العــاج وحفره . وفيه ظهرت الآلات دقيقة الصنع .

وتلى تلك العصور الثلاثة ما يسمى (**بالعصر الحجــرى المتوســط**) الــذى يتميز بوجود الآلات المصقولة كالسكاكين والخطاطــيف . وتلى ذلــك (**العصر الحجرى الحديث**) وفيه تقهقر الجليد الذى ظل إلى يومنا هذا . وهو عصر استعمال المعادن (النحاس والذهب) فى أدوات الزينة واســتعمالات أخرى محدودة . وهو العصر الرابع فى تكوين القشرة الأرضية (نهاية العــهد البلوستسينى وبداية العصر الهليوسينى) وهو فجر الأزمان الحديثــة وبدايــة تكوين دلتا نهر النيل بمصر واستعمال العظام فـــى صناعــة الأدوات وكــذا صناعة الفخار والنسيج . وبدأ الإنسان يعيش عيشة الرعاة والفلاحين .

وتلى ذلك العصر (**عصرالمعادن**) وظهور صناعة جديدة غطت على صناعة الظران . وظهرت آلات وحلي من النحاس والذهب فى بادئ الأمر ثم عُرِف بعد ذلك استعمال البرونز والأوانى الفخارية التى اختفى فيها يد الإناء . **وفى هذا العصر ظهرت ديانة فى الوجه البحرى (أعرق فـــى القـــدم مـــن مثيلتها فى الوجه القبلى) وعلى جدران أهرام ســـقارة** (خــلال الأســرتين الخامسة والسادسة) **دُوِّنت متون الأهرام** .

وكانت هناك معتقدات دينية ترتكز على أساس متين (وجدت حيوانــات عُنى بدفنها بعد تكفينها كما يحدث فى العصر التاريخى وكانت تُعْبَد وتُقــدَّس وذلك فى جبّانة عصر البدارى). ويلاحظ فى تلك المقابر والجبّانـــات وجـــود ترتيب للأدوات التى كانت توضع مع المتوفى (مواد غذائيـــة وأدوات زينـــة وآلات) وهو ما يعنى الاعتقاد بوجود حياة ثانية بعد البعث مـــن المـــوت . وكذلك وجِدت بعض الدمي (نصِبت خلف جدار القبر) ومراكـــب صغـــيرة وحيوانات متوحشة وأليفة ورقي وتمائم سحرية (وهو أيضاً مـــا وجـــد فـــى العصر التاريخى) وتدل على معتقدات القوم الجنائزيـــــة . تلى ذلك العصر (عصر الأسرات) .

وقد كانت مصر مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنـــس الحامى (نسبة إلى حام بن نوح) ويقال إنه نشأ من البلاد نفسها أى أفريقـــى الأصل . غير أنه عند نهاية عصر ما قبل الأسرات نجد تغييرات حدثت عـــن طريق الهجرة . وأهم العناصر الجديدة التى دخلت البلاد يبدو أنها من أصـــل أسيوى وكانت لها مميزات خاصة تختلف عن الشعب الأصلـــــى . وهـــؤلاء الآسيويون قد اختلطوا شيئا فشيئا بالسكان الأصليين واندمجوا فيهم . ويرجـــح دخول أولئك الآسيويين من عدة طرق :

أ- من شبه الجزيرة العربية (عن طريق البحر الأحمر من جهة قفط) .

ب- عن طريق أعالى وادى النيل .

ج- من سوريا ودخلوا مصر عن طريق فلسطين فسيناء فشرقى الدلتا ثم انتشروا فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى .

ويقال أن النازحون (أو الغزاة) قد أدخلوا فى البلاد معرفة المعادن (خاصة النحاس) وادخلوا كذلك عبادتهم وديانتهم وكتابتهم وفنونهم ونظمهم السياسية والاجتماعية . **ولا شك أن دخول هذا الجنس إلى مصر قد أتى تدريجياً من غير عنف** . ومما لا جدال فيه أن العلاقة بين مصر - فى أقدم عهودها - وبين آسيا كانت موجودة . وليس هناك ما يثبت لنا أن المدنية المصرية كانت مدينة للآسيويين بإحضار الحيوانات المنزلية (كالثور والحمار والماعز والخنزير) وكذلك باستحضار أقدم الحبوب (مثل الشعير والقمح) **بل إنه بالعكس كانت هذه وتلك قد وجدت فى وادى النيل منذ وجد الجنس الأفريقى الأصلى** ومنذ بداية العصر التاريخى نجد أن الاندماج بين الجنسين كان عظيما جداً فأصبح من الصعوبة بمكان أن نعرف بشىء من الدقة الفوارق بينهما .

ولأن عصر (مينا) موحد القطرين هو العصر الذى ظهرت فيه الكتابة المصرية يحتم علينا بأن نحكم بأن الجنسين قد عاشا معاً زمنا طويلا قبل أن يحدث هذا الاندماج الكلى .

إن تاريخ أول سنة لبدء حساب المصريين للسنة المصرية الشمسية هو عام 4241 ق.م . حيث أن أول يوم فى السنة الشمسية اتفق تماما مع ظهور نجم الشعرى اليمانية وهو يوم بدء فيضان النيل - وبالرجوع ثلاث دورات أو مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية وهو ما يحدث مرة كل 1460

عام بحساب فلكى ثابت ×3مرات =4380 ق.م . ولما كان بدء الحساب هو عام 139 م . فإن تاريخ أول سنة لبدء حساب المصريين للسنة المصرية الشمسية يكون :

4380-139- 4241 ق.م

وهناك مصادر أثرية أخرى تدل على ذلك التاريخ مثل **أخبار الحروب** التى قام بها الملوك . **ثم النقوش** الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم ثم **المراسيم الملكية** وكانت تكتب على الحجر فى معظم الأحيان وتوضع فى المعابد والمدن . وأيضا **الأوراق البردية** التى كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية . وكذلك أيضا **قوائم أسماء الملوك** (ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة) مثل **قائمة الكرنك** (قائمة تحتمس الثالث) وقائمة (**حجر بلرم**) وقائمة (**سقارة**) وقائمة (**العرّابة المدفونة – أبيدوس**) ووثيقة أو ورقة (**تورين**) هذا بالإضافة إلى آثار أخرى وجدت فى الممالك المجاورة لمصر مثل آثار وجدت فى جزيرة (كريت) وآثار عثر عليها فى (فلسطين وسوريا) من أوائل الدولة القديمة وآثار أخرى فى بلاد (مابين النهرين) وما وراءها . وهناك مصادر أخرى اعتمد عليها فى تدوين التاريخ المصري القديم نقلها لنا الكُتّاب الإغريق والرومان مثل (**هيكاته الملاطى**) المؤرخ الإغريقي . وكان قد عاش عام 550 ق.م وزار وادي النيل وتباحث مع الكهنة المصريين فى طيبة عندما كان يضع شجرة الأنساب وتاريخه للوبيا (ليبيا) . ومن بعده جاء المؤرخ الإغريقى (**هيرودوت**) حوالى عام 450 ق.م وقد زار الدلتا وأسوان (ألفنتين) والفيوم . وقد أخبره الكهنة أن (مينا) هو أول ملوك مصر . ثم عددوا له – نقلا عن كتاب لديهم – أسماء 340 ملكا. وقالوا أن مابين أول ملك وآخر ملك 341 جيلا من الناس وأن كل ثلاثة أجيال تعادل مائة عام . **أى أن تاريخ**

البشر عندهم يبلغ 11340 عاما . وقبل هؤلاء الملوك كان يحكم مصر الآلهة وفى أوائل عصر البطالمة ظهر المؤرخ (**هيكاتة الأبدرى**) ووضع كتاباً لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها (**ديدور**) فى كتاباته . وفى هذا العصر كان يعيش كذلك (**مانيتون**) السمنودى وهو أهم المؤرخين الذين كتبوا عن مصر . وقد أخبرنا المؤرخ اليهودى (**يوسيفوس**) المولود عام 37 م . أن مانيتون كان مصرى الجنسية وكان كاهنا عظيما وكاتباً فى المعابد وماهراً فى لغة بلاده وفى اللغة الإغريقية أيضا . ووضع (**مانيتون**) هذا مؤلفاً عن مصر تلبية لأمر بطليموس فيلادولف (الثانى) منقولا عن النقوش المصرية وذلك فى عام 270 ق.م . نقله لنا ناقصا – ومختصرا – يوسيفوس اليهودى والذى ألف مقالا للرد على (**أبيون**) النحوى السكندرى الذى كان يبغض اليهود بشدة وينسبهم إلى أصل أبرمى ومن منشأ دنس نجس،

وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى (عليه السلام) . **فرد يوسيفوس بأن هؤلاء الدنسين هم الهكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف** . وقد دخلوا مصر فاتحين وليسوا عبيداً . ولكى يؤيد رأيه نقل حرفيا بعض المقتطفات عن مانيتون فى الفصل الخاص بالهكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وشفع ذلك بجدول يحوى أسماء الملوك من عهد (تحتمس الأول) إلى عهد (رعمسيس الرابع) وعددهم 21 إسما مع ذكر سني حكمهم والشهر الذى حكم كل منهم فيه (منقولا عن المختصر الذى وضعه المؤرخون نقلا عن مانيتون) . **ويعد ذلك المختصر (مختصر مانيتون) المصدر الأصلى لكتاب العصر المسيحى عن تاريخ مصر** إلى أن كُشف عن أسرار اللغة المصرية (**حجر رشيد وشامبليون**) . وأهم هؤلاء الكتّاب (**سكتس جوليوس أفريكانوس**) وقد نقل المختصر فى كتابه التاريخى الذى وضعه عام 220م . ويأتى بعده (**يوزيب**) عام 270-340م وقد

نقــل عن المختصر من نسخة تختلف عن تلك التـــى نقــل عنـــها (ســكتس الأفريقى) . ويأتى بعد مانيتون مؤرخ عظيم اسمه (**ديدور الصقلى**) الـــذى ألف كتابا عن مصر وكان قد زار وادى النيل عام 60 ق .م وجـــاء بعدهــم آخرون مثل (**أرستوستين السرينى**) 275-194 ق.م . و(**استرابون**)عام 27م. والمؤرخ (**بلوتارخ**) عام 120م .

وفى أواخر الأسرة الثامنة عشرة أتى الفرعون منفتاح أو (مرنبتـــاح) إلى منطقة الأهرامات وترك نقوشا تدل على مقدار اهتمامه بـــأبى الـــهول . وأدهش ماكشفُ فى هذا المكان أن قوما من الكنعانيين وفــدوا عَلـــى مصـــر وسكنوا فى منطقة أبى الهول فى عهد الدولة الحديثة (أواخر الأســـرة 18) ويدل على ذلك لوحة الفرعون (آى) إذ جاء فيها أنه اقتطع ضيعة للحيثييـــن فى هذه الجهة . ودلت اللوحات المكتشفة على أن هؤلاء الكنعـــانيين كـــانوا يسكنون فى هذه المنطقة فى بلدة سميت باسم إلههم الذى كانوا يعبدونـــه فـــى بلادهم (الإله حورون) وهذا الإله كان يمثل عندهم بشكل (حـــور الأفـــق) وكان يمثل بصقر . فقد رأى فيه هؤلاء الآسيويون أنه يمثـــل إلهـــهم الـــذى تركـــوه فى بلادهم ولذلك أطلقوا عليه اســـم (حورنـــا) أو (حـــورون) أو (حول) . ومن ذلك يتضح جليا أن الاسم الجديد الذى أصبح يطلق على أبـــى الهول هو اسم سامى الأصل . ولا عجب فى ذلك فقد عبد المصريون آلهـــة آسيوية أخرى مثل (ستخ) الذى أصبح موحّداً مع الإله (ست) إله الحرب . وكذلك آلهة (عشترت) التى وحدت مع الآلهة (حتحور) . وأطلق الكنعانيون على الحفرة التى فيها أبو الهول اسم (بر- حول) أو (بيت حول) وهو الـذى تحور فيما بعد إلى اسم (أبو الهول) . وقد أقـــام هـــؤلاء الكنعـــانيون فـــى مستعمرة على بعد حوالى 2.5 كيلومتر من أبى الهول تسمى الآن (الحارونية) نسبة إلى الإله (حورنا) أى أبو الهول الذى عبده المصريون والكنعانيـــــون

وقدسوه بصفته إله الموتى وحارس الجبّانة (كان يمثل الإله رع عند الغروب أى آتوم) . ولقد سميت قبائل البدو (العنصر الذى نزح إلى كل أنحاء سوريا منذ بداية القرن 14 ق.م) باسم (خبيرى) وأيضا (ساجاز) أو (جاز) وهذه الأسماء لا تدل على اسم جنس بل تميز اسم جماعة معينة من السكان .

وقد جاء ذكر اسم قبائل (سوتى) أى البدو مع (خبيرى) فى رسائل تل العمارنة . وقد كانوا يعملون جنوداً مرتزقة أو يجتمعون جماعات للنهب والسلب . وهم قبائل سامية (نسبة إلى سام بن نوح) وجاءوا بلفظ (عبرو) فى اللوحة التى كشف عنها د. أحمد بدوى فى منف . وهم (خبيرو) الذين ذُكروا فى خطابات تل العمارنة . وهؤلاء أقاموا بسوريا (آرام) وفلسطين (كنعان) منذ عهد البرونز المتأخر . وقد ذكروا كثيراً فى إسرائيل الكنعانية فى القرن 14 ق.م بوصفهم مغيرين وعصاة على السلطة المصرية . وكانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا مع الآراميين (السوريين) فى تقاليدهم القومية . وهم على العكس من الكنعانيين الذين لا تربطهم بهم أية رابطة . فهؤلاء ليسوا فلاحين متوطنين مثل الكنعانيين بل هم قوم رعاة رحل . فقد نزح إبراهيم (عليه السلام) بعد ولادته إلى (حوران) ومن ثم إلى (حبرون) وقد جاء فى سفر التثنية أن جد هؤلاء القوم آرامى :

*ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك آراميا تائها كان أبى [10] .

وتدل البحوث على أنه من الجائز أنه كانت توجد روابط بين العبرانيين و (خبيرى) وهذه الروابط لغوية وتاريخية وتؤكد بوجود علاقة بين العبرانيين (خبيرو) والإسرائيليين .

وفى الوقت نفسه **نميز بينهما بأن كل الإسرائيليين كانوا من العبرانيين (خبيرى) ولكن ليس كل العبرانيين إسرائيليين.** ومن المعروف أن الإسرائيليين قد تدفقوا على الأرض الجبلية فى فلسطين (افرايم) فى القرن 14 ق.م . إذ تدل الآثار على أنهم فى عهد (مرنبتاح) بن رعمسيس الثانى كانوا قد استوطنوا هذه البقاع . ومن أجل ذلك لا يمكن أن نرجع غزوهم فلسطين إلى عهد (سيتى الأول) أو عهد (رعمسيس الثانى) . **بل لا بد أنهم قد قاموا بغزوهم فى عهد ما قبل (أمنحتب الثانى)** . والظاهر أنهم كانوا يسكنون الشمال الغربى لبلاد العرب (أى أرض مَدْيَن) فكانوا يضربون خيامهم فى منطقة سيناء البركانية ومن ثم اعتنقوا عبادة التوحيد فى بيت الإله (يَهْوَه) إله النار وقد كان عرشه على صورة تابوت (تابوت العهد)[11] وكانوا يحملونه معهم أينما ساروا ويسكن بينهم أينما حلوا .

ولا يبعد إذن أن الإسرائيليين كانوا فيما سبق فى الوقت نفسه يتكلمون لهجة آرامية أيضاً وأن اللغة العبرية قد انتقلت إلى الكنعانيين لأنهم كانوا يقيمون معهم . ومنذ ذلك العهد كان الأجانب الذين على اتصال بالإسرائيليين يطلقون عليهم اسم (عبرين) أى العبرانيين . **ومن ثم سميت لغتهم بالعبرية وهذه التسمية ليست إسماً لقوم من الناس بل نعتاً (وصفاً) لهم**[12] ومعناه قوم من العبْر المقابل لنهر الأردن (العبِر فى اللغة العربية معناه شاطئ النهر أو البحر) ومما يدل على أن العبرانيين كان لهم على مايبدو أهمية واسعة النطاق أن قبائل الألواح (يهْوَه) التى أنزلت على موسى (عليه السلام) قد أطلقوا كلمة (عابر) الجد الأول لجنسهم على كثير من القبائل العربية وعلى الجد الأول (سام) :

*وسام أبو كل بنى عامر [13] .

وبنو سام هم قوم لهم اسم يتسمى به أشراف البدو الذين لهم سلسلة نسب كما أن (بنى إسرائيل) لهم كذلك سلسلة نسب خلافا لسكان المدن الذين ضاعت أنسابهم على الرغم من أنهم من أصل عريق . أى أن كلمة (عبرى) لها علاقة وثيقة بكلمة (خبيرى) من جهة النطق و المعنى كما أن الكلمة تدل على عنصر من الناس فى آسيا الصغرى (الخيتية).[14]

وكان أول تعدٍّ قامت به مملكتا (خيتا) تركيا و (متَني) شمال سوريا على الأملاك المصرية هو باكورة الأخبار التى وصلت إلينا عن زحف (خبيرى) (العبرانيين فيما بعد) وقد جاءتنا عن طريق خطابات تل العمارنة التى أرسلها أمير ببلوص (جبيل) وريبادى (رب هدّاد) إلى الفرعون (أمنحتب الثالث) وجاء فيها :

منذ اليوم الذى غادر فيه والدكم (صيدا) وأظهر عطفه على بلاد (خبيرى) لم يعد فى استطاعتى أن أحصل على شىء .

إن علم الآثار منفرداً لا يمكنه أن يمدنا بنوع المعلومات التى تمدنا به الوثائق المكتوبة لأن معظم القطع الأثرية تكون عارية من النقوش . والمخطوطات تبحث فى الآراء والحوادث والشخصيات أما الآثار فخاصة بالأشياء الأكثر مادية وكلا المصدرين مكمل للآخر كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر [15] .

فعلى أثر سقوط الأسرة الثانية عشرة حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا البلاد (الريف خصوصا) وتحكموا فى أقدارها قرابة قرن ونصف . **وهؤلاء المغتصبون لم يهبطوا على البلاد فجأة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرخون ولكنهم تسربوا إليها على مهل وببطء حتى نشروا ثقافتهم ومبادئهم**

ووضحت أمامهم سُبل مصر وشِعابها فانقضوا عليها بجيش جرّار سيطروا به على الدلتا ثم امتد سلطانهم إلى مصر الوسطى . وسماهم المصريون بالهمج والطاعون و (الهكسوس) [16] وكان ذلك عام 1730 ق.م وهم لم يكونوا همجاً ولا متوحشين بل كانوا مثقفين ذوى حضارة وعرفان . ونهلت مصر من موردهم واستنارت بمدنيتهم التي انتظمت فنون الحرب ونواحي الصناعة وأخذت عنهم من المخترعات. ولقد استشعر المصريون المهانة والذل من تحكم الدخيل فى خيرات ومقدرات البلاد فهبوا تحت قيادة الفرعون (**أحمس الأول**) الذي طاردهم حتى خارج حدود مصر [17] . وهو أول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة والمؤسس الأول لبناء الامبراطورية المصرية التي امتد سلطانها وثبتت دعائمها فى أواخر عهد العاهل العظيم (**تحتمس الثالث**) الذي يلقبه مؤرخو الغرب (**نابليون الشرق**) حيث صارت الامبراطورية المصرية تمتد أعالي نهري دجلة والفرات شمالا حتى الشلال الرابع جنوبا وحافظ على هذا الكيان أخلافه حتى نهاية عهد (**أمنحتب الثالث**) إلى أن جاء الفرعون (**إخناتون**) يحمل لواء عقيدة التوحيد الذى اهتم بنشر تعاليمه وانصرف عن أحوال البلاد الداخلية والخارجية حتى تقلصت الدولة . وخلفه من بعده (توت عنخ آمون) ثم (حور محب) الذى أعاد للبلاد سؤددها السالف وسمعتها الحربية التى كانت قد تداعت .

وعن (**الهكسوس**) يقول د. سليم حسن فى موسوعته القيّمة [18] :

إنهم استولوا على البلاد بنفس طريقة (الكاسيين) الذين استولوا على بابل . وعنهم يقول المؤرخ المصرى (مانيتون) الذى أخذ المؤرخ المصرى (يوسيفوس)**عنه**أنهم – أى الهكسوس – واليهود هم عنصر واحد . وذلك فى محاولة لرفع شأن قومه اليهود . وينفى د. سليم حسن ذلك كلية ويفنده ويشير

فى ذلك المجال إلى أن الآثار التى تركها لنا الهكسوس ضئيلة وأن عدداً كبيراً من تلك الآثار قد انتحلوها لأنفسهم باغتصابها من الآثار المصرية القديمة . **وعلى سبيل المثال تمثال (أبو الهول) الذى نسبوه لأنفسهم وهو فى الأصل للملك (أمنمحات الثالث)** . وقد وجدت بعض الآثار المتفرقة المنسوبة إلى الملك (**خيان**) أعظم ملوك الهكسوس فى بغداد وكريت فبدا وكأن نفوذ الهكسوس قد وصل إلى تلك البلاد البعيدة وهو غير الحقيقة المؤكدة **بأن هذه القطع الأثرية المتفرقة وجدت بتلك البقاع عن طريق التجارة أو الاهداء** . والواقع أنها قطعاً مصرية فى صورها وصناعتها ولو كانت تخص الهكسوس لكان منها الكثير فى تلك البقاع وغيرها .

والجدير بالذكر أن الفرعون (**تاعا**) الثانى الملقب بالشجاع (**سقنن رع**) **هو** أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس ممأدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة [19] . وبعد موت (سقنن رع) خلفه (كامس) ثم (أحمس الأول) الذى طارد الهكسوس إلى خارج حدود مصر . وظل الهكسوس فى فلسطين وسوريا حتى عهد (تحتمس الثالث) 1479–1447 ق.م بل ويحتمل حتى عهد (أمنحتب الثانى) 1448– 1420 ق.م الملقبان بـ (**ضارب الهكسوس الذين هاجموه**) .

ومن الملاحظ أن المعادن التى عثر عليها فى فسلطين كان النحاس هو المعدن الهام المستعمل فى العهود التى قبل عصر الهكسوس ولكن عند وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمال البرونز (عصر البرونز الأول[20]) ومن المعلوم أن أول ظهور للبرونز فى أى مجتمع كان له دائما تأثيراً انقلابيا فى الصناعة . وقد أحضر الهكسوس

هذا المخترع الفنى معهم إلى البلاد فى صورة راقية مثل الأسلحة والأوانـــى وغيرها .

وأهم ما جلبوه هو العربات التى تجرها الخيول (يقال أن الحصـــان حيوان خاص بالهكسوس بعكس الحمار الذى كان يُركب فى مصر منذ زمـــن بعيد جداً قبل عهد الهكسوس) . **وبفحص اتجاه حركة هجـــرة الهكســوس اتضح لنا أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا مصر .**

ومن الآثار وجد أن الهكسوس كانوا معاصرين لأهل ببلوص (جُبَيل) الواقعة على شاطئ سوريا ولكنها لم تكن خاضعة لنفوذهم قبل عام 1730 ق.م ومن المصادر الأثرية عُلِمَ أن نفوذ الهكسوس الثقافى قد قضى عليه بالحروب الطاحنة التى شنها (تحتمس الثالث) ومن بعده ابنه (أمنحوتب الثـــانى) أى حوالى عام 1445 ق.م ويلاحظ انتشار الثقافة الحورانية فى أجزاء كبيرة مــن فلسطين وسوريا فى عـــهد الهكســوس المتـــأخر (1445 ق.م). والعنصــر الهكسوسى الحورانى الذى كان يعيش فى فلسطين وسوريا فى تلـــك الآونـــة يمكن أن يكون منتسبا إلى عصر حورانى فى نفس البلاد فى نهاية هذا القــرن **وهو ما يعزز وجود قرابة وطيدة بين أهل (مِتَني) و (الحورانيين) منــــذ حوالى منتصف القرن 17 ق.م** وهم الذين كانوات يقطنون سوريا وفلســـطين وانتشروا جنبا لجنب . وإن كان ثقافة الهكسوس قد تغيرت من أساسها حوالى منتصف القرن 15 ق.م (1445 ق.م) ففى (مَجدّو) الفلســطينية وجــد أن الرسوم على الفخار الملون لا تخرج عن كونها رسوم حورانية محورة وكذلك يظهر أن طراز الأختام الاسطوانية المستخرج من (كركول – نوزى) كانت من خصائص العهد الأخير كما كانتمن خصائص العهد الأول . ويدل فحص

الهياكل التى وجدت هناك على أن نفس العنصر فـــى كــلا العــهدين كـان واحـــدا .

وكان العالم الكنعانى الذى واجه العبرانيين عندما دخلوا هذه البـلاد يرتكز إلى حد بعيد على شعب أساسه من الهكسوس.

ولمحاولة إماطة اللثام عن أصل وموطن الهكسوس الأصلى نجد أنهم :

(1) **قد استخدموا معدن البرونز (نحاس مخلوط بقليل من القصدير)** :

ومعلوم أن فكرة صناعة البرونز نفسها كانت معروفـــة فـــى ســومر والأناضول بتركيا (فى النصف الأول من الألـــف الثالثـــة ق.م) رغـم أن مصدر النحاس فى سومر لم يكن موجوداً . ويقترح **(لوكاس)** أن كلا مـــن أرمينيا وإيران قد تكون مصدراً لاستخراج القصدير (**الصحيح**) .

(2) **الحصان** : له علاقة أصلية بالأقوام الآرية (الهنود والإيرانيين) .

(3) **طراز حصون الهكسوس** : وهو الحصون المستطيلة ينسب للآريـيـــن أيضا (مشابه لمبانى إيران وبلاد ما وراء بحر خوارزم) وهـــو مـــا يدعم أنهم ينحدرون من (أو هاجروا عبر) بلاد القوقاز .

فى محاولة أخيرة من د. سليم حسن [21] للتفسير يتجه نحو الثوابـــت الدينية فيقول أن إبراهام (إبراهيم) (عليه السلام) هو بدوى قد صُوِّر يزور مصـر فى رحلة سلمية . والواقع أنه قد قُرن غالبا بين رحلته ورحلة (أبشا) الــذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر فى عهد (سنوسرت الأول) . **ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذى لاحظنا فيه لأول مرة أدلـــة علــى وجـــود الهكسوس فى مصر** . وبعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة (يعقوب (عليه السلام)) واتخذوها موطنا لهم (أرض جاسان أو جاشان بمحافظة الشـرقية) . وهذا الحادث يذكرنا باحتلال الهكســـوس للوجـــه البحـرى . **وواضـح أن**

الهكسوس كان العنصر السامى قوياً فيه . وكذلك يظهر أن الحورانيين قـد لعبوا دوراً هاما فى هجرة الهكسوس . ومن المحتمل أيضا أن بعضـاً مـن طائفة (خابيرو) المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين وكذلـك أيضـا الهنود والإيرانيين[22] . ولكن يجب عند فحـص مسـألة التكويـن القومـى للهكسوس أن تعالج وجهات النظر اللغوية والجنسية والثقافية بنفس الدرجة من الأهمية .

وفى عهد (أمنحتب الرابـع) أى (إخنـاتون)[23] سـاءت الحالـة الأمنيـة فى فلسطين وازدادت حـالات السـلب والنـهب والاضطرابـات والتقتيـل . وقد حاول أمير (خاسور) وهى معقـل جبلـى أن يتحـد مـع قبـائل (خبيرى) ليمد رقعة إقليمه فاستولى عـلى مـؤاب (إيـاب) و(بيلاّ) جنوب الضفة الأخـرى لنـهر الأردن و (لابايـا) فـى الجنـوب واستمـر فى زحفه (يعاضده ميلكيل وتاجى) حتى استولى على ولايـات (سهل يزراعيل) الواحدة تلو الأخرى مثـل شـونم وبورقانـا وجـتريمون وغـزة وغيرها . أما (شكيم) وإقليمها فقد أعطاها لقبائل (خبـيرو) . وبعد تفاقم الأمور أرسل الفرعون الأمير (خانى بن مرى رع) وكان يحمـل لقب (ابن الملك) أو نائب الملك ليأتى برعوس أعـداء الفرعـون . ولمـا كـان فى جيش كبير فقد أعلن الأمراء ولاءهم للفرعون دون أى مقاومـة . وقبل الفرعون خضوع (ميلكيل) و (تاجى) أما (لابايا) فلـم يغفـر لـه خطيئته ولم يقبل شفاعته ووكل مهمة إحضاره كخائن وغادِر أمير (عكّـا) غير أن الرِشْوة لعبت دورها فأخلى سبيله خلسة . ولكنه اغتيـل فـى أثنـاء هروبه . وكذلك هـرب (إياب) إمير (بيلاّ) من قائد الملـك . وعـادت الحملة المصرية ومعها الأسرى من الساميين إلى مصر وليس بينـهم أسـير واحد من (خيتا) . **وبعد قليل أخذت قبائل (خبيرى) يتوغلون فـى البـلاد**

ناهبين الأماكن المأهولة وفارضين الضرائب الفادحة على مدن الساحل مثل غزة وإيالون وصرعا ولاكش وحتى عسقلان . وفى أورشليم جاهد (عبدى خيبا) أن يصد قبائل (خبيرى) وميلكيل وإينا لاباى (الذى أغتيل) على الأقليم الساحلى (كلنا وقعلا) التابع لشواردانا . وآزره فى ذلك (سوراتا) أمير (عكا) وأمير (أكشاب) ولكن سرعان ما دب الخلاف وبدأ كل منهم يعمل لحسابه حتى استولى (شواردانا) أمير (كلنا وقعلا) على ثلاثين مكانا وكان فى الوقت نفسه يحرض (ميلكيل) قبائل (خبيرى) عليه مما اضطره إلى طلب النجدة من الفرعون .

وعملت يد القتل فى الأمراء بدرجة عظيمة حتى صارت مدن الولايات الفرعونية لا ولاة لها . وفى ذات الوقت اكتظ الإقليم الجنوبى من فلسطين بقبائل (خبيرى) وأصبحت كل مدن الداخل معادية للحكم المصرى (مدن منحدرات جبال يهودا جنوبى حبرون) واستنجد (عبدى خيبا) بالفرعون دون جدوى . ولما أرسل بعد ذلك القائد (ينخام) الذى كان يثق به قوم فلسطين عجز أن يفعل شيئا حاسما فى هذا الجو المضطرب فضلا عن أنه فى السنين الختامية لحكم (إخناتون) كانت السيادة المصرية قد تفككت عراها وانحلت أواصرها خارج البلاد وداخلها .

وتمكن (**حور محب**) قائد الجيوش المصرية فى عهد (توت عنخ آمون) الذى خلف (**إخناتون**) بوصفه وصيّاً على العرش . تمكن من إخماد ثورات (خبيرى) (أى اليهود فيما بعد) وصحبه فى تلك الحروب مليكه (توت عنخ آمون) وساق جماعات من الأسرى من فلسطين (آسيويين وأوربيين) وخلف (**حور محب**) الذى حكم خمسة أعوام قائده ووزيره الأكبر وولى عهده المسن (**رعمسيس الأول**) الذى

حكم عامان ثم خلفه (سيتى الأول) الذى حكم تسعة عشر عاما وسار علـــى نهج (تحتمس الثالث) وقلده عن قصد فاسترد السيطرة على موانئ الســاحل الفينيقى بعد حملته على شمال فلسطين وأخضع لبنان ثم بعضاً من سوريا . وقد كان للعبرانيين ضلع فى الحركة التى قام بها البدو (الثورات والفوضى ضد الحكم المصرى) إذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم فى فلسطين . ولـــهذا السبب المباشر قام (ســـيتى الأول) بمهاجمـــة قبـــائل (شاســـو) أى البـــدو الآسيـــويين فى فلسطين الجنوبية و أفلح فى إعادة السيطرة المصرية على كـل فلسطين وجنوبى سوريا .

وهناك إشارتين فيهما شك كبير فـــى عـــهد الملـــك (داوود) (عليه السلام) والفرعون (نخو) أو (نخاو) وأيضـــا فى عهد الفرعونين (شيشنـــق) و (تيرهاقا) لبلدة (قادش) وكان من الطبيعى أن تحدث داخل تلك الممتلكـات النائية الثورات والاضطرابات بسبب المنازعــات التـــى كـــان يخلقـــها التنافس وبسبب تراخى الحكام المصريين (المحليين) وضعفـــهم أو بســـبب نزوع أهل هذه الجهات للحرية وعدم التقيد بالنظم القانوتية .

ففى فلسطين كان البدو (شاسو) يقومون بحركات هجرة لا تنقطـــع خصوصا قبائل البدو الرحل من قبيلة (إسرائيل) التى وفدت مــــن الشـــرق واستوطنت إقليم أفريم (اسم مشتق من أفرات التى ما بين راما وبيت إيـل) الجبلى الذى لم يسكنه من قبل إلا نفر قليل جداً . وكانت تلك القبـــائل فـــى العادة من الخارجين الذين لا يخضعون لأحكام ولا يمكـــن كبـــح جماحـــهم بسهولة . وقد ذكرهم الفرعون (مرنبتاح)ابن (رعمســـيس الثـــانى) فـــى لوحتـــه المشهورة (بنى إسرائيل) أو لوحة تل العمارنة والتى عدّد فيـــها الأصقاع التى قهرها وتسلط عليها فى فلسطين . وقد جاء باللوحة :

***وإسرائيل قد خربت وليس لها بذرة (أى خلف) .**

وهذه هى الوثيقة الوحيدة التى جاء فيها ذكر إسـرائيل فـى النقـوش المصرية فى عهد مرنبتاح . **وهذا برهان على أنهم استوطنوا بلاد فلسـطين قبل عهد (مرنبتاح) بزمن بعيد.** وجاء ذكر قبائل البدو (شاسو) فى إحـدى لوحات معبد الكرنك يمثل الفرعون (رعمسيس الثانى) وهو يطأها بقدميـه وهم مقيدون بالحبال تحت سنابك خيله . ومن كلمات تلك اللوحات الجدارية :

*وقد وقعت مذبحة عظيمة فى أرض شاسو (البدو) ونهبت تلالهم وقتلـوا عليها . وأقام المبانى فى مدنهم بإسمه المخلّد .

وهناك غير تلك القبائل قاطعى **الطرق كان يوجـد قبـائل وطوائـف أخرى مسالمة فى عهد الدولة الوسطى ثم فى عهد (حور محب) وهم الذين وفدوا على مصر بقصد التجارة أو لرعى الأغنام والماشية وقطنوا الحـدود المصرية خصوصا وادى طميلات بأرض جاسان أو جاشان بالشرقية حاليـاً وهو بمثابة مدخل لمصر من آسيا .** وقد ذكر لناأحد الموظفين فـى خطـاب حكومى ينسب إلى الفرعون (مرنبتاح) أنه كتب لرئيسه قائلا :

إن بعض بدو (شاسو) (أدوم) قد سمح لهم حسب التعليمات التى لديـه أن يجتازوا الحصن الذى فى إقليم (سكوت) أى تل المسخوطة فـى وادى طميلات ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من (بتوم) أى بيت آتوم (كـان المرور فى هذا الوادى شديد الحراسة) وعن ذلك الموضوع جاء فى سِـفْر التكوين[24] :

***فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال : أبى وأخوتى وغنمهم وبقرهـم وكـل مالهم جاءوا من أرض كنعان . وهو ذا هم فى أرض (جاسان) .** وأخذ مـن

جملة أخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام الفرعون . فقـال فرعون لأخوته مـا صناعتكم ؟ فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعـا . وقـالوا لفرعون : جئنا لنتغرّب فى الأرض . إذّ ليـس لغنـم عبيـدك مرعـى لأن الجـوع شديد فى أرض كنعان : فالآن ليسكن عبيدك فـى أرض جاسـان (جوش أو جاشان) .

وهذه الصورة التى جاءت فى (الأساطير الإسرائيلية) قريبـة الشـبه بالتى ذكرناها فى عهد (حور محب) كما تصف لنا حالة المعيشة فـى أرض فلسطين وقلة مواردها بالنسبة لمصر . وقد أنشئت أحياء كاملة للمهاجرين من الكنعانيين والفينيقيين الذين جاءوا إلى مصر مصطحبين معهم آلهتهم وأربابهم المحليين وهكذا اختلط الدم المصرى وحتى الملكى (مثل مومياء الملك سـيتى الأول) بالدم الأجنبى (الساميين واللوبيين والنوبيين وغيرهم) . وفى جـو السلام الذى ساد البلاد لأكثر من ست وأربعين سنة مـن عـهد (رعمسـيس الثانى) بدت مظاهر الترف والبذخ فى القصر الفرعونى وكذا أمور المحسوبية فى التعيين فى الوظائف الهامة والعالية (كما كان ذلك فـى عـهد تحتمـس الثـالث) خصوصا من الآسيويين . وترك لنـا (مرنبتـاح) [25]أنشـودة عظيمة يصف لنا الهزيمة الساحقة التى أنزلها باللوبيين - الذين أغاروا علـى مصر من الغرب - كما أشار فيها إلى ما قام به من أعمال جليلة وماصبّه من نكبات وأنزله من ويلات بأقوام البلاد الأخرى المجاورة التى تألبت عليه وقـد ذكر من بينهم قوم (بنى إسرائيل) للمرة الأولى - ربما فى تاريخ العـالم - ومن ثم تشعبت الآراء وتضاربت الأقوال فى حادثة خروجهم من مصر وفـى إسم الفرعون الذى غادروا البلاد فى عهده لدرجة أن بعض المؤرخين أنكروا حادثة الخروج تلك وقالوا إنها مستعارة من حادثـة أخـرى هـى خـروج الهكسوس من مصر . وكذلك التضارب فى تفسير عبورهم البحر . أهو بحـر

القلزم (البحر الأحمر) أم خليج السويس أم يم نهر النيل فى أحد فروعــــه . وكان هؤلاء اليهود يسكنون فى شــــرق الدلتــا (أرض جاســان بمحافظــة الشرقيـــة) وكان (رعمسيس الثانى) قد سخرهم فى إقامة عاصمـــة ملكـه التى جاء ذكرها فى التوراة باسم (رعمسيس) ودلت الكشوف الحديثة علـــى أنها (برّرعمسيس) أى (قنتير) الحالية بالقرب من مدينة فاقوس بالشــرقية . وهى التى خرجوا منها مولين وجوههم شطر فلسطين . ومـــن أجـل ذلـك أصبـــح من المرجح أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد وقـــع فـــى عـــهد (رعمسيس الثانى) أو عهد ابنه (مرنبتاح) .

ويلاحظ فى (رسائل تل العمارنة) أن ذكر بعض القبائل البارزة جدا فى الوثائق المصرية لم تذكر فى المتون الخيتية وخصوصـــــا (شردانا) و (بلست) أى فلسطين . وقبائل شردانا كانت تحارب فى صف مصـــر أو عليها فى فترة تبلغ مائتى عام . أما قبائل بلست أو بلستى الذين ذُكروا فـــى التوراة لم يأتوا إلا متأخرين إذْ لم يظهر إسمهم إلا فى عـــــهد (رعمســـيس الثالث) .

والتقاليــــد العبرية تتفـــق هـــى والتقــاليد الإغريقيــــة علـــى أن الفلسطينيين (البلست) من جنس أجنبى (يسمون شعوب البحر sea people وغالبيتهم من كريت) . وقد كانوا لا يختتنون (يختلفـــون فـــى ذلــك عــن الساميين). وتدل الشواهد على أن الفسلطينيين قد ساروا براً مخـــترقين آســيا الصغرى قاصدين شمالى سوريا (يستعملون عربات تجرها ثيران) وهاجموا مصر من جهة البحر أيضا . ومن المرجح أنهم جاءوا من مكان ما فى شمال بحر إيجه وكان احتلالهم لجزر كريت كمرحلة من مراحل هجرتهم إلى مصر والشام .

ويضع د. سليم حسن تصوراً للطريق الذى سلكه بنى إسرائيل عند هجرتهم (خروجهم) من مصر إلى فلسطين (معتمداً على القص فى النص التوراتى)[26] مبيناً أن الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأوحال حينماأدركوا قوم موسى (عليه السلام) وأن بعض الركاب قد سقط مغشيا عليه ولم يغرق الفرعون (مخالفا فى ذلك ماجاء فى القرآن الكريم)[27] وأن واقعة الخروج والمواجهة كانت فى (بحر البوص) بمنطقة المنزلة .. الخ .

فى عام 950 ق.م قام شيشنق الأول بتأسيس الأسرة الثانية والعشرين (الدولة اللوبية فى مصر) وكان شيشنق هذا قد زوّج ابنه أوسركون الأول (وولى عهده فيما بعد) من ابنة فرعون (بسوسنس) ليكون أهلا لتولى العرش . وقد قام (شيشنق الأول) أو شيشق (كما ذكر فى التوراة) ببناء ما تهدم من المعابد وإعادة أوقافها والقضاء على الفوضى وإرجاع الأملاك إلى ذويها وبعد ذلك عمل على توحيد البلاد واتباع سياسة حكيمة لم يلجأ فيها إلى القوة (نصّب أحد أبنائه فى وظيفة الكاهن الأكبر لآمون فى الكرنك وبذا قضى على أسرة الكهنة القدامى) وأقام عاصمته فى مدينة (بوبسطة) أى الزقازيق . وفى عام 930 ق.م (فى عهد سليمان (عليه السلام) أغار على فلسطين وانتصر على العبرانيين وأعاد النفوذ المصرى إلى هذه الأصقاع الآسيوية ونعمت مصر بالثراء العظيم (من غنائم الحروب) حتى أن مصر عاشت على تلك الكنوز والغنائم لقرنين من الزمان تنفق منها . واستمر حكم تلك الأسرة (22) حوالى قرنين ونصف وأصبحت مصر فى نهايتها نهباً للكوشيين (السودانيين والأثيوبيين) ثم الأشوريين ثم الفرس فاليونانيين فالرومان ثم العرب (الفتح الإسلامى) .

وعن (العبريين) يفرد لهم د. سليم حسن فصلا [28] فـــى موســـوعته التاريخية فيقول :

تدل البحوث العلمية والنقوش الأثرية الباقية على أن قوم (العبرانيين) هم رابع قوم استوطنوا بلاد سوريا . وهم على الترتيب :

الأموريون – الكنعانيون – الآراميون ثم العبرانيون .

ففى العهد الآمورى كان مركز الجاذبية للشئون السورية فى الشـــمال وفى العهد الكنعانى انتقلت القوة المركزية إلى الشاطئ وفى عصر الآراميين كانت فى الداخل . وفى زمن العبرانيين انتقلت القـــوة إلـــى الجنـــوب فـــى فلسطـــين.

وعن أصلهم يقول د. سليم حسن :

الظاهر أن دخول العبرانيين أرض فلسطين كان فى ثلاث هجرات :

(1) **الهجرة الأولى :** بدأت من بلاد (مسوبوتاميا) وكانت فى القـــرن 18 ق.م . والتى من جرائها انتشار (الهكسوس الحوريين) على الشاطئ الشـرقى للبحر الأبيض المتوسط .

(2) **الهجرة الثانية :** وكان لها علاقة بقوم الآراميين فى القـــرن 14 ق.م وهم الذين عاصروا (إخناتون) .

(3) **الهجرة الثالثة :** وكانت من مصر والجنوب الشرقى فى عهد (موسى ويوشع) فى نهاية القرن 13 ق.م .

وقد كان الكنعانيون يؤلفون معظم الســـكان عنـــد الـــهجرة الأولـــى للعبرانيين . وقد تزاوج المهاجرون الجدد بأهل البلاد من الآموريين فكـــان العبرانيون خليطاً من الساميين والحوريين والخيتا وأقوام أخرى ينتسبون إلـــى الجنس السامى . وقد نبذ العبرانيون لهجتهم السامية القديمة وتكلموا باللهجـــة

الكنعانية (اللغة الفينيقية والعربية القديمة هما لغة واحدة بلهجتين مختلفتين) .
وتقول الروايات إن إبراهيم (عليه السلام) ومعناه الوالد السامى (إبرام) جدهم الأول قد وفد من بلدة (أور) ببلاد (مسوبوتاميا) بالعراق عن طريق (حاران) وقطن بجوار (حبرون) مؤقتاً وهى المعروفة باسم الخليل حاليا . وقد أنجب إسحق (عليه السلام) ومعناه ليته يضحك . وبعد أن استوطن عدة سنين فى (بادان آرام) انتخب (يعقوب) ومعناه ليته يحمى ليكون الابن المفضل على أخيه التوأم (عيساو) [29] ثم غير إسمه (أى يعقوب) إلى إسرائيل بمعنى إيل يحكم . وقد تسمى (عيساو) باسم آخر هو (أدوم) بمعنى أحمر . وفى نهاية الأمر استولى أخلافه من الأهالى على جبل يسمى (سعير) وأصبحوا يسمون الأميين [30] .

وعلى ذلك حُذف (عيساو) من مجرى حياة العبرانيين . وكان الابن الحادى عشر من أولاد يعقوب (عليه السلام) هو يوسف (عليه السلام) . وهو الابن الأكبر لراشيل وقد بيع فى مصر حيث تبوأ أعلى المراتب إذ نصّبه الفرعون على خزائن مصر (وزيراً للمالية) . وبعد أن مكث نسل (يوسف) (عليه السلام) وأخوته فى مصر عدة أجيال عادوا إلى أرض الميعاد بقيادة موسى (عليه السلام).

ولا نزاع فى أن التاريخ اليهودى الذى كتب قبل عهد القضاة ليس بتاريخ علمى ذى أسانيد . وعلى أية حال يبتدئ تاريخ إسرائيل الحقيقى بوصفهم منذ خروجهم من أرض مصر فى أواخر عهد (رعمسيس الثانى) عام 1290 ق.م[31]

وكان أول انتصار للعبرانيين على الملك الآمـــورى (ســيحون) ثـــم انتصار آخر على الملك (عِوَج) الجبار . وكـــــانت أول المـــدن الكنعانيـــة المسورة (ذات أسوار) التى سقطت فى فلسطين نفسها مدينة (لاخيـــش) أو لخيش أى تل الدواير و (عاى) بالقرب من دير ديوان . وكذلـــــك اجتـــازوا (أريحا) عاصمة مملكة الكنعانيين وأحرقوا كل مافيها . أما (مجـــدّو) فـــى الشمال فلم تُخرَّب إلا بعد حوالى مائة سنة بعد ذلك . وقد كان مـــــن جـــراء توغل العبرانيين فى بلاد (جليل) فتح (حاصور) أى تل الوقاص أو القداح عاصمة مملكة الكنعانيين فى الشمال . **والواقع أن مايسمى بـــالفتح العــبرى كان بعضه بالسيف والآخر بالتوغل السلمى فى أرض المنّ والسلوى** . ثـــم بعد أن وطدوا أقدامهم قاموا بالتزاوج من العناصر القديمة فى البـــلاد . وقـــد قسمت هذه الأراضى بين الإحدى عشـــر قبيلـــة التـــى كـــان يتـــألف منـــها العبرانيـــون. فقبيلتا يهودا وبنيامين سكنتا الإقليم الجبلى حول (أورشليم) أما باقى القبائل فقد استوطنوا السهول الخصبة الواقعة فى الشمال ومدة الاستقرار لهؤلاء القوم بين حوالى 1175 – 1075 ق.م وهى تتفق مع مايســـمى بـــ **(عصر القضاة)**[32]

وكان هؤلاء القضاة أبطالا وطنيين وحكاما ولدتهم الأحـــوال وقـــادوا قومهم لمحاربة الأعداء المجاورين أو الأجـــانب الغاشـــمين ومـــن أشـــهرهم (دبورة) و (باراق) وأيضا (شمشون). وقد كان أقوى مناهض للعبرانيين فى الاستيلاء على الأرض هم الفلسطينيين الذين ينحدرون فى أصلهم إلى أقـــوام البحر الخمسة الذين وفدوا من بحر إيجه لغـــزو مصر . وحوالى عـــام 1050 ق.م هزم الفلسطينيون العبرانيون واستولوا على التابوت (تـــابوت العـــهد) الذى حملوه إلى (أشْدَدَ أو أشدود . وقد تفوق الفلسطينيون علـــــى أعدائـــهم

بمالديهم من أسلحة يتوقف صنعها على صهر الحديد . وقد احتكروا تلك الصناعة ولم يعلموها لأحد من الإسرائيليين .

وكان مصدر هذا المعدن هوساحل البحر الأسود . وتعلم الكنعانيون أسرار تلك الصناعة من الفلسطينين الذين انفرجت قبضتهم عن البلاد في عهد داود (عليه السلام) 960ق.م وكانت هزيمتهم على يد داود الذى عرف سر صناعة الحديد [33] وبعدها فتح داود (آدوم) التى كانت غنية بخام الحديد .

والفلسطينيون بوصفهم مجتمعا أجنبياً في أرض فلسطين (ساحل البحر المتوسط) فإنه لم يكن لهم أى ضمان يضمن بقاءهم إلا استمرار تجديد دمائهم بالهجرة . وفي نهاية حكم داود (عليه السلام) بدأوا يختفون بوصفهم مستعمرة وعلى مر الزمان أصبحوا ساميين هضمتهم البلاد .

ونجد أن (نحميا) الذى كتب عنهم في أواسط القرن الخامس ق.م لا يتحدث عن الفلسطينيين بل عن الأشدوديين . ومن اسم آلهتهم (داجون) إله الحب نعلم أنه مأخوذ من طائفة الآلهة الكنعانية . وكان مركز عبادته (أشدود) أما مقر عبادة زوجه (عشتاروت) فكان بلدة (عسقلان) .

وكان من جراء مقاومة الفلسطينيين إعطاء الفرصة لإنشاء المملكة العبرانية وهى التى بقيامها يبتدىء تاريخ الأمة العبرانية . وفي عهد العبرانيين نمت وترعرعت صفات قومية خاصة بهم وإن كان ينقصها المظهر السياسى . وقيل أن العبرانيين يُعدّون الأمة الوحيدة بين الأمم السامية القدامى التى حافظت على أخلاقها القومية وشخصيتها بسبب عامل الدين [34] . وقد كان لجيرانهم الأدوميين والمؤابيين والعامونيين ملوك يحكمونهم . أما الفلسطينيين فكان لهم أسياد حافظوا على اتحاد مفكك . وكان

للفنيقيين حكومات مدنية وقد نما بعضها مثل (جبيل) و (صيدا) و (صور) وكان العبرانيون يحكمهم حتى تلك اللحظة (قضاة) . وقد نُصّب(شاؤل) ملكا عليهم حوالى 1020 ق.م . وقد كان نظام الملكية مختلف عن الملكيات المجاورة فى أمرين حيث استمر نظام القبائل (من حيث الأغراض الادارية) وكان الملك يحكم حسب ما يمليه إلههم (يَهْوَه) (يوحى بذلك بواسطة الكهنة والقديسيين) . وقد كان انتخاب (شاؤل) Saul ملكا على العبرانيين سببا للثورة على الرؤساء الفلسطينيين . وبعد حرب طويلة قتل الفلسطينيين ثلاثة من أولاده وجرحوه جرحا بليغا وانتحر بعد موقعة (جبل جلبوع) . والمؤسس الحقيقى لمملكة العبرانيين هو (داوود) (عليه السلام) 1004 – 960 ق.م وهو الذى ارتدى درع (شاؤل) وابتدأ مجال ملكه تحت سيادة الفلسطينيين ثم أفلح بعد ذلك فى استقلال بلاده ووسع حدوده . وأصبحت أدوم ومؤاب وعمون تحت حكمه وقد انتخب (أورشليم) عاصمة لملكه وهى التى انتزعها من اليبوسيين Jebusites وجعل ديانة (يَهْوَه) فى العاصمة الديانة الرسمية للمملكة الموحدة . وخلف داود إبنه (سليمان) (عليه السلام) على عرش المُلْك 960 – 925 ق.م وقد وصلت المملكة فىعهده أوج عظمتها من الرفعة والبذخ . وكان من نتائج حكمه أن اندمج العبرانيون فى مجرى الحياة والحضارة الشرقية . وأقام سليمان (عليه السلام) معبداً ضخما كان خاصاً به فى أول الأمر ثم جعله عاما للعبرانيين . وكانت شعائره وضحاياه (القرابين) تنعكس فيها العادات الكنعانية وعبيد المعبد كانوا من الكنعانيين (**كلمة هيكل الكنعانية تعنى معبدا**) .

وأقام (سليمان) (عليه السلام) بمساعدة صديقه الملك (حيرام) ملك فينيقيا أسطولا من السفن لتجارة البحر الأحمر . وكانت قاعدة الأسطول (عيّلَـــه) الرومانية أو (أزيون جبر) تقع عند تل الخليفى عند رأس خليج العقبة[35].

ويلاحظ أن المملكةالتى ورثها سليمان عن داود أكبر بكثير من التـــى تركها بعد مماته . وذلك لأن فلسطين اعترفت فى ذلــــك الوقـــت بالســـيادة الفرعونية ، وفى نهاية حكم (سليمان (عليه السلام) خلص (رزون) الأرامى نفسه وبلاده من العبرانيين. وتقسمت البلاد فى عهد خلفه (رحبعام) ابنـــــه الــذى استبدل بـــ(يربعام) الأفريمى عند انقسام المملكة . ففـــى الشـــمال مملكـــة (إسرائيل) التى كانت عاصمتـــها (شـــم) ثـــم (تـــرازه) ثـــم ســـماريه (الســـــامره) وذلك تحت إمرة (يربعام) اما القبيلتان الباقيتـــان (12 قبيلـــة تشكل المملكه الموحدة) وهما قبيلتا (يهوذا وبنيامين) فقد بقى أهلهما علـــى ولائهم لملكهم (رحبعام) وتألفت منـــهما مملكـــة (يـــهودا) فـــى الجنـــوب وعاصمتها (أورشليم). ودلت الحوادث على أن هـــاتين المملكتيـــن كـــانت تناهض الواحدة منهما الأخرى وأحيانا تصل الأمور لدرجة العداء .

ويعد (عمرى) أشهر ملوك إسرائيل (السامرة) عـــام 885- 874 ق.م ، خلفه (اخاب) 874-852 ق.م تلاه (ياهو)842 ق.م الذى أعاد عبادة (يهوه) ثم (يربعام الثانى) عام 785-745 ق.م ثالث نسل للملك (يـــاهو) والذى وسع حدود المملكة إلى الشمال على حساب (آرام) وكانت هذه الفترة عهد استرخاء فى مملكة أشور وعهد انحطاط فى الدولة المصرية . وعندمـــا تولى (تجلاتس بيلسر الثالث) أو (تغلات بلازر) عرش آشـــور 747-727 ق.م أعاد المجد الامبراطورى لأشور . فهزم دمشق (آرام) و (جلعـــاد) و (جليلى) و (سهل شارون) وانكمشت مملكة إسرائيل (الســـامرة) . وفـــى

عهـد (**سرجون الثانى**) 722–721 ق.م ساق أمامه خيرة شباب إسـرائيل (السامرة) إلى الأسر فى ميديا (27.280 نسمة) . **ومن تلك اللحظة قضـى (سرجون الثانى) على مملكة إسرائيل أبديا .**

وهؤلاء المنفيين (الأسرى) اندمجوا فى الأهالى علـى وجـه عـام (سكنوا فى خابور وحلح ومدن مادى ونهر جوزان) وحل محلهم قبـائل مـن (بابل) و (عيّلام) و (سوريا) و (بلاد العرب) ووطنـوا فـى سـماريا (السامرة) وأقطارها . واختلط المهاجرون الجدد بالإسرائيليين المتبقين وكونوا ما يعرف ب (السامريين) وقد كانت معتقداتهم الدينية متحـدة مـع عبـادة (يَهْوَه) . وأما الانشقاق النهائى بين المجتمعين فقد حدث حوالى عام 432 ق.م [بعد عودة (عَزْرا) أو أَزْرَا و (نحمايا) أو نحميا مـن المنفـى] . وازدادت العداوة والبغضاء بين اليهود والسامريين على مر السنين ولم يسمح بـالتزاوج بينهم قط . وفى القرون الوسطى بعد الميلاد نمـا السـامريون وترعرعـوا فى(غزة) و (القاهرة) و (دمشق) وبلاد أخـرى ولغتـهم هـى العربيـة ويقيمـون فى (نابولوس) أى (نابلس) . أما بخصوص المملكة الجنوبيـة فقـد انتهز (شيشنق الأول) فرصة الانقسام بين يهودا وإسرائيل (**السامرة**) فاقتحم البلاد حوالى عام 920 ق.م وضرب مدنها ونـهب أورشـليم وكـان (عوزيه) أو إذا ريه ملك يهودا (782–751 ق.م) لطول فترة حكمه ليهودا قد أعاد نظام جيشه وأصلح معاقل أورشليم ونال انتصارات علـى فلسـطين والعرب وتسلم جزية من العمونيين وأعداء آخرين . وكان من جراء القضـاء على إسرائيل (السامرة) فى عام 721 ق.م أن تعرضت يهودا إلى هجمـات مباشرة من آشور وأصبحت فى مستهل حكـم (حزقيـال) 721–693 ق.م خاضعة لآشور . وقد قام (سرجون الثانى) وخلفه (سنخرب) أو سـنحاريب عام 705 –681 ق.م بسلسلة حملات تأديبية على مدن الفنيقيين والفلسطينيين

ويهودا وانتهى الأمر بحصار (أورشليم) عام 701 ق.م ولم تسقط أورشـــليم ولكن القرى المجاورة أصبحت خرابا وبقيت يهودا مدة ثلاث أرباع القـــرن السابع ق.م بمثابة قطر تابع لــ(**نينْوَه**) عاصمة الملك (**سنخرب**) . وفـــى عهد (**يوشع**) الذى تولى عرش يهودا المخربة عام 636 ق.م وكـــان فـــى الثامنة من عمره اتسعت رقعة البلاد شمالا فى محاولـــة لتوحيـــد إســـرائيل السامرة ويهودا . ولما سقطت (نينْوَه) فى يد الكنعانيين بعد أفول نجم آشـــور عام 612 ق.م شجع ذلك مصر على مد حدود امبراطوريتها مرة أخرى إلـــى شمال سوريا . فتقدم الفرعون (**نخاو**) إلى يهودا والساحل وقتل يوشع فـــى المعارك (فى مجِّدو) عام 606 ق.م وخلفه (يوشيا) ابنـــه وأعـــاد عبـــادة (يَهْوَه) وحده . وقد تأرجحت (يهودا) بين سياسة الخضوع لحكـــم الفـــرات الجدد (الكلدانيين أو البابليين) والتحالف مع دولة مصر صديقتـــها القديمـــة . ولكن (يواقيم) بن يوشيا اختار محالفة (نخاو) ملك مصر 608 –597 ق.م فعينه الفرعون خلفا لأبيه وغير اسمه إلى (**يَهْوَ ياقيم**) وفى موقعة قرقميـــش عام 605 ق.م تمكن قائد الكلدانيين (**نبوخذ نصّر**) أو بختنصّر من هزيمـــة الفرعون (نخاو) وانتزع بذلك من مصر كل ممتلكاتها الآسيوية . ولم يكـــن لـــ(**يواقيم**) من القوة ما يناهض به (نبوخذ نصّـــر) الـــذى دخـــل جيشـــه أورشليـــم عام 597 وقيد (يواقيم) بالسلاسل كأسير إلى بابل ولكنه مـــات أو قتل وألقى بجثته خلف أبواب أورشليم . وفى عام 586 ق.م قـــام (نبوخـــذ نصّر) بتخريب وهدم أورشليم وأخذ أهلها أسرى (50.000 نسمة) وخـــرب أيضا كل مدينة فى مملكة يهودا تقريبا وفى عام 564 ق.م أصبحت كل سوريا فى يد الكلدانيين .

ويلقى د. سليم حسن الضوء **على العبرانيين** فيقول[36] :

إن العبرانيين قد تعلموا الزراعة من الكنعانيين لأنهم كانوا فى الأصل من البدو الرحل . كما أخذوا من الكنعانيين الشعائر الدينية والعادات . والشعائر المحرمة فى التوراة حرمت فيما بعد لأنها لا تتمشى مع مبادئ الديانة اليهودية . والفن والعمارة الدينية عند اليهود مأخوذة من أصل كنعانى (هيكل سليمان الذى شيده بناءون من صوُر كان محاكيا لتصميم محراب كنعانى وكانت شعائر المعبد تتطلب أنغاما موسيقية . وكان موسيقاروه ومغنوه الأوَل من الكنعانيين (ويهود تعلمواعلى يد الكنعانيين) والآلات المستخدمة كانت كنعانية الأصل (كانت معروفة فى فلسطين قبل عهد داود بألفي عام) مثل الدفوف والصفارة والقيثارة والبوق .

والهجرة اليهودية إلى مصر كانت جزءاً كبيراً من هجرة السوريين حيث توجد قرى تحمل أسماء سامية (سورية أو آرامية) خلال العهد البطلمى (فى القرنين الثالث والثانى ق.م) وتكثر الأسماء الآرامية فى الأوراق البردية المصرية كما ثبت وجود عبادات لآلهة سورية فى القرنين الثالث والثانى ق.م .وبرغم اختلاف السوريين عن اليهود فى ديانتهم إلا أنهم كانوا يتكلمون لغة مشتركة . ولأن فلسطين فى خلال القرن الثالث ق.م لم تكن تؤلف بمفردها وحدة إدارية خاصة (كانت سوريا وفينيقيا تشمل المديريات أو المقاطعات الواقعة جنوبى سوريا وهى فينيقيا وفلسطين وشرقى الأردن) ولذلك فقد خلط المصريون كل الأقوام الوافدين من سوريا وسموهم كلهم (سوريين) واللغة العبرية كانت تؤخذ خطأ - بسبب ذلك - على أنها اللغة السورية (الآرامية) ولم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين فى الوثائق المتروكة لنا وبالتالى فلا توجد إمكانية لتحديد عدد اليهود المصريين .

وكان اليهود فى مصر يعيشون فى مجتمعات - فى مهجرهم كشأن غيرهم من المهاجرين - أى منظمات منفصلة نصف سياسية . لهم قوانينهم وعاداتهم ومبانيهم ومؤسساتهم وقادتهم وموظفوهم **وذلك فى محاولات منهم لإنشاء أجواء تشبه وطنهم الأصلى الذى أتوا منه** . وبالمثل فقد أقام الكليكيون والمقدونيون والعرب والتراقيون والسوريون مجتمعات أخرى داخل المدن المصرية . والواقع أن اليهود لم يكونوا منحصرين فى أحيائهم . **والمجتمع اليهودى ليس مرادفاً للحي اليهودى . ولم يمنح اليهود - أو غيرهم - حكما ذاتيا سياسيا كاملا فى مصر . ولهذا السبب لم يكن فى مقدور السكان اليهود بمصر أن يتحدوا فى نظام قومى واحد لأن ذلك كان يشكل خطراً على الدولة التى تأويهم** . ولم يوجد فى الأوراق البردية ولا فى النقوش أى برهان على وجود مجتمعات يهودية فى العصر البطلمى . أما فى العهد الرومانى فلم يوجد سوى مجتمع يهودى فى (البَهْنَسا) .

ومن الملاحظ أن الغالبية العظمى من اليهود فى مصر لم يكونوا أغنياء كما لم تكن لهم أية صلة بالتجارة أو الربا (كما تقول البرديات) ورغم ذلك فإنهم قد نشئوا وفى دمهم الربا الفاحش . وانخراط اليهود فى سلك الجنديـة فى الجيش البطلمى لم يكن امتيازاً خاصا قد منحوه . ولكنهم - كغيرهم - عملوا فى الجيش كمرتزقة حيث عمد البطالمة على عدم الاستعانة بالجنود المصريين الوطنيين (خصوصا بعد الحرب العظمى التى وقعت بين ملك مصر وأنتيوكس الثالث عام 217 ق.م وكانت الغلبة فيها للمصريين) .

وعن (**موقف اليهود السياسى فى مصر**) يقول د. سليم حسن[37] :

إن تاريخ اليهود السياسى فى مصر فى عهد البطالمـــة ينقسـم إلـــى عصرين ويُعد عصر (حكم) **بطليموس السادس (فيلومتور**) عام 181 –145 ق.م الخط الفاصل بين هذين العصرين . ويعد العهد الذى يقـــع بيـــن حكـــم بطليموس الأول والسادس بالنسبة لليهود عهد استقرار حيث انتشروا فى كـــل أنحاء البلاد المصرية ووطدوا أنفسهم فى أعمال منوعة وأسسوا مجتمعاتـــهم الخاصة بهم . وفى عهد (فيلومتور) بدأ عهد جديد فى تاريخ اليـــهود كـــان الدافع له أمران وقعا فى وقت واحد :

1-ميل الملك للساميين .

2-تدفق نهر جديد من المهاجرين اليهود إلى مصر (وفدوا من فلسطين) .

وقد أخبرنا (يوسيفوس) المؤرخ المصرى أن (**فيلومتور) وزوجـــه (كليوباترا**) قد وكلا أمر مملكتهما ليهود . ووضعا الجيش المصرى تحـــت قيادة (أونياس) و (دوسيثوس) . وفى الحقيقة فإن ذلك مبالغة من يوسيفوس حيث أنشأ (فيلومتور) وحدة حربية يهودية تحت قيادة (أونياس) وذلك فـــى الوجه القبلى . وكان كره المصريين لليهود نابعا من كونهم أجانب وســاميين (كراهة الساميين لم تكن ظاهرة جديدة فى مصـــر بـــل تمتـــد إلـــى دخـــول الهكســـوس إلى مصر واستيلائهم على مقاليد البلاد ولدسائسهم التى لا تنقطـــع وكان هذا الكره طوال العصر الهيلانســـتيكى (البطلمـــى أو الإغريقـــى)لا يتعـــدى حدود الكتابات الأدبية (كتب الكـــاهن المصـــرى (مـــانيتون) أول تاريـــخ يحـــتوى على رواية مضادة لسِفْر الخروج لتكـــون تكذيبـــا لقصـــة الخروج) وزاد الكره فى العهد الرومانى فى صورة منهج منظم لطرد اليـــهود من كل المراكز التى وصلوا إليها فى عهد البطالمة ســـواء أكـــانت مراكـــز سياسية أو اجتماعيـــة . ولما كانت اللغة الآرامية ليست لغة اليهود الوطنية فإن إحلال اللغة الإغريقية لم يؤثر فى الأسس القوميـــة للحيـــاة اليهوديـــة .

وتَرجمت التوارة إلى الإغريقيـــة وهذه الترجمة كانت بعيدة عن الأصـــل العبرى والتوراة الأصلية (توراة موسى) التى غُيِّرت وحُرِّفت كلماتها عــن مواضعها وذلك أمر له أهمية سياسية فى كل التطور الثقافى ليهود مصـــر . وقد كان اليهود فى الأسكندرية (عاصمة الملْـك) مزهويـن بإنجـاز تلــك الترجمة التى تمت فى عهــد (بطليموس الثانى) وقام بها 72 عالمــا يــهوديا ندبوا خصيصا لذلك من فلسطين (**الترجمة السبعينية**) وقد كانت القوانيــــن واللوائح التى تؤلف الأساس القانونى لأعمال الحياة اليهودية هــــى القوانيــن العامة للإغريق فى مصر وهو ما يسمى بــ(**القانون المدنى**) وعليـــه فقــد أصبحت حياة اليهود السكندريين الأسرية من حيث زواجهم وطلاقهم كـــانت تنظم بعقود حسب القـــانون الهيلانســتيكى (الإغريقـــى) **وبالتـــالى أصبــح اليهـــود لا يعيشون حسب تعاليم التوراة .**

فحسب تعاليم التوراة لا يقرض يهودى يهودى مثله بالربا ولكن حسب القانون المدنى المطبق أصبح اليهود يقرضون يهوداً بفائدة منتظمـــــة قدرهــا 24% (جاء ذلك فى البرديات المصرية عن ذلك العهد).

وعن الأدب فى مصر القديمة :

نجد أن المصريين قد وضعوا المؤلفات الأدبية البحتة منذ عـــام 2000 ق.م وقبل ظهور الأدب العبرى الممثل فى المرويات التوراتية التى اختطـــها (عَزْرا) بعد ذلك بأكثر من إثنى عشر قرنا . والأدب البابلى كان يترنح ولــم يقصد به شيئا أدبيا . وأهم أنواع الأدب المصرى القديم كان النـــوع الغنـــائى والعاطفى والقصص ثم الأدب العلمى والحكم والأمثال والتأملات . وإذا كانت إحدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم انتاجاً فإن ذلك لا يعنى أن إحداهما قد أَخذت عن الأخرى أو تأثرت بها فقد كان لكل منها اســــتقلالا

يخضع للمؤثرات المختلفة مثل البيئة والاستعداد الفطرى والدين والحضارة . ومهما بلغ المدى الذى فاقت فيها بابل مصر فى القصة عامة فإن الأسبقية لمصر فى اختراع الأقصوصة وصياغتها صياغة فنية ممتعة وتحليلها تحليلا نفسيا مناسبا (أخذ الأدبُ اليونانىُ أى الإغريقى الآداب الحديثة عنها) وفى الأدب الغنائى كانت مصر وبابل كغصنى شجرة واحدة وبرغم انتاج بابل الكبير فإن الانتاج المصرى كان يتميز بالقوة والعذوبة مع الأخذ فى الاعتبار أن هناك الكثير من الأدب المصرى لم يكشف عنه الحجاب بعد.فالكثير من النقوش والنصوص مازالت تحت الثرى . أما الأدب العبرى والقصصى والغنائى فلا يستطيع أن يتفوق عليهما (البابلى والمصرى) والأدب التعليمى والتأملى (الأمثال والحِكَم) هو وحى مصرى خالص وكان ذلك نواة لأمثال سليمان وحِكَمه فيما بعد . أما جمال الأسلوب وعذوبة الكلمات فالسبق والرجح والتفوق للأدب المصرى القديم مثالا لذلك قصة (**الفلاح الفصيح**) التى كُتبت قبل 2000 ق.م فهى سلسة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الإنسان صيغت ببلاغة وأداء رائع فى الأسلوب العذب (افتقدها الأدب البابلى) . وقد بدأ الفساد فى ذلك الأسلوب الجميل يدب فى الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى حيث بدت الكلفة والصنعة والزخرفة اللفظية دون الاهتمام بالمعانى السامية (يُرى ذلك واضحاً فى قصة سنوهيت) ولا يمنع هذا من أن نلمح قطع فنية راقية من وقت لآخر ولكنها قليلة (قصة الأخوين ، وقصة الملك خوفو والسحرة وغيرهما كانت بمثابة قصص بسيطة بعكس قصة سنوهيت وقصة نامون اللتان تُعدّا من أجود القصص القصيرة وأكثرهما قِدَما) .

والأدب المصرى غذّى الأدب العبرى والأدب الإغريقى بمايلزم للنمو والارتقاء .

واستعراضا للأدب المصرى القديم يقسمه د. سليم حسن[38] إلى تقسيمات مختلفة متتبعا الآثار التى عثر عليها والدالة على وجود ما يمكن وصفه بالأدب :

أولا : الدولة القديمة :

***الأسرتان الأوليان (3200 – 3000 ق.م) :**

وهو عصر الاتحاد الأول (مينانعرمر) . لاتوجد آثار أدبية ذات قيمة غير وثيقة اللاهوت المصرى والفلسفة الدينية.

***الأسرة الثالثة (3000 – 2900 ق.م) :**

توجد كتابات فى العقائد الدينية خاصة فى عهد الملك (زوسر) بانى الهرم المدرج بسقارة .

***الأسرة الرابعة (2900 – 2750 ق.م) :**

وهو **عصر الأهرامات** . لا توجد كتابات أدبية خاصة وإنما نقوش دينية .

***الأسرة الخامسة (2750– 2625 ق.م) :**

كان عهداً ذهبياً فى الأدب والفن والفلسفة الدينية . وظهرت كتابات عن الأخلاق والسير القويم والمواعظ الحسنة (**نصائح بتاح حتب**) كما وجدت وثيقة منقوشة على جدران هرم الملك (وناس) .

***الأسرة السادسة (2625–2475 ق.م) :**

وفيها ظهرت كتب جديدة فى النصائح . وتوسعوا فى فتوح البلدان .

***الأسرتان السابعة والثامنة (2475 -2445 ق.م):**

كان عصر فوضى واضطرابات وفساد . وتمزقت فيها أوصال الدولة ووحدتها .

ثانيا : العصر الأهناسى :

***الأسرتان التاسعة والعاشرة (2445–2160ق.م) :**

وفيه ظل تفكك البلاد موجوداً إلى أن أسس (خيتى) مملكة مصرية فى أهناس (بالفيوم) وعادت حرارة الحياة مرة أخرى تدريجيا .

***الأسرة الحادية عشرة (2160–1995ق.م) :**

عادت وحدة البلاد وظهر نوع من الأدب الراقى (نتج عن الرجّات السياسية والحروب القاسية) وكانت الكتابات تدعوا إلى اصلاح حال البلاد الاجتماعى فى ظل حكومة عادلة .

ثالثا : الدولة الوسطى :

***الأسرة الثانية عشرة (1995 - 1790 ق.م) :**

وفيها امتدت رقعة البلاد مرة أخرى بالفتوحات والهيمنة على البلاد المجاورة ويعزى إلى (أمينمحات الثالث) تحويل الفيوم إلى أرض زراعية منتجة وزاد الاصلاح والتعمير ويعتبر عصر تلك الأسرة **بالعصر الذهبى** للأدب (العهد الكلاسيكى) فظهرت القصص والأناشيد والتأملات (الأمثال).

***عهد الهكسوس (1790–1580ق.م) :**

وهو العهد الذى استمر حوالى قرنين من الزمان . وقد تمكن (كاموس) ثم (أحمس) عام 1580 ق.م من طرد الهكسوس من البلاد وبناء دولة فتية جديدة .

رابعا : الدولة الحديثة :

وفيها ظهر تأثير الآداب المصرية والحضارة المصرية فى الشعوب التى أعاد فتحها (أحمس) عند مطاردته للهكسوس وكان عصر ثقافة واسعة ومجد سياسى . وكان الغناء الرائع والغزل الطريف من سمات ذلك العصر .

***الأسرة الثامنة عشرة (1580 – 1350 ق.م) :**

وفيه اتسعت رقعة المملكة (عهد تحتمس الأول وحفيده تحتمس الثالث). ويتميز هذا العصر بمحاكاة الأدب للطبيعة وغلبت اللغة العامية على الكلاسيكية القديمة . وكانت فيه **فلسفة عقيدة التوحيد** (إخناتون) .

***الأسرة التاسعة عشرة (1350–1200 ق.م) :**

وفيها حارب (سيتى الأول) ومن بعده ابنه (رعمسيس الثانى) بدو فلسطين ودولة خيتا (الحيثيين) وخلد انتصاراته فى صورة قصائد نُقشت على جدران المعابد. وفى عهد ابنه (مرنبتاح) قامت الحروب مع اللوبيين وغيرهم وسجلت لوحة أدبية هامة **(لوحة بنى إسرائيل**) التى عُثر عليها فى تل العمارنة .

***الأسرة العشرون (1200 –1090ق.م) :**

وُجدت آثار مختلفة فى عهد (رعمسيس الثالث) ووثائق كتبت على البردى .

***الأسرة الحادية والعشرون (1090–945 ق.م) :**

وفيها تفككت المملكة مرة أخرى . فأسس رئيس الكهنة (حرحور) أسرة جديدة . ونجد فيها (**نصائح أمينموبى**) لإبنه فى طيبة . وأمراء أسسوا مُلكاً لهم فى مدن أخرى مثل تانيس .

***الأسرة الثانية والعشرون (945–745 ق.م) :**

ومؤسسها (شيشنق الأول) الأمير اللوبي الذي توج نفسه ملكا على البلاد وتلا ذلك الفتح الأثيوبي (الكوشيين) لمصر عام 712 ق.م . وبعده الفتح الآشورى عام 670 ق.م ثم جاء (أبسماتك الأول) مخلِّص البلاد من المستعمرين (663–525 ق.م) وهبت نسمات إصلاحية لإحياء العلوم والفنون القديمة ولكن ما لبث أن غزا الفرس البلاد عام 525 ق.م ثم جاء الاسكندَر الأكبر ليغزو البلاد ويطرد الفرس عام 332 ق.م.

والكنعانيون والعبرانيون تأثروا بالناحية الأدبية المصرية وكذا الناحية الفنية وكان ذلك جلياً في أناشيد الإنشاد والمزامير (حِكَم داود) . **وقد توصل المصريون القدماء إلى أعلى شكل للكتابة وهو الحروف الأبجدية** . وكان استخدام الحروف عوضاً عن المعانى التى لايمكن تصويرها برسوم معينة وكانت كتابات المصريين القدماء بالمداد الأسود على أوراق البردى وأيضا على الخزف والحجر الجيرى الناعم . ونلاحظ أن معظم القصص المصرية القديمة قد نُقلت بصورة أو بأخرى فى الأدب العالمى الجديد (فى أوروبا

والحبشة والهند ..) وأيضا القديم فنجد فى (سِفْر الأمثال) العبرى ما يشـــابه تعاليم (أمينموبى) مشابهة قوية فى الأفكار والأساليب فعلى ســـبيل المثـــال نجـــد:

*فى تعاليم أمينموبى[39] :

لاتتكلمن مع إنسان كذبا فذلك ما يمقته الله .

*وفى سِفْر الأمثال[40] :

شفتا الزور رجس عند الرب .

*وفى تعاليم أمينموبى[41] :

لاتسخرنّ من أعمى ولا تهزأنّ من قزم ولا تفسدنّ مقاصد رجل أعـــرج ولا تحفظنّ رجلاً فى يد الله .

*وفى سِفْر الأمثال[42] :

المستهزئ بالمعوز يعيِّر صانعه والشامت للعطب لا يتزكى .

*فى تعاليم أمينموبى[43]:

احذر أن تسلب فقيراً معدما وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح .

*وفى سِفْر الأمثال [44] :

لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ولا تسحق البائس عند الباب .

*وفى تعاليم أمينموبى[45]:

*لاتزحزحن الحد الفاصل بين الحقول ولا تحولن موقع خيط القياس ولا تطمعن فى ذراع واحد من الأرض ولا تقذفن بحدود الأرملة (أى لا تعتدى على حدودها) ، احترس أن تغير حدود الأرض المنزرعة .

*وفى سِفّر الأمثال[46] :

لاتزح الحدود القديمة ولا تدخل حقول الأيتام .

*فى تعاليم أمينموبى[47]:

حرّك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث أن يعبر إلينا . لأننا لا نرتكب ما ارتكبه. ارفعه ومد يدك له . وأسلمه إلى ذراعى الإله . واملأ جوفه بخبزك حتى يشبع ويعى .

*وفى سفر الأمثال [48] :

إن جاع مبغضك فأطعمه خبزاً وإن عطش فأسقه ماءً .

مماسبق نرى إلى أى حد تأثر الأدب العبرانى من كتابات حكماء القدماء المصريين التى تسبقه بعدة قرون .

والأناشيد الدينية التى كُتبت فى عهد (إخناتون) تمدح إله الشمس الجديد . جاء فيها :

*أنت خالق الجرثومة فى المرأة
والذى يذرأ من البذرة أناسا .
وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه .

مهدّئا إياه حتى لا يبكى

ومرضعا إياه حتى فى الرحم .

وأنت معطى النَفَس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته

حينما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم ولادته .

وأنت تفتح فمه تماما

تمنحه ضروريات الحياة

* * *

ما أكثر أعمالك

وهى على الناس خافية

يا أيها الإله الأحد

الذى لايوجد بجانبه شأن (لأحد)

لقد خلقت الأرض حسب رغبتك

وحينما كنت وحيدا (لاشىء غيرك)

خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان

وجميع ما على الأرض

مما يمشى على رجليه

ومافى عليين يطير بأجنحته

*وفى المزامير(49)نجد :

ما أعظم أعمالك يارب

كلها بحكمة صُنعت

ملآنة الأرض من غناك

وعن الأغانى الغزلية هناك العديد من الكتابات القديمة التى وصلتنا وكان المقصود (كما صور ذلك فى النقوش) أن تغنَّى تلك الأشعار بمصاحبة العود (الهارْب) والقيثارة كما ظهر ذلك على جدران مقابر طيبة . وأيضا قصائد المديح للملوك تشير إلى ما أتوه من ضروب الشجاعة وجلائل الأعمال **وتعتبر المدائح المصرية القديمة والأناشيد الاجتماعية التى تتحدث عن الأخلاق والصفات الحميدة وغيرها تسبق ماجاء فى الأغانى العبرانية بقرون طويلة .**

(كتاب صموئل الثانى : الفصل الأول على سبيل المثال) .

وملحمة قادش (المسماة خطأ بقصيدة بنتاور) إحدى الأمثلة الرائعة لأدب المديح وكذلك قصيدة انتصار مرنبتاح (المسماة بلوحة إسرائيل) وكلتاهما - كلتا القصيدتين - تزخران بالاستعارات والتشبيهات المختارة ووصفاً للنصر العظيم والفخار لما أحرزاه الملكان (رعمسيس الثانى ومرنبتاح) على الأعداء . **والأدب المصرى القديم هو الأساس والمنهل الذى أخذت منه الآداب العبرانية والأوروبية وغيرها بعد ذلك بقرون طويلة .** وإذا كانت الحضارة الأوروبية يقال أنها أخذت عن العبرانيين ففى الحقيقة أن الحضارة الأوروبية ما أخذت إلا عن الحضارة المصرية القديمة لا عن غيرها (سواء العبرانيين أو الحضارة الصينية أو الهندية أو حتى الإغريقية) فحِكَم (أمينموبى) - كما تقدم - تسبق التوراة بقرون طويلة . ويُرجَّح أنها تُرجمتْ إلى العربية فى الأزمان الغابرة وبذيوعها فى فلسطين صارت مصدراً اُستقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال فى التوراة .

ويؤكد (**د. جيمس هنرى برستيد**)[50] أن الانسان قد سما إلى تصور خلقى عالٍ قبل أن تظهر الأمة العبرانية إلى عالم الوجود بألفي عام .

والمجتمع المصرى القديم أثرت فيه ظاهرتين عظيمتين طبيعيتين هما :

الشمس والنيل . (الخضرة التى تُروى من مائه) . وقد تصور المصريون القدامى أن لهاتين الظاهرتين إلهين كان لهما السيطرة على التطور الدينى والعقلى منذ أقدم العهود. وهما (رع) إله الشمس و (أوزير) إله الخضرة . و (رع) أى الشمس المجسمة جعلوا مقره (أون) أى هليوبوليس أو عين شمس الحالية حيث حل محله إله شمس قديم يدعى (آتون)ورمزوا له بـ(الصقر) فى إدفو . وكان إله الشمس بصفته صقراً يُسمى (حور) أو (حوريس) أو حور أختى أى حور الأفق (رع أتوم) . **واَعتبر إله الشمس أنه منبع الخير والحياة . ومن أجل ذلك أصبح قرص الشمس ذو الجناحين المنشورين أعم رمز فى الديانة المصرية القديمة** (فى الأدب العبرانى [51] هناك جناح الصباح وشمس العدالة التى تحمل الشفاء فى جناحيها) وكان إله الشمس حليفا للفرعون وحامياً له . وتقول (متون الأهرام) عنه أنه مكّن للفرعون مصر السفلى (الوجه البحرى) وكذلك مصر العليا (الوجه القبلى) وهدم له معاقل آسيا . وهو أول إله خُلُقى عادل عرفه التاريخ .

وفى منف يقوم (بتاح) بدور إله الشمس القديم (رع أتوم) الذى تحول إلى قاضٍ يحكم شئون البشر . والإله المحلى (بتاح) هو المسيطر على أصحاب الحرف والصناعات . وبذا **أصبح (بتاح) العظيم هو قلب كل الآلهة ولسانهم** . أى **انتحل لنفسه وظائف إله الشمس (القلب هنا بمعنى العقل أو الفهم والادراك أما اللسان فهو رمز النطق وأداة التعبير عن أفكار العقل وأوامره)** . وهذا التعبير الخارق للمألوف فى ذلك الزمان القديم هو نفس ما توصل إليه العلم الآن.وحقيقة الموت تركت تأثيراً عميقا فى كل من

اللاهوت الشمسي واللاهوت الأوزيرى (الخير والخضرة) . ولايوجد شعب قديم أو حديث احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلها فى نفس الشعب المصرى القديم و (أوزير) يعتبر (ملك الأموات) دون غيرهم أما (رع) فإنه صاحب قوة عظيمة فى شئون عالم الأحياء (مع أنه كان كثيراً ما يشفع للموتى) . **وتوجد عندنا الأدلة القاطعة على أن أقدم المبادئ الخُلُقية عند قدماء المصريين أخذت دورها فى النمو وهى مقرونة بإله الشمس (رع) لا بالإله** (أو زير) لأن نصائح (بتاح حتب) تقول بجلاء أن إله الشمس هو خالقها (أى خالق العدالة أى ماعت) أما (أوزير) فقد ظهر بعد ذلك العهد بألف عام قاضيا خُلُقياً فى الحياة الآخرة . **وبذلك بزغ الفجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر باعتبار الأبدية أمراً يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجسد . واعتبر ملك ذلك الإله (رع) عالما خَلَقيا عظيماً يتولى الملك (الفرعون) فى الأرض إدارته وتدبير أموره نائباً عن الإله لفائدة الأمة المصرية .**

والعدل عندما يكون مطبَّقا (قائما) يكون حقيقة عدلا لأن العدالة (ماعت) أبدية ، فهى تنزل مع من يقيمها إلى القبر عندما يوضع فى تابوته . ويثوى على الأديم وإسمه لا يُمحى من الأرض بل يُذكر بسبب عدله . وهكذا تكون استقامة كلمة الله . وكان على الوزير أن يقيم العدل لأن الإله الأعظم الذى يشرف على الدولة يمقت الظلم وليس ذلك اتباعا لأمر الملك فقط (**بعد ذلك بحوالى ثلاثة عشر قرنا من حكم إله الشمس رع نجد أن أنبياء بنى إسرائيل يعلنون بقوة سيادة يَهْوَه الخُلُقية على سيادة الملك** عندهم) .

والعصر الذى ظهرت فيه (**متون التوابيت**) يوافق عصر أبى الأنبياء (إبراهيم) (عليه السلام) 1800 ق.م . وهو عصر انتشرت فيه – فى مصر – الرقى بالسحر والتعاويذ والسحرية لمواجهة المصير فى الحياة الدنيا وفى الآخرة (درءاً للأخطاء فى الحياة الدنيا وحجباً لعذاب الآخرة ومنعه).

وفى وصية الملك المسن إلى ابنه (**مريكارع**) يقول :

لاتركننّ إلى طول الأيام لأنهم (يعنى قضاة أو ملائكة الآخرة) ينظرون إلى مدى حياة الإنسان كأنها ساعة واحدة (كناية عن قصر عمر الإنسان فى الدنيا عن حياته الأبدية فى الآخرة) . والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تكون بجانبه كالجبال لأن الحياة الأخرى أبدية ولا يهمل أمرها إلا الغبى.أما من يصل إليها دون أن يرتكب إثما فإنه سيبقى هناك كإله يسير بخطى واسعة مثل أرباب الخلود (يعنى الأموات البررة الأطهار) .

وفى عصر الدولة الحديثة (1600 ق.م) وبعد بعثة إبراهيم (عليه السلام) نجد أن الأدلة تكشف لنا عن التطور الخُلُقى وتطور التفكير وعمقه . وأصبح من نتيجة ذلك أن صار المفكرون من المصريون القدماء وقتئذ يرون أن **المسئولية الخُلُقية لكل إنسان (قول الصدق والحقيقة والتحلى بالفضائل) مترتبة بصفة قاطعة على إدراكه وفهمه الشخصي . أى أن المسئولية شخصية وليست جماعية (الحساب فى الآخرة فردى) وعليه فقد أصبح القلب (خلال القرن الخامس عشر ق.م) الذى يُنعت بالمرشد الحكيم قد صار يوصف بأنه الوازع الباطني (إله المرء) أى الضمير الحى اليقظ .**

وقد برزت فكرة (**العقيدة الحلولية القومية**) التى تقول بأن الإله يحل فى كل شيء . ولذا فقد كان الملك (الفرعون) هو ظل الإله (المحلى) على الأرض وكان يتصرف وكأنه إله يدرك مطالب شعبه فى

مصر . وتطورت تلك الفكرة ليصبح الإله عالميا (فى الدولة الحديثة 1600 ق.م) فعلى يد **(تحتمس الثالث) أصبح الملك الإله (عالميا)** يبسط سيطرته وهيمنته على أرجاء الأرض . (غزا تحتمس الثالث ممالك آسيا وأفريقيا وكون أول امبراطورية ثابتة الأركان فى التاريخ) وقد سبقه (**تحتمس الأول) حيث قال أن ملكه يمتد إلى نهاية ما تحيط به الشمس** . وقد قال (تحتمس الثالث) عن إله الشمس :

إنه يرى جميع العالم فى كل ساعة .

ومن بعده جاء (أمنحتب الثالث) الذى حكم 1411 - 1375 ق.م (قبل بعثة موسى) وهو الذى شيد الكثير من المعابد والعمائر وكتبت فى عهده (**أنشودة الشمس**) التى جاء فيها :

إنك صانع . مصور لأعضائك بنفسك

ومصوِّر دون أن تُصوَّر

منقطع القرين فى صفاته . مخترق الأبدية .

مرشد الملايين إلى السُبُل .

* * *

أنت خالق الكل ومانحهم قوتهم

أنت أم نافعة للآلهة والبشر

وأنت صانع مجرب

وراعٍ شجاع يسوق ماشيته

وأنت ملجؤها ومانحها قوتها ..

.. هو الذى يرى ما خلق

والسيد الأحد الذى يأخذ جميع الأراضى أسرى كل يوم بصفته واحداً يشـــاهد من يمشون عليها .
وهو يخلق الفصول والشهور .

* * *

وتلك الصفات الواردة لإله الشمس فى الأنشودة تذكرنا وترجع بنا إلى عهد النصائح التى وجهت إلى (مريكارع) وهى التـــى سُـمِّيت فيـــهِ النـــاس (قطعـــان الإله) كما ترجع بنا أيضا إلى أفكار (أبيور) حيث يقول (إنـــه راعٍ لجميع الناس).

وقد أخذ (أمنحتب الرابع) أى (**إخناتون**) 1370ق.م فى بـــاكورة حكمه يناصر فى حماسه فكرة جديدة للمذهب الشمسى وأعطى إلـــه الشـــمس إسما جديداً خلّص به المذهب الجديد من التقاليد المحفوفة بخطر الشرك فـــى اللاهوت الشمسى القديم (آمون - رع) فصار إله الشمس يسمى (آتون) وهو إسم قديم يطلق على الشمس المجسمة . ومنحه الملك الشاب (إخناتون) رمزاً جديداً (قرص الشمس تخرج منه أشعة متفرقة إلى أسفل وفـــى نهايـــة كـــل شعـــاع صورة يد بشرية) وهو رمز يشعر بالسيادة ويدل علـــى الســـيطرة القوية الخارجة من منبعها السماوى وهى تضع أيديها فوق العالم وعلى شئون البشر الأرضية (السيطرة العالمية) وأُلفت أناشـــيد لإلـــه الشـــمس الجديـــد وبمقارنتها بماجاء فى المزامير نكـــاد نـــرى تطابقـــا (راجـــع الصفحـــات السابقـــــة) . ويلاحظ أن الإله (أوزير) قد تجوهل كلية فلم يُذكر فى كـــل الوثائق الإخناتونية بل ولا فى أى قبر من قبور (تل العمارنة) عاصمة الملك الجديد .

ونلاحظ ثمة تشابه فى شخصية (إخناتون) والسيد (المسيح) فقد كان (إخناتون) رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الانسانية[52] . وإذا كنا لم نسمع عن (حساب الآخرة) فى مقابر (تل العمارنة) فمن الواضح أن ذلك إنما يرجع إلى نبذ سحابة الآلهة وأنصاف الآلهة وعلى رأسهم (أوزير) ممن كانوا يؤلفون هيئة المحاكمة فى حساب الآخرة بشكلها الموضح فى (**كتاب الموتى**) الفرعونى . فأولئك الآلهة قد بادوا وبالتالى اختفى منظر المحاكمة التمثيلى باختفائهم .

وبعد عصر (إخناتون) فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م انبثق فجر عصر (**التقوى الانفرادية**) والإلهام الباطنى الذى يناجى به المرء ربه **وتلك أول مرة نجد فيها أن** (الضمير) **قد تحرر تماما فيعتذر المذنب ويندم على جهله وارتكابه المعاصى . والاعتراف بالذنب هنا يختلف تماما عن الاعتراف الذى ورد فى (كتاب الموتى) حيث كانت الروح لا تعترف فيه بأى خطيئة بل تدعى البراءة التامة .**

ومن الملاحظ أن التطور الخُلُقى عند قدماء المصريين - كسائر عناصر ثقافتهم - قد وقف وانتهى أمره تقريبا قبل بداية الحياة القومية العبرانية بعد أن سار فى تدرجه حوالى خمسة وعشرين قرنا (3500 -1100 ق.م) .

ويقول (ج .بريستيد)[53] أن الفلسطينيين (الكنعانيين) لم يأخذوا عن البابليين شيئا يذكر من معتقداتهم وآرائهم الدينية سوى ما يتعلق بالأوضاع الظاهرية والشعائر المرعية . أما العقائد الجوهرية المكونة لأركان الدين فلم يكن الأخذ عنها بمثل هذه السهولة . فقد تصور البابليون الأوائل آلهتهم ممثلة فى القوى الطبيعية (هم فى ذلك مثل المصريين القدماء) فكانت أقدم

معبوداتهم من آلهة الطبيعة مثل الإله (سن) إله القمر فى العاصمة (أور) وهناك من الأناشيد التى يرددها ويؤلفها الكهنة فى بابل مايماثل ماكان موجوداً بمصر القديمة. وتلك الأناشيد تذكرنا (بالمزامير العبرانية) رغم أنها تسبق تلك المزامير بقرون طويلة . والذى يلفت النظر لتلك الحالة (فى معانى وألفاظ الأناشيد وفنون النحت) **هو عدم معرفتهم شيئا عن المحاكمة فى عالم الآخرة فيما بعد الموت .**

وقد لاحظ (فسترمارك) أنه لايوجد فى أى (مزمور) بابلى معروف لنا من التى وضعت للتوبة أية دلالة على أن فكرة الخطيئة فيها تشمل الذنوب التى تُرتَكب ضد البشر . **فقد كان شعور البابليين أن الذنوب لم تكن إلا مجرد تعد ظاهرى على حقوق الإله** . وإذا ما نظرنا إلى **(قانون حمورابى)** الشهير نرى أن الجرائم والأحكام الواردة فيه كانت متدرجة حسب الدرجات الاجتماعية التى يشغلها المتقاضون أو المذنبون . فكان الرجل صاحب المنزلة السامية ينال فيه رعاية ظاهرية أكثر من الرجل الوضيع الأصل . **وهذا يختلف تماما عن المحاكمات التى كانت فى مصر القديمة** حيث كان الحكماء ووجهاء القوم يكررون دائما ذكر عدم اكتراثهم للفوارق الاجتماعية بين طبقات الناس . فالكل **سواسية أمام القانون** . وكان هذا المبدأ من صلب دستور الدولة المصرية القديمة **بعكس الحال عند البابليين حيث انتفت العدالة الاجتماعية** ولذا لم تسهم مدنيتهم مساهمة جوهرية فى تاريخ آسيا الغربية الخُلقى . **وفى المملكة الخيتية (الحيثيين بتركيا) جعلوا العقوبات القانونية متدرجة حسب المركز السياسى و (الاجتماعى) الذى يشغله المذنب** وكانت وطأة العقاب تُخفَّف إذا كان المجرم من أهل البيئة المحلية عن العقاب الذى يزداد إذا كان المجرم من رعايا الحكومات المجاورة .

وقد اتصل (العبرانيون) خلال أسرهم البابلى (وهم فى مرحلة متأخرة من مراحل تقدمهم الدينى) اتصالا وثيقا بالمدنية الفارسية ووقفوا على الكثير من ديانة (زروستر) **ومذهب (زروستر) هذا مذهب مزدوج يدعو** كل إنسان أن يقف إلى جانب قوة من اثنتين : فإما أن يملأ روحه بالخير والنور وإما أن يخلد إلى الشر والظلمة.وأية طريقة يسلكها الإنسان لابد وأن ينتظر بعد موته حسابا عنها فى عالم الآخرة. وقد **وُجدت نظرية قوية وأدلة تقول أن (زروستر) قد أخذ الكثير من ديانته عن الديانة المصرية القديمة**[54] . ولدينا الأدلة الوافرة الآن على أن التطور الدينى الذى أحرزه العبرانيون بعد عودتهم من المنفى (فى بابل) كان متأثرا بتعاليم (زروستر) الذى أخذ عن المصريين القدماء . وفلسطين الكنعانية كانت تحت النفوذ المصرى القديم وقبل أن يطأ العبرانيون فلسطين بأكثر من ألفى سنة . وتلك المدنية التى أخذها الكنعانيون والفينيقيون (عن الحضارة المصرية والبابلية) أثرت بدورها فى حياة العبرانيين . واتخذ العبرانيون الفاتحون اللغة الكنعانية لغة لهم .

ومن الحقائق المدهشة - كمايقول (بريستيد)[55] - أن يكون الإرث **الخلقى لليهود (المرويات التوراتية المأخوذة عن مصر وبابل) قد وصل إلى المدنية الغربية من شعب خامل الذكر سياسيا ومنزوٍ فى الركن الجنوبى الشرقى من حوض البحر المتوسط . فهذا الشعب لم يقم له نظام قومي خاص به إلا منذ عام 1020 ق.م ولم يبق أمة موحدة إلا نحوقرن واحد . واستمرت حياة جزء منهم إلى القرن السادس (722 ق.م السَبْى الآشورى ، 586 ق.م . السَبْى البابلى) أى حوالى أربعة قرون .ويعتقد (بريستيد)** [56] **أن قصة (يوسف)** المروية فى الأدب العبرانى تحاكى القصة المصرية

القديمة المعروفة بـــ (**قصة الأخوين**) أنوبيس وباتا. وقصة يوســـف تلــك تعتبر برهانا قاطعا على أن الإسرائيليين فى القرن الثامن ق.م كانوا قد دخلــوا فى عصر الأخلاق فعلا.

ولابد أن تعاليم الحكماء المصريين القدماء الاجتماعية كانت قد كونــت جزءاً من التقاليد الدينية لدى الفينيقيين والكنعانيين وبقيت بينهم عـــدة قـــرون قبـــل أن تظهر (المسألة الاجتماعية) وتشحذ عواطف الرجال ذوى الشـعور الخلقى الحي من العبرانيين أمثال (عاموس) و (هوشع) فى خلال القـــرن الثامن ق.م [57] وقد تأثر الأنبياء العبرانيون أيما تأثر بالمقابلة بيـــن الرجـل المستقيم والرجل الخبيث كما صورتها كتابات الحكيم (أمينموبـــــى) حيــث اقتبس (كاتب سفر إرميا) تلك الصورة كما يلى[٥٨] :

*يقول أمينموبى[59] :

والرجل الأحمق الذى يخدم فى المعبد مثله كمثل شجرة نامية فى غابة ففى لحظة يفقد فروعه ويجد نهايتها فى مرفأ الخشب وينتقل بعيداً عن مكانــه والنار مأواه ، والرجل الحازم حقا ينتقى لنفسه مكانا .

فإنه مثل شجرة نامية فى حديقة يزدهر ويتضاعف ثمره ويجلس فـــى حضرة سيده ، وثمرته حلوة ، وظله وارف ويجد آخرته فى الحديقة .

*ويقول النبى (إرميا) [60] :

ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على الإنسان ويجعل البشـــر ذراعــه . وعن الرب يَهْوَه يحَيد قلبه ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى إذا جـــاء الخير . بل يسكن الحرة فى البرية أرضاً سبخة غير مسكونة . ومبارك ذلــك الرجل الذى يتكل على الرب يَهْوَه وكان الرب متكله فإنــــه يكـــون كشـــجرة

مغروسة على مياه وعلى نهر تمد أصولها ولا تخشى إذا جاء الحر . ويكون ورقها أخضر . وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار .

*ويقول المزمور الأول[51] :

1-طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .

2-لكن فى ناموس الرب يهوه مسرته . وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا .

3-فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه . وورقها لايذبل وكل ما يصنعه ينجح .

4-ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافة التى تذروها الرياح .

5-لذلك لاتقوم الأشرار فى الحساب ولا الخطاة فى جماعة الأبرار .

ونلاحظ أن فكرة الحساب لم ترد فى سفر المزامير كله إلا هذه المرة. وكذلك نلاحظ أن توكيد ذكر مجارى المياه فى الصور العبرانية أمر هام أيضا لأن النصف الجنوبى من فلسطين (مملكة يهودا) شبه صحراوى (ومازال إلى الآن).

وقد اكتشف الباحث (**جوجرسمان**) أن هناك تشابه تام بين ماجاء فى (**أنشودة إخناتون**) وبين ماجاء فى المزمور 104 حيث نرى وندرك رحمة الله ورأفته بخلقه أجمعين . تلك الطيبة والشفقة الإلهية المعبر عنها فى الأنشودة الإخناتونية (**عصر التنسك الشخصى فى مصر**) وهى التى كان لها التأثير الهام فى ظهور (**التدين الشخصى**) عند العبرانيين (بعد ذلك) . كما

أن تلك الأنشودة (المكتوبة فى منتصف القـــرن الرابــع عشـــر ق.م) أدت تدريجيا إلى اعتراف العبرانيين بالواحدانية .

وكذلك نرى أن محتويات الجزء الذى يؤلف نحو فصل ونصف فصـل من (سِفّر الأمثال) العبرانى مأخوذ حرفياً عــــن حكـم الحكيـم المصــرى (**أمينموبى**) بالاضافة إلى ما أخذته (القوانين العبرانية) وسِفْر (أيــوب) و (شاؤل) و (إرميا) أيضا . ولا يخفى على المدقــق أن (أمينموبَــى) قــد أعتمــد على حِكَم (بتاح حُتُبْ) الذى يسبقه بحوالى ألفي عـــام فـــى تأليفــه كتابــه المكون من ثلاثين فصْلا . وتلك الأخيرة هى التــــى انتشــرت فـــى فلسطين وكانت تسمى باسم (**ثلاثون فصلا فى الحكمة**) ثم أصبــــح يطلـــق عليها (**الثلاثون**) .

ويمكن الرجوع إلى الأسفار المذكورة لتبين مدى التطابق والتشابه مـع الأخذ فى الاعتبار أن هناك تعديلات طفيفــــة تمــت لتتناســب مــع البيئــة الفلسطينيـــة. فعلى سبيل المثال يوصَف الرجل الغنى فى حكَم (أمينموبـــى) وله أجنحة الأوز (المنتشر فى مصر) . وفى (سِفّر الأمثال) نجـــد لـــه أجنحة النسر وهكذا .. فالحكماء والأنبياء العبرانيين (كتبة الأسفار) كــــانوا ينتخبون المختارات ويقتبسون الاقتباسات من حِكـــم (أمينموبـــى) لأن مـــن الطبيعى أن يتأثر العبرانيون فى فلسطين كل التأثر فى أفكــــارهم وكتاباتـــهم بآداب مصر القديمة التى قبضت على زمام فلسطين ووصعنها تحت سيطرتها الثقافية والسياسية مدة تفوق مدة نفوذ رومـــا فـــى بـــلاد فرنســا القديمـــة . **فالإسرائيليون بعد استيطانهم فلسطين كانوا فى الواقع يسكنون أرضاً مــــن الأملاك المصرية مضت عليها فى هذه الحال قرون بأكملها وقـــد اســتمرت بلاداً مصرية عدة قرون بعد استيطان العبرانيين لها.**

ويؤكد (فرانسوا دوما)[62] على عدة نقاط هامة :

*تركت مصر أثراً عميقا فى فكر الكتاب المقدس أخلاقيا وميتافيزيقيا .

*لم تعرف مصر هذه الجموع الغفيرة من العبيد التى تلحق العـــار باليونـــان وروما (كان الرق فرديا وليس جماعيا) .

*تميز حكماء مصر بإنسانية بالغة وصلت إلى مستويات سامية من الأخلاق .

*عرف الفن المصرى القيود وكان يرى أن الحرية قد تقتل الفن .

*لم يترك المصرى القديم شيئا للصدفة (جهز سطح معبد دندرة فى الصعيـد بالمزاريب رغم ندرة هطول الأمطار) .

* حسن رعاية الأجانب (النازحين والأسرى) .

*احتلال الكاتب مكانة مرموقة والتأكيد على ذاتية الفنان .

*مولد القصة السيكولوجية (مثل سنوهى الفلاح الفصيح) .

*شهدت مصر إرهاصات الرهبنة .

*لم تحاك مصر أحدا (كانت مبدعة وليست مقلدة) .

*الحضارة المصرية القديمة تحتفظ دائما بكل ماهو قديم إلى جانب الجديد .

*رسوخ الإيمان وعمقه الذى كان أهم أسباب بناء الحضارة المصرية القديمـة لأن الخوف من العقاب أو الرغبة فى المكســب المــادى فحســب لايبنيــان حضارة.

*الكتابة على رأس الابتكارات العبقرية التى توصل إليها المصرى القديم .

*اللغة المصرية القديمة لهجة حامية سامية انفصلت فى وقت مبكر جدا عــن الجذع المشترك للغات السامية والحامية والكوشية (النوبية-الأثيوبية) .

*اللغة العبرية شأنها شأن اللغة المصرية لم تكن تكتـــب فـــى المــاضى إلا بالاستعانة بالعلامات الصوتية الساكنة .

ويقول (إيمانويل فلايكوفسكى) [63] :

أنه لم يُعثر على أية وثائق مصرية قديمة تشير إلى أحـــداث الإقامـــة والخروج لبنى إسرائيل من مصر . ولم تذكر أيضا مصر فى قصص التوراة طوال فترة حكم القضاة اليهود بالرغم من الاحتكاك المستمر والمباشر بيـــن مصر وفلسطين طوال فترة حكم الملوك اليهود حيث دأب فراعنة مصر علـى تسيير الحملات إلى فلسطين (وهى حملات نسى فراعنة مصر ذكرها فـــى آثارهم فيما بين القرن العاشر والسادس ق.م) ويتعجب فلايكوفســـكى لذلــك الأمر ويفترض لذلك أن زمن التيه فى صحراء سيناء قد يكون أكبر مما هــو مذكور فى الكتب الدينية وأن فترة حكم القضاة فى فلسطين تختلف عما وصل إلينا . ولكنه يعود فيؤكد أن زمن الخروج من مصر تم فـــى فـترة المملكــة الفرعونية الحديثة (فيما بين القرن 16، 12 ق.م) ويسوق - لتأكيد كلامــه عدة افتراضات :

*أقدم نظرية تنص على اقتران ظهور الإسرائيليين بظهور الهكسوس وتقـرن الخروج بطرد الهكسوس من مصر . وقد سجل (مانيتون) المؤرخ المصرى أن الهكسوس بعد طردهم من مصر اتجهوا إلى سوريا وفلســـطين وأنشـــأوا أورشليم .

*جادل (يوسيفوس) المؤرخ اليهودى المصرى كلاً من نظريـــة (آبيـــون) عالـــم النحو ونظرية (مانيتون) الكاهن المصرى إلا أنه فى النهاية قبل دعـم نظرية أن اليهود هم الهكسوس .

*كتب (جوليوس) الكاهن الأفريقى بتفويض من الأب (ابيون) أن اليهود قـــد تمردوا تحت قيادة موسى (عليه السلام) على (أحمس الأول) ملك مصر .

*كتب (إيزبيوس) وهو من رجال الكنيسة ناسباً وقوع الأحداث إلى عصـــر الملك (سنشيريس) من الأسرة الثامنة عشرة . ولا يُعرف ملك بهذا الإسم فى أى من العصور الفرعونية .

*تقول نظرية أخرى أن اليهود لم يقيموا أبدا فى مصر ولكن الهكسوس هـــم من أقاموا فيها . ثم تم طرد الهكسوس ووصلت إلـــى مســـامع الإســـرائيليين بعـــض تقاليد هذا الشعب فضموها إلى تراثهم وأصبحت جزءاً من ماضيهم .

*تفترض نظرية أخرى أن عام 1580 ق.م يُعد حدثا مبكراً بالنسبة للخـــروج اليهودى من مصر (الأسرة الثامنة عشرة) ولكن يمكن حدوثه فى فترة مـــا تلى (إخناتون) لأنه من المستحيل على الإسرائيليين دخول فلسطين فى عـــهد فراعنة أقوياء .

* اكتشاف رسائل (تل العمارنة) المكتوبة على ألواح مـــن الطيـــن يعـــود تاريخها إلى عهد (أمنحتب الثالث وابنه إخناتون) وهى مرسلة من أورشـــليم ويدور قلق كاتبها وهو يحذر الفرعون من غزو محتمل يقـــوم بـــه اليـــهود (خابيرو) القادمون عبر الأردن وعليه يكون الخروج قد تم قبل زمـــن تلـــك الرسائل بجيل أو جيلين .

*الخروج فى عهد (أمنحتب الثانى) يبدو متوافقا مع التسلسل الزمنى الـــذى ورد فى التوراة (سِفْر الملوك 6 :1 يحدد أن معبد سليمان قد شيد بعد الخروج بأربعمائة وثمانين عاما وهو ما يوافق منتصف القرن الخامس عشر ق.م وهو عهد أمنحتب الثانى) وهو ما يوافق رسائل تل العمارنة . وأيضـــا حـــدوث زلزال فى التوقيت نفسه تسبب فى سقوط حائط مدينة أريحا (جيركو) يؤيـــده حفريات تبين فيها ظهور آثار دمار ونيران على حوائـــط المدينـــة (1407 ق.م) وهو نفس ما ذكرته التوارة فى السِفْر المذكور (سِفّر الملوك) .

*غادر اليهود مصر أيام طرد الهكسوس ووصلوا فلسطين باسم العبرانيين فى عهد (إخناتون) ولكن ما بين الخروج ووصولهم إلى فلسطين هناك أكثر من مائتى عام (المعروض أنها توازى زمن التيه فى الصحراء) كما أن يشوع بن نون (يوشع) لم يجد أى أثر لقبضة مصر القوية حين غزا فلسطين .

*نظرية أخرى تفترض وقوع الخروج أثناء الفوضى التى أعقبت حكم (إخناتون) وادعى أحد المؤرخين أن (موسى) لم يكن إلا أميراً مصريا وتلميذاً لاخناتون حمل لواء دعوته (التوحيد) بين العبيد والفقراء ثم غادر بمن آمن منهم مصر .

*نقوش الغطاء الحجرى لتابوت مرنبتاح كتب عليه أن فلسطين أرملة لمصر وأن بذرة إسرائيل قد محيت ودمرت وهو ما يُعد أول ذكر لإسم إسرائيل فى وثيقة مصرية . ولكن مرنبتاح هذا لم يهلك فى البحر ولم يعان من فوضى العنف في عصره وهو من هزم الإسرائيليين (فى فلسطين) .

*كثير من الإسرائيليين رجحوا أن (مرنبتاح) هو فرعون الخروج (1220 ق.م) وأن (رعمسيس الثانى) هو الطاغية الذى استعبدهم ولكن وجود النقوش السابق الاشارة إليها يضعف ذلك الاحتمال . كماأنه فى هذه الحالة يصبح عصر القضاة قرن واحد فقط لا عدة قرون (أربعة قرون) .

*افترض باحثون أخرون أن الخروج قد تم فى موجات متتالية فى عصر (مرنبتاح) وأنهم لم يظهروا بفلسطين إلا بعد غزو أقوام البحر (الفلست Sea peoples) لها حيث حاربهم (رعمسيس الثالث) 1186 ق.م بعد ذلك .

*ادعى أحد الباحثين أن الإسرائيليين دخلوا مصر فى عهد (مرنبتاح) بعكس ما يقال عن خروجهم فى ذلك العصر . أثناء ذلك قام الآسيويين بعبور الحدود إلى مصر وحصلوا على موافقة السلطات بقبولهم كمهاجرين .

وكما افترض (فلايكوفسكى) ماسبق . آثار التساؤلات مرة أخرى عن اسم البحر الذى حدث عنده العبور[64] . وهل هو يام سوف (البحر الأحمر) أو خليج السويس أم خليج العقبة أو بحيرة سيربونيس أو سيربون (بحيرة البردويل) أو أية بحيرة أخرى مثل بحيرة التمساح أو البحيرات المرة . ويطرح تفسيراً اخر وهو الإعصار الشديد (والرياح القوية التى تهب من المساء حتى الفجر وتدفع الماء إلى الانحسار) .

وعن موضوع (عمود النار والدخان) الذين ذكرا فى التوراة شكك (فلايكوفسكى)[65] من حدوثها ويعتبر ذلك مجرد إضافة من خيال الرواة الذين حكوا القصة ويعزو ذلك إلى حدوث بركان .

ويشير إلى نصوص (**بردية إيبوير**)[66] التى لا يعتبرها مجموعة من الأمثال (كما فسرها لاوث وشاباس) ولا ألغازا (كما فسرها بردجسن) ولا نبوءة (كما فسرها لا نج) ولا مجموعة نصائح صاحبها انهيارات اجتماعية (كما فسرها جاردنر وشيث) ولكنها - كما يعتقد - الرؤية المصرية لكارثة كبرى أو مجموعة كوارث متتالية (يفسرها بأنها الضربات المتلاحقة التى أنزلها الرب على مصر قبيل حادث الخروج) فالبردية مخطوط لمناحة ووصف لخراب ورعب.ولتأكيد استنتاجه يقارن ما جاء فى البردية وسِفْر الخروج فيقول :

*البرديـــــــة[67] : البلاء انتشر فى كل أنحاء البلاد والدماء فى كل مكان .

*سفْر الخروج[68] : وكان الدم فى كل أرض مصر .

*البرديـــــــة[69] : النهر دم .

*سِفْــر الخروج[70]: فتحول كل الماء الذى فى النهر دماً .

*البرديـــــــة[71]: مصر السفلى (الوجه البحرى) تنتحب . كل القصـــور الملكية بلاموارد القمح والشعير والأرز والسمك . كـانت الحقول مخربة تمــاماً .

*سفْر الخـــروج [72]: لم يبق شيء أخضر فى الشجر ولا فى عشب الحقـــل فى كل أرض مصر .

*البرديـــــــة[73]: لم تكن الأرض نوراً .

*سفْر الخروج[74] : فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام .

*البرديـــــــة[75]:إن الفرعون فُقِدَ فى ظروف غير عادية وأن ذلك لم يحدث قط لأى فرعون آخر .

*سفْر الخروج[76] : فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءه فى البحر ولم يبق منهم ولا واحد .

وبالرغم أن البردية المهترئة لم تحتو على أى ذكر للإسرائيليين صراحــة أو حتى تلميحا ولم تشر إلى أى من قادتهم فإن ثلاثا مـــن الحقـــائق ظـــهرت بوضوح[77]:

1-تمرد السكان .

2- فرار البؤساء والمساكين المسخرين للعبودية .

3-اختفاء الملك فى ظروف غامضة .

وعن (**الهكسوس**) يقول (فلايكوفسكى) [78] :

اختلفت نظريات الباحثين فى أصل الهكسوس فأكد بعضهم أنهم من (الميتانيين) الذين انحدروا عن الجنس الارى . وقال الأخرون أنهم (ساسانيون) من بلاد فارس . وافترض البعض أنهم الإسرائيليون وقيل أنهم من العرب .

ومن الملاحظ أن الكتب المقدسة لم تشر إليهم أو تذكرهم.ويقول (**المسعودى**) عنهم :

أنهم غزوا سوريا ومصر وأسسوا أسراً حاكمة من الفراعنة العماليق. ويزعم (فلايكوفسكى)[79] فى تفسير خاطىء لنقوش (لوحة كاريزفون) ونقوش أخرى على جدران مقبرة أحد ضباط (أحمس) وهو أمير مصرى وحاكم ولاية وتابع لملك الرعاة (الهكسوس) يدعى أنه فى حرب التحرير ضد (آمو - الهكسوس) كان هناك جيش أجنبى يقاتل ضد الهكسوس (بالرغم أن النقوش لا تسجل أى مأثر لملوك أجانب) ويقترح لذلك الملك اليهودى (شاؤل) . وأن الشرق الأدنى مدين لشاؤل (الذى قتل فى تلك الحروب) لنيله حريته وتخلصه من نير عبودية الهكسوس ولولاه لما تغير مسار التاريخ هكذا.

ويستمر فى ادعائه أن ميراث الامبراطورية الزائلة للعماليق (الهكسوس) قد انقسم بين المصريين والإسرائيليين حيث نهضت كل من مملكة يهوذا ومصر[80] ويفترض أن خروج الإسرائيليين - تبعا لذلك - كان فى أواخر المملكة المتوسطة . وأن الملكة (حتشبسوت) هى نفسها ملكة (سبأ) وأنها تتزامن وتعاصر حكم سليمان (عليه السلام) متخذاً ما جاء فى الأسفار التوراتية دليلاً له فى ذلك[81] وعليه فإنه رحلة (حتشبسوت) الشهيرة إلى بلاد بونت لم تكن إلا رحلة إلى الأرض المقدسة فى فلسطين (أورشليم) حيث جاء فى كلمات عن الإله آمون يعود تاريخها إلى عصر (أمينحتب الثالث) فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة :

*حينما أولّي وجهى إلى مشرق الشمس فإنى أولّي وجهى إلى بلاد بونت .

ومن ناحيتنا نقول - تفنيداً لإدعاءات فلايكوفسكى - أن الملك (أمينحتب الثالث) قد حكم مصر من عاصمة مُلْكه فى طيبة (الأقصر) والمشرق يكون حينئذ - باتجاه شبه الجزيرة العربية لا القدس (أورشليم) .

وفى دراسة لأحد علماء الحملة الفرنسية على مصر [82] يدعى (دى بوا - إيميه) جاء فيها (فى محاولة منه للي الحقائق وتطويعها لأهداف معينة) :

إن قوة الشرائع والمؤسسات التى أقامها موسى (عليه السلام) هى التى يعزى إليها تلك الظاهرة السياسية التى جعلت الشعب اليهودى يحتفظ بعاداته وشرائعه ولغته وملامحه رغم أنه بات مشتتاً فوق الكرة الأرضية كلها خاضعا لكل صنوف الحكومات لأن موسى (عليه السلام) قد قام بعزل شعبه وبشكل تام عن بقية البشر مما جعل فناءه مستحيلا . إن اليهود منتصرين لم يستطيعوا أن يجعلوا من قوتهم أقوى من قوى الأمم التى أخضعوها كما

أنه عندما كانت تحيق بهم الهزيمة فلم يكن بمقدورهم أن يختلطوا بالمنتصرين . وتعود غالبية النقائص التى تُعاب عليهم اليوم إلى حالة الإذلال التى سعوا إليها فى كل مكان . وكان أهم ما يقومون به حينئذ أن يشتروا من سبعوا . **أما الذهب فقد بات هو الهدف الوحيد لطموحهم . وليست هناك شهوة تستطيع أن تتلف الانسان فى جسده وروحه أكثر من حب الذهب** . وقد يكون من غير المجدى أن نحاول أن نثبت أن عيوبهم هذه تعود ئى شرعهم وتنظيمهم حيث أن البلدان التى نحسن فيها الأفكار والفلسفات **والديانة السمحة من قدر اليهود ينهض بينهم - هناك - رجال فضلاء وأدباء متميزون.** وعلينا ألا ننسى بصفة خاصة أن الأمة اليهودية أظهرت وسط المحن والآلام خاصية عظيمة حيث أنه إذا كان العفو يُعد شرفا للقوة فإن المشاعر الرقيقة تكون شرفا للضعف . لقد تجرأت أورشليم على قتال روما التى كان يرتعد أمامها أعتى ملوك الأرض ثم أقام اليهود المهزمون فى روما بأيديهم المكبلة بالقيود الحديدية النصب الضخم وقوس (تيطوس) Titus الذى تخلد نقوشه البارزة ذكرى سقوط المدينة المقدسة وتلك المهانة (دمر الامبراطور الرومانى تيطوس أورشليم عام 70 م) .

وعن (**نشأة اليهود**) يقول (دىبوا - ايميه)[83] :

على الرغم من التناقضات التى يعتقد بعض النقاد أنهم قد وجدوها فى أسفار موسى الخمسة وعلى الرغم من اختلاف آرائهم حول زمن نشرها فإن الجميع مضطرون للاعتراف بأنها أقدم أثر مكتوب وصل إلينا . كما أنهم لا يستطيعون مهما تكن طبيعة آرائهم الدينية أن **يرفضوا ما نجده فى هذه الكتب من فائدة كبيرة ترتبط بالتأريخ لشعب كان رعويا جوّاباً ثم زراعيا**

ثم جماعة من العبيد ثم عاد مرة أخرى إلى حالة التجوال ليصبح بعد ذلك غازيا .

[يلاحظ أن هذه الدراسة مكتوبة عام ١٨١٦ م وايميه بصف الشعب اليهودى بأنه أصبح غازيا . فهل كان ذلك سوء فهم من الكاتب أم أن الكاتب بصفته من علماء الحملة الفرنسية على مصر يهتم بأحد أهداف الحملة الخفية لإيجاد وطن لليهود بفلسطين كما جاء ذلك على لسان نابليون قائد الحملة وقتها] .

لقد تولدت أحقاد واضحة وحروب دائمة بين الشعوب الرعوية والزراعية لأن الانسان كان صياداً وراعياً قبل أن يكون مزارعاً والأحقاد المتبادلة بين الفئتين (احتقار الزراعيين لجهل الرعاة وبدائيتهم دفع الرعاة للرد بقوة الساعد التى افتقدها المزارع) . فلقد سكنت قبائل العبرانيين بلاد ما بين النهرين وسوريا والجزيرة العربية وصحراوات مصر . وهناك نشأت ديانات التوحيد . أما فى الأقاليم الزراعية مثل ضفاف الأنهار (مثل نهرى روفيا وسيفيزا فى اليونان) فقد عبد الانسان الطبيعة (منيرفا وأبو للو) .

وإبراهام أو إبرام (إبراهيم عليه السلام) هو الذى بشر بوجود إله واحد ليجعل عبادته تحل محل عبادة النجوم . وكان العبرانيون ينظرون إلى (إبراهام) باعتباره زعيما لجنسهم . ويتطابق تاريخ إبراهيم كما قرأنا فى كتابات العبرانيين فى نقاطه الأساسية مع كتابات المؤلفين العرب [يدعى الكاتب أن القرآن من تأليف العرب] . ويستمد العبرانيون إسمهم من (عابر) أحد أجداد (إبراهيم) وقد تركوا أرض كلديا كى يمضوا إلى منطقة من أرض ما بين النهرين التابعة لسوريا . وكانوا وقتئذ وثنيين . وكان (تارح) والد (إبراهيم) من (ناحور) و (آران) على رأس قبائلهم . وعند

مـــوت (تارح) انقسم القوم فظـــل بعضهم فيما بين النهــــرين تحت حكـــم (ناحور) وواصل الآخرون مسيرتهم إلى ماوراء الفرات وهما (إبراهيـم) و (لوط) ولدا (آران) . وتكرر حدوث انقسامات مماثلة عند الشعوب الرحل بسبب الديانة الجديدة التى بشر بها (إبراهيم) وهى ديانة لـــم يتبنــها أولئـــك العبرانيون الذين ظلوا فى بلاد ما بين النهرين (كما يشير إلـــى ذلـــك سِـفر التكوين) . وانفصل (إبراهيم) عن ابن أخيه حتى يستجب لوحيٍ مقـــدس . ولكى يحافظ (إبراهيم) على عقيدته وينأى بها عن اضطهادات الوثنيين فقـــد انسحب إلى جوف الصحراء وتقدم فى البدايــة نحـــو الجنـــوب عـــبر أرض السوريين وبعد ذلك دخل مصر ثم عاد إلى سوريا وهناك انفصل عـــن ابـــن أخيه (لوط) ثم عاد وانتزعه بعد ذلك من أيدى أعداءه . واستطاع (إبراهيم) بإتحاده مع ثلاثة من مشايخ الصحراء (عاثر وأشكول وممرا الآمـــورى) أن يفاجئ الآخرين ويلحق بهم الهزيمة (رؤساء شـــنعار وعيـــلام والأســـار وجوبيم الذين شنوا الحرب على ملوك سدوم وعمورة وأدمة وصبوبيم وبـــالع أو صوغر) . وبعد أن خلّص إبراهيم لوطاً ذهب إلى أرض (أبيمالك) ملك فلسطين وقدم إليه ثيراناً ومعيزا فسمح لهم بالاقامــــــــــــة .وقـــد أنجـــب (إبراهيم) إسماعيل وإسحاق . وقد أصبح (إسماعيل) بفعل جسارته زعيمـــا لقبائل عديدة تشكل اليوم الأمة العربيـــة . أما (إسحاق) فقد أعقـــب والـــده وتحيل جولاته وحروبه وتحالفاته وسيرة حياته إلى الوجود الخاص والسياسـى لزعيم من زعماء البدو. وبعد مــــوت (إسحـــاق) انفصل ولداه (يعقـــوب) و (عيسو) أو عيساو . وتسمت القبـــائل التـــى اتبعـــت (عيســـو) باســـم الأدومـــيين أما يعقوب فقد استحوذ على الجزء الأكبر من ميراث أبيه وتسمى الرعاة الذين ظلوا محيطين به بشكل نهائى باسم العبرانيين أو الإســـرائيليين . وكان ليعقوب إثنا عشر ولدا أشهرهم (يوسف) وفيما بعد أصبحـــت أســـماء

ولديه وأخوته تشير إلى أسباط بنى إسرائيل . وكان (يعقوب) قد أصبح شيخاً كبيراً حين ألجأته المجاعة إلى ترك ضواحى سر سبع والذهاب إلى مصر حيث حصل من فرعون على إذن بأن يسعر فى أرض جاسان (وادى طميلات بالشرقية) . وكانت أسرة الملوك الرعاة (الهكسوس) تشغل فى ذلك الوقت عرش مصر . ويدعى (إيميه) أن معاملة المصريين كانت سيئة مع الأجانب ولولا وجود الهكسوس بمصر لما استطاع يعقوب وأهله الدخول والبقاء بمصر . وبعد طرد الهكسوس (الرعاة العرب كما يقول إيميه) الذين آووا العبرانيين بسبب أصلهم المشترك وتطابق عاداتهم وتقاليدهم فقد انسحب عليهم ماكان يكنه المصريون من أحقاد نحو هؤلاء الرعاة .

ويسوق إيميه بعض الخواطر والافتراضات المعرضة فيقول (٣٠) :

*لم يكن الرعاة الذين فتحوا مصر (الهكسوس) يتعلقون ببلد أكثر مما يتعلقون بآخر فقد كانوا رحلاً ومقاتلين . وسرعان ماقدر عليهم أن يعملوا بالملاحة على طريقة العرب الذين حملوا معهم إلى أسبانيا فى القرن الثامن الميلادى الفنون والعلوم [يقصد فتح الأندلس] .

*إن الذين نقلوا إلى اليونان (الإغريق) فنون مصر هم هؤلاء الرعاة (نفس رأى فريريه Freret) وإن كان ذلك لا يسلب عن مصر العليمة مجد أنها أمدت اليونان بالبذور الأولى لحضارتهم التى تطورت بعد ذلك .

*إن المباهج التى تمتع بها المصريون فى عهد (رعمسيس الثانى) تحول دون أن تنسب لعهد الكوارث التى حربت المملكة وأدت إلى تخليص شعب الله (اليهود) [يقصد الابتلاءات التى نزلت بمصر تأييداً من الله لموسى (عليه السلام) ورسالته] .

*يعتقد (إيميه) أن (مرنبتاح) كان أميرا ضعيفا يؤمن بالخرافات وقاسيا . وفى عهده فاض النهر بدرجة عظيمة ودمر القرى والحقول وأفزعت العواصف والأعاصير والسيول الشعب وكانت هذه العلامات تنذر بغضب السماء وأن عملية الهروب (الخروج) للعبرانيين لابد وأن تكون قد تمت فى عهده .

*الرجال العظماء (أمثال موسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) ونوما[85] وليكورج[86] ومانكوكاباكا[87] كان يفيدون من ظواهر الطبيعة المعروفة لهم جيدا كى يحيطون أنفسهم بالمهابة والقداسة وإدعاء المهارة أكثر من عامة الناس [يخلط إيميه ويزج بأسماء أنبياء الله مثل موسى ومحمد (ﷺ) ويضعهم فى سلة واحدة مع آخرين لاقداسة لهم ويدعى أنهما مهرة وحاذقين فى اقناع شعوبهم بأن التشريعات التى يبلغونها لقومهم هى من عند الله برغم أنه يلمز ويفترض أن تلك التشريعات من عند أنفسهم] .

*فى مقارنة غير مطلوبة ولا مرغوبة يقول إيميه أن فتوحات محمد (ﷺ) وخلفائه (الفتوحات الإسلامية) تمت فى ظروف تكاد تكون متشابهة مع ظروف موسى (عليه السلام) وفتوحات خلفائه رغم أن فتوحات اليهود من ناحية الاتساع والأهمية لا تقارن بالفتوحات الإسلامية لأن (موسى) كان - كما يدعى - يجابه فى زمنه أمما وشعوبا مضرسة بالقتال تشغل أرض سوريا وفارس ومصر وبلاد العرب . أما عند ظهور (محمد) (ﷺ) فقد كانت - كما يدعى - الامبراطورية الرومانية العملاقة وكذلك امبراطورية فارس قد بليتا من القِدَم بعدما اقتسما العالم وكانت الشعوب التى أخضعها هؤلاء تظن أنها تحطم أغلالها بانتقالها من سيطرة سيد قديم إلى أيدى سادة جدد [يحاول إيميه بذلك أن يزيف التاريخ وثوابته بادعاء البطولة المطلقة لكل ما

هو إسرائيلى وتسفيه فتوحات المسلمين العرب مدعيا ضعف الامبراطوريتين المعاصرتين الروم والفرس].

•اضطر موسى (عليه السلام) أن يوحى إلى قومه بالهلع من الأجانب كى يخلق من العبيد دولة متماسكة . وهو شعور ظلوا يحملونه بين جوانحهم طويلا . ولذا فلا يعطون إلا للجيل العاشر من المتهودين الجدد الحق فى دخول جماعة الرب .

•حين شعر موسى بأن قواه تخور وأن أجله قد قرب شاء أن يجعل من موته أمرا مفيداً فى تحقيق مآربه فأعلن للشعب أن الرب قد رفض أن يدخله الأرض الموعودة لأنه قد شك مرة واحدة . واحدة فقط فى قدرته (سبحانه)(88) وأعلن باسم الرب الخالد أن يشوع (يوشع بن نون) قد صار خليفة له ثم صعد (موسى) جبال عباريم ونبو وأشار بيده للعبرانيين إلى الأرض التى سيكافئهم بها الرب جزاء فضائلهم ولا سيما عقيدتهم الدينية .

ولإعادة ضبط ميزان تجاوزات الفرنسى (إيميه) وادعاءاته يأخذنا الفرنسى أيضا (د. جوستاف لوبون) (89) فى دراسته عن اليهود مصححا لكثيرٍ من المعلومات وموضحا الحقائق فيقول عن اليهود :

لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة . واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت فى شيد المعارف البشرية ولم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ .

ويشير (لوبون) إلى مسيو (رينان) الذى يقول بدوره أن النظام اليهودى بأسره ليس إلا وجها بسيطا للنظام الكلدانى وأن أساطير البابليين المعقدة لم ينتحلها عالم الغرب المتمدن إلا بعد أن تحولت بمرورها من خارج

روح الساميين البسيطة . وعندما خرج هؤلاء البدويون (العبرانيون) الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل . فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها وغير عيوبها وعاداتها المصرية وخرافاتها ودعارتها - كشأن جميع العروق الدنيا - فقربوا لجميع آلهة أمثال (عشتروت وبعل ومولك) من القرابين أكثر مما قربوه لإلههم (يَهْوَه) الذى لم يثقوا به إلا قليلا على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياؤهم . واليهود قد اقتصرت معارفهم على تربية السوام (المواشى والغنم) وعلى فلح الأرض وعلى التجارة بوجه خاص . وقد أسفر تعصبهم على عدم احتمال جيرانهم لهم .

والعهد القديم (المرويات التوراتية) لم يشتمل على شيء سوى ماجاء فيه من الشعر الغنائى (نشيد الإنشاد والمزامير) وأما ما احتواه من أمور أخرى فيتألف من رؤى أناس متهوسين ومن أخبار باردة وأقاصيص داعرة ضارية [يقصد ما جاء فى سفر أستير وسفر يهوديت] وغدت الخرافات الصبيانية أو القبيحة التى وضعها كاتبوا التوراة قاعدة للأديان التى ارتضاها الغرب مدة عشرين قرنا فعدها أناس مثل أوجستان وجاليليو ونيوتن وبسكال حقيقة خالصة .

والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى أما الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى وانتشروا فى جميع آسيا السابقة هم الآشوريون والإسرائيليون . والعرب فى إبان سلطانهم الكثير الاتساع وفى عهد حضارتهم العظيمة ظلوا فى مبادئهم العامة وعبادتهم أبسط من الآشوريين والفينيقيين واليهود .

والإسلام يُعد هو الدين الوحيد الوثيق التوحيد الذى جاء به الساميون وهو الدين الوحيد الخالى من أى أثر لوثن. فهو يرفض الأنصاب رفضا تاما. ولم يجل بنو إسرائيل فى البحر كما كان يجول جيرانهم الفينيقيون . وهم لم يملكوا من الساحل الطويل زمن سوى القسم الممتد من يافا إلى رأس الكرمل و هناك يقع سهل شارون الذى تمتد مروجه وحصائده إلى البحر . وكانت فلسطين إحدى طرق العالم القديم الرئيسية كبابل . وكانت (مجدو) مفتاح أودية الجنوب و (قادش) مفتاحها فى الشمال . وبنو إسرائيل إذْ كانوا عاطلين من أى فن وعلم وصناعة وهم إذْ لم يزاولوا التجارة إلا كوسطاء وجهوا عنايتهم إلى حقولهم وإلى مواشيهم . وتجد كتبهم المقدسة حافلة بالنعوت الرعائية وبالمقايسات والأمثلة المقتبسة من حياة الفلاحين والرعاة . **ولم تكن أرض الميعاد - فلسطين - غير بيئة مختلقة لبنى إسرائيل فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم .** وتاريخ اليهود الحقيقى لا يبدأ إلا فى عهد ملوكهم. وكانوا أقل من أمة حتى زمن (شاؤل) . **فقد كانوا أخلاطاً من عصابات جامحة ومجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة تقوم حياتها على الغزو وانتهاب القرى الصغيرة .**

ويشير (د. لوبون)[(١)(٩)] إلى أن :

بنى إسرائيل حين فروا من ظلم فرعون وعبروا البحر فإنما لحق بهم عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين . وبعد نجاتهم - من فرعون - كانوا يصرون على أنهم شعب واحد ينتمى إلى نسل رجل واحد .

والحقيقة تكمن فى انتحال جميع الفارين لإسم بنى إسرائيل .

ولما كانت أرض سيناء فقيرة جديبة لم تصلح لإعاشة أهل البدو أيضا فقد توجه بنو إسرائيل إلى الشمال وحاولوا دخول أراضى الشعوب الكنعانية الصغيرة . ولما دنوا من هذه الأراضى بهرهم خصبها فاشتعلت نيران الحسد والحقد فى قلوبهم . وتحول العبريون من أناس بدويين إلى أناس حضريين عندما رسخت أقدامهم في تلك الأراضى التى كانت محط أحلامهم . ولم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخاً عير أن استقرارهم بفلسطين تم بالتدريج . فالعبريون قضوا زمنا طويلا ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها . والعبريون كانوا منقسمين كالكنعانيين إلى عدة عشائر تسمى أبناء يعقوب أو الأسباط . وقتالهم الجزئى كان بجماعات صغيرة تستولى كل منهم على قطعة من الأراضى (عصر القضاة) وذلك العصر كان يعتبره العبريون عهد بطولة تاريخية . وكان فى فلسطين يعيش اليبوسيون والعصمونيون وطائفة من الأمم الصغيرة بجانب بنى إسرائيل . وكان السلطان فى تلك البقاع للفلسطينيين (أقوام البحر أو الفلست) وإذا كان خروج العبرانيين من مصر قد حدث قبل الميلاد بنحو خمسة عشر قرناً فهم لم يفكروا فى تأليف أمة واحدة منهم ولم ينصّبوا ملكا عليهم إلا فى أوائل القرن الحادى عشر ق.م وأولئك القضاة لم يستطيعوا بسط سلطانهم على جميع بنى إسرائيل بل كان كل واحد منهم يتسلم قيادة زمرة واحدة من الإسرائيليين واستمر أولئك القضاة مدة أربعة قرون . وبـ(شاؤل) بدأ بنو إسرائيل يؤلفون أمة فاستحقوا أن تُفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ . وخلفه داود الذى أقام عاصمة ملكه فى أورشليم بعد طرد اليبوسيين منها . واقتطف سليمان مُلك أبيه داود حيث بلغ مصير الشعب اليهودي ذروته في عهده . ولما مات كان الانقسام والفوضى . وأقام سليمان هيكلاً للرب . وكان ماهراً فى ربط شعبه بروابط المحالفات فتزوج

من إحدى بنات ملك مصر وارتبط مع ملك صور (حيرام) بصلات الصداقة والتجارة وشيد مدينة (تدمر) . أما مملكة الأسباط العشرة التى أقامها إبنه (يربعام) متخذا شكيم ثم السامرة عاصمة لها فقد كانت مسرحا لأفظع الفجائع . وعندما حلت سنة 721ق.م هدم ملك نينوى الأشورى (سرجون) مملكة السامرة . وكان سقوط نينوى بعد ذلك سبباً فى تأخير سقوط أورشليم . بيد أن ملوك يهودا فى الجنوب أثاروا غضب البابلى (نبوخذ نصّر) بمحالفتهم لفرعون مصر . فاستولى الملك البابلى على أورشليم فى عام 586 ق.م . وجعل عاليها سافلها وهدم هيكلها وجعل اليهود أسارى فغدت أورشليم أثرا بعد عين . ومن العبث أن أصدر (كورش) ملك فارس مرسوما أذن فيه للعبريين فى العودة إلى فلسطين وإعادة بناء مدنهم وهيكلهم ثم تلا ذلك بسط الإغريق والرومان لسلطانهم على تلك المملكة الهزيلة ففى عام 70 م استولى (تيتوس) الملك الرومانى على أورشليم وجعلها طُعمة للنيران وشتت شمل اليهود . ويُعرف عن اليهود وحشيتهم التى لا أثر فيها للرحمة مع أعدائهم (انظر نصوص سِفر الملوك وسِفر يشوع) .

وعن حياتهم الاجتماعية يقول د. لوبون [91] :

كانت كثرة الذرية مطلوبة وكان عقم المرأة يُعد عاراً وإذا مات الرجل عقيماً تزوج أخوه الأصغر بأرملته وصلا لنسبه (كما جاء فى التوراة) . وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعا بينهم على الدوام والبكارة كانت أمراً مقدرا لديهم . ومن يغتصب فتاة يحمل على تجهيزها والزواج منها ولا يتم طلاقها أبدا . وإذا اغتصبت فتاة مخطوبة كان ذلك عملا مساوياً لزنا الزوج فيقتل مغتصبها وتُرجم الفتاة لأنها لم تستغث بأحد . وتُبرأ إذا وقع الجرم فى البرية لاستحالة سماع صوت استغاثتها . ويعتبر زنا الأزواج جُرماً فضيعا يُعاقب

مرتكبه بالقتل (الرجم) والمقصود هنا زنا المرأة لا الرجل لأن الرجل يمكنه الزواج بأكثر من واحدة شرعيا وغير شرعي (عُرْفي) . وسِفاح ذوى القربى والمحارم واللواط والمساحقة ومواقعة البهائم من أكثر الآثام الشائعة في الشعب فعدّت ضروب البغاء تكريماً لعشتروت وعُدّ الانهماك في في السكر تحت شجر الزيتون في الليالي الرطيبة نوعا من طقوس العبادة رغم غضب الأنبياء لتلك الأمور . وللنساء حق الميراث وللأم في الأسرة حق الاحترام كالأب وكان الموت جزاء من يضرب أباه أو أمه . والاعتداء على المال يُعد ذنبا عظيما يجازى مقترفه برد ضعفي قيمة المال المسروق أو أكثر (قد يصل سبعة أمثال). والنظافة هي الترف الأول الذى حاول المشترعون نشره بين بنى إسرائيل. **وكان اليهود على خلاف معظم الشرقيين يخشون الموت .**

وعن ديانة اليهود يقول د. لوبون[92] :

لم يقتبس اليهود من مصر سوى جزئيات ظاهرية مثل صدرة الأحبار وتابوت العهد أو الناووس السهل النقل . وفرعون مصر الذى كان يساوى الآلهة فى الديانة المصرية القديمة هو الذى يحق له وحده فتح الناووس وأن يرى الشعار المرهوب الحافل بالأسرار . وفي اليهودية كان يحق للحبر الأعظم وحده أن يدخل مرة واحدة في العام قدس الأقداس حيث تابوت العهد . و(إلوهيم) هو الاسم الذى نراه قد أطلق على الألوهية في أقدم أسفار اليهود . وعبد اليهود عجولا معدنية بعد خروجهم من مصر بطويل زمن لارتوائهم من مبادئ ما بين النهرين الدينية وكانت ذكرى عجل أبيس في أذهانهم وإن كان العجل (بعْل) يرمز إلى الرجولة وكان منتشرا في جميع آسيا . وفي وادى الفرات نشأت ديانة بنى إسرائيل أو على الأصح

مختلف العبادات التى مارسها اليهود (بين إقامتهم بفلسطين وعودتهم من الأسر البابلى) . وعبد اليهود (بَعل) وعشيرا أو (عشتروت) نقلا عن البابليين . وهركول (هرقل) من أصل بابلى ويتجلى مثاله فى (نينيب) المعروف الذى كان يقتل الأسد بيد واحدة . ومن الأقاصيص التى انتحلها بنو إسرائيل طوعا قصة (تموز) الإلهى ابن عشتار الذى ذهبت الآلهة لتبحث عنه حتى سواء الجّحيم . وكان يمثل موت (تموز) الذى غدا (أدونيس) الإغريق نهاية الخريف . ومما رواه (حزقيال) أنه كان فى زمانه نساء يبكين تموز فى معبد الرب .

وأسفر الإصلاح اليَهْوَهى (نسبة إلى يَهْوَه) الذى قام به الملك (يوشيا) عن تطهير الهيكل من الأصنام مثل (مولك) إله النار الضارية أى الصاعقة و (بَعْل) الذى كان يعبده الفينيقيون والتى أدخلته (إيزابيل) الصيدونية (من صيدا أو صيدون) إلى العبريين . و (عشيرا) وهى عشتارتا الفينيقيين وعشتار بابل أو ميليتا بابل حيث الشعائر الشهوانية .

وقد وصف الأنبياء إشعيا وإرميا وحزقيال أورشليم بالمدينة العاهرة التى لا تشبع من الفجور .

والموت لدى بنى إسرائيل هو نوم عميق بلايقظة . والبعث والحياة الآخرة سكتت عنها أسفار التوراة تقريبا . ومما لا ريب فيه ، جود ثغرة عدة قرون لا تسدها الوثائق (المرويات أو الكتابات) التوراتية . وفى الأسفار التوراتية تبصر التاريخ والأساطير والأقاصيص الخيالية والقصص الرعائية والقطع الروائية والنبذ التعليمية والأناشيد الدينية والأغانى الحربية والقصائد الغزلية والمجموعات الحِكمية والنسبية والشرعية . وأهم الأسفار التاريخية هى أسفار القضاة والأخبار وأستير ونحميا والمكابيين . أما أسفار موسى

الخمسة فتتألف من أساطير كلدانية ومن عدة قوانين دقيقة ترجع إلـــى زمـــن أحدث من الزمن الذى وصف فى سِفْر التكوين والخروج وكتبت تلك الأسـفار الخمسة فى عهد الملوك **وجميع الأسفار لم تكتب لحفظ ذكرى الوقائع فقط بل كانت غايتها إثبات شىء . وجميعها إذا وضعت بصيغة الجزم بدا حُسن النية فيها هزيلا . وماتركه العبريون لنا من تاريخهم فقد دونه أحبـــار ملكيـــون كانوا يهدفون إلى نصر مبدأ الحكومة الملكية الإلهية .**

وكتّاب اليهود الذين كتبوا التوراة لم يكونوا مؤرخين صادقين ولكنهم كانوا وصّافين أوفياء وصفوا وثنية بنى إسرائيل المتأصلة فيهم وطباعـــهم الرعائية (الرعوية) وسلاسل الأنساب التى لا حد لها وســـمات الأخـــلاق الهاجئة .

وإذا كان الأساس كلدانياً فإن شكل الوصف عبرى . ومن الطرافـــة أن ينتج اليهود ادابا خفيفة ذات عفاف على الرغم من تحللهم الأخلاقـــى . ومـــا عندهم من أخبار الدعارة تجده فى تاريخهم الخاص لا فى كتبهم التـــى هـــى وليدة الخيال الخالص . وسِفر (نشيد الإنشاد) هو أكثر أســـفارهم شـــهوانية وفيه أيضا الشعر الغرامى السامى . والأمثال وتنوعاتها نراها فى سفر الأمثال ، سِفر الجامعة وسِفّر الحكمة . **وفى تلك الأمثال نبصر فكـــر بنـــى إســـرائيل الحقيقى وهو الفكر النفعى العملى وهو الذى سيطر على شعب إسرائيل منـــذ دور الفتح . فأصبح الشعب ماهراً طامعا وجشعاً فى الربح وضيّقاً فى آفاقـــه غير مستعد للتضحية .** فذكر فى سفّر الجامعة أنه إذا لم تقتطف فـــى هـــذه الحيـــاة الدنيا ثمرة آثارك فإنك ستتركها ميراثا للأجيال القادمة .

إن الوهم التقى فى سِفر أيوب والوهم الشهوانى فى سِفر الجامعة قد اقتسما الناس لتعليلهم بالباطل إن لم يكن لشفائهم . ولا يزال العالم منقسما إلى اليوم بين المثاليين والشهوانيين الباحثين عن المتع . ولم يكن أنبياء اليهود منصفين أبداً نحو بابل (العراق) بل يتوعدونها بالخراب والترمل والثكل [كما نلاحظ ذلك فى عصرنا الحالى تجاه ما يحدث للعراق منذ عام 1991 م].

وعن نظريات (نشوء إسرائيل) يبين لنا (**فراس السواح**)[93] الكاتب السورى أنها أربعة :

(1) **نظرية آلت فى التسرب السلمى** : AlbrechtAlt

حيث نشر الباحث الألمانى (**البريخت آلت**) بحثا ابتدأه بدراسة لأصل إسرائيل **من عصر القضاة حيث اعتبر أن ماقبل ذلك من المرويات التوراتية هى عنده من الأدب الخيالى التى تمت صياغته فى الفترة المتأخرة بهدف خلق أصول متجذرة لإسرائيل وديانتها فى الماضى البعيد** . وقد لاحظ آلت أن الهضاب المركزية لفلسطين كانت شبه خالية من السكان خلال العصر البرونزى الأخير (خصوصا منذ فترة تل العمارنة 1350 ق.م) ولم تكن تحتوى إلا على عدد قليل جداً من القرى الصغيرة والمتباعدة . وكانت مدينة (شكيم) فى الشمال هى المدينة الوحيدة المهمة فيما بين (أورشليم) جنوبا و (وادى يزارعيل) فى الشمال . وقد بقى وضع الهضاب المركزية على هذه الحالة حتى عام 1250 ق.م عندما بدأ مسرح الحدث التوراتى بالتوضح فى هذه الرقعة . **وهذا الذى توصل إليه** (آلت) **قد أثبته المسح الأركيولوجى (الأثرى والحفرى) للهضاب المركزية** بعد أكثر من نصف قرن على ظهور دراسة آلت عام 1925 م. ويعتقد (آلت) أن الجماعات التى شغلت الهضاب المركزية كانت عبارة عن عشائر بدوية من أصول

مختلفة أخذت بالتسرب تدريجيا إلى هذه المنطقة وعلى فترات متقطعة ومتباعدة تسوق قطعانها الصغيرة عبر نهر الأردن باحثة عن مراعٍ جديدة فى أرض كنعان . وكان هؤلاء الرعاة يتوقفون خلال الشتاء والربيع عند أطراف المناطق الزراعية فإذا يبست الأعشاب صيفا أخذوا بالتوغل أكثر نحو المناطق الزراعية من أجل رعى القش المتبقى بعد الحصاد وذلك بالاتفاق مع أصحاب الحقول الذين يدخلون معهم فى علاقات منافع متبادلة . وشيئاً فشيئا وجدت بعض هذه العشائر أماكن مناسبة لإقامتهم فى المناطق الخالية الفاصلة بين دويلات المدن الكنعانية والبعيدة عن نفوذ المراكز السياسية الهامة وعن النفوذ المصرى فى وادى يزراعيل فتوطنوا هناك وأخذوا بالاستقرار والزراعة دون أن يسببوا تهديداً أو مخاوف لأى فريق . ثم أخذت هذه العشائر المسالمة والمتباعدة عن بعض بالتقارب بعد فترة الاستقرار ومن المرجح أن عبادة واحدة نشأت بينها تدريجيا وتركزت طقوسها حول مقام مقدس أو مَذْبَح مشترك . وفى أواخر عصر القضاة وقع الصدام العسكرى مع الكنعانيين على شكل حروب محلية محدودة . وهى التى أدت فيما بعد إلى نشوء تقليد الفتح العسكرى واكتساب كنعان بالقوة (ممايذكره سفْر يشوع) ثم تنادت هذه الجماعات بعد أن أحست بوحدة مصالحها إلى إقامة المملكة الموحدة التى بدأت بحكم الملك (شاؤل) .

وهذه النظرية تختلف عما افترضه (**أولبرايت**) الذى اهتم بزرع جذور إسرائيل فى التربة الأوسع لثقافة الشرق القديم . ومصطلح كنعان وصفة كنعانى عند (ألت) استخدمه للدلالة على دويلات المدن الفلسطينية وما يتعلق بها خلال عصر البرونز الأخير وهى دويلات زراعية يحكمها ملوك متسلطون ومرتبطة ثقافيا بالعالم السورى وذات ديانة خليدية وثنية . **أما مصطلح إسرائيل وصفة إسرائيلى فهو مفهوم تجريدى عند آلت استمده**

من نفى كل ما هو كنعانى . وهو يشير إلى ثقافة قبلية ورعوية بدوية ومعتقد دينى توحيدى ونظام حكم بدائى ديمقراطى . وعصر البرونز الأخير هو عصر كنعانى ويدل على كامل فلسطين قبل وصول الإسرائيليين . أما ما تبدأ من عصر الحديد فإسرائيل أو فلسطين فى طريقها لأن تغدو إسرائيل .

(2) نظرية الانتفاضة الداخلية :

يرفض (ميندنهل) Mendenhall من حيث الأساس نظرية الأصل الخارجى الرعوى للجماعات الإسرائيلية التى تسربت إلى المناطق الهضبية بحثاً عن المراعى . وهو يرى أن الجماعات التى شكلت إسرائيل فيما بعد هى شرائح فلاحية كنعانية لجأت إلى الثورة فى وجه حكام ودويلات المدن الطغاة . وأن خميرة هذه الحركة الثورية . كانت جماعة آبقة من العبودية فى مصر جاءت معها بعبادة (يَهْوَه) التى تبنتها الجماعات الفلاحية الثائرة .

ويعقد (مندنهل) صلة بين (عبران) عصر الحديد الذين استهلوا هذه الثورة و (عابيرو) عصر تل العمارنة فى عصر البرونز الأخير . **فالعابيرو والعبرانى عنده متعادلان** . والكلمة تدل على تلك الشرائح الاجتماعية المحرومة فى مجتمعات الشرق القديم والتى لجأت إلى التمرد والعصيان بسبب وضعها العام - على النظام الفاسد لدولة المدنية الكنعانية .

أما الباحث جوتوالد (Gott Wald) فقد تبنى نظرية مندنهل فى الانتفاضة الداخلية (الثورة) مع بعض التعديلات التى تعتمد على الأفكار الماركسية . فيقول أن الانتفاضة كانت طبقية (بالمفهوم الماركسى) لا ثورة

حيث تدير الدويلات الكنعانية أرستقراطية نبيلة تعمل على استغلال وقمع الشرائح الاجتماعية المحرومة .

(3)نظرية بوتقة الانصهار :

توصل الباحث (ماكسويل ميللر M.Miller) إلى أن اسم إسرائيل الوارد فى نُصب الفرعون (مرنبتاح) يشير إلى تجمع لثلاث قبائل كنعانية فى منطقة الهضاب المركزية هى أفرايم ومنسى وبنيامين . وكانت (أفرايم) هى القبيلة الرائدة فى هذا المجتمع الذى ضم فيما بعد قبيلة (جلعاد) فى عبر الأردن . ثم أخذ هذا التجمع فى التوسع تدريجيا حتى بلغ عشر قبائل وهى التى دعتها القاضية (دبورة) إلى القتال معها ضد (بايين) ملك حاصور[٩٤]. ومع انتقال الحكم إلى الملك (داود) توسع الاتحاد القبلى ليشمل اثنتى عشرة قبيلة بينها قبيلة يهوذا الجنوبية . ويقول (ميللر) إن إسرائيل كمفهوم إثنى وسياسى قد نجمت عن بوتقة انصهار ضمت جماعات مختلفة ومتنوعة استغرق تقاربها واندماجها فترة طويلة من الزمن فى عملية أكثر تعقيدا بكثير من الرواية التوراتية البسيطة التى يعرضها سِفْر يشوع أو سِفْر القضاة .

ووجد الباحث ليمخى (ليمشى) Lemche بعد دراسة نتائج علم الآثار أن هناك استمرارية ثقافية بين عصرى البرونز الأخير والحديد وهى ثقافة كنعانية محلية لا انقطاع فيها ولا فجوات ومن هنا فإن **إطلاق صفة كنعانى على عصر البرونز وصفة إسرائيلى على عصر الحديد ليس له مايبرره على الاطلاق . وثنائية كنعان - إسرائيل لا تقوم على أساس أركيولوجى وتاريخى حقيقى** . ويرى (ليمخى) أن بعض الشرائح الاجتماعية المحرومة فى مناطق السهول قد أخذت بالنزوح تدريجيا نحو الهضاب المركزية منذ عصر

البرونز الأخير وبشكل خاص بعد فترة تل العمارنة وأخذت بتشكيل وحدات سياسية بدائية ترابطت شيئا فشيئا بسبب عزلتها عن طرق التجارة المحلية والدولية وشكلت إسرائيل .

(4) **نظرية الأركيولوجية الحديثة :**

وهى بمثابة الصياغة العلمية لنظرية التسرب السلمى ونظرية بوتقة الانصهار وتمت صياغتها على يد الأرشيولوجيين الإسرائيليين المحدثين بشكل رئيسى مدفوعين بنظرية الت عن الاستقرار السلمى والتسرب التدريجى . وأراد أصحاب تلك النظرية الحديثة انقاذ ما تبقى من السمعة التاريخية للرواية التوراتية عن طريق إثبات جوهر الرواية و سقاط جميع تفاصيلها .

وكان لكل من الباحث الإسرائيلى الأركيولوجى (فنكلشتين) Finekelcstein والمنقب الإسرائيلى (زرتال) Adam Zertal دور كبير فى اثبات تلك النظرية - غير أن الباحث (توماس ل . طوماسون) Thomas L Tompson (95) قدم لنا المادة العلمية المستقلة عن مرويات التوراة تماما(*) .

وعلى هذا فقد سقطت إلى غير رجعة نظرية الاقتحام العسكرى لأرض كنعان من قبل القبائل الإسرائيلية الموحدة تحت قيادة يشوع بن نون وتدمير مدنها الرئيسية **لأن نتائج التنقيب الأثرى فى هذه المواقع تنفى تماما الرواية التوراتية** , نمسح الأركيولوجى للمناطق الهضبية التى كانت نواة هذه المملكة ينفى وجود قاعدة سكانية واقتصادية فى هذه المناطق خلال القرن العاشر ق.م تسمح بقيام مثل هذه المملكة . والتنقب الأثرى فى موقع أورشليم

---

*) سبق الاشارة إليه فى الفصل الأول(انظر هامش 59،60).

ذاتها والذى أظهر أن مدينة أورشليم فى القرن العاشر ق.م لم تكن إلا بلداً صغيراً جداً بالإضافة إلى عدم العثور على أى شاهد أثرى على وجود أبنية ضخمة أو صروح مدنية وإدارية والهيكل الذى بناه سليمان كان محدود المساحة وليس كما يقولون أنه كان يربو على مساحة أورشليم ذاتها .

وعن نهاية مملكة إسرائيل (الشمالية) يقول (فراس السواح)[96] أنه حتى الحملة الآشورية الأخيرة على دمشق عام 773 ق.م إبان حكم الملك (حديانو) لم تكن مملكة يهوذا قد تشكلت ككيان واضح فى فلسطين . ولم تكن مدينة أورشليم قد دخلت معترك السياسة الإقليمية والدولية على حد سواء والنصوص الآشورية لم تتجاهل فقط وجود مملكة يهوذا (فى الجنوب) فى فلسطين بل تجاهلت كليا مدينة أورشليم وكأنها غير موجودة على الخارطة السياسية للمنطقة . وبدأت أورشليم تكتسب بالفعل ملامح المدينة الكبيرة ساعدها فى ذلك أفول نجم السامرة (مملكة الشمال - إسرائيل) ودمار (الخيش) على يد آشور فى عام 722 ق.م والتغيير الجذرى فى الوضع السياسى فى فلسطين الكبرى واستيعاب أورشليم لأفواج النازحين من مناطق التدمير الآشورى إبان عهد (تغلات فلاصر الثالث) و (صارغون الثانى) وهكذا ظهرت مملكة يهوذا بقيادة النخبة السياسية والاقتصادية فى مدينة أورشليم التى تحولت إلى مركز سياسى إقليمى كبير . وقد بدأت المدينة عهدها هذا كعميل لآشور ثم قادها التدخل المتزايد فى شئون التجارة الدولية إلى حتفها بعد قرن ونصف تقريبا من ظهورها على مسرح الأحداث . فقد عاقب (تغلات فلاصر) مملكة إسرائيل على وقوفها إلى جانب دمشق قبل هجومه الأخير عليها فسلب أراضيها الشمالية وعين عليها ملكا جديداً يأتمر بأمره . وخلف (شلمنصّر الخامس) عرش أبيه (تغلات) ثم خلفه (صارغون الثانى) الذى طبق سياسة التهجير الجماعى فى

إسرائيل فأزالها من الوجود ككيان سياسى وشعب (يلاحظ أن سفر الملوك الثانى يحدثنا عن دمار السامرة ويعزو ذلك إلى شلمنصّر الخامس لا إلى صارغون الثانى الذى لم يرد ذكره فى سِفر الملوك إطلاقا) .

وبسقوط السامرة عام 721 ق.م انتهت مملكة إسرائيل ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وبطل استعمال اسم إسرائيل وحل محله اسم السامرة للدلالة على المقاطعة الشمالية التى استمرت من العصر الآشورى إلى العصر الرومانى أما يهوذا فقد زالت ودمرت عام 587 ق.م على يد (نبوخذ نصّر) البابلى .

و التاريخ اليهودى الذى ابتدأ مع بناء أورشليم الجديدة و هيكلها الجديد ليس استمراراً على أى صعيد للتاريخ الإسرائيلى فى العصر الآشورى و العصر البابلى رغم النغمة الإعلامية الفارسية التى تحدثت بلغة الإحياء و التجديد (قورش ثم داريوس) . إن ما تم إحياؤه فى مقاطعة اليهودية لم يكن خلقاً جديداً لمجتمع قوامه فئات اجتماعية دخلت العصر الفارسى وقد تغيرت تماما . وفى الحقيقة فإن مسألة السَبْى (النفى) لم تعد بالنسبة لجماعة أورشليم الجديدة واقعة تاريخية بقدر ما غدت فكرة وواقعة نفسية تساعد على فهم هذه الجماعة لنفسها باعتبارها البقية الناجية من إسرائيل . إن التاريخ اليهودى ليس صفحة جديدة فى تاريخ فلسطين بل تاريخ مستقل فى أصوله ومساره ومصائره .

وعن تاريخ القدس يقول (د. سيد فرج راشد) [٩٧] :

القدس سكنها اليبوسيون واتخذوها عاصمة لها حوالى عام 3000 ق.م ومن ملوكهم (ملكى صادق) بمعنى العادل هـــــو (ملْكى) وهـو أول من خطط لبناء المدينة ثم قام بتحصينها وكان (ملكـــى صـــادق) معـاصراً لإبراهيم (عليه السلام).ومن اليبوسيين أيضا (سالم اليبوسى) الذى بنى قلـــعـة على جبل يقع فى الزاوية الغربية للدفاع عن القدس وهـــو الجبـــل الـــذى أطـــلق عليـــه (جبل صهيون) فى عـــهد داود (عليه السلام).والقـدس تنبـع أهميتها لكونها تقع على طريقين من أهـم طـرق التجـارة القديمـة وكـان المصريون القدماء يطلقون عليها اسم (يابيتى) أو يابتى . وأحيانا يسـتخدمون اسمها الكنعانى (أوروسالم) والكلمة آرامية (أور) بمعنى موضع أو مدينـة و (سالم) بمعنى السلام وهو اسم وثنى لإله سلامة القوافل . وعندما استولى عليها داود (عليه السلام) أصبح اسمها (مدينة داود) [98] ثم أطلـق عليـه الاسـم العبرى (يوروشاليم أو أورشالايم) . وقد وجد اسم القدس وارداً فى نقـــوش الامبراطور الأشورى (سنحاريب) حوالـــى عـام 700 ق.م تحـت مسـمى (أوروسليمو) وفى عهد الاسكندر الأكبر سماها اليونانيون (هيروسوليما) ثـم (إيلياكابيتولينا) فى عهد الامـــبراطور الرومـــانى (إيليـوس هدريـان) أو هيدريانوس بعد أن قضى على الكيان الدينى لليهود وفى أعقاب ذلك أمر بقتل كل من يدخلها من اليهود وظلت تعرف باسم (إيليا) حتـــى أوائـل الفتـح الإسلامى . وسُميت (القدس) منذ إقامة دور العبادة المقدسة فيهـــــا . و (هيرودوت) المؤرخ اليونانى من 484 – 425 ق.م ذكرها باسم (قديتـــس) وهو اسم محرف من الآرامية (قديشتا) أما (بيت المقدس) [99] فقد أطلـــق على المدينة منذ الفتح الإسلامى . ومن أسمائها (الزيتـون).ومـن أسـمائها العديدة ورد اســم (شـاليم)[100] و (يبـوس)[101] و(صـهيون)[102] و (أريئيـل) [103] و (موريـا) [104] و (إيليــاء)[105] أو (إيلياء العظمـى)

و (أوريشلم) [106] ووردت أسماء أخرى مصدرها اختلاف الترجمة منـــها : دار السلام ، مدينة السلام ، قرية السلام ، شلم ، أورشليم ، يبوس ، شـــليم ، يبوش سليمـــان [107].

وما جاء برسائل (تل العمارنة) السبع يؤكد أن مدينة أورشليم كـــانت خاضعة لفرعون مصر (أمنحتب الثالث) حوالى (1413 ق.م) وخضعـــت لحكم (إخناتون) عام 1375 ق.م ثم (توت عنخ آمـــون 1351ق.م) ثـــم (سيتى الأول عام 1314 ق.م) ثم (لمرنبتاح) ابن رعمسيس الثانى حوالـــى 1279 ق.م [108].

والتسمية الغربية Jerusslem فى اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها . اشتقت من الاسم الكنعـــانى وهـــو مدينـــة (يوروسالم) أو(يورشالم)[109]وتحدثنا التوارة على أن (موسى) (عليه السلام) قـــد توفى وأرض الميعاد على مرمى بصره فتولى (يوشع بن نون) قيادة بنـــى إسرائيل وعبروا نهر الأردن واحتلوا (أريحا) بعد تدميرها وكذلك فعلوا مـــع مدن (عاى) و (الجلجال) و (شيلوح) وبقية المدن الكنعانية التى احتلوهـــا أثناء تقدمهم إلى (يبوس) أى القدس .

وقد ظلت المدينة المقدســـة إلـــى عـــهد (داود) (عليه السلام) مدينـــة لليبوسيين (سكانها الأصليين) أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى (عليه السلام) كما بقيت بأيدى أهلها ثلاثمائة عام أثناء الوجود اليهودى فى فلسطين ثـــم بعـــد دخولهم إليها فى عهد داود ومما يؤيد ذلك أن (داود) (عليه السلام) حينما أراد بناء الهيكل للرب فى القدس قام بشراء البيدر (جرن ومَرْبَض للماشية) الذى كان ملكا لرجل يبوسى يدعى (أرونا) ولذلك عاش اليهود أقليـــة بيـــن اليبوسيين حتى كان السبْى البابلى عام 587 ق.م ومن المعروف أنـــه قبـــل

ظهور الملكية سياسيا(عهد سليمان)كان اليهود يعبدون الله فى أى مكان. (عبدوه مع موسى أربعين عاما فى التيه فى سيناء وليس فى بقعة معينة) فأينما كانوا كانت (خيمة الاجتماع) التى بها تابوت العهد (التوراة) وفيها يقيمون الصلاة . وبعد موسى وهارون وعلى مدى ثلاثمائة عام (عصرى يوشع بن نون والقضاة) كانت أماكن العبادة متفرقة أما فى عهد سليمان فقد كانت العبادة تقام فى المعبد (الهيكل) الذى شيده. ولعله من المفيد أن نقول أن الحرم الإسلامى الشريف قد أقيم فى نفس المنطقة التى كان (ملّكى صادق) يدعو فيها باسم الله العلى فى زمن (إبراهيم) (عليه السلام) . **وكان هذا الحرم أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار (سليمان) أو (نحميا) أو (هيرودوس) والحرم مستطيل الشكل يأخذ الاتجاه من الشمال إلى الجنوب (فى اتجاه قِبْلة المسجد الحرام بمكة) على خلاف هيكل سليمان فهو مستطيل يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق وهذا ينفى أن الحرم القدسي الشريف أقيم مكان الهيكل**[110] . ومن اللافت للنظر أن اسم مدينة القدس لم يرد ذكره فى قائمة الكرنك للمدن التى استولى عليها (شيشنق) فرعون مصر عام (924 ق.م) . بينما نجده واضحا فى سرد العهد القديم لهذه الأحداث (سِفْر الملوك الأول 1 : 14 : 2 وسِفْر أخبار الأيام الثانى 12 : 2 4) وأصبح نتيجة لحملة شيشنق أن مملكتى يهوذا وإسرائيل أصبحتا تابعتين لمصر من جديد يدفعون الجزية كل عام .

وأتيح للفكر اليهودى الدينى من زمن السَبْى (النفى) البابلى أن يدرك أن (يهْوه) هو الإله الواحد للعالم كله . وأدرك الذين فى المنفى أن ماحل بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شرائع (يَهْوَه) . وتكاثر عدد الأنبياء بينهم فى الأسر البابلى الذى حرمهم من إقامة طقوس عبادتهم بصورة مكتملة

(عدم تقديم القرابين وبعدهم عن الهيكل فى القــدس) ولذلــك غــيروا فـــى طريقتهم لممارسة هذه الطقوس فاستبدلوا القربان بالصيام والصلاة وتغــاضوا عن أداء طقوس السبت فى معظم الأحيان .

وعن أسماء اليهود يقول : (**د. عبد الجليل شلبى**)[111] :

توجد للشعب الإسرائيلى عدة أسماء ولكنها غير مترادفة ولكن قد يُســتعمل أى اسم منها للجميع تجاوزاً وهذه الأسماء هى :

(1) العبرانيون (العبريون):

وهم الذين جاءوا مع (إبراهيم) (عليه السلام) من بــلاد الكلدانييــن إلـــى أرض كنعان وسموا بذلك لأنهم عبروا نهر الفرات متجهين إلـــى كنعـــان أو لأنهم عبروا نهر الأردن فى تجولهم فى بلاد الكنعانيين . وتُعزَى التسمية فـــى (التوراة) إلى (عابر بن سام بن نوح) وقد فند بعض المستشرقين ذلك لأن (عابر) لم يكن أكبر أبناء سام ولا جداً أدنى لإبراهيم .

(2) الإسرائيليون :

هم أبناء يعقوب الذى كُنِّى بإسرائيل الذى نســل اثنـــى عشـــر إبنـــا (الأسباط) وبهذا يخرج من أسرة الإسرائيليين كثير من العبرانيين مثل (لوط) وذريته و (إسماعيل) ونسله و (عيسو) بن إسحاق . فـــهؤلاء عـــبرانيون وليسوا إسرائيليين .

(3) اليهود :

وينسبون إلى يهوذا الإبن الرابع ليعقوب وكانت له رسالة دينية نســبوا إليها . وقيل أنها نسبة إلى مملكة يهوذا (الإقليم الجنوبى) .

وصارت الرسالة الدينية بعد ذلك فى بنى لاوى (ليفى) ويعرفون باسم (اللاويين) . ولاوى اسم الابن الثالث ليعقوب ومن هذه السلالة هارون أخي (موسى) (عليه السلام) .

وهارون (عليه السلام) عند اليهود هو الزعيم الدينى . أما (موسى) (عليه السلام) فهو القائد السياسى . ولذا انحصرت - كما يدعون - الرسالة الدينية فى هارون ونسله .

وأصل العبرانيين أنهم شعب من الشعوب السامية التى انحدرت من الجزيرة العربية التى هى مهد الساميين جميعاً . وقد انفصلت منها موجات متتابعة فى أحقاب متتالية بحثاً عن الرزق والتماسا لأمكنة أخصب وعيش أرغد . ومن هذه الأجناس الفينيقيون والآشوريون والكلدانيون والأثيوبيون (الكوشيون) وغيرهم . ولم تكن (أور) UR مقرهم الأصلى ولكنهم نزحوا إليها من الجزيرة العربية وكانوا بدواً متنقلين . وكانوا قبيلة بدوية صغيرة فى الجنوب الشرقى من الجزيرة العربية وكانوا يستعملون الحُمُر (الحمير) الأهلية فى تنقلهم دون الإبل أو الخيول (لم تكن لهم اشتباكات أو حروب فاستغنوا عن الخيول ولم يجوبوا الصحارى والتزاحم على المراعى والمياه فلم يستعملوا الإبل) وكانوا يقومون بالوساطة التجارية بين العرب والهنود خصوصا تجارة السيوف الهندية (من أهم معدات الحرب وقتئذ) وانتهى هذا الشعب لأن يذهب إلى بلاد الكلدانيين وأرض الرافدين حيث السومريون الأوائل (زراعة - تجارة - بناء معابد) ثم بعدهم العيلاميون والبابليون ثم الأكاديون الذين ظهروا فى شمال **سومر (3000- 2360 ق.م)** وكانت الامبراطورية الأكادية مترامية الأطراف . وعلى هذه الأمة وفد الشعب المسمى (خبيرى) أو (خبيرو) وذلك فى الربع الأول من

الألف الثانى ق.م (وجد ذلك الإسم فى رسائل تل العمارنة) . وكان إبراهيم (عليه السلام) ذو مكانة وبروز فى مجتمعه ولهذا جرؤ على مخالفتهم ومحاجتهم وكان يدعوهم إلى عبادة الله الواحد خالق كل شىء (إل شاداى El shaday) وترك عبادة آلهة متعددة (الشمس والقمر والنجوم والكواكب ..) . وجاء فى شروح العهد القديم أن (تارحاً) أبا (إبراهيم) (عليه السلام) كان قد فقد ولده (هاران) أبا (لوط) (عليه السلام) فلم يطق الإقامة فى (أور) فتركها تخفيفا عن نفسه. ويقال أن بلدة (حاران) هى مقر القبيلة الأصلى ولما جاء غارات العيلاّميين مكتسحة ومدمرة حملت السكان على الفرار. وكانت أسرة (حاران) ضمن الفارين والراحلين إلى أرض كنعان . وفى عام 1960 ق.م دُمرت مدينة (أور) العاصمة تماما . وقد مات (تارح) فى (حاران) قبل الرحيل والهجرة فآلت رئاسة الأسرة إلى أكبر أبنائه (إبراهيم) (عليه السلام) والذى تنقل وعائلته فى إقليم سوريا على حافة الصحراء كما انتقل إلى مصر وعاد منها بجارية (هاجر) تزوجها وأنجبت له (إسماعيل) (عليه السلام) وكانت زوجته (سارة) التى رافقته من (أو ر) عاقراً رزقت فيما بعد بولدها (إسحاق) (عليه السلام) الذى أنجب بدوره ولدان (عيسو) و (يعقوب) . وسمى (عيسو) لحمرة كانت به (آدوم) . ونشأ من ذريته الشعب الآدومى (الآدوميون) . أما (يعقوب) (عليه السلام) فسمى بعد ذلك بإسرائيل (بمعنى جندى الله أو محفوظ برعاية الرب) وقيادة الأسرة أصبحت ليعقوب وكذلك أُسند إليه كيانها الدينى. وتزوج يعقوب من ابنة خاله (لابان) (ليئة) التى أنجبت له أولاداً تسعة ثم من (راحيل) التى أنجبت له يوسف (بمعنى ليبارك الله) وأخاه . و (يوسف) (عليه السلام) هو الذى تولى - فيما بعد - أمانة خزائن مصر (وزير المالية) فى عهد المجاعة التى شملت مصر والشام وأتى بأهله أجمعين إلى مصر ويقال أنهم مكثوا فيها حوالى 220 سنة تكاثروا خلالها وزاد

عددهم . وكان من نسلهم (موسى و هارون) الذين خرجوا من مصر إلى أرض سيناء . ومكثوا فيها أربعين عاما (التيه) مات خلالها موسى وهارون فانتقلت قيادة الإسرائيليين إلى (يوشع) عام 1250 ق.م الذى ذهب بهم إلى بادية شرق نهر الأردن فى الجنوب الشرقى من سوريا وظلوا يوالون الحروب مع البلاد المجاورة للاستيلاء على أماكن خصبة وتأسيس دولة خاصة بهم . فكانت حروبه مع ملك الأموريين (سيحون) ثم على (عوج) ملك باشان ثم استطاع أن يقتطع مدنا من مملكة كنعان فى فلسطين أهمها (أريحا) وهى مدينة مقدسة واستمرت الحروب لأكثر من ألف عام . وبعد الاستيلاء على تلك البقاع بدأ الإسرائيليون بتقسيم الأرض بينهم أحد عشر قسما (لأحد عشر سِبْطا) وبقى سبْط (يهوذا) الإبن الرابع ليعقوب موزعا بين الأسباط الأخرى لأن الرسالة الدينية كانت مقصورة عليهم فجعل منهم معلمون فى كل سِبْط . واختار كل سبْط رئيساً له فكان هؤلاء الرؤساء يعقدون مجالس للتشاور فى أمر الجماعة وتصريف شئونها . ويسمى الواحد منهم قاضيا . وعرف عهدهم باسم (عصر القضاة) وهو العهد الذى امتد حوالى مائة وستين عاما (1180 - 1020 ق.م) وفى أواخر هذا العهد كان الرئيس الدينى هو (صموئيل) الذى اختار (شاؤل) كأول ملك عليهم (اسمه طالوت فى القرآن) . وكان ملكا فاشلا لم يستطع أن يحقق لهم نصرا ضد الفلسطينيين بل انهزم هزيمة شنيعة فقد فيها ثلاثة من أبنائه ثم انتحر حزنا عليهم . وجاء (داود) ليقتل جالوت (جوليات) زعيم الفلسطينيين ومد حدود دولة إسرائيل إلى أقصى ما وصلت إليه المملكة واتخذ أورشليم لتكون عاصمة الدولة . وبنى معبداً على أنقاض معبد لليبوسيين (أهل القدس) واستمر حكمه حوالى 40 عاما (1012 - 972 ق.م)كانت مليئة بالحروب والانتصارات والغنائم . وخلف (سليمان) أباه (داود) (عليه السلام) واستمر حكمه حوالى 40 عاما (971

931-ق.م) وأقام عدة مشروعات تجارية ومعمارية وبنى هيكلا فخما وقصرا عظيما وتزوج من ابنه أحد الفراعنة المصريين . وانقسمت الدولة بعده إلى مملكتين (يهوذا) فى الجنوب وعاصمتها (أورشليم) ومملكة (إسرائيل) فى الشمال وعاصمتها (السامرة) ثم بدأ الضعف يدب فى المملكتين وأصبحت إسرائيل محاصرة بخصمين أقوياء (مصر وبابل) وانحازت إسرائيل إلى قوة مصر وظلوا تحت هيمنتها لقرون واستعدوا بذلك عليهم ملك بابل وآشور . وكان غزو الملك (سرجون الثانى) لهم بعد ذلك .

وتوالى أنبياء وملوك إسرائيل بعد موسى ويوشع وسليمان حتى عاموس (750 ق.م) الذى أعلن أن (يهوه) إله الناس جميعا وليس إله إسرائيل وحدها . و(عاموس) هو الذى أعلن أن الله محبة[112](وهو المبدأ الذى تبنته المسيحية فيما بعد) وأعلن أن المظاهر الدينية من الأناشيد والمحروقات ومسنمات المعابد كلها لا قيمة لها عند الله وإنما قوام العبادة هو الإخلاص لله وحذر بنى إسرائيل أن يعتبروا أنفسهم شعب الله المختار وهم منغمسون فى المعاصى (انظر سِفر عاموس) . وإزاء الانحلال الخلقى والدينى فى الدولة أصبحت مهيأة لأن تكون غنيمة للأشوريين الذين استولوا عليها بعد حوالى عامين من دعوة عاموس . وفيما بين عامى 745 727 ق.م ظهر (تجلات فلاسر) Tiglath Pilesser امبراطوراً على دولة آشور وكان محاربا قويا فأخضع فى سلسلة من حملاته دمشق وجلعاد والجليل وغيرها وجعلها من ممتلكات آشور وعين عليها حكاما وفرض عليها جزية ثقيلة واضطرت إسرائيل أن تدفع جزية أيضا . ولكن فى عام 722 ق.م رفض (هوشع) ملك إسرائيل إذ ذاك أن يدفع الجزية وكان امبراطور آشور وقتئذ (سرجون الثانى) فحاصر السامرة ثلاث سنوات حتى استسلمت له وكانت هذه نهاية مملكة إسرائيل (السامرة) وأخذ (سرجون) جمهوراً من

الإسرائيليين سبايا (أسرى) إلى أقصى جزء فى امبراطوريته (ميديا) ثم غمر البلاد بسكان مجلوبين من القرى الآشورية والعيلّامية والبابلية فأقاموا على أرض فلسطين وامتزجوا ببقايا الإسرائيليين بها . وكان الشعب الناشئ عن هذا الامتزاج وثنياً وتكون منهم السامريون الذين سكنوا (السامرة) واتحدت معتقداتهم الدينية بعبادة (يَهّوه) وظل هذا المزج قائما حتى عاد (عَزّرا) و (نحْميا) من السَبّى البابلى فدعيا إلى تنقية الإسرائيليين من الدماء الأجنبية وطردا من أورشليم حفيد الكاهن الأعلى لأنه تزوج من ابنة الحاكم السامرى . ولكن السامريين ظلوا يهوداً وبنى لهم هيكلاً على جبل (جريزيم) ومع الزمن ازداد العداء بينهم وبين الإسرائيليين وخصص السامريون معبدهم للإله (زيوس) وظلوا بعد ذلك طائفة مستقلة . أما المملكة الجنوبية (يهوذا) فقد كانت شديدة الصلة بميراث (داود) وملكها (رحبعام) بن سليمان . وقد حكمها تسعة عشر ملكا وامتد عهدها نحو قرن وثلث زيادة على المملكة الشمالية وأمضت نحو قرن فى هدوء شامل سالمة . حتى كان آخر ملوكهم (صدقيا) 597 - 586 ق.م وكان يدفع الجزية لـ(نبوخذ نصّر) عدة أعوام ورأى أن يقف بجانب مصر ضد بابل وأن يقطع الجزية كما يفعل (هوشع) ملك السامرة من قبل فأرسل (نبوخذ نصّر) جيشاً دمر أورشليم وهدم المدن الهامة واقتادوا حوالى خمسين ألفا من السبايا إلى بابل . ولما زالت دولة كلدانيا وجاءت دولة الفرس قاد (كورش) الملك الفارسى (539-538 ق.م) الجيش الفارسى لتحطيم بابل وأعاد السبايا اليهود إلى موطنهم الأصلى ولكنهم لم يعودوا جميعا فقد آثر أصحاب الثروات والمزارع أن يبقوا لممارسة أعمالهم بعدما امتزجوا بالبابليين . ومن العائدين (زروبابل) و (يوشع) . وفى عهد الامبراطور (ارتحشتا الأول) عادت مجموعتان أخريان بقيادة (نحْميا) و (عزرا) وفى حوالى عام 333 ق.م جاء

(الاسكندر الأكبر) بجيوشه (العهد المقدونى) وهزم الفـرس بقيـادة (دارا الثالث) وبذلك دخلت فلسطين تحت حكم الاسكندر واستجابت الدولة الوثنيـة للثقافة اليونانية بسهولة (الفكر الهللينى أى الإغريقى) لأنها أيضا فلسفة وثنية (كان أرسطو ضمن رجال الاسكندر) وتمسك اليهود بالتوراة التـى كتبـها (عَزْرا) فى فترة السَبْى وألف لها شروحاً كى تُفهم جيـداً ويسـهل اتباعـها (التلمود) ولم يعد الكهنة هم المرجع فى كل شىء . وبعد مـوت الاسـكندر استولى (سلوقس) أحد قواده وأقواهم على الجانب الشرقى من آسيا المقدونية وجعل عاصمته فى كابل وكان (بطليموس) قد استأثر بمصر التى أصبحـت من نصيبه . أما القائد الثالث (أنتيخوس) فقد استولى على آسـيا الصغـرى وشاطئ البحر حتى غزة . وأدخل (بطليموس) فلسطين فى حـدود مصـر بمساعدة (سلوقس) لأكثر من قرنين (من عام 312 ق.م) وأصبحـت هـذه السنة هى **بداية التاريخ السلوقى (اليونانى)**.وأصبح اليـهود تحـت حكـم مصـر وهاجر كثيرون منهم إلى مصر (عصر البطالمة).وكـانت اللغـة اليونانية هى اللغة الرسمية للحكومة.وكانت العاصمة (الاسكندرية) مركـزاً لتجمع اليهود وترجموا التوراة إلى اليونانية (عام 270 ق.م) وسميت الترجمة (**بالترجمة السبعينية**) حيث استفاد منها اليهود الذين يتكلمـون اليونانيـة . ومن هذه الترجمة نقلت فلسفة اليهود ودينهم إلى الأمم الأخرى . أما فلسـطين فقد أصبحت تحت حكم السلوقيين بعد تقلص نفوذ البطالمة فيـها وانتشـرت الثقافة (**الهليستنية**) التى تختلف عن الثقافة (الهللينية) فى كونها خليط مـن الثقافة الأصلية مع ثقافات وافدة مشوهة من الفـرس والـهنود والبـابليين . وأصبح التفكير الفلسفى منحطاً وتلوث بنزعات مادية وأخلاقية وضيعة حيـث **تفشت الإباحية (جذباً للشباب) فأهمل اليهود التـوراة وتعاليمـها وارتـد بعضهـم عن يهوديتهم وانتشر الفساد وأقيمت المعابد الوثنية وأمر بمزاولة**

طقوسها وكانت الخنازير تُذبح على مذبح الهيكل وحرم الاختتان (الختان) وعبادة يوم السبت والاحتفال بالأعياد اليهودية وقراءة التوراة ومن يخالف ذلك يُعدَم. وكان ذلك محاولة من (أنتيخوس) السلوقى لاستئصال الديانة اليهودية من البلاد نهائيا . وجعل الهيكل معبداً للإله (زيوس) كبير آلهة اليونان . وقام اليهود بثورة ضد الملك (**ثورة المكابيين**) بدأت سرية وصغيرة ثم ازدادت (الحاخام ماتلثياس ثم ابنه يهوذا) حرب عصابات ضد المحتل (رافعاً لواء الغيرة على التوراة وتحرير الوطن) وسُمى (**المكابى**) التى تعنى فى العبرية الضارب بالمطرقة . واستطاع أن يستولى على بيت المقدس وطهره من الوثنيات (165 ق.م) فى ديسمبر (عيد الهنوكة) وسمى العهد بعهد المكابيين . وفى عام 143 ق.م أمكن التحرير والاستقلال التام من الاحتلال والسيطرة السورية (التابعة للسلوقيين) . واستمرت المملكة المكابية خمسة وستين عاما (168 – 105 ق.م) حتى جاء الرومان فأعفوا الأسرة المكابية ووُضع مكانها أسرة (هيرود) أو هيرودس وظهرت فرقتان جديدتان منبثقتان عن جماعة (القُرّاء العُبّاد) أى (الحاسيديم) وهم جماعة (الفريسيين) Pharisees وجماعة (**الصدوقيين**) Saducies وفى عام 66 ميلادية قام القديس (مناحم) قائد جماعة (الحماسيين الجليليين) بثورة وإعلان الحرب لتخليص بلاده من الحكم الرومانى . وحاول كل من الفريسيين والصدوقيين وقف هذه الثورة ولكنها اندلعت طائشة ضد الحكم الرومانى فى عهد (نيرون) الذى عهد إلى قائده (فاسباسيان) بإخمادها فدمر بعض المدن وأخضع المناطق الريفية ثم تقدم لحصار أورشليم فمات (نيرون) وأصبح (فاسباسيان) امبراطوراً بعده وعين ابنه (طيطس) أو (تيطوس) قائداً مكانه فحاصر أورشليم حتى استسلم اليهود بعد مشقة (انتحروا) ودمر ما تبقى من حصون ومبان . ودمر الهيكل عام 70م . وتدمير الهيكل كان فى واقع الأمر

نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية . واتخذت اليهودية الصورة التى احتفظت بها إلى أيامنا هذه صورة دين بلا معبد ولا كهنوت ولا قرابين . واختفت طائفة الصدوقيين وأصبح الفريسيون والأحبار زعماء شعب لا وطن له[113] واختفت فرق اليهود العديدة ولكن بحكمة جماعة من الفريسيين قُدر لهم البقاء حيث كانت تعاليمهم غير مشددة (**يرون أن الله أو يَهْوَه رب الكون كله لا اليهود وحدهم وأن العبادة تُقام فى أى مكان لا فى الأرض المقدسة فقط وأن فقدان الهيكل لا يعنى قطع الصلة بالله**) . وكان الفريسيون يقولون إننا نؤمن ببقاء الأرواح وفساد الأجساد . وتكونت فى مدرسة (يوخنان) زعيمهم أوسع التعاليم اليهودية وتمت الشروح الشفوية التى تكون منها بعد ذلك (المِدْراش) و (المِشْنا) والشروح الواسعة الأخرى وعزى أتْباعه بأنه مادامت التوراة باقية فإنها كفيلة بجمعهم حولها وربطهم مهما تباعدت أمكنتهم برباط مقدس . **ويمكن أن تمثل المِدْراش بالتفسير والمِشْنا بالفقه** . وترجع بداية المِدْراش إلى عهد (عَزْرا) وقد قاومها الصدوقيون . وكان أول من بوّب ورتّب (المِدْراش) هو (**عقيبا**) أو عقيبة العالم الربّانى (50 – 135 م) وهو أول من عالج تنظيم قوانين (المِشْنا) ونظم أول دراسة تجمع المِشْنا والمِدْراش والأخذ منهما معاً وعرفت هذه الدراسة باسم (**الحلقة**) Halachah أو (**الهالاكا**) .

ويتضح من ذلك كله أنه لا النصوص ولا القوانين اليهودية مما ورث عن (موسى) (عليه السلام) أو الأنبياء من بعده وأن الربّانيين والأحبار أدوا الدور الأكبر خلال القرن الميلادى الأول وأنهم حذفوا وأضافوا وهذبوا .

ولم يكن التلمود ثمرة تفكير . بل هو التفكير نفسه . فكل الأفكار المختلفة قد دونت فيه[114] وليس من المستطاع فهم التلمود إلا إذا دُرس في ضوء التاريخ على أنه العامل الفعال الذى أبقى على شعب مطرود يتهدده خطر التفكك التام[115] .

إن الاعتقاد بعودة المسيح الثانية هى التى أقامت صرح المسيحية وإن الأمل فى الدار الآخرة هو الذى أبقى عليها[116]. وقد أمدت المسيحية روما بالنظام كما أمدتها اليهودية بمبادئها الخَلُقية وكما أمدتها بلاد اليونان (الإغريق) بفلسفتها الدينية وقد دخلت هذه كلها فى بناء الدين المسيحى مع ما دخله وما امتصه من الأديان المعارضة [117] . **وقد كانت المسيحية عند الامبراطور (قسطنطين) وسيلة لا غاية . لأنه لو كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ**[118] . وكان قسطنطين قبل أن يعتنق المسيحية قد سوى من الوجهة القانونية بين الدين اليهودى وبين سائر الأديان التى يدين بها رعاياه . **أما بعد اعتناقه المسيحية (تشبهاً بأمه) فقد اضطهد اليهود وفرض عليهم قيوداً وحرّم على المسيحيين أن يتصلوا بهم ونفى أحبارهم وجعل زواج اليهودى من مسيحية جريمة يُعاقَب عليها مرتكبها بالاعدام.**[119]

إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها (فى صورة لاهوت الكنيسة وطقوسها) . ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام.[120]

* * * * *

اليهود من الفتح الإسلامي إلى العصر العثماني

ليس بمستغرب أن يفكر المسلمون في فتح بيت المقدس وهو البيت الذي ورد ذكره في القرآن وفي أحاديث النبي (ﷺ)والصحابة الكرام . ولقد كانوا مدفوعين لهذا الفتح بعوامل عدة منها ماهو ديني ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو استراتيجي وحربي[121] . فقد أُسرى بالنبي (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله . وما كان للنبي ليسرى إلى هذا البلد لولا أنه عِرق الجزيرة النابض وقلبها الخفّاق ومهبط الرسالات السماوية السابقة وأنه لاحياة للعرب - آمنةً - في جزيرتهم إذا لم تكن تخومها الشمالية محمية .

وفي الحديث الشريف[122] :

*لا تُشدّ الرِحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى .

وقد حث النبي (ﷺ) قومه على غزو الروم للأسباب السابقة. ولكن المنية فاجأته قبل أن يدرك غايته فأكمل الخليفة الأول (أبو بكر) وصيته وراح يستنفر العرب من أجل فتح الشام كلها وليس بيت المقدس وحده . وقد جهز لهذه الغاية أربعة جيوش عقد ألويتها لأربعة من كبار القواد هم : عمرو بن العاص (إلى فلسطين) وشرحبيل بن حُسّنة (إلى الأردن) وأبو عُبيدة بن الجراح (إلى دمشق) ويزيد بن أبى سفيان (إلى البلقان)[123].وبعد أن هزم المسلمون الروم في اليرموك وفتحوا الشام ولّوا وجوههم شطر فلسطين . فتولى أبو عبيده بن الجراح حصار إيلياء (القدس) وراح عمرو بن العاص يفتح المدن الفلسطينية الأخرى وكان أبو بكر الصديق قد انتقل إلى دار البقاء

وتولى (عمر بن الخطاب) الخلافة من بعده . وفي قول أن عمر بن الخطاب هو الذي أوعز إلى أبى عبيده أن يزحف إلى إيلياء فلبى أمر الخليفة واستدعى سبعة من مقاديم الجيش فعقد لكل منهم راية ضاماً إليه خمسة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير إليها . ففي اليوم الأول سار (خالد بن الوليد) وفي اليوم الثاني تبعه (يزيد بن أبى سفيان) ثم (شرحبيل بن حُسْنة) فـ (المرقال بن هاشم) فـ (مسيّب بن نجبة الفزازرى) فـ(قيس بن المرادى) فـ (عروة بن مهلهل بن زيد الخيل) . وجاء من وراء الجيش قائده (أبو عُبيدة). ولما حل ركبه في الأردن بعث إلى أهل إيلياء الرسل مزودين بالإنذار التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى عبيدة بن الجرّاح إلى بطاركة أهل إيلياء وسكانها . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول (ﷺ). أما بعد . فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله . محمد رسول الله . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . فإن شهدتم بذلك حُرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا . وإن أبيتم فأقرّوا لنا بأداء الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون . وإنّ أنتم أبيتم سرتّ إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم (الجنود) وأسّبى ذراريكم (المدنيين) .

وانقضت الأيام الأربعة الأولى من غير حرب ولم يتلق المسلمون جواباً من الروم على إنذارهم . وفي اليوم الخامس اقترب يزيد بن أبى سفيان من السور وكلم المحاصرين فخيرهم بين التسليم أو دفع الجزية أو القتال فرفضوا الشرطين الأولين واختاروا القتال . وكان أول من برز للقتال بنو حِمّير ورجال اليمن فتلقاهم الروم بالنبال ثم جاء الآخرون ونشبت معركة طاحنة دامت عشرة أيام وفي اليوم الحادي عشر أشرفت راية أبى عبيدة وفي

رفقته عبد الرحمن بن أبى بكر ونفر من المجـــاهدين الأبطـــال . فاســتقبله المسلمون بالتهليل والتكبير ودب الرعب فى قلوب الروم ودام الحصار أربعـة أشهر لم ينقض يوم واحد منها دون قتال إلى أن قنط (يئس) السكان وحل بهم الضنك والجوع فرأوا التسليم إلا أنهم اشترطوا ألا يسلموا المدينـــة إلا إلـــى شخص الخليفة فوافقهم أبو عبيدة وأمر جنده بالكف عن القتال وفـــر القـــائد الرومانى (أَرْطَبون) إلى مصـــر وصـــار زعيـم المســيحيين البطريـــرك (صفرنيوس) .

ويقول (ابن حنبل)[124] :

أرسل أبو عُبيدة إلى الخليفة كتابا يخبره بما جرى وبعد أن استشار عمر بن الخطاب أهل الحل والعَقْد من المسلمين في الأمر غادر المدينة متوجهاً إلى بيت المقدس . ولما وصل إلى المخيم الذي كان يرابط فيه المســـلمون علـــى مقربـــة من السور(وفى قول على جبل الزيتون) استقبله المسلمون بخيلهم ورماحهم وقد اصطفوا لاستقباله فى صفوف متراصة راكبين خيولهم متقلديـن سيوفهم شارعين رماحهم يهللون ويكبرون . وكان هو لابْساً ســـلاحاً متنكبـــاً قوسه ولم يكن معه سوى عبده . وبعد أن استراح قليلاً قصّ عليه أبو عُبيـــدة الخبر اليقين عما جرى منذ افترقا إلى ذلك الحين فأمر الخليفة من فـــوره أن يبلغوا البطريرك قدومه ففعلوا . وجاء البطريرك بعد قليل حـــاملا الصليـــب المقدس على صدره وجاء معه عدد من الأســـاقفة والقساوســـة والشمامســـة والرهبان حاملين الصلبان . ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلـــهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام ثم تحادثوا فى شروط التسليم وكتب لـــهم وثيقـــة الأمان التالية والتى عرفت باسم (**العهدة العُمَرية**)[125]: بســـم الله الرحمـــن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله (عمر) أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان.

أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم . ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولاشيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار أحد منهم . **ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود** .وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بِيَعهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم . وعلى ما أقول فى هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمة الخلفاء وذِمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

(كتب سنة 15 هجرية) وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان.

وكما أن عمر بن الخطاب أعطى أهل إيلياء العهد الذى تقدم ذكره فقد أخذ عليهم أيضا عهداً . ولقد جاء فى عهدهم مايلى :

هذا كتاب لعبد الله (عمر بن الخطاب) أمير المؤمنين من نصارى مدينة إيلياء إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرَطنا لكم أن لا نحدث فى مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نجدد منها ما كان فى خطط المسلمين [أى تخطيط الشوارع والمباني] ولا نمنع كنائسها أن ينزلها أحد من المسلمين بليل ولا نهار [للتفتيش] وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل . وأن ننزل

من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نوارى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن . ولا نظهر مشركا [أى لا نناصر مشركاً] ولا ندعو إليه أحداً . ولا نمنع أحداً من ذوى قرابتنا الدخول فى الإسلام إن أراده . وأن نوقر المسلمين . ونقوم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس . ولا نتشبه في شيء من لباسهم فى قلنسوة ولاعمامة ولا نعلين ولا فرْق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم [ألقابهم] ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله ولا ننقش على خواتمنا بالعربية . ولا نبيع الخمر . وأن نجزّ مقادم رؤوسنا (القُصّة) وأن نلزم زيّنا حيثما كنا . وأن نشد زنانير على أوساطنا . ولا نظهر الصليب على كنائسنا . ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شيء من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم . ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا إلا ضربا خفيفا . ولا نرفع أصواتنا مع موتانا . ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين [لا نشاركهم غنائمهم] ولا نطلع عليهم فى منازلهم [لا نتجسس عليهم] .

وبعد أن تعاطى الفريقان العهود والأيمان على النمط المتقدم ذكره دخل عمر بن الخطاب إيلياء (15 هجرية / 636 ميلادية) فاستقبله - صفر نيوس ودخل من ورائه المسلمون مهللين ومكبرين وقد كانوا متقلدين سيوفهم وراية العرب ترفرف فوق رؤوسهم . وكان أول عمل قام به (عمر بن الخطاب) بعد فتحه بيت المقدس أن زار كنيسة القيامة. ولما كان داخلها حان وقت الصلاة . فأشار عليه البطريرك (صفرنيوس) أن يصلى فى داخل الكنيسة قائلا له : مكانك صلِّ.

ولكن (عمر) أبى وخرج من الكنيسة وصلى فى مكان علـــى مقربـــة منها خشية أن يتخذ المسلمون صلاته فى الكنيسة ذريعة فيضعوا أيديهم عليها. فقابل النصارى عمله هذا بلا شكر . وذكره المؤرخون بالتقدير . ثم زار عمر مكان الهيكل وكان فى حالة خراب تام تجمعت فيه الأقذار فأصبح عبارة عـن مزّبلة (مكان تجمُّع للقمامة والقاذورات) فراح يحفن التراب وينحصه بكفيـه (أى ينظف المكان) وحذا الصحابة حذوه وبرزت الصخرة وأمـــر عمـــر أن يُبنى هناك مسجدا. فبنى المسجد وكان من الخشب (عام 637 م.) (أعاد بنـــاءه الخليفة عبـــد الملـــك بـــن مـــروان وأصبـــح الآن بمـــا يعـــرف **بمســـجد الصخرة)**[126].وراح يتجول عمر في شوارع المدينة ويغشي أسواقها وكانت لا تزال تئن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسى عام 614 م . **ولم يكن فـــى القدس معبداً أو هيكلاً يهودياً عندما فتحها(عمر) ولو وجـــد ذلـــك لأمـــر بالإبقاء عليه ولأمر بصيانته والمحافظة على نقوشه ومحتوياتـه**[127]. ورأى عمر بعين ثاقبة أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي أولا فلم يتوان . ففـــرض للمسلمين الفروض وأعطى العطايا ثم وضع التاريخ الهجري ودوّن الدواويـــن وقسم البلاد إلى مناطق وعيّن لكل منطقة أميراً ثم رتـــب الـــبريد ليؤمـــن الاتصال بين هذه المناطق . وأقام العيون (المباحث والمخـــابرات) وعيـــن قاضيا (مفتشا) يطوف على المأمورين ويحقق الشـــكايات وأســس الحِسْـبَة (البلدية) لمشارفة الموازين والمكاييل ومراقبتها ولمنع الغش . وتنظيف الأزقة والرفق بالحيوان وهدم البناء المحدث فى وسط السوق. وحظر علـــى النـــاس الازدحام فى الطرق . وحضهم على التجارة . وبينمـــا كان (عمر) يتفقـد المدينة أتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين فى كرْم عنـــب . فشـــكا إليـــه همه فركب معه . ولما رأى فريقا من المسلمين أكلوا مما فـــى الكـــرّم لشدة ما أصابهم من جوع أعطى الرجل ثمن ما أكلوا وأمر رجالـــه بـــالعدل

وذكر المؤرخون أن (عمر) زار قبيل رحيله عن بيت المقدس أبا عبيدة بن الجرّاح فى بيته فلم يجد فيه سوى لبد فرسه (وكان فراشه ووسادته وسرج فرسه) وكسرة يابسة فى كوّة بيته (حجر جاف فى طاقة بالجدار) . فلما دخل (عمر) جاء أبو عبيده بهذه الكسرة فوضعها على الأرض بين يدي عمر وأتاه بملح خشن وإناء من الخزف فيه ماء. وبعد أن رتب عمر الأمور ووضع كل شيء في نصابه اعتزم الرجوع إلى المدينة المنورة. وقبل أن يغادر بيت المقدس جمع جنده فأثنى على عملهم وشكر الله إذ صدق وعده ونصر جنده وأورثهم البلاد ومكن لهم فى الأرض **ثم نصحهم بالابتعاد عن المعاصي والتوبة وتقوى الله وإلا سلب الله عِزّهم وسلّط عليهم عدوهم.**

وأقام على بيت المقدس يزيد بن أبى سفيان على أن يأتمر بأوامر أبى عبيدة . وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر وأمّر على فلسطين رجلين فجعل (عَلْقمة بن حكيم) على نصفها الشمالي وأنزله الرملة (العاصمة الشمالية) و (عَلْقمة بن مجْزر) على نصفها الجنوبي وأنزله إيلياء (العاصمة الجنوبية) ثم عاد هو إلى المدينة .

وبعد ذلك بحوالى قرن وفى العصور الوسطى (القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي) ظهرت دولة فتية امتدت حدودها من بحر الخَزَر (بحر قزوين) إلى البحر الأسود ومن القوقاز إلى الفولجا وكانت عاصمتها (أتل) تقع على نهر الفولجا سميت هذه الدولة بـ (**دولة الخزر**) وكانت هذه الدولة تقع بين الامبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية (بيزنطة) من جهة والعربية الإسلامية من جهة أخرى . فكانوا هم بمثابة القوة الثالثة فى عصرهم . **وحرصاً على حماية دولتهم من ضغط المسيحية والإسلام فقد**

رأى الخاقان (بولان) عام 750 م الذى حكمهم فى منتصف القــرن الثــامن الميلادي اعتناق اليهودية هووحاشيته وشعبه .

ويلاحظ أن أرض الخزر كانت المأوى الطبيعي لهجرات اليهود التـــى وفدت هرباً من اضطهاد الحكام البيزنطيين . بل كانت أشبه بوطــن قومـــى لليهود[128] . كما ضمت بلاد الخزر أيضــا عــدداً كبـيراً مــن المســلمين والمسيحيين وكان تهوّد ملوك الخزر فى خلافة (هارون الرشيد) وقد ألــف ملك الخزر فى جيشــــه فرقة ضاربــة من المسلمين (اللارشــية) وهــم قبيلــة خوارزم الذين أقاموا فى البلاد على شروط منها[129] :

1- إظهار الدين والمساجد والأذان .

2- أن تكون وزارة الملك فيهم .

3- أنهم لا يظاهروه فى حالة حربه مع المسلمين (يقفــون علــى الحيــاد) ويحاربوا سائر الناس .

وقد وقف الخزر سداً منيعاً حال دون زحف العرب نحو القوقــاز بيــد أنهــم أقاموا منذ أواخر القرن الثامن علاقة ودية مـــع الخلافــة الإســلامية وحرصوا على المحافظة عليها . وأصل هؤلاء القبائل يعود إلى الأتراك.وكان شعب الخزر شعبا عصريا متحرراً من الأحقاد القوميــة ومفتوحــا لمختلــف الثقافات والأديان . له حكومته العادلة المتسامحة وجيشــه القــوى وتجارتــه الواسعة .

ويقول المؤرخ العربي (المسعودى)[130] عنهم :

جرى العرف فى (أتل) عاصمتهم أن يكون بها سبعة من القضاة اثنان من المسلمين (يفصلان فى القضايا تبعا للشريعة الإسلامية) واثنان للخزر (يفصلان بحكم التوراة) واثنان لمن بها من النصرانية (يحكمان بحكم النصرانية) وواحد للصقالبة والروس وسائر الجاهلية الوثنية (يحكم بأحكام الجاهلية) . وإذا ورد عليهم ما لا علم لهم به اجتمعوا إلى قضاة المسلمن فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام . وقد قضى الروس على امبراطورية الخزر فى النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ودمروا عاصمتهم (أتل) ولكنهم ظلوا محتفظين باستقلالهم داخل حدود أضيق عن ذى قبل إلى أن سقطت بلادهم فريسة لغارات المغول بزعامة (جنكيز خان) فى منتصف القرن الثالث عشر . **ولكنهم قبل هذا الغزو وبعده كانوا قد أرسلوا فروعا كثيرة من سلالتهم إلى البلاد الصقلية التي لم تقع في أيدي المغول وساهموا بالتالي فى تكوين جاليات يهودية كبيرة في شرق أوروبا .**

وخلاصة ما ينتهي إليه الكاتب اليهودي (آرثر كيستلر)[*] ويوضحه :

أن غالبية اليهود الحاليين ليسوا من أصل أسيوي.أى أنهم ليسوا من قبائل الأسباط الاثنى عشر (نسل يعقوب وأخوة يوسف) بل إنهم ينحدرون من الخزر (الذين أطلق عليهم الكاتب القبيلة الثالثة عشر) والذين انتشرت ذريتهم في كثير من دول شرق أوروبا خاصة بولندا والمجر

---

*) يهودى روسى ومؤلف كتاب (القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم) وأسباط اليهود اثنى عشر سبطا فقط أما يهود اليوم فلا يتشكلون منهم .

وروسيا أى أنهم لم يجيئوا من فلسطين بل جاءوا من القوقاز . أى بعبارة أخرى فإن مصطلح معاداة السامية لم يعد له معنىً فى ضوء هذه الحقيقة .

ويشاركه الرأي (**د. ابراهام بولياك**) اليهودي الروسي وأستاذ التاريخ اليهودي في جامعة تل أبيب . وأثبت أيضا النمساوي (**هوجرفرير فون كوتشيرا**) عام 1847 - 1910 م . في بحوثه عن الخزر أن يهود شرق أوروبا ينحدرون منهم .

وقد استمد (ارثر كيستلر) واستقى معلوماته تلك من عدة مصادر[131] :

(1) المصادر العربية :

رسالة ابن فضلان ، البلخى ، الاصطخرى ، المسعودى ، البكري ، ابن رسته، اليعقوبى ، ابن مسكويه ، ابن النديم ، الدمشقى ، ابن حوقل ، ابن العديم ،وياقوت .

وابن فضلان هو الوحيد الذي عاصر تلك الأحداث .

(2) المصادر البيزنطية :

مؤلفات الامبراطور البيزنطي المؤرخ (**قسطنطين السابع**) بورفيرو جنيتوس (**كتاب المراسم**) عام 950 م .

(3) المصادر الروسية :

الحوليات الروسية فى الفترة ما بين القرن السابع والعاشر الميلادي وهى الحوليات التى انتهت أخبارها سنة 1112 م . وتسمى (**قصة السنوات الغابرة**) وهى تتضمن بيانات صادقة عن تلك الفترة تولى جمعها راهب من كييف اسمه (**نستور**) .

(4) الرسائل الخزرية :

و هى رسائل بالعبرية ترجع إلى القرنين الحادي عشر و الثاني عشـــر الميلادى تروى قصة اعتناق شعب الخزر اليهودية .

(5) المصادر الحديثة :

مثل **دوجلاس دانلـــوب** ، توينبـــى ، بيـــورى، بـــارون، مكـــارتنى، فرنادسكى، وكالة (**مجموعة الجنيزة**) (وهى مجموعـــــة وثـــائق عبريـــة محفوظة في المعبد اليهودي بالقاهرة بمصر) .

وعليه فإن كيان دولة إسرائيل لا يستند إلى أصول اليـــهود العرقيـــة النظرية ولا يستند إلى ركائز عقائدهم الدينية وإنما يقوم أساســـا بمقتضـــى القانون الدولي (قرار التقسيم فى عام 1947 م) والذي كان نتيجـــة تدفـــق هجرات اليهود إلى فلسطين لسنوات طويلة قبل ذلك .

ويقول (رافائيل باتال)[132] :

أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أنه خلافا للشائع ليس هناك جنس يهودى حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التي أجريت على مجموعات من اليهود أنهم يختلفون بعضهم عن بعض اختلافا بيّناً في كـــل الخصـــائص الجسدية الهامة (القامة ولون البشرة وشكل الوجه وفصائل الدم) .

ويقول (ريلى) فى كتابه (أجناس أوروبا) :

إن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتّون إلى اليهود الأولين بـــأي شـــبه وأن القول بنقاء دم اليهود حديث خرافة .

ويؤكد المؤرخ العربي (الاصطخرى) :

على تنوع قبائل الخزر ويقول عنهم أنهم صنفان :

1-كارا خازر (الخزر السود).

2-الشخرر (الخرر البيض).

وهم يرجعون إلى قبائل أخرى كانت تسمى (الأكاترير) ومنها اشتقت لفظة الشخرز .

ويقول (**أرتامونوف**) المؤرخ الروسى فى كتابه (**تاريخ الخزر**) :

تحللت مملكة الخزر وتهاوت إلى أجزاء تداخلت أغلبيتها في الشعوب الأخرى المتصلة بها . أما الأقلية التي استقرت في (أتل) فقد فقدت قوميتها وتحولت إلى طبقة طفيلية ذات صبغة يهودية .

وعن اليهود فى مصر المملوكية تقول د. محاسن الوقاد : (133)

*عند فتح (**عمرو بن العاص**) لمصر عام 21 هـ / 642 م . لم يتعرض لأهل الذِمّة بسوء . فقد عامل اليهود معاملة حسنة تنطوي على التسامح الديني كما التزم بمبدأ العقيدة . وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعا (اليهود والنصارى).

***فى العهد الأموي** للخليفة (**عمر بن عبد العزيز**) جرى إحلال الموظفين المسلمين محل الموظفين اليهود في الجهاز الإداري والمالي للدولة وحرم عليهم ركوب الخيل (كمظهر للعلو والعزة) .

* **فى عصر الخليفة العباسي المتوكل** (235 هـ / 849 م) أمر بأن يتميزوا بلبس الطيالسة العسلية والزنانير وعلى رؤوسهم القلانس المختلفة الألوان وأن يجعل على أبواب دورهم أساطين من خشب مسمورة وذلك للتمييز بين منازلهم و منازل المسلمين. ونهى أن يستعان بهم فى دواوين الحكومة وأعمال الدولة التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين . كما نهى أن يتعلم أولادهم فى كتاتيب المسلمين وأن يقتصروا فى ركوبهم الدواب على الحمير والبغال دون الخيل . وهذه المراسيم كان يعمل بها فى حين صدورها بمنتهى الدقة ولكن بمرور الوقت يعود كل شيء كما هو عليه وترجع سياسة التسامح مرة أخرى .

*فى **عهد الدولة الطولونية** (254 - 292 هـ / 868 - 905 م) وجدت جالية يهودية بمصر وكان أفرادها من الأثرياء ورجال الأعمال وشهدت تلك الفترة اعتناق كثير من اليهود والنصارى للإسلام . وكان مساحة الحرية كبيرة . وفى هذا العصر وفد على مصر أعداد كبيرة من يهود فارس الذين كانوا يعملون فى تجارة الشرق عبر الخليج العربي بسبب تعطل هذا الطريق وعودة التجارة فى الشرق إلى طريقها الأول . وقد برع اليهود في مجال الطب واستخدم (أحمد بن طولون) عدداً منهم .

*بعد وفاة الخليفة **وعودة الولاية العباسية** لم يعكر صفو اليهود سوى المرسوم الذى صدر أثناء ولاية (**عيسى النوشرى**) على مصر 295 هـ / 908 م حيث أمر الخليفة (**المقتدر**) بألا يستخدم أحداً منهم إلا في الطب وأعمال الصيرفة .

***في عهد الدولة الاخشيدية**(323 – 358 هـ / 935 – 969م) كان لليهود أنشطتهم الملحوظة في الأعمال التي تدر الأرباح الوافرة . وكان لهم محاكم خاصة بهم مع احتفاظهم في الاحتكام إلى قضاة المسلمين . ومن أشهر اليهود في ذلك العصر (**يعقوب بن كلس**) الذي اشتغل بالتجارة واتصل بكافور وأصبح يعرف بـ (**تاجر كافور**) كما أنه نظم مالية مصر في عهده . وفي أواخر عهد الدولة الاخشيدية اعتنق يعقوب الإسلام فزادت مكانته عند كافور.

***وبعد وصول الفاطميين إلى مصر** (358 هـ / 969 م) رأى خلفاء هذه الدولة أنهم قد جاءوا إلى مصر بمذهب شيعي **يخالف مذهب المصريين** السني . ومن ثم فقد صاروا بحاجة **إلى من يعاونهم في تثبيت سلطانهم** . فعمدوا إلى تقريب أهل الذمة وأظهروا لهم الكثير من التسامح واستخدموهم في أهم شئون الدولة الإدارية والاقتصادية والسياسية . ومن أشهرهم (منشا اليهودي) . وفي عهد (**الحاكم بأمر الله**) رجعت الأمور إلى سابق عهدها بالنسبة لليهود . حيث اشتد عليهم وحرم عليهم ركوب الخيل وأفرد لهم حمامات خاصة بهم **وحرق الحي اليهودي وقام بنقلهم إلى حارة زويلة وأسكنهم بها** . ولكنه عاد مرة أخرى إلى سياسة التسامح معهم ومنحهم أمانا (411هـ / 1020 م) فلعب اليهود في مجال التجارة دوراً مهما ومارسوا تجارة الذهب والجواهر والعملة وأعمال الصيرفة وأسهموا في النشاط الصناعي (صناعة الخمور والسكر والعسل والزيوت والحلي والمعادن) وزادت ثرواتهم . **ولذلك يعتبر العصر الفاطمي العصر الذهبي لليهود بمصر .**

*بعد انتقال الحكم إلى **الأيوبيين** (567 هـ / 1171 م) . أصدر (**صلاح الدين الأيوبي**) مرسوما بصرف أهل الذمة ومنع استخدامهم في الأعمال السلطانية ودواوين الحكومة (إبعاد الموالين للفاطميين ولمنع تآمرهم على حكمه خصوصا مع اشتعال الحروب الصليبية) . ورغم هذا فقد استعان (صلاح الدين) باليهود في بعض الأعمال مثل رئاسة ديوان التحقيق (**ابن كوجك**) وفي مجال الطب كان (**موسى بن ميمون**) طبيبه الخاص (أسلم في المغرب العربي قبل مجيئه إلى مصر) .

*وفي **الدولة المملوكية** عرفت الجزية على اليهود باسم (ضريبة الرؤوس) وهي التي عرفت في العصور المتأخرة باسم (**الجوالي**) . وتختلف تلك الضريبة عن الجزية بأنها تميزت بطابع إنساني إذ روعي فيها عدم أخذها من النساء والأطفال والشيوخ وأصحاب العاهات وغير القادرين والرهبان (بشرط انقطاعهم في الأديرة) بالإضافة إلى إمكان تأجيل تحصيلها من المعسر وهي سنوية .

أما الجزية فهي جزء من اتفاق عقد الذمة حيث يكون على المسلمين حمايتهم وحماية أموالهم وتعويضهم عما تلف منها بالإضافة إلى حرية العقيدة والدفاع عنهم ماداموا باقين داخل المجتمع الإسلامي (وهي سنوية أيضا) .

ولم يكن اليهود أقلية منعزلة في المجتمع المصري وإنما امتزجوا داخل المجتمع وتولوا الوظائف الإدارية والأعمال المصرفية وممارسة مهنة الطب التي رفعت من شأنهم ومكانتهم بين أهل طائفتهم فتولوا الإشراف على شئونهم (أصبحوا زعماء دينيين للطوائف اليهودية مثل عبد اللطيف بن إبراهيم بن شمس الطبيب الذي كان رئيسا لليهود).

وسلاطين المماليك لم يفرقوا فى المعاملـــة بيـن الأطبــاء اليـــهود والمسلمين سواء فى العطية أو فى العقاب (فى حالة الفشل فى التطبيـــب) . **وقد حظيت أوقاف اليهود باهتمام سلاطين المماليك ورعايتـــهم واهتمامـــهم مثلما يحدث لأوقاف المسلمين** . ولم تحدث اضطهادات لليهود فى العصـــر المملوكي (وغيره) إلا فيما ندر . وقد أشار الرحالة اليهودي (**شولام بـــن مناحم**) بســـماحة الإســـلام وحســـن معاملـــة المســـلمين وتمـــيزهم عـــن غيرهـــــــم فى كثير من الإعفاءات المالية (الضرائب والجمارك) .

وتخلوا أغلب (وثائق الجنيزة) (*) **من أية معلومات عن اشتغال اليـهود** بتجارة الرقيق(الجواري والعبيد) **سواء فـــى حـــوض البحـــر المتوســـط أو** المستوى الأفريقي أو الهندي .

وعن التقسيم الطائفي الديني لليهود تقول الدكتورة / **محاسن الوقاد**(134) :

يتركز الفرق بين الفرق الدينية اليهودية حول الاعتراف بأسفار العـــهد القديم (التوراة)والتلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جــاء فيها من أحكام وتعاليم . واليهود ثلاث طوائف هم :

الربّانيون والقراءيون والسامرة .

(1) **الربّانيون أو (الفريسيون)** :

ويطلق عليهم أيضا الربّيون والربّانون والفرزيـــون وســـموا هكـــذا لاتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم فى المِشْنا (المشْنة) أى ســـنَة موســـى (عليه السلام) (التوراة الشفهية) وشروح التلمود (الجمَارا) .

(*) مجموعة وثائق عبرية أي يهودية محفوظة فى المعبد اليهودى (معبد عزرا الكاتب) بالفسطاط بالقاهرة تعتبر كدفتر أحوال وسجل لشئون اليهود الإدارية والدينية وغيرها .

و (المِشْنا) تشتمل على ستة أقسام يطلق عليها (السداريم) أى الأوامـــر وهى :

(أ) زرعيم (الزراعة)

(ب) موعيد (الأعياد)

(ج) ناشيم (النساء)

(د) نزيكين (الجروح)

(هـ) قوداشيم (المقدسات)

(و) توهاروت (الطهارة)

والتلمود (المعرفة أو التعليم) ينقسم إلى :

(أ) المِشْنا : بمعنى النص أو المَتْن . (الفِقْه).

(ب) الجِمَارا : بمعنى التفسير أو الشرح (السنة).

وهناك تلمودان :

(أ) الفلسطيني ويسميه (اليهود الأورشليمى).

(ب) البابلي .

والربّانيون هم أكبر طوائف اليهود ورئيسهم له حق الإشـــراف علـــى أبناء الطوائف الثلاث . **وقد انفرد الربّانيون بشروح غوامض التوراة التـــى وضعها أحبارهم كما أباحوا تأويل نصوصها .**

(2) القراعيون :

وهم لم يعترفوا بغير التوراة ولم يتقيدوا بمـــا جـــاء فـــى التلمـــود ويعتمدون على التقويم القمرى فى حساب أعيادهم ومواسمهم . وهـــم مثـــل المعتزلة أو الشيعة في الدين الإسلامي (الذين وقفوا موقـــف الحـــذر مـــن

الروايات الشفوية الإسلامية وتحرجوا من اعتبار الحديث مصـــدراً أساسـيا للتشريع الإسلامي). والقراعيون يلتزمون بعدد أيام كل عيد حسب مـــا ورد في التوراة (بعكس الربانيون الذين أضافوا يوما إلى أيام كل عيد فيما عـــدا صيام يوم الغفران / كيبور) .

(3) السامرة (شومرون) :

وهـم الذين كانـوا يحجـون إلى (جبل جرزيم) في مملكة إسـرائيل (الشمالية) بدلا من الحــــج إلى الهيكل (جبل صـــهيون) فـــي مملكــة يهـوذا (الجنوبية) وقد نشأت هذه الطائفة بعد وفـــاة (سـليمان) (عليه السلام) وسقوط مملكة إسرائيل على يد ملك آشور (تغلات بلاسر) وابنه سـرجون الثاني ويذهب بعض الباحثين اليهود أن ذلك كان بعد السّبْي البابلي عـلى يـد (نبوخذ نصّر) . وقد أضاف السامريون إلى التوراة عبارات توحي بقدسـية جبل جرزيم . وهم لايؤمنون إلا بالأسفار الخمسة الأولى وأنكروا نبوة مـــن جاء بعد موسى (عليه السلام) بخلاف هارون (عليه السلام) ويوشع بـــن نـون . وهـم شديدوا الحرص على حرمة يوم السبت .ويؤمنون بيـوم القيامـة والملائكـة ونزول المسيح . وهم أغنى أغنياء طوائف اليهود .

وهناك العديد من العادات التي انتشرت بيـــن اليـهود مـأخوذة عـن المسلمـين مثل غسيـل الأرجـل قبل صـلاة الصبح وخلع الأحذيـة عنـد دخـول المعــبد (القراعيون) وقراءة (الشماع) في بداية الصلاة (كـمـا تقرأ الفاتحة في صلاة المسلمين) وعادة طهارة المحتلم بالاستحمام والتطـهر قبل الصلاة ودخول المعبد . والصلاة فردية وأحيانا جماعية .

وجرت العادة أن تعرض القضايا التى تقع بين المسلمين و الذميين (أهل الكتاب) على قضاة المسلمين . أما بين الذميين بعضهم البعض فكـــان لـــهم قضاؤهم الخاص إلا إذا احتكموا إلى قضاة المسلمين فيحكم بينهم بشــرع الإسلام . ورئيس القضاة اليهودى يسمى (الناجيد) ، وهو من ترشيحهم فقط . وهو المختص بالإشراف على النشاط الديني لمختلـــف الطوائف التابعـــة لــــه على قدم المساواة . ويأخذ على عاتقه إلزام اليهود بتطبيق(**الشــروط العُمَرية**)[135]وهى :

(1) الشروط المستَحَقّة : وهى ستة شروط :

(أ)عدم ذكر الإسلام بذم أو قدح .

(ب)عدم ذكر الله بطعن له أو تحريف فيه .

(ج) عدم ذكر رسول الله (ﷺ) بتكذيب له أو ازدراء .

(د) ألا يصيبوا مسلمة بزنا أو باسم نكاح (زواج) .

(هـ) ألا يفتنوا مسلماً عن دينه أو يتعرضوا لماله ودمه .

(و) ألا يعينوا أهل الحرب (الأعداء) .

وهذه الشروط مُلْزِمة فإذا نقضوها نُقض عهدهم ويحكم بذلـــك قضـــاة المسلمين .

(2) الشروط المستَحَبّة : وهى ستة شروط أيضا :

(أ) لبس الغيار (أى لبس ملابس ذات ألوان مخالفة لملابس المسلمين)

(ب) ألا تعلو أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .

(ج)ألا تعلوا أبنيتهم فوق أبنية المسلمين .

(د) ألا يجاهروا بشرب خمر و إظهار صلبانهم .

(هـ)أن يُمنعوا من ركوب الخيل (رمز العلو والعزة ومطيّة الجنود فى الحرب) ولا يُمنعوا من ركوب البغال والحمير .

(و)أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهرّوا بندب عليهم ولا نياحة .

و (الناجيديم) لم يبتعدوا عن اليهود ولم يعزلوا أنفسهم كما فعل رؤساء الطوائف اليهودية فى بابل وكانت دورهم مفتوحة لكل اليهود المقيمين والوافدين من أماكن أخرى . وكانت العادة أن يخلف الناجيد ابنه (أشبه بنظام ولاية العهد) وكان يطلق عليه ألقاب مثل (تاج الأمة) و (تاج الرؤساء) و (تاج الوزراء) . وكان يلي الناجيد شخص يسمى (الديّان) الذي يفصل فى القضايا المدنية (معظمها خلافات مالية) والكاتب (السوفير) الذي يختص بتحرير العقود والصكوك والبراءات للخصوم ونسخ عقود الزواج والطلاق . **ومجالس القضاة اليهودية تُعقد عادة فى المعابد .وقد وضع القضاة اليهود عدة شروط تقضى بضرورة عدم جواز تأجير منازل اليهود للمسلمين أو النصارى . على الرغم من وجود كثير من اليهود يسكنون فى منازل مِلْكاً للمسلمين .**

وطقوس الزواج(136) لا تختلف كثيراً فى كافة الطوائف اليهودية وتماثل ما يحدث عند المسلمين (خطبة - قران ومهر وشهود - عقد وصلاة بركة ومأدبة والتقديس أى الإشهار والإعلان) والمحرمات من المصاهرة تماثل تقريبا المحرمات فى الدين الإسلامي ويزداد عليها زوجة العم أو الخال والجمع بين المرأة وابنة ابنها أو ابنة ابنتها . **والشريعة اليهودية تجيز تعدد الزوجات** . واستمر ذلك حتى القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ثم أبطل الربّانيون التعدد وفقا لأهوائهم لكن القرائيين استمروا فى ذلك واشترطوا ما اشترطه الإسلام من العدل بين الزوجات (التوراة لم يرد فيها حَجْر أو حَصْر لعدد معين من الزوجات بخلاف الإسلام الذي حدد العدد

بأربعة كحد أقصى فى المرة الواحدة) وكان همّ وشاغل اليهود الأساسي من الزواج هو إنجاب الكثير من الذرارى . وهناك عادات أخرى تفشت بين اليهود مثل خطبة الأطفال (أحيانا كان يكتب بذلك عقد اتفاق فيه شروط جزائية وغرامات لمن يعدل عن التنفيذ عند البلوغ) وزواج (**اليبوم**)(137) أى زواج الرجل من أرملة أخيه إن لم تنجب من أخيه على أن يُنسَب الطفل الأول لأخيه وذلك لـ :

1- ضمان استمرار الأسرة والمحافظة على إقامة الطقوس الدينية للمتوفَى . (أى لتستمر حسناته بعد الوفاة) .

2-استمرار الاحتفاظ باسم المتوفَى فى شخص عقبه الذي يولد بعد موته ومن ثم المحافظة على أموال المتوفَى وعائلته .

3-الاحتفاظ بأرملة الميت داخل الأسرة لأنها ثروة اقتصادية عظيمة يمكن استغلالها والانتفاع بها .

4-عدم خروج تركة المتوفَى إلى عائلة أخرى .

5-انقطاع نسل الميت يُعد غضبا من الله وحرماناً له من تأدية فرائض الدين .

وفى هذا الزواج كان مجرد بسط الثوب على المرأة (الأرملة) يعتبر دليلا على إتمام الزواج . ولا توجد طقوس أخرى غير ذلك للاحتفال بزواج اليبوم حيث أن المرأة كانت تعتبر كزوجة ولا تحل لآخر (غير شقيق زوجها المتوفَى) إلا بعد (**الحليصاه**) أى طلاقها من أخي الزوج المتوفَى . ومن المعروف أن القرائيين يجمعون على تحريم زواج اليبوم وقد اختلفت طائفة السامرة مع الربّانيين فى هذا الزواج . فطائفة السامريين ترى وجوب تطبيق هذا النوع من الزواج حتى ولو خطب الرجل المرأة ومات قبل الدخول بها :

وقد أقر الربانيون هذا الزواج استناداً إلى بعض فقرات وردت فى العهد القديم حيث يقول يهودا لأونات:

*ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك[138] .

وورد أيضا فى (المِشّنا) ما يؤيد زواج اليبوم .

ويلاحظ أن نساء اليهود وبناتهن كن يتسمين بأسماء عربية (مثل ست البنين ، ست الدار ، ست الناس ، ست الكل ، ست الحسن ، أم مخلوف) وهذا دليل على أن اليهود كانوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصري .وفيما يتعلق (بالختان) **فقد ارتبط عند اليهود بالقربان حيث اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان (الجزء الذي يُقتطع فى عملية الختان) وقد كان الختان سُنّة وعادة شائعة عند المصريين القدماء . وقد شاع عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية وقد اقتبسه اليهود من المصريين وجعلوه مرتبطا بالقرابين التي تُقدم للفقراء وارضاء الآلهة .**

واليهود ينسبون شعيرة الختان إلى (إبراهيم) (عليه السلام) ويطلقون على كل من يختتن من اليهود تعبير (**مِلّة إبراهيم**) أما إذا كان غير يهودي فيطلق عليه اسم (**حنيف**) وهم لا يؤخرون موعد الختان عن اليوم الثامن لولادة الطفل حتى ولو وافق ذلك اليوم يوم السبت أو يوم الغفران أو غيرهما من الأيام المقدسة . والذي يقوم بعملية الختان يسمى (موهيل) Mohel أى الخاتن أو المطهر الذي يُرخص له بذلك من الحاخامية أو المؤسسة الدينية التى يتبعها وأحيانا يسمح المرأة اليهودية لتقوم بالختان ولغير اليهودي أن يجرى الختان للمواليد اليهود. وللمولودة الأنثى يُجرى لها (الخَفْض). ويتم الختان والخَفْض فى الكنيس اليهودي (السيناجوج) . ومن العادات

الشائعة ارتداء نساء اليهود غطاءً للرأس والنقاب أو البرقع (مثل المسلمات) خصوصا عند الخروج إلى الشوارع . وكن يتسمين بأسماء عربية مثل مِلاح وعَذْب وشمس وعزيزة وشقراء وفَخْر.

وعن أعياد اليهود تقول د. محاسن الوقاد[139]:

تنقسم أعياد اليهود إلى قسمين : شرعية وغير شرعية .

أولا : الأعياد الشرعية : وهى خمسة .

أ ـ رأس السنة (روش هشاناه) :

وهو عيد عتق وحرية ويناظر عيد الأضحى عند المسلمين ويعتقد الربانيون أن الكتب تفتح في السماء وتُكتب الأعمال ويصدر الحكم على الأفراد والأمم في هذا اليوم ويحل في أول أكتوبر (تشرين) ويستمر ثلاثة أيام .

ب- عيد الغفران (كيبور) (صوماريا) :

أى الصوم العظيم ويحل فى التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين) .

جـ - عيد المظلة (الظُلَل أوسكوت) :

ويبدأ فى الخامس عشر من أكتوبر (تشرين) وعُرف أيضاً (بعيد الحصاد) لأنه يحدد الفترة الانتقالية من عام زراعي إلى عام آخر وهو عيد للمطر . **وعيد الغمام** (الذي أظلهم بعد الخروج من مصر) . وفيه يحمل اليهود أغصان الشجر عن دخولهم المعبد للصلاة ويضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم الذنوب التي ارتكبوها طوال العام. ويستمر الاحتفال سبعة أيام .

د ـ عيد الفِصْح (عيد الفطير) :

وهو عيد الربيع وموعده التاسع عشر من شهــــــــر أبريل (نيسان) ومدة الاحتفال سبعة أيام عند القرائيين (ستة عنــد الســامرة وثمانيــة عنــد الربّانيين) وهو إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون . ويسمى أيضــا (**عيد الفَسْخ**) أى الفرج بعد الضيق . وله أسماء أخرى منها الحظو والمرور والعبور ويصنعون فيه الفطير الذى لا يدخله الملح ولا الخميرة (عند فرارهم من فرعون لم يكن لديهم الوقت لانتظار تخمر الخبز الذي حملوه معهم فــــى رحلة الهروب أى العبور . **وكان بعض اليهود يلجأ ون إلى خلــط عجينــة الفطير (فطير الفِصْح) بدم بشرى يُفضل أن يكون من أحد المســيحيين أو المسلمين .**

هـ ـ عيد الأسابيع (العنصرة أو الخطاب) :

وكان موعده فى السادس من يونيو (سيوان) وسمى **بعيد الحصاد** (سِفْر الخروج) **ويوم البكورة** (سِفْر التثنية) وسمى شفوعوت بالعبرية . وفى هــذا اليوم **نزلت الوصايا العشر** على موسى (عليه السلام) .

ثانيا : الأعياد غير الشرعية :

وهى التي لم ترد في التوراة . وهى محدثة ومنها :

أ- عيد الفوز (البوريم) أو (أستير) :

و(أستير) هي المرأة التي نجتهم من (هامان) بزواجها مــن أحــد ملوك الفرس حتى تفسد تدبير وزيره هامان الذي أراد أن يهلك اليهود ودبرت له مكيدة قضت عليه . وموعده الثالث عشر من مارس (آزار) ويُعرف عند الكُتّاب العرب (**بعيد المسخرة**) أو عيد المساخر بسبب ماكان يجرى فيه من إسراف في شرب الخمر وخلافه .

د– عيد الحنكة (الحانوكة) :

ويبدأ فى ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر (كسلو) ويستمر ثمانية أيام ويسمى أيضا (عيد التدشين) حيث تم فيه إعادة افتتاح الهيكل عام 165 ق.م أيام البطالمة . والقراعيون لا يعترفون بهذا العيد .

وقد جرت العادة أن يحج اليهود في ثلاثة أعياد هي (الفصح) و (المظلة) و (الأسابيع) . وكان معظم الحجاج اليهود يقومون بزيارة (الخليل) حيث قبور الأنبياء . وقد كان بمصر أماكن خاصة يحج إليها اليهود مثل بيت المقدس تماما مثل (معبد دموه) بمحافظة البحيرة .

ومن أهم المعابد اليهودية فى مصر[140]:

معبد الفلسطينيين المسيحى المسمى بـ (**معبد عَزْرا الكاتب**) في الفسطاط بالقاهرة . ومعبد المصريين (**معبد الأستاذ**) ومعبد تركية ومعبد ربّي دافيد بن أبى زماره ومعبد ذو المعجزة ومعبد الحاخام إسماعيل ومعبد الحاخام يعقوب ومعبد البرتغاليين . ومعبد تلمود التوراة ومعبد حاييم كافوسى ومعبد شعر شامايم ومعبد حنان ومعبد موسى بن ميمون . ومعبد دموه **ومعبد (عَزْرا الكاتب) هو الذي عُثر فيه على (وثائق الجنيزة) الشهيرة والتي تؤرخ لحياة اليهود فى مصر ومعظم هذه المعابد لا وجود لها الآن** . وهى معابد لليهود الربّانيين . وتوجد معابد أخرى لليهود القراءين منها معبد ابن تسومح ومعبد ابن شميك ومعبد الخازن ومعبد سمحاه ومعبد العباسية (معبد موشيه درعى) .

وعن تاريخ اليهود فى (الفترة العثمانية) 1517 –1914 :

*يقول الباحث (**أفراهام ديفيد**) [141] :

ارتحلت أعداد كبيرة من يهود شبه جزيرة أيبريا (أسبانيا والبرتغال) إلى مصر عقب طردهم منها قبيل نهايات القرن الخامس عشر (خروج العرب من الأندلس) باعتبارها فترة التقاط الأنفاس قبل التوجه إلى فلسطين . وكانت إقامتهم بمصر فى المدن والمراكز التجارية الهامة (مدن الساحل والمطلة على النيل) مثل أبى قير والخانكة وبنها والطور والاسكندرية والمنصورة وبولاق بالقاهرة والبرلس وبلبيس ودمياط والمحلة الكبرى ومليج والمنزلة والسويس وفوه والفيوم ورشيد والقاهرة بضواحيها الكثيرة .

***ويشير الباحث** (**سرجيو ديلابيرجولا**) [142] إلى أن :

حرص اليهود على التمركز فى كبرى المدن بمصر خاصة مدينتي القاهرة والإسكندرية وذلك بخلاف سائر فئات المجتمع والأقليات الأخرى ومن الظواهر الديموغرافية نجد أن بنية المجتمع اليهودي فى مصر من ناحية الجنس اتسمت بقدر من الاستقرار حيث كانت الفجوة فى العدد بين الرجال والنساء اليهود متواضعة للغاية مما يدل على **أن الهجرة إلى مصر كانت هجرة عائلات يهودية بالكامل لا هجرة أفراد ويلاحظ شيوع ظاهرة الزواج المختلط** .

*وعن الحياة الاقتصادية يقول الباحث (**العازر باشان**)[143] :

أدى الاحتلال العثماني لمصر إلى تحسن وتطور الاقتصاد المصري بعد معاناة – فى نهايات العصر المملوكي – من الركود وانخفاض معدلات الانتاج الزراعي والصناعي. واندمج اليهود في الوضع الجديد – مع الحكم

العثماني - بفضل قدرتهم على التكيف فعملوا في مجـــالي التجـــارة المحليـــة والخارجية وفى الصفقات المالية . وكان منهم الأطباء والمترجمين والحرفيين ومجال الوساطة والوكالة التجارية بيّن الشرق والغرب وتجارة الرقيق والعبيد (المسيحيين فقط) .

*وعن الأنشطة اليهودية فى الاقتصاد المصري يشير البـــاحث (**ســلومون سطمبولى**)[144] إلى :

تشابه أنشطة اليهود فى مصر مع تلك التى اشتغل بها سائر الســكان عدا مجال الخدمة العسكرية الذي كان قاصراً على المسلمين . وسعى يـــهود مصر إلى الحصول على حماية القوى العظمى المتمتعة بالامتيـــازات التـــى مُنحت لها من قِبَل الامبراطوريـــة العثمانية (قُدر عدد تلك الدول المتمتعـــة بالامتيازات بخمس عشر دولة) وذلك رغبة فى التمتع بالمزايا والامتيـــازات الممنوحة للرعايا الأجانب . **واستغل تجـــار المخـــدرات هـــذه التســـهيلات الممنوحة لهم (كرعايا أجانب)** أى أنهم **كانوا فوق القانون . وكذلـــك تـــم إعفائهم من الضرائب** .

* وتقول الباحثة (**ليئة يورنشتاين - مكوفتسكى**)[145] :

كان الحكم الذاتي الذي مُنح للطوائف اليهودية فى مصر طيلة الحكـــم العثماني هو السمة السياسية المميزة لوجود هذه الطوائف (وذلك من القـــرن السادس عشر الميلادي) فأدارت الطائفة شئون حياتها على نحو مستقل حيـــث حصلت الطائفة على رعاية الامبراطورية النمساوية والمجرية .

وشاع فى أوساط المجتمع اليهودي فى مصر لجوء اليهود إلى المحـــاكم غير اليهودية فى ظروف معينة مثل نقل ملكية الأرض أو تســـجيل ســندات إيجار وشراء العقارات وسندات القروض ورفع قضايا ودعاوى ضد الغـــير وضد اليهود الخارجين والرافضين الخضوع للتعاليم اليهودية فى التـــوراة أو التلمود (كأن يتزوج اليهودى من امرأة ثم ترفض محاكم اليهود التصديق على زواجه لسبب أو لآخر فيلجأ إلى المحاكم الإسلامية فى ذلك وأيضا فى حالات الطلاق التى لا تعتمدها المحاكم اليهودية) .

- **ويقول الباحث (ميخائيل ليتمان)**[146] :

تأثرت عملية الهجرة اليهودية إلى مصر بإمكانيات مصر الاقتصاديــة فضلا عن قربها من فلسطين وتزايدت أعدادهم خصوصا فترة تولى (محمــد على) الحكم فى مصر حيث شجع هجرتهم إليها . وتفشت فى تلــك الفــترة ظاهرة الزواج المختلط غير أن هذه الظاهرة لم تكن مرتبطة بتغيير الديانــة . وأيضا تفشت ظاهرة إقامة الرجال مع النساء دون زواج (سواء عشـــيقة أو زوجة أخرى لم يوافق الحاخام على زيجتها أو لم توافـــق الزوجــة الأولـــى عليها).

* **ويقول الباحث (شلومو زالمان هافلين)**[147]:

يرتبط النتاج الفكري ليهود مصر مثله مثل النتاج الفكري لليهود فـــي سائر البلدان بالخلفية الروحية والتوراتية للطائفة اليهودية . وقد أزعج تحريــم التوراة الإقامة في مصر كثير من الحاخامات الذين حاولوا تجاوز هذا النـــهى في ظل ظروف معينة حيث رأى الحاخامات أن التوراة تحرم الإقامة علـــى نحو دائم في مصر ولكنها لا تحرم السكن فى مصر باعتبار أن ذلك وضعـــا مؤقتا ريثما تسمح الظروف بالذهاب والإقامة فـــي فلســطين بصفــة دائمــة .

(انتظاراً لمجيء المسيح المخلِّص) وهذا الوضع لـم يتـح فرصـة وجـود حاخامات من مواليد مصر وكان استخدام حاخامات من الخارج أمراً عاديـا ومطلوباً . ومعظم النتاج الفكري والروحي لليهود فى مصر يتلخـص فـي : التفسير والشريعة وأدب الفتاوى والخطـب وتفاسـير التـوراة والتصـوف (**القبالاه**) والشعر والتاريخ .

*ويقول الباحث (**ديفيد كاسوتو**)(148) :

ترتبط أغلب المعابد اليهودية بمصر بعظماء اليهود سـواء القدامـى أو مـن العصور الوسطى .

* **ويقول الباحث (ميخائيل فينتر)**(149) :

أهم السجلات المحلية للفترة العثمانية فى مصر هما : ابن إياس وديار بكرى . ويُعـد كتاب (**سياحة ناما**) أو (كتاب الرحلة) الذي وضعـه (**أوليا شلبى**) عام 1614– 1683 م (هو مسلم غير مصري) بمثابـة وثيقـة بالغة الأهمية لمعرفة تاريخ مصر العثمانية إبان القرن السابع عشر الميـلادي (المجلد العاشر). ويلاحظ أن المماليك كانوا أكثر عداءً لليهود من العثمـانيين نظراً لأنهم كانوا من المسلمين المتشددين وكان تأثير العلماء عليهم قويا الأمر الذي أثر على علاقتهم مع الأقليات الدينية ومنهم اليهود .

ولقد نافس المسيحيون بكافة طوائفهم (أقباط – يونـانيون – سـوريون كاثوليك) اليهود في كثير من أعمالهم(إنتاج الخمور وتجارة وتصنيع الذهـب والفضة والأحجار الكريمة والصيرفة والإقراض ..) ونتيجة لذلك حدث توتر بين اليهود والمسيحيين والأقباط المحليين وأبناء الطوائف الأصغر وتجلى هذا التوتر في المجال الديني وفى مظاهر معاداة مسيحية واضحة .

***ويقول الباحث مينا روزن[150] :**

كان وجود الفرنسيون واليهود فى مصر سابقا على احتلال العثمانيين لها . وقد جعل السلطان (**سليمان الرابع**) 1520 م من تعاونه مع المملكة الفرنسية حجر أساس لسياسة الامبراطورية العثمانية الخارجية مع أوروبا . فكان الفرنسيون يدفعون حوالي 3% جمارك على تجارتهم مع الامبراطورية العثمانية بينما يدفع غيرهم نسبة 20% جمارك . واليهود (الذين عملوا كوكلاء تجاريين ووسطاء ومترجمين) زاد اتصالهم بالفرنسيين . وقد استعان الفرنسيون فى مصر بخدمات اليهود المحليين (مواليد مصر) برغم تعارض المصالح من الناحية الاقتصادية (تنافس وغيره) . واعتبرت الحملة الفرنسية على مصر وسوريا طوق نجاة لليهود فى عالم معاد . فقد ألغى (نابليون)الجزية المفروضة على اليهود وألغى أفضلية شهادة المسلم على شهادة المسيحي أو اليهودي وألغى القيود التي حددها الخليفة (عمر بن الخطاب) فيما يسمى بالشروط أو (العهدة العُمَرية) فنتج عن ذلك :

أ- تساوى اليهود مع المسلمين فعاشوا كمتساويين في الحقوق وفي الواجبات .

ب- تزايد نفوذ الدول الأوروبية الكبرى داخل الامبراطورية العثمانية (وتبع ذلك زيادة الحماية لليهود).

ج- تحسن مكانة يهود فرنسا فى مرحلة لاحقة (فأتاح لهم التأثير على سياسة فرنسا تجاه يهود الشرق).

د- كسر الإجماع على وضع الذمي فى الدول الإسلامية (بسبب أفكار الحملة الفرنسية بالإخاء والمساواة والحرية) فسادت نظرة عدائية تجاه المسيحيين من قِبَل المسلمين (جنود الحملة الفرنسية المسيحيين) وأيضا

من جانب المسيحيين (فى الامبراطورية العثمانية) تجاه اليـــهود (الذيـــن ساووهم وتميزوا عليهم) .

*** ويقول الباحث (يوسف الجميل)**[151] :

كانت طائفة القرائيين اليهود فى أنحاء العالم صغيرة قياســاً بالطائفــة الربانية . والقرائيون أقاموا فى مصر عبر أجيال طويلة وكانوا ذوى خلفيــة حضارية مصرية واستخدموا العربية كلغة حديث وكتابــــة . أمــا طائفـــة الربّانيين فقد جاء أعضاؤها من كل أنحاء العالم ولذلك تحدثوا وكتبوا بلغـــات مختلفة وفى القاهرة أقام اليهود فى باب زويلة (حارة اليهود) وكان القراءيون أكثر ثراءً من الربّانيين كما كانوا مقربين من الوزراء والزعماء . وكل طائفة اختصت بمعابدها وأهم معابد القرائيين يقع فى الفسطاط (معبدابن عَـــزّرا) والذى أخذه منهم الربّانيون . ومعبد ابن شميك (معبد ابن تسومح) ومعبـــد الخازن ومعبد سمحاه ومعبد العباسية ومعبد المصاصة .

وفى بداية القرن العشرين الميلادي جرى في مصر فحــــص شــامل للمعابد غير الإسلامية **ووفقا لما ادعاه القضاة فقد عُثر علـــى اســم النبـــى محمــد (ﷺ) مكتوباً على أرضية معبد الفسطاط (معبد ابن عَـــزْرا) فـــى مكان وقوف المنشدين. واعترف عدد من اليهود بذلك** وضُربوا علناً وهـــم مقتادون في شوارع المدينة وقدمت السلطات دعوى للمحكمة وحكم القـــاضى بضرورة هدم المعبد . وبعد عدة ضربات اكتفت السلطات بــــإغلاق المعبـــد وبعض المعابد الأخرى .

والجدير بالذكر أن (وثائق الجنيزة) الشهيرة وجدت بمعبد الفسطاط .

*** ويقول الباحث (يعقوب دافيد حسون)[152] :**

لقد ظلت الطائفة اليهودية بمصر عربية فـــى أساســها . فالمؤسســـات التعليمية الطائفية اليهودية - حتى تلك التى درست بلغات أجنبية - اســتخدمت اللغة العربية كلغة دراسية وتعليمية على غرار المدارس المصرية الرسمية .

وهذه الطائفة لم تعرف أبداً نمط (الجيتّو) أو (المِلّة) الـــذي عرفــه جيرانها فلم توجد لنفسها أى لغة يهودية ولا حتى موسيقى تنتمى لها بصــورة منفردة (على عكس الطوائف الأخرى فى الدول الأخرى) .



لم يكن العرب من الأجلاف قبل الإسلام والحضارة التى أقامها العرب فى أقل من مائة عام (بالإسلام) هى من أنضر الحضارات التى عرفها التاريخ وكان للعرب قبل الإسلام حضارة لم تكن دون حضارة الآشوريين والبابليين تقدماً . وتلك الحضارة التى أينما حلت ثبتت أصولها ولم يقدر فاتح على زعزعتها وهى من المناعة ما استطاعت أن تهيمن به على الأمم التى حاولت هدمها (كالمغول والترك) وتقهقرت أمام الإسلام فى الهند ديانات قديمة وجعل الإسلام مصر العربية تامة العروبة .

إن مبدأ (العِلّة) المسيطرة على دراسة قضايا العلم يسيطر على دراسة حوادث التاريخ أيضا . فيستطيع صاحب ذكاء ثاقب أن يقرأ سير الأمور المقبلة من خلال الحوادث الحاضرة **والأمم نتيجة ماضٍ طويل وليست نبت ساعة واحدة وهى محصول ما خضعت له من البيئات المختلفة التأثير ولذا يُفسَّر حاضرها بماضيها .**

ولم تعتبر بلاد الحِجْر ضمن أقسام الجزيرة العربية - حسب رأى الجغرافيين العرب - ولكنها تُعد كذلك من الناحية الإثنوغرافية . وتتألف بلاد الحِجْرمن جزيرة سيناء الممتدة من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر . وجزيرة سيناء هى بلاد الآدوميين والمَدْيانيين والعمالة والأنباط الذين ذُكروا فى كتب العبريين كثيراً . وفيها تاه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر (أربعين عاماً) وعلى جبل الطور - فى وسطها - كلم موسى (عليه السلام) ربه وتلقى منه الشريعة (التوراة) ، وفيها كهف جبل حوريب الذى توارى فيه إيليا خوفاً من غضب الملكة إيزابيل .

و (العِرْق) أو النوع البشرى - كما يقول د. جوستاف لوبـــون[153] - يدل على جماعات ذات أخلاق مشتركة تنتقل إليها بالوراثة انتقالاً منظمــاً . ويرى الذين لم يدرسوا علمّ أوصاف الإنســـان أن (الأمـــة) و (العِـرْق) كلمتـــان مترادفتان تقريباً مع أن لهما معاني مختلفة تماماً .

فـــ(الأمة) هى جماعة من الناس ينتسبون فى الغالب إلـــى عـروق كثيرة جمع بينها نظام حكم واحد ومصالح واحدة (مثل الأمة الإنجليزيـــة و الألمانية) ولا يجوز أن نطلق عليها كلمة عرق فنقول العرق الإنجلـــيزي أو العرق الألماني. و (العِرْق) يلزم استقرار أخلاق واحدة وصفـــات جثمانيـــة واحدة بفعل البيئة والتوالد والوراثة . ويتطلب كسب هذه الأخـــلاق زمنـــاً طويلاً جداً . والصفات الموروثة إذا كانت لا تستقر إلا ببطء فإنها لا تـــزول أيضاً إلا ببطء . وبأقصى البطء تندمج العروق وتتحول - خلال قرون طويلة - إلى أمة .

وقد دلت حوادث التاريخ على أن العِرْق إذا مـــا اســـتقرت أخلاقـــه وسجاياه بالوراثة وبلغ غاية الكبر عجزت البيئة عن التـــأثير فيـــه وصـــار أهـــون عليه أن ينقرض من أن يتحول . من أجل ذلك نرى بنى إســـرائيل يحافظون على مثالهم الثابت في كل قطر . ومن أجل ذلك أيضا تعذر علـــى بلاد مصر الحارة مع ماضيها من قوة صهر أن تحول العروق المسنة التـــى استولت عليها واحداً بعد الآخر فكانت قبراً لكل واحد فيها . وإنمـــا تؤثـــر البيئات فى العروق الحديثة. وصفات أمة مقهورة صغيرة تزول بالتوالد أمام صفات أمة منتصرة كبيرة .

ولا تصلح اللغة والدين والجماعات السياسية والصفات التشريحية (شكل الجمجمة - ولون الجلد والسِحْنات) لتقسيم العروق وإظهار الفروق الدقيقة بين الأمم المتقاربة (كالأمم الأوروبية مثلا) وإن صلحت الأوصاف التشريحية لتقسيم الأجناس البشرية الظاهرة الاختلاف البادية التباين . بيد أنه توجد صفات نفسية (سجايا خُلقية) ثابتة ثبات الصفات التشريحية . وتأتى الصفات النفسية المتشابهة بنتائج متشابهة دائما كما تأتى الصفات التشريحية بنفس النتيجة .

وتختلف الأخلاق باختلاف العروق (يفسر ذلك عِلّة الفوضى السائدة لجمهوريات لأمريكا اللاتينية الجنوبية وما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من السعادة والرخاء رغم تماثل نظم هذه البلاد وتلك) .

ودراسة النظم السياسية (التى هى معلولات لا علل) هى التي ترشدنا إلى سر الدور الذي تمثله الأمم فى التاريخ حيث تتأثر الأمم - بعمق - بمختلف العناصر التى تدخل فى تركيبها (الفرنسيون يتألفون من عناصر مختلفة مثل الكمريين والنورمان والسلت والأكيتان والرومان وغيرهم) .

ويُعد العرب واليهود والفينيقيون والعبريون والسوريون والبابليون والآشوريون الذين استوطنوا جزيرة العرب وآسيا الصغرى حتى الفرات من أصل واحد يطلق عليه (الأرومة السامية).وتقوم قرابة هذه الأمم على تجانس لغاتها واشتراكها فى صفات جثمانيه متماثلة وهذه القرابة السامية التى لا نجزم بها نراها ترجع - على فرض وجودها - إلى ما قبل التاريخ . وظهور أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ ليس إلا ثمرة ماضٍ طويل ولا يعنى جهلنا لهذا الماضي عدم وجوده وتُعد العرب أقدم من العبريين بكثير .

ويقول (د. جمال حمدان) [154] :

أول ما نسمع عن اليهود فى التاريخ مع(إبراهيم) (عليه السلام) أبى الأنبياء الذى ظهر مع قومه فى القرن الثامن عشر ق.م كجماعة من الرحل على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق الذى كان يؤلف دولة الكلدانيين فى (أور) .

ومن قبل كان إبراهيم (عليه السلام) وقومه قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التى نشأوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة التى تأصلت فى ذلك (الخزان البشرى) الشهير الذي لم يتوقف عن أن يقذف كإقليم طرد و كصحراء فقيرة ولكنها ولود يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة . ففي حوالى عام 1800 ق.م هاجر إبراهيم (عليه السلام) وقومه في دورة عكس عقارب الساعة شمالا بغرب ثم جنوبا على طول حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى (حوران) ثم إلى فلسطين . وهنالك يولد له إسحاق ولإسحاق يولد له يعقوب المكنّى بإسرائيل ومن أبناء يعقوب الاثنى عشر الشهيرة (الأسباط) ستتأصل القبائل الإثنتا عشر المعروفة فى التاريخ والتوراة .وإن كانت هجرة إبراهيم (عليه السلام) إلى فلسطين أولى هجرات القبائل العبرية فإنها لم تكن الأخيرة (الهجرة الثانية مثلا كانت فى القرن 14 ق.م)،وعندما دخل العبريون أرض كنعان فلسطين) وجدوها مسكونة بالكنعانيين (فى التوراة هم أبناء كنعان بن حام بن نوح (عليه السلام) وهم أول من سكن فلسطين وفى الدراسات السامية القديمة أنهم - الكنعانيين - قبيلة سامية من الساميين الشماليين الذى جاءوا من الجزيرة العربية منذ 2500 ق.م (وفى رواية أخرى 3500 ق.م) واستقروا فى فلسطين وأقاموا بها حضارة راقية . ورحل جزء منهم إلى الساحل اللبناني حيث

عُرفوا بالفـــينيقيين. وفى أرض كنعان (الأرض المنخفضة) كـــانت توجــد قبائل سامية أخرى صغيرة مثل الأدوميين والعمونيين والمؤابيين خاصة حول جنوب البحر الميت وكذلك العموريين (الأموريين) بعيداً إلى الشمال (أولاد أناك Anak فى التوراة) أما فى سوريا فقد استقر آراميون كموجة ســـامية منذ القرن 14 ق.م (فى تاريخ يتعاصر مع الموجة الثانيـــة للعــبريين) أمـــا الفلسطينيون (الفلست) فهم الأحدث عهداً من العـــبرانيين فـــى المنطقـــة (ساحـــل البحر) وأصلهم من شعوب البحر sea people (يرجع أصلهم من جزيرة كريت) 1200 ق.م (أيام حرب طروادة) . وأغلب تاريخ اليهود فـــى تلك المرحلة تاريخ دموي لا أخلاقي يدور حول الحرب والغـــزو فحـــاربوا الكنعانيين ليستقروا بأرض كنعان وهزمـــوا مـــن أقـــوى أعدائـــهم الفلســـت (الفلسطينيين) حتى إذا كان منتصف القرن 17 ق.م (أى بعد 150 عام مـــن هجرة إبراهيم (عليه السلام) هاجر يعقوب (عليه السلام) وأولاده إلى مصر بسبب القحط المشهور واستقروا بأرض جاشان (جوشـــن) land of Goshen بـــوادى الطيملات بمحافظة الشرقية نحو 350 سنة إلى أن خرج بـــهم منـــها موســـى (عليه السلام) وهو من الجيل السابع بعد إبراهيم (عليه السلام) حوالي 1300 ق.م هربـــاً من اضطهاد فرعون مصر لتهاونهم في خيانة واضحة مع الهكسوس غـــزاة مصر . وفى حوالي عام 1000 ق.م . وحّد داود (عليه السلام) الأسباط مـــن (دان) فى الشمال إلى (بير سّبع) فى الجنوب (أرض إســـرائيل) Israel Erets واتخذت يبوس (أورشليم) عاصمة لها . ولم تلبث أن انشطرت المملكة بعـــد ابنه وخليفته سليمان (عليه السلام) صاحب الهيكل إلى مملكتين :

1-مملكة يهوذا (جنوبا) فى هضبة يهودية وتضم قبيلتى يهوذا وبنيامين .

2- مملكة إسرائيل (شمالا) فى السامرة . وتضم القبائل العشر الباقية (باقى الأسباط) ، وأصبحتا الدولتان متعاديتان متحاربتـــان ووقعتـــا فـــى سياســـة المضاربة بين مصر والعراق أو الخضوع لهمـــــا . فتعرضـــت المملكـــة الجنوبية (يهوذا) لطرقات مصر مرتين الأولى على يد (شيشنق) والثانيـــة على يد (نخاو) . إلى أن جاء الـــدور على المملكة الشـــمالية (الســـامرة) حين قضى عليها نهائيا (سرجون) الآشورى عام 721 ق.م ثم قضى (نبوخذ نصر) البابلى على المملكة الجنوبية عـــام 586 ق.م حيـــث دمـــر أورشـــليم والهيكل **وبذلك زالت دولة اليهود فى فلسطين بعد حياة طولها أربعة قـــرون فقط بينما إقامة اليهود المتصلة فى فلسطين لم تزد على ستة قرون** (مـــن 1200 ق.م - 586 ق.م) .

وعن موضوع (**الشتات اليهودي**) يقول د. جمال حمدان [155] أنه كان على أربعة مراحل :

(1) الشتات البابلى :

وفيه نقل (سرجون الثانى) الكثير من إسرائيلي (السامرة) من أبناء القبائل العشر إلى بابل وأسكن مكانهم بعض أســـراه مـــن البـــلاد المفتوحـــة الأخرى. ثم جاء (نبو خذ نصّر) الذى نقل أغلب اليهود أسرى إلـــى بـــابل (يقال ثلاثة أرباع مليون نسمة) . وبعد هزيمة بابل علـــى يـــد مـــــــلك الفـــرس كِسْرى (قورش) عام 538 ق.م احتلوها واحتلـــوا ممتلكاتـــها فـــى فلسطين وسمحوا لليهود بالعودة إلى أورشليم (بعد نصف قرن مـــن السَـــبْى البابلى) غير أن قلة ضئيلـــة هى التـــى عـــادت (تقـــدر بنحـــو 50 ألفـــا) والأغلبيـــة المطلقة بقيت فى العراق حيث كونوا مستعمرات مهمة نمت حتـــى

بلغت فى عهد المسيح (عليه السلام) مليوناً من البشر . **وقد امتد انتشار اليهود فى العراق شمالا إلى كردستان غير أن يهود العراق مع كل سكانه تعرضوا للإبادة مع الطوفان المغولى (فوصل عددهم إلى بضعة آلاف) وكان يهود العراق هم نواة الشتات شرقا** . فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة فى عهد (كِسْرى) ولكن هجرتهم الكبرى كانت فى القرن الثانى عشر الميلادي. وبالمثل كان يهود هيرات فى أفغانستان ويهود بخارى وسمرقند فى التركستان شظية من نواة فارس . ويقال أن يهود القوقاز (فى القرن الخامس الميلادي) أتوا من فارس ونواتها القديمة . وانتشروا بعد ذلك في الشرق الأقصى (الهند والصين) . **وفى الحجاز كانت المدينة (يثرب) وخيبر من معاقل اليهود** . غير أن الأرجح أن يهود الجزيرة العربية كانوا فى معظمهم عرباً محليين متحولين وليسوا من يهود فلسطين الوافدين . أما فى اليمن فقد تحولت أعداداً كبيرة من سكان العصر السَبَئي (نسبة إلى مملكة سبأ) إلى اليهودية وكان أحد ملوك سبأ يهوديا (فى القرن السادس الميلادي) ويدعى (**ذو النواس**) .كذلك كان المهاجرون الحضارمة الذين عمروا الحبشة وأسسوا الامبراطورية الحبشية يهوداً أصلاً ثم تحولوا مبكراً إلى القبطية **غير أن ظهور الإسلام صفّى الوجود اليهودى واليهودية تماماً فى الجزيرة العربية نفسها فيما عدا اليمن** . وهناك من يرى أن اليهود دخلوا شمال أفريقيا مع الفينيقيين .

(2) **الشتات الهللينى :**

بعد قرنين من السيادة الفارسية بدأت فتوح الاسكندر الأكبر واستمرت مع السلوقيين والبطالمة ثم البيزنطيين . **والاتجاه العام فى هذا الشتات نحو الغرب .**

وكان هناك مركزان لتركيز اليهود : البلقان وسواحل البحـــر الأســود الشمالية . وكلٍ يسبق العصر المسيحي بوقت طويل . وقد ذهـــــب كثـــير من اليهود مع الإغريق بعد الاسكندر الأكبر إلى القِــرْم بســاحل البحــر الأسود . وقد أفلت هؤلاء اليهود من طرقات وموجات القوط والهون والتتـار التى اجتاحت جنوب روسيا. غير أن التتار قد لعب دوراً مهماً فـــى التـاريخ اليهودى حيث قامت منهم دولة فى القرن السابع الميــلادي (**دولــة الخَــزَر التترية) التى تحولت بالجملة إلى اليهودية أيام شارلمان .**

وقد كان للخزر مركزان أحدهما على سواحل بحر الخزر (بحر قزوين) عند مصب نهر الفولجا والثاني فى القِرْم .وقد أُلغى المركز القزوينـــى فـــى القرن العاشر الميلادي وظل مركز القِرْم حتى القرن الحادي عشــر إلـــى أن تحطم على يد دولة كييف السلافية الجديدة التى تمثل طلائع الدولة الروســـية الحديثة .

(3) الشتات الرومانى والوسيط :

وذلك فى حركة مع عقارب الساعة إلى الغرب بدأ مع الثورة المكابيـة واكتمل مع الفتح الروماني لفلسطين (بداية العصر المسيحي) . فلقد تواترت ثورات اليهود (أقلية فى فلسطين) على الحكم الروماني الذي رد بتخريـــب أورشليم والهيكل وبإبادة اليهود فى مذبحة عام 70م (تيتوس) والتي صفّـــت أغلبهم محلياً وفر منها أقلهم إلى مصر وسوريا غير أن بقايا اليهود عـــادوا إلى الثورة في عام 135 م . حيث قوبلـــوا بمذبحـــة نهائيـــة (هادريـــان) أو هدريانوس ختمت إلى الأبد على مصير اليهود فى فلسطين كدولة وقومية .

وقد حرّم الرومان على اليهود دخول القدس نهائيا وطردوهم من فلسطين (الخروج الأخير) وتحولت الشراذم القليلة جداً إلى المسيحية ولم يزد عدد اليهود فى فلسطين كلها على عشرة آلاف نسمة .

وبعد تلك السلسلة من المجازر والتشريد والطرد تحول اليهود من الشراسة والعنف فجأة إلى الاستضعاف والخنوع وحقق اليهود أغراضهم بالوسائل الناعمة والملتوية وبالتزلف والمكر والخديعة . **ويرجع (هنتنجون) هذا التحول فى الشخصية الجماعية إلى عملية الانتخاب التى فرضتها تلك المجازر حيث بادت العناصر المناضلة والمقاومة ولم يبق إلا عناصر الجُبْن والمَسْكنة والخُبْث وهى طباع استمرت حتى اليوم .** ومنذ القرن الثالث الميلادي وصل اليهود إلى الراين حيث تحولت فرانكونيا (عاصمتها فرانكفورت) إلى قاعدة رئيسية ونواة لهم وأصبحت فرانكفورت عاصمة يهود الشتات الجديد واستمرت تلك العلاقة التاريخية الوثيقة بين اليهود وفرانكفورت عبر القرون إلى يومنا هذا . وفى العصور الوسطى التي أتت بالحروب الصليبية اشتعلت نار الاضطهاد الديني ضد اليهود فى جميع أنحاء أوروبا مثلما أُثير ضد العرب وخارجها وهناك بدأت عمليات الطرد بالجملة والإبادة التى أدت فى النهاية إلى تغيير جذرى فى توزيع اليهود فى أوروبا وبدأت ثنائية الأشكناز والسفارديم (Ashkenasim – sephardim) وهما كلمتان قديمتان فى التوراة استعارتهما التقاليد اليهودية فى العصور الوسطى لتميز بين **يهود ألمانيا (أشكناز) ويهود أسبانيا (سفارديم)** اعتقاداً منهم بأن يهود ألمانيا ينحدرون من نسل قبيلة (يهودا) ويهودا أسبانيا من نسل قبيلة (بنيامين) والسفارديم يعدون أنفسهم (أرستقراطية) اليهود على الأساس الديني غير أن الأشكناز يؤلفون الأغلبية العددية (80% – 90%) والطبقة المسيطرة (المتفوقة حضاريا) .

وتمثل آثار لقاء يهود الأشكناز (-الألمان) ويهود الخـــزر (القزوييـــن والقِرْم) الذين ينقسمون إلى يهود قرائيــــن ويــهود القرمشـــاك الربّـانيين Krimshaks كما تمثل فى يهود ليتوانيا القرائين . وأصبح هذا اللقاء تراكمـا عدديا وتكتيلا لليهودية نتج عنه أكبر تجمع لليهود فى العـــالم حتـى اليــوم وتحول كذلك إلى عملية خلط ومزج وصهر يسود فيها يهود الأشكناز عدديـا وحضاريا . وأصبح أهم ألسنة اليهود (التى لا حصر لها) هـــى **اليديشـــية** Yeddish المستمدة من اللهجة الألمانية العليا التى حملها معهم يـــهود الغـــرب (وكلمة يديش تحريف لكلمة يهودي بالألمانية) .

أما السفارديم (الأسبان) فتبدأ قصتهم مع طرد اليهود والعرب مـــن أسبانيا بعد ســـقوط دولـــة العـــرب فـــى الأندلـــس . (حـــروب الاســـترداد Reconquista) 1492 م . وكانت لغتهم الأسبانية المحرّفة المعروفة باسم **اللادينو** Ladino وظلوا حتى اليوم يلبسون لباساً خاصاً ويبدون خصــــائص حضارية وثقافية تذكرهم بقوة بفترة إقامتهم الأسبانية .

(4) الشتات الحديث :

وهى قصة اليهودي التائه المتحول من أول الشتات (قبل الميلاد) إلى آخر الشتات فى مطلع العصور الحديثـــة (القـــرن 19 ، 20 الميلاديـــن) . وينقســـم هذا الشتات إلى ثلاث مراحل :

أ- الانتشار الأول والأهم :

وهو الذى بدأ مع **فتح باب الهجرة إلى أمريكا** على ثلاث مراحل :

1- العصر الاستعماري (القرن 16-17م) ومصدره أسبانيا والبرتغال وقوامه السفارديم . وكان محدود القوة عدديا .

2- - عصر الثورات والاضطرابات السياسية التاريخية فى القارة الأوروبية وحمل إلى الولايات المتحدة نحو 230 ألف يهودي (ثورتي 1830 ، 1848م) .

3- مرحلة مابين عامى 1881 ، 1914 م ، وكان قطبها المركزي فى الإرسال روسيا القيصرية بالإضافة إلى النمسا والمجر ورومانيا . وهذا التجمع (فى الولايات المتحدة وكندا) هو الذى أصبح اليوم أكبر تجمع لليهود فى العالم . وانطلقت بعض الهجرات المحدودة إلى أمريكا الجنوبية (البرازيل والأرجنتين) وفى الشرق الأقصى السوفيتي أقيمت جمهورية بيرو بيدجان Birobidjan اليهودية فى حوض نهر الآمور .

ب- الانتشار الثانى (فترة النازية) :

أدى ذلك إلى خروج وهروب اليهود من الرايخ الألماني وأوروبا الوسطى إلى الولايات المتحدة وفلسطين .

ج-الدورة الصهيونية :

وهى الدورة التى قامت بعملية إسقاط على العرب لكل تجارب يهود الشتات من إبادة وطرد وخروج (ابتداء من الأسر البابلي حتى الفترة النازية) واغتصاب فلسطين ، وتسميه الصهيونية - افتراءً - بحرب الاستقلال والعودة إلى أرض الميعاد وزعم الصهاينة أن تلك العملية ليست إلا عملية (تبادل سكان) **ويعتقد د. جمال حمدان أن هذه المرحلة لن تكون إلا مرحلة فى رحلة الشتات التاريخية مجرد جملة اعتراضية فى تاريخ فلسطين وقريب هو لا شك الخروج الجديد**[156].

وبخلاف طائفتي الأشكناز والسفارديم توجد طائفة ثالثة من اليهود تسمى (**اليهود الشرقيين**) Oriental Jews وهؤلاء استمدت أصولها القديمة من فلسطين رأساً أو من مراكز يهودية ثانوية وهم الأدنى مرتبة فى الهيراركية اليهودية وإليهم تنتمى مستعمراتهم فى شمال أفريقيا والعراق واليمن والقوقاز وإيران والتركستان الروسية والهند والصين.

والتحول إلى اليهودية (من المسيحية أو الوثنية) يأخذ شكلين رئيسيين :

(1) **التحول الفردي** : المستمر في كل مكان وزمان بالتزاوج العلني والسري والعلاقات الجنسية غير المشروعة.

(2) **التحول بالجملة** : وأهمها حالة الخزر والفلاشة (يهود أثيوبيا) واليهود السود من التأميل واليهود القرائين فى طوزوس .

والنشاط التبشيرى اليهودى لا يتوقف (بتحول الوثنيين إلى يهود) .

والصهيونية تتاجر فى الاضطهاد . بل إن الفكرة الجذرية فى خلق إسرائيل ليست فى النهاية إلا فكرة العزلة الاجتماعية (الجيتّو Ghetto) بحذافيرها ولكن على مقياس مجمع كبير . فهى وعاء موحد لاستبقاء انعزالية اليهود على الجوييم (الغرباء) وتضادهم معهم . **إنها - إسرائيل - الجيتّو دولة أو هى دولة الجيتّو . واليهود يتألفون - الآن - من دماء مختلطة كأشد ما يكون الاختلاط .**

ويرى (ريلى) أن اليهود يأخذون أينما كانوا صفات السكان الذى هم مقيمون بينهم (شكل الرأس وهو الأساس الأنثروبولوجي الأول ثم لون البشرة) .

ويرى (لومبروزو Lombroso) أن اليهود جنسيا آريون أكثر منهم ساميون . أى أنهم أوربيون تهوّدوا أكثر منهم يهود تأوريوا .

وفى دراسة حديثة قام بها الأنثروبولوجى البريطاني (جيمس فنتـون) على يهود إسرائيل توصل فيها إلى أن 95 % من اليهود ليسوا مـن بنـى إسرائيل التوراة وإنما هم أجانب متحولون أو مختلطون . ومعنـى هـذا أن الصلة الجنسية بين يهود اليوم ويهود التوراة مُنْبَتّة وفـاقدة تمامـا مـن الناحيـة العملية وأنهم بالفعل أوروبيون سلاف وآريون أكثر منهم ساميون .

وعلى هذا فلا يجوز أن نطلق على اضطهاد اليهود - اليوم - أنه ضد السامية (الاضطهاد النازي لليهود لم يكن فى جوهره إلا اضطـهاد ألمـان لألمان لايقل معظمهم عنهم فى الآرية والنوردية وإنما يختلفون فقط فى الديانة وطريقة الحياة) . وأيضا تسقط ببساطة وتلقائية أى دعوى قرابة دم بيـن العرب واليهود .

فيهود التوراة والعرب أبناء عمومة تاريخية فحسب أما الآن فقد ذاب النسل اليهودى فى الدماء الأخرى . ووجود اليهود فى فلسطين اليوم هـو وجود غرباء فى منفى ودخلاء بـلا جـذور ولا علاقـة لـهم جنسـيا أو أنثروبولوجيا بفلسطين . وبالتالي يسقط أى ادعاء أساسي للصهيونية فـى أرض الميعاد فاليهود الآن ليسوا قومية ولا هم شعب أو أمة بـل مجـرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس .

ولا وجه للمقارنة بين ما حدث للسود والأفارقة (المرحلون عنوة كعبيـد إلى الأرض الجديدة فى أمريكا) وبين اليهود فى فلسطين . فإذا كـان زنـوج أمريكا هم فعلا وحقاً من سلالة أفريقيا فإن الأغلبية الساحقة من اليهود اليـوم

ليسوا من بنى إسرائيل وسلالة فلسطين فى شيء . **وإذا كان (نظريا) هناك حقاً تاريخيا وجنسيا لعودة زنوج أمريكا إلى أفريقيا فليس لليهود مثل ذلك الحق بتاتا بالنسبة لفلسطين .**

ويقول (د. عبد الوهاب المسيرى) [157] **:**

أنه إذا كان (بلفور) قد حل المسألة اليهودية في إنجلترا بالتخلص من اليهود عن طريق إرسالهم إلى فلسطين فإن الحل لم يكن متاحاً (لهتلر) لعدم وجود مستعمرات لدى ألمانيا النازية ولهذا تخلص من أغلبهم بإبادتهم . أى أن الدول الغربية خلقت صهيونية بنيوية (أى بيّنة قانونية) وظروفا موضوعية تفرض على اليهود الهجرة إلى فلسطين شاءوا أم أبوا . وعلى الرغم من تباكى الدول الغربية على مصير اليهود فإن معظمها أوصدت أبوابها دونهم ورغم هذا فإن الدولة الصهيونية آخذة فى النضوب لأن أعضاء أكبر جماعة يهودية فى العالم (فى الولايات المتحدة الأمريكية) لا يهاجرون إلى فلسطين ويهود العالم الغربى إن هاجروا يتجهون إلى الولايات المتحدة ويتبع يهود أمريكا اللاتينية وغيرهم نفس النمط وقد تم تصفية يهود العالم الشرقي والإسلامي فلم يبق سوى أفراد قلائل . **وتساهم معدلات الاندماج والزواج المختلط وكذلك عزوف اليهود عن الإنجاب فى تناقص العدد الكلى لليهود** . ولم يبق سوى الاحتياطي البشرى الوحيد فى الاتحاد السوفيتى ولكنهم يفضلون – عند الهجرة – الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية (أغلقت الولايات المتحدة الأمريكية أبوابها فى وجه المهاجرين اليهود السوفييت حتى يتدفقوا صاغرين إلى إسرائيل).

وللمزيد من الخوض فى المسألة اليهودية يأخذنا البولونى **(إبرهام ليون)**[158] فى دراسة علمية لتلك المسألة.**ويقول (عماد نويهض) مترجم الكتاب:**

إن علينا ألا ننطلق من الدين لتفسير اليهودي بل على العكس علينا أن نفسر المحافظة على الدين أو القومية اليهودية انطلاقـــا مـــن (اليــهودي الواقعي) أى من دور اليهود الاقتصادي والاجتماعي .

ومنذ قيام دولة إسرائيل عام 1948 م بدأت مرحلة تاريخية تميزت بـــ :

1- قيام مخفر أمامي لحراسة مصالح الاستعمار فـــى المشـــرق العربي حيث أن **الاستراتيجية الأمريكية تعتبر دولة إسرائيل عمليا بديلا من التدخل المباشر لقواتها العسكرية .**

2- **تحويل الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني إلى شـــعب مـــن اللاجئين .**

3- قيام **أنظمة** متقدمة بقيادة البرجوازية الصغيرة .

ومنهج (إ. ليون) فى دراسته هو - حسب ماركس - أنـــه يجـــب ألا نبحث عن سر اليهودى فى دينه بل فلنبحث عـــن ســـر اليـــهودي الواقعـــي. والحقيقـــة فإنـــــه ليس فى الاستمرارية اليهوديـــة أية معجزة حيث يقـــول **(ماركس)** :

***لم تستمر اليهودية بالرغم من التاريخ بل سارت معه .**

*التناقض بين دولة ودين معين - اليهودية مثلا - نعطيه تعبيراً إنسانيا حيـــن نجعل منه تناقضاً بين الدولة وبين عناصر علمانية معينة .

ويقول (جوفينال Juvenal)[159] :

أن اليهود لم يولدوا إلا لخلق المتاعب لسائر الشعوب .

وأطلق (سينيك Seneque[160]) على اليهود لقب العنصر المجرم .

ويقول (كنتليان Quintilien)[161] أن اليهود شؤم على غـيرهم مـن البشر.

ويشكل اليهود فى التاريخ مجموعة اجتماعية لها دور اقتصـادي محـدد . أنهم طبقة أو بالأصح شعب - طبقة.

ويقول (كاوتسكى)[162]:

يمكن لطبقات مختلفة أن تكسب طابعا عنصريا معينا .

وتختلف الرأسمالية اليهودية عن الرأسمالية بمعناها العلمي حيـث أن الأولى لا تنطوى على أسلوب إنتاجي معين بل كان ذلـك مـن الاسـتغلال الإقطاعي حيث كان الأسياد مجبرين على التخلى عن جزء من فـائض هـذه القيمة لليهود .

وهناك أربعة مراحل رئيسية فى التاريخ اليهودى الحديث[163] :

(1) مرحلة ما قبل الرأسمالية :

وقد اتسمت بالثراء الفاحش لليهود (التجارة والربا) .

(2) مرحلة الرأسمالية فى العصور الوسطى :

وتبدأ من القرن الحادي عشر الميلادي حيث دخلت أوروبـا الغربيـة مرحلة التطور الاقتصادي الكثيف ثم غزو الاقتصاد البضـاعى (السـلعى) للميدان الزراعي وطرد اليهود من التجارة وتحويلهم إلى مرابيـن (ألمانيـا وإيطاليا) أما فى أوروبا الشرقية فقد كان اليهودى تاجراً ووسيطاً .

(3) مرحلة الرأسمالية المانيفاتورية والصناعية :

وقد بدأت الرأسمالية الحديثة فى عصر النهضة حيث شارك اليهود فى تطورها ومنذ بداية القرن التاسع عشر بحث اليهود عن اتجاهات جديدة للهجرة (إلى روسيا وألمانيا ثم نحو أمريكا) ولعبوا دوراً تجارياً وصناعياً مهماً مما أدى إلى ولادة (البروليتارى اليهودي) وبدأ عندئذ التمايز الاجتماعي لليهود .

(4) مرحلة انحطاط الرأسمالية :

زادت أزمة النظام الرأسمالي فى القرن العشرين من تفاقم وضع اليهود ونمت لا سامية عنيفة عند الطبقات الوسطى وسحق اليهود بين نظامين الإقطاعي والرأسمالي الذى حاول كل منهما تصفية الآخر .

ويقول (هنرى بيرين H.Pirenne)[164] :

إن اليهود يشكلون الطبقة الوحيدة التى تستمد وجودها من التجارة وأن الاقتصاد الطبيعي بحاجة دائمة لليهود (كمرابين وتجار) وانهيار الاقتصاد يعرض وضع اليهود للخطر .

ويقول الحاخام اليهودي (**أليزر بن ناثان**) [165]:
إن التجارة وسيلة معيشتنا الرئيسية .

ويقول (**ل. برنتانو** [166]) :

لا تفسر مؤهلات اليهود الغريزية للتجارة وضعهم الاقتصادي **بل إن وضعهم الاقتصادي هوالذى يفسر مؤهلاتهم التجارة . وقد جلب الاحتكار الربوى**

لليهود ثروات ضخمة مما دفع بعض المسيحيين للتهود من أجل الإسهام فى الاحتكار اليهودي للقروض .

ويشكل اليهودي المرابي عنصر القرض (فى العهد الإقطاعي) ويشكل اليهودي المصرفي عنصر القرض (فى عهد الاقتصاد التبادلي) . وكلما يتطور الاقتصاد يحتل المصرفي مراكز أكثر صلابة بينما يفقد المرابى دوره ومركزه ومثلما حل الاقتصاد التبادلي محل تجارة ما قبل الرأسمالية فى المدن كذلك أدى التغلغل الرأسمالي فى الميدان الإقطاعي إلى طرد المرابى . ورافقت ثورات الفلاحين مجازر اليهود حيث ثار الفلاحون الذين يعيشون فى بؤس وفقر مدقع ضد اليهود المرابين .

وعن أحوال اليهود فى أوروبا وأمريكا بعد عصر النهضة يقول (إ.ليون)[167] :

(1) اليهود فى أوروبا الغربية (نظرية سومبارت) :

ترافق سقوط الاقتصاد المستند على إنتاج القيم الاستعمالية مع انهيار وظيفة اليهود الاقتصادية والاجتماعية وقد دفع اليهود النهضة الاقتصادية فى البلدان والمدن التى استقروا فيها وأودوا إلى الانحطاط الاقتصادي بالبلدان والمدن التى هجروها فاليهود هم مؤسسوا الرأسمالية الحديثة حيث لا وجود للرأسمالية الحديثة أو الثقافة الحديثة دون تشتت اليهود فى بلاد الشمال .

ويفند (إ. ليون) تلك النظرية قائلا : إنه من الخطأ اعتبار اليهود مؤسسي الرأسمالية الحديثة لأن دورهم الاقتصادي المميز قد توقف بالضبط حينما بدأت الرأسمالية الحديثة بالتكون .

(2) اليهود فى أوروبا الشرقية حتى القرن 19 م :

فى العهد الذي كان اليهود فيه يتعرضون للقتل والموت حرقـــاً فـــى أوروبا الغربية لجأ عدد كبير منهم إلى البلدان التي لم تتغلغل إليها الرأسـمالية بعد . وبينما توصل النبلاء فى أوروبا الغربية إلى التخلص فى كل مكان مـن الربا اليهودي بفضل دخول الاقتصاد التبادلي والوفرة النقدية لم يتمكنوا مـــن ذلك في أوروبا الشرقية حيث يسيطر الاقتصاد الطبيعـــي وبقـــى المصرفـــي اليهودي قائما . واهتزت أسس الايديولوجية اليهودية القديمة مع تأزم مركـــز اليهود وأدى البؤس والاضطهاد إلى نشوء أرض خصبة للتصـــوف (حلـت القبالاه محل التلمود وانتشرت الحركات المسيّة مثل حركة شابتى زيفـــى) . وفى نهاية القرن 18 م . طرحت على اليهود مسائل الهجرة والانتقـــــــال إلى مهن أخرى لا علاقة لها بالإنتاج .

(3) تطور المسألة اليهودية فى القرن 19م وبداية القرن 20م:

هاجر اليهود بكثرة من المدن الصغيرة ليستقـــــروا فـــى تجمعـات المـدن الكبيرة حيث ساهموا بقوة فى تطوير التجارة والصناعـــة الحرفيـة لوسائل الاستهلاك . ومع نمو قطاع وسائل الانتاج وانتشار الميكنة الزراعيـة والصناعية الخفيفة حدث انهيار فى الصناعة الحرفية اليهوديـــة ممـا أجـبر اليهـود على الهجرة التى ازدادت فى نهاية القرن 19 م . وبداية القرن 20م . وقد ترافق تدمير الوظيفة التقليدية لليهود فى المجتمع الإقطاعي مع دخولـــهم السلبى فى المجتمع الرأسمالي .

ويقول(**هتلر**) فى كتابه(**كفاحى**)[168] :

إنه من الضروري إظهار مختلف الأعداء تحت طابع موحد وإلّا بـرز خطر ناجم عن تفكير الجماهير فى الفوارق الموجودة بين هؤلاء الأعـداء . ولهذا السبب **فإن العنصرية هى خرافة وليست عقيدة** . إنها تتطلب الإيمـان لكنهـا تخشى التفكير العقلي وتساهم اللاسامية على أفضل وجه فـى دمـج مختلف عناصر العِرْقية . **وكما أنه يجب إذابة الطبقات المختلفة فى عِـرْق واحد كذلك يجب أن يكون لهذا العِرْق عدواً واحداً هو اليهودية العالمية.**

ففى المرحلة التي كان اليهودي فيها غير قـابل للاسـتيعاب وممثـلا حقيقيا لرأس المال لم يكن باستطاعة المجتمع الاستغناء عنه وكان أمر تدميره غير وارد على الإطلاق . وكلما تلاشى شبح الرأسمالية اليهوديـة ظـهرت الحقيقة الرأسمالية بكل بشاعتها وتبرز التناقضات الاجتماعية التى – سـترتها لفترة قصيرة – غيوم النشوة العِرْقية فى حدتها التامة . وتبدو الخرافة علـى المدى الطويل عاجزة أمام الحقيقة .

ويقول (**إ. ليون**) [169] :

اليهودي هو حاصل الوظيفة التقليدية أكثر مما هـو نتيجـة تمـيز عِرْقى. وما يسمى بالعِرْق اليهودي الآن فـهو حـاصل انتقـاء اقتصـادي واجتماعي طويل وليس حاصل انتقاء عِرْقي . وتغير الظروف الاجتماعيـة لليهود تؤدى حتما إلى زوال الخصائص الخاصة باليهودية .

إن (الصهيونية) قد وُلدت على ضوء المجازر الروسية عـام 1882 م وقضية (دريفوس) حيث تأسست جمعية (عشاق صهيون) بعد (رسـملة) الاقتصاد الروسي السريعة (بعد إصلاح عام 1863 م) .

وقد كتب (ليوبينسكر) كتابه (التحرر الذاتى)[170] :

حيث يقترح فيه الرجوع إلى فلسطين كحل وحيد ممكن للمسألة اليهودية . وإثر ظهور هذا الكتاب شهد صحفي يهودي من بودابست (المجر) يدعى (تيودور هرتزل) المظاهرات المعادية للسامية التى أثارتها فى باريس قضية دريفوس . فكتب (الدولة اليهودية) وهو الكتاب الذى ظل حتى الآن إنجيل الحركة الصهيونية .

وقد ظهرت الصهيونية منذ البدء كرد فعل من البرجوازية اليهودية الصغيرة التى لا تزال تشكل نواة اليهودية التى تلقت ضربات قاسية بتصاعد موجة اللاسامية مما أجبرها على التنقل من بلد لآخر والتي تحاول الآن الوصول إلى أرض الميعاد حيث تستطيع أن تجد ملجأ من العواصف التى تجتاح العالم الحديث وعليه فإن الصهيونية إذن حركة قومية حديثة . وهى التى تنظر إلى الماضي على ضوء الحاضر وتحاول خلق خرافة اليهودية الأبدية التى تعرضت دائما للاضطهادات نفسها . وترى الصهيونية سقوط القدس سببا للتشتت وبالتالى مصدراً لجميع آلام اليهود فى الماضي والحاضر والمستقبل . وقد كان أملهم الوحيد خلال الأيام المظلمة التى دامت ألفي سنة هو الرجوع إلى أرض الميعاد .

ويقول (زيتلوفسكى) [171] : (وهو ذو صهيونية مشروطة)

كان على الجماهير المؤمنة بأنه يتوجب عليها **أن تتألم** فى صمت و البقاء فى الشتات حتى يجيء المسيح الموعود . **إن الايديولوجية الصهيوينة – ككل الايديولوجيات – انعكاس مشوه لمصالح طبقة ما** (أى ايديولوجية البرجوازية اليهودية الصغيرة) . **والصهيونية هى ثمرة عصر**

الامبريالية (الاستعمار) فانحطاط الرأسمالية الذي يشكل مرتكز تطور الصهيونية هو فى نفس الوقت سبب استحالة تحقيقها حيث أن الصهيونية تريد حل المسألة اليهودية دون القضاء على الرأسمالية (المصدر الرئيسي لآلام اليهود) . فالأسباب التى تحث على الهجرة تشكل فى نفس الوقت حائلاً دونها وما تلك الأسباب سوى نتيجة لانهيار الرأسمالية .

لقد حكم التاريخ على (اليهود) الشعب / الطبقة بالزوال . وهكذا برزت المسألة اليهودية . فالقضية اليهودية تكمن في انصهار اليهود فى المجتمع المعاصر وتصفية الميراث الذي خلقه الاقطاع للإنسانية.والرأسمالية لم تحكم بالإعدام على وظيفة اليهودي الاجتماعية فقط بل حكمت على اليهود أنفسهم . ولا يكتسب الحل المرتكز على قضية الأرض أى معنىً إلا إذا أدى القضاء على اليهودية التقليدية أى إدخال اليهود في الاقتصاد الحديث واستيعابهم فى العملية الانتاجية أى يصبح اليهود عمالا وفلاحين ومثقفين ومنتجين. وإن مصير اليهودية يعكس بحدة بالغة وضع الإنسانية جمعاء.

فإن هبوط الرأسمالية يعنى بالنسبة لليهود العودة إلى العزلة (الجيتّو) بينما اختفت مرتكزات الجيتّو منذ أمد بعيد مع مرتكزات المجتمع الاقطاعي . والقضاء على الرأسمالية هو السبيل الوحيد لتمكين البشرية من الاستفادة من المنجزات الضخمة التي حققها العصر الصناعي .

ويرى (ليون)(172) :

أن الاشتراكية وحدها قادرة على تحقيق نهاية لعذاب اليهود بإمكانية الاندماج إلى جانب الحياة القومية الخاصة . ويرى أيضا أن حل المسألة

اليهودية لا يتحقق بأقل قدر من الآلام إلا بتحقيـــق ديمقراطيـــة بروليتاريـــة واسعـــة.

ولم يطالب (**هرتزل**)[173] بأن تكون القدس عاصمة للدولة اليهوديـــة . و(**بن جوريون**)[174] لم يرد ذكر كلمة واحدة عن القدس أثناء زيارته الأولى لفلسطين عام 1906 م . ويشير (**عاموس**)[175] إلى أن العـــدد الأكـــبر مـــن زعماء اليهود كانوا حتى عام 1947 م . على استعداد للتنازل عن القدس كليـــة مقابل قيام الدولة اليهودية . وتعريف (**هرتزل**)[176] للأمة : ليس ثمة جـذور لعناصر قومية يهودية واحدة وليس ثمة إطار سياسي واجتماعي استوعب عدة منابت قومية ودمجها فى سيرورة قومية أساسية .

ويعد (**ناثان بيرونباوم**)[177] **أول من صاغ اصطلاح (الصهيونيـــة) بمعناها السياسي الحديث** . وكان أحد القادة الصهاينة ولكنـــه اســـتقال مـــن المنظمة الصهيونية العالمية لإدراكه الخطر الكامن فى الرفـــض الصـــهيوني ليهود الشتات . ولذا أصبح من دعاة قومية الشتات . وبعد الحـــرب العالميـــة الأولى أعلن ارتداده عما وصفه بالإلحاد واعتنق وجهـــة نظـــر أرثوذكسـية واستمر بقية حياته من أكبر اليهود المناوئين للصهيونية .

ويقول د(محمد خليفة حسن)[178] :

يختلف التاريخ اليهودي عن التاريخ الإنساني العام بأنه تاريخ طوائف وأقليات موزعة على بلدان العالم المختلفة وهذا يعنى أنه لا يوجـد تـــاريخ يهودي عام (مستقل) بالمعنى التقليدي . ولا يوجد تاريخ سياســـي عـــام حسب الفهم التاريخي المعروف . فتاريخ أى أمة يفهم سياسيا من خلال الدول التى أسسها هذا الشعب فى تاريخه القديم والوســـيط والحديـــث . والتـــاريخ

اليهودي لا تنطبق عليه هذه القاعدة . **وغياب الدولة في التـــاريخ اليـــهودي جعل هذا التاريخ تاريخا تابعا وليس تاريخا مستقلا .** فالتبعية السياسية هـــي القاعدة فى التاريخ اليهودي وليس العكس لذلك فعادة ما يُقسَّم التاريخ اليهودي حسب تواريخ الشعوب الأخرى فيقال التاريخ اليهودي فى العصر الآشـــوري والبابلي والفارسي واليوناني والروماني والمسيحي والإسلامي . أو أن يُقسَّـــم تقسيما إقليميا حسب البلدان التي عاش فيها اليهود فيقال مثلا تاريخ اليهود فـــى إنجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو يقال تاريخ يهود العراق أو اليمن أو فارس .

ولعل أنسب وصف (للتاريخ اليهودي) (179) هو أنه تـــاريخ جماعـــة تابعة سياسيا لغيرها أو أنه تاريخ طائفة بالمعنى الديني (إذا أخذنـــا فـــى الاعتبار أن الدين هو العامل الموحد للجماعات اليهودية فـــى العـــالم) أو يمكـــن اعتباره تاريخ أقلية موزعة على بلدان العالم . والقول بأن اليـــهود يكونون شعبا واحداً زعم لا يستند إلى دليل تاريخي . وجمع بعض الشـــتات اليهودي فى إسرائيل الحالية لم يؤد إلى خلق جماعة واحدة أوشعب واحـــد على الرغم من الشكل السياسي الذي اتخذته وهو شكل الدولة . ولا يجمـــع هذا الشتات فى إسرائيل سوى الشعور بالخطر وتوقع الأزمـــات والمصـــير المشترك وهى مسائل شكلت حياة الدولة فى إسرائيل حول الحرب كأســـاس للحياة . والعنف والعدوان كأساس للعلاقة مع الدول المحيطة وسياسة الأمن كمبدأ يأتى قبل السلام وعلى حساب الحياة الطبيعية . ويمكن وصف التاريخ اليهودي ببساطة بأنه تاريخ شتات .. وعليه فمن الصعب كتابة تاريخ يهودي شامل في أى مكان حتى فلسطين ذاتها .

ويستند المؤرخون اليهود فى كتابة تاريخهم إلى ظـاهرتي الشـتات والاضطهاد . وفى العصور القديمة أقحم المؤرخون اليهود (فيما كتبوه فـى العهد القديم أو الأسفار التوراتية) الأفكـار القوميـة والعنصريـة علـى النصوص الأصلية للتوراة . أما فى العصر الحديـث فقـد قـامت الحركـة الصهيونية كحركة قومية بإعادة تفسير النصوص التوراتية ونصوص العـهد القديم بصياغات جديدة لتقنع الإنسان اليهودي بأهمية الصهيونية ومشـروعيتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي السابق عليها .

وفى هذا الوضع يجد المؤرخ نفسه أمام مادة تاريخية مزيفة وغـير حقيقية وأمام تفسيرات غير عملية وغير موضوعية .

إن التاريخ معمل الجغرافي وهو كذلك مخزن الاستراتيجي الـذي لا ينضب . **إن التاريخ ليس إلا جغرافيا متحركـة بينمـا الجغرافيـا تـاريخ توقف**[180]. والبعد التاريخى يُعد مدخلا هاما إلى أية دراسة علمية جادة وعميقة للواقع السياسي والاستراتيجي المعاصر .

وعلينا أن نتنبه إلى تداخل بعدين أو عنصرين لاانفصام لهما فى الواقـع وهما :

1-الاستعمار كحركة توسع وتسلط .
2-صراع القوى الاستراتيجية كعملية بقاء أو تضخم .

وليس كل صراع بين القوى هومن أجل الاستعمار ولكن كل استعمار هم صراع من أجل القوة . بيد أنه يبقى فى النهاية أن كلا منهما (صـراع القوى والاستعمار) يؤثر فى الآخر ويتأثر به إن لم يكونا فى الحقيقة جـانبين لنفس الشيء . ولكي نفهم استراتيجية القوى العالمية لابد وأن نوغل إلى أبعـد

أعماق التاريخ ولا نكتفي فى تتبع أصول الاستعمار الحديث بـــالبدء بعصـــر الكشوف الجغرافية لأنه بالدور التاريخي الكـــامل وحـــده تـــبرز الشـــخصية الاستراتيجية الكامنة لأى إقليم .

ويُعد الاستعمار قديما قِدَم الإنسان . والتاريخ القديم يمكن النظـــر إليـــه على أنه فصول متلاحقة أو متداخلة من الهجرات والغزوات ولكن مثل هـــذه كانت أقرب إلى التحركات غير الهادفة - بل البدائية أو الغريزية - منها إلـــى الحركات المقننة المخططة الواعية . وتلك الفترة سماها **(والترباجـــهوت)**[181] **فترة تكوين الأجناس وليس فترة تكوين الأمم ومن ثم فـــهى أقـــرب إلـــى الأنثروبولجيا منها إلى السياسة** . ومع تطور المجتمع والحضـــارة وزيـــادة الارتباط الإيكولوجى (البيئي) عضويا ومجتمعيا بين الجماعـــات والأقـــاليم ومع اطراد نمو الدولة كشكل سياسي تأخذ الحركات البشرية بالتدريج اتجاهـــا أوضح نحو الاستعمار (بمعنى سيطرة منظمة لجماعة على جماعة أخـــرى) وأغلب أو أخطر الصراعات القديمة المحلية فى مداها وحدودهـــا الجغرافيـــة يخرج عن معادلة محددة هى (**الصراع بين الرعاة والزراع**) أى بين الترحال والاستقرار . وهو صراع أشباه أكثر منه صراع أضداد (صراع بين قـــوى بر وبر) ومثال ذلك هجرات الرعاة وغزواتهم ابتداءً مـــن الآراميـــين إلـــى الكنعانيين والفلسطينيين والعـــبرانيين والفينيقييـــن .. الـــخ وتســـمى تلـــك الصراعـــات **بصراعات أفقية** بخلاف **الصراعات الرأسية** التى تنشـــأ عـــن صراع بين السهل والجبل (أى بين رعاة الجبال المحاربين والسهول) ومثال ذلك الذين هبطوا من جبال أرمينيا وكردستان إلى سهول الرافدين . التى هبـــط عليها من قبل الكاسيون (فى الشمال) والعيلّاميون (فى الجنـــوب) ومـــن بعدهم الآشوريون.أما صراع الاستبس (نباتات الرعي) والغابة فـــهو أبعـــد مدىً ولم يكن استعماراً بقدر ما كان تخريباً (المغول والتتار والهكســـوس)

ويكون على هيئة طوفان بشرى يستخدم الخيول والعربات أساساً حيث المطلوب فيه السرعة والمباغتة وضغط الهجوم وتلاحقه .

أما والصراع بين (قوى البر والبحر) أى بين الفلّاحين والملّاحين فهو من أجل الفوز بالموضع والموقع معاً مثل الاستعمار الإغريقي (اليوناني) والروماني .

و **(الامبراطورية الإسلامية) لم تكن امبراطورية استعمارية بل امبراطورية تحريرية** (182) . حررت كل البلاد التي فتحتها من ربقة الاستعمار الروماني والفارسي وكانت السلطة (دولة بين الجميع) وكانت **أخوة الدين** يقابلها أخوة الأقاليم وسواسية الناس وكانت شركة مساهمة بين كل أعضائها وأطرافها . وهى أول (كومنولث) **فى التاريخ بالمعنى الحديث مع فارق هام جداً وهو أنها لم تمر بالمرحلة الاستعمارية المشينة التي مر بها كومنولث اليوم .**

وتعتبر دولة العرب الإسلامية (من أطراف الصين وسنغافورة إلى أبواب فرنسا ومن سواحل بحر قزوين حتى وسط أفريقيا) هى فصل هام – أول فصل – فى جغرافية التحرير وأبعد شيء عن جغرافية الاستعمار . وهى قوة (بر وبحر) كانت أراضى الرافدين هى (رأس الحربة) فى آسيا ومصر (رأس الجسر) فى التوسع الأفريقي . ودور الشام (الأموى) كقوة بحر (معركة بين الصوارى) أو ذات الصوارى . كان بسبب الخبرة الملاحية منذ أيام الفنيقيين . وهذه التجربة التاريخية الفذة أثبتت أن المنطقة العربية ليست منطقة ضعف وأنها قادرة على أن تحقق سيادتها بل وتخضع القوى الضخمة الواقعة على ضلوعها لعدة قرون .

ولا جدال أن انهيار تلك الدولة - الإسلامية - العظمى كان له أسباب [183] :

1- **داخلية :** ضخامة الدولة وفرط تراميها في حد ذاته عامل ضعف وتفكك (وسائل الربط بين الأطراف هى الإبل والخيل).تنافر التركيب الجنسي وتعدد الأقليات والعناصر فى نسيجها السياسي . ومن الناحية الجغرافية كانت دولة عديدة النوايا (جمع نواة) Poly nuclear فتعرضت لسلسة متصلة من الحركات الانفصالية . **وأهم تلك الأسباب ضعف القوة البشرية.**

2- **خارجية : تجمع القوى الغربية ضدها وفى الوقت نفسه تعرضت لهجمات القوى البرية من وسط آسيا لتنقض عليها** (التتار والمغول ..) والحروب الصليبية التى كانت فى حقيقتها حروبا استعمارية سياسية واقتصادية (كانت تتغذى بمساعدة كبار تجار أوليجاركية البندقية وجنوة) وكانت تلك الحروب التى تتستر وراء الدين في ثماني موجات خلال قرنين من الزمان (12، 13 الميلاديين) نجحت بسبب عدم وحدة الشام العربي وتمزقه . **وكان تحرير الأرض المقدسة رهنا باتحاد قوة مصر البشرية مع قوة الشام (صلاح الدين ومعركة حِطّين الفاصلة) .**

وقد وُلد الاستعمار الحديث فى حِجْر الكشوف الجغرافية وليس فى رحمها . وبدأ عصر الامبراطوريات البحرية الكبرى واشتد تبعا لذلك الصراع بين قوى البر والبحر كما وكيفا . أبعاداً وعمقا . وحضاريا لا جدال أن الكشوف الجغرافية نتيجة من نتائج النهضة الأوروبية (التى هى نتيجة من نتائج الاحتكاك الحضاري بالعرب منذ الدولة الإسلامية) وسياسيا كان تمزق أوروبا (الإقطاع - الرق - ضغوط الفيكنج من الشمال والعثمانيون فى

الشرق أغلق طرق التجارة التقليدية) بالاضافة إلى الرغبة الصليبية الكامنة في الانتقام من الإسلام بتطويقه والالتفاف حوله .

والعصر الصناعي (الانقلاب الصناعي) كان مرادفا للعصر الاستعماري وأصبح الصراع الجديد بين الصناع والرعاة (بدلا من الزراع والرعاة) .

وإذا كان الانقلاب التجاري هو الجد الأعلى للاستعمار الحديث فإن الانقلاب الصناعي هو أبوه المباشر[184] . وأصبحت الصناعة لا تخرج من حمي البحث عن الخامات والمواد الخام إلا لتدخل في حمى البحث عن الأسواق لتصريف ما قد أنتجت . وإذا كان استعمار الكشوف الجغرافية والعصر التجاري اندفاعا نحو الشرق (استعمار خطوط الطول الجغرافية) فإن استعمار الانقلاب الصناعى هو أساسا اندفاع نحو الجنوب (استعمار خطوط العرض الجغرافية) .

و(**الاستعمار السكنى**) قام على أشلاء وأنقاض السكان الأصليين فى قارات المهجر (بالإبادة كما حدث للهنود الحمر فى أمريكا) وأخذ صورة صراع أجناس . أى كان حركة عنصرية ضخمة انتهت بإبادة أجناس برمتها. ولما أباد الهنود الحمر فى العالم الجديد (أمريكا واستراليا) افتقد الأيدي العاملة التى يحتاج إليها فقام بنقل زنوج أفريقيا بالجملة . **وبهذا فإن الاستعمار السكنى قد أعاد توزيع البشرية ديموغرافيا وأنثروبولوجيا على ظهر الأرض**[185] .

وبعد شق قناة السويس أصبح العالم العربي هو عنق الزجاجة فى طريق الاستعمار إلى الشرق الأقصى وبوابة الامبراطورية – أى امبراطورية – وخط الحياة وشريانها للامبريالية . وفى تلك المرحلة أبدل الاستعمار الإبادة

بالاسترقاق (الرِقّ) ثم أبدل ذلك بالاستعمار السياسي (في الموجات الأولى) ثم أبدل ذلك بالاستعمار الاقتصادي (تم ذلك على مدى 90 عاما من 1830 - 1920م) .

وعن (الاستعمار الصهيوني) فى فلسطين يقول (د. جمال حمدان)[186] :

تتعاصر بدايات الحركة الصهيونية مع آخر موجة كبرى من موجات الاستعمار الأوروبي الحديث وهى الموجة المدارية (أفريقيا المدارية) ولقد تعلقت الصهيونية بأذيال تلك الموجة . والصهيونية من بدايتها حركة سياسية (الصهيونية السياسية) **ولكنها ارتدت قناع الدين منذ اللحظة الأولى (الصهيونية العاطفية) لتخلق من رؤيا العودة إلى أرض الميعاد ايديولوجيا تاريخية ودينية تجمع يهود الشتات حولها . ولذلك رفضت عدة اقتراحات لوطن قومى فى غير فلسطين ولقد كان من المستحيل أن يتحقق ذلك الحلم إلا بالمساعدة الكاملة من قوى السيادة العالمية (الامبريالية) . ومن هنا التقت الامبريالية العالمية مع الصهيونية لقاءً تاريخياً على طريق واحد هو طريق المصلحة الاستعمارية المتبادلة . فيكون الوطن اليهودي قاعدة تابعة وحليفا مضمونا أبداً يخدم مصالح الاستعمار وذلك ثمنا لخلقه إياه وضمانا لبقائه . وعلى طريق هذه المصلحة الاستعمارية المشتركة تحرك ارتباط الصهيونية بالامبريالية بحسب تحرك مركز الثقل فى زعامة الامبريالية :** فكانت بريطانيا هى التى خلقت الوطن القومي منذ الحرب العالمية الأولى (وعد بلفور فى عام 1917 م) بينما خلقت الولايات المتحدة الدولة اليهودية منذ الحرب العالمية الثانية (قرار التقسيم فى 1947م ثم إعلان الدولة فى 1948 م).

وفى إطار موضوعية العلم المطلقة يضيف (د. جمال حمدان) النتائج والتشخيصات الآتية : [187]

(1) إسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرفة :

فهي دولة قامت على اغتصاب غزاة أجانب لأرض لا علاقة لهم بها :

دينيا : لأن رؤيا العودة الخرافية والوعد الأسطوري المزعوم لا أساس لهما أو سند من الدين وإلا لجازت نفس العودة لبقية الأديان . فضلا على أنه ليس على أصحاب أى دين أى التزام بدعاوى دين آخر .

تاريخيا : لأن علاقة اليهود بفلسطين انقطعت تماما منذ أكثر من ألفي عام .

جنسيا : لأن هناك (يهودَين) في التاريخ قدامى ومحدثين ليس بينهما أى صلة أنثروبولوجية مذكورة (التحول إلى غير اليهودية والتحول إلى اليهودية) فلم يعد اليهود اليوم من نسل بنى إسرائيل التوراة بأي نسبة ذات بال. **ولذا فالعودة ليست عودة أبناء قدامى وإنما هي عدوان وغزو واغتصاب غرباء .** ووجودها الدخيل مفروض على الوجود العربي وغير قابل للامتصاص أبدا .

(2) إسرائيل استعمار طائفي بحت :

فالدولة تقوم على تجميع اليهود فقط في جيتّو سياسي واحد ومن ثم **فأساسها التعصب الديني .**

(3) إسرائيل استعمار عنصري مطلق :

فالدولة ليست ولا يمكن أن تكون قومية بأي مفهوم سياسي سليم(يعرف ذلك أى عالم سياسي) واليهود جماع ومتحف حي لكل أخلاط الأجناس في العالم (يدرك ذلك أى أنثروبولوجي) **وبذا فالصهيونية حركة عنصرية أساسا**

(تعصب واضطهاد واستعلاء ودمويــة) وعنصرية نازية (تعــد نفســها الشعب المختار) على غرار (ألمانيا فوق الجميع) **رغم أن العرب وحدهــم من بين كل المجتمعات هم الذين لم يضطهدوا اليهود عبر التاريخ .**

(4) إسرائيل قطعة من الاستعمار الأوروبي عبر البحار :

القيادة والسيطرة داخل الدولة للأشكناز رغم وجود طوائف أخرى من السفارديم واليهود الشرقيين .

(5) إسرائيل استعمار سكنى في الدرجة الأولى :

تماثل الاستعمار السكسوني في الإبادة والطرد للســكان الأصلييــن (الــهنود الحمر) .

(6) إسرائيل تجسيم للاستعمار متعدد الأغراض :

فهي تُعد استعماراً سكنيا واستراتيجيا واقتصاديا ووجودها وبقاءها رهـن بالقوة العسكرية (قاعدة وثكنة مسلحة) . وأمنها هو مشكلتها المحورية وحــل ذلك أن **أصبح جيشها هو سكانها - وسكانها هم جيشها (عسكرة إسرائيل).**

(7) إسرائيل استعمار توسعي أساسا :

أطماعها الإقليمية معلنة بلامواربة (من النيل إلى الفرات أرضــك يــا إسرائيل Erets Israel) وهدفها أن تستوعب كل يهود العــالم فــى نهايــة المطاف وذلك بتفريغ المنطقة من أصحابها (بالطرد والإبادة)وهى تكرر نفس قصة النازية (ترى المنطقة العربية مجالا بلا شــعب) **وأصبحــت حــدود إسرائيل هى حدود جيشها وجيوشها هى حدودها .**

(8) إسرائيل استعمار من الدرجة الأولى والثانية معا :

فهى استعمار بالأصالة عن نفسها وبالوكالة عن الغرب الامبريـــالي . وهى تمثل فاصلا أرضيا يمزق اتصال المنطقة العربية ويمنع وحدتها ونزيفا مزمنا للموارد العربية وأداة جاهزة لضرب حركات التحرير أى هي (**دولـــة مرتزقة**) تعمل مأجورة فى خدمة الاستعمار العالمي بمثـــل مـــاهى صنعـــه وصنيعته وربيبته . وإذا كانت بريطانيا بمثابة الأب البيولوجي لإسرائيل فـــإن الولايات المتحدة الأمريكية هى الأب الاجتماعي **والصهيونية العالمية ـ لذلك ـ هى أعلى مراحل الامبريالية العالمية .**



الهوامش

---

1) إرنست جلنر : ص 169 : (سنة 1964)

2) ديفيز : ص 4 (سنة 1987)

3) جن : ص 67 (سنة 1987)

4) فنكلشتين : ص 15 (سنة 1988)

5) كينون : ص 233(سنة 1979)

6) اختلاق إسرائيل القديمة (إسكات التاريخ الفلسطينى) : كيث وايتلام .

7) نفس المصدر السابق : ص 10

8) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى (من النقوش والمصـــادر الأركيولوجيـــة) :
(توماس . ل طومسون) . ترجمة صالح سوداح . دار بيسان . بـيروت لبنـان سنة 1995 والطبعة الأصلية هولندا ســنة 1992 Early History of the Israelite people from the written and Archaedogical sources

9) أسفار العهد القديم فى التاريخ (اختلاق الماضى) :
(توماس ل. طومسون) . لندن سنة 1999 (جوناثان كاب) . ترجمـــة عبــد الوهاب علوب . المجلس الأعلى للثقافة – مصر سنة 2000 م
the Bible in the Histroy . How writers create a past .

10) سِفْر التثنية : 26 : 5

11)تابوت العهد : هو الصندوق الذى صنعه (موسى) حسب روايـــة التـــوراة . وكان يحتوى على الوصايا العشر والعصا والمنّ .

12) موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـــ5 ص 357.

13)نفس المصدر السابق جــ5 ص 357&سِفْر التكوين : 10 : 21

14) نفس المصدر السابق : جــ5 ص 358.

15) نفس المصدر السابق :جــ4 ص 155

16) نفس المصدر السابق :جـ4 ص (ز) . وكلمة (هكسوس) تتكون من كلمتين (هك) بمعنى ملك و(سوس) بمعنى الرعاة .

17) نفس المصدر السابق : جـ4 صفحة (ح).

18) نفس المصدر السابق : جـ4 ص 57، 86 ، 92 ، 94.

19) نفس المصدر السابق : جـ4 ص 127 ، 128 . وكان ملك الهكسوس قد ادعى وهو فى (أواريس) بشمال الدلتا أن أصوات أفراس البحر التى تعيش فى بحيرة طيبة (الأقصر) تزعجه وتقض مضجعه لقوتها (على الرغم من أن المسافة بين طيبة وأواريس تزيد على خمسمائة ميل) . وأنه لذلك يأمر ملك طيبة (تاعا الثانى) بأن يبيد أفراس البحر الذى يسكن تلك البحيرة إن أراد أن يُبقي على إرضاء الملك . ولكن الملك (تاعا الثانى) اتخذ هذا التحرش ذريعة وفرصة للمقاومة وتأليب الشعب على الهكسوس وتوحيدهم ضدهم ثم محاربتهم وطردهم من مصر .

20)البرونز : هو خليط من النحاس والقصدير ينصهر فى درجات حرارة أقل وتصبح السبيكة أكثر صلابة ويمكن تشكيلها بأشكال مختلفة لمختلف الأغراض .
(الموسوعة جـ4 ص 188 ، 189 ، 191 ، 192)

21)موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ4 ص 196

22) نفس المصدر السابق : جـ4 ص 197 . تدل الشواهد أن يوسف (عليه السلام) كان وزيراً لأحد ملوك الهكسوس فى مصر وكذلك الآراميون كانوا ضمن الهكسوس المهاجرين و وُصف يعقوب (عليه السلام) بأنه آرامى جوّال. وتزوج إسحاق ويعقوب (عليهما السلام) من آراميات .

23) نفس المصدر السابق : جـ5 ص 372 – 377 .
جـ6 ص 585 ومابعدها .

24)سِفّر التكوين : 47 : 1–12

25)تاريخ رسائل تل العمارنة هو عام 1229 ق.م إبان حكم مرنبتاح .
موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ7 ص (ط) .

26) نفس المصدر السابق : جـ7 ص 117 – 120 & ص 132 – 136 .

سِفْر العدد : 23 : 2 & سِفّر الخروج : 14 : 25.

27)سورة الشعـــــــراء : 66 .سورة الإسراء : 103 & سورة الذاريـــات : 40 & سورة الدخان 23

28) موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ9 ص 492 ومابعدها .

29)سفر التكــــــــوين : 25 : 23– 34

30)سِفّر التثنيــــــــــة : 12،2:2

31)موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـــــ7 ص 106 & جــــ9 ص 495.

32) نفس المصدر السابق : جـ9 ص 499 ، ص 504 .

والقضاة : هم المذكورون فى سِفر القضاة وسِفْر صموئيل الأول وكانوا حكاما ذوي سلطة مطلقة وقواداً للعسكر . وحكموا من موت يشوع بن نـــون فتـى موسى (عليه السلام) إلى صموئيل (حسب العهد القديـم) وأشــهرهم دبورة Deborah التى تعتبر أم إسرائيل ويعتبرونها نبية على الرغم من عدم وجود نبوءة لها . وهى قائدة عسكرية .

33)علمه الله كيفية صنع الحديد وألانه له فصنع منه السلاح والدروع:

*ولقد آتينا داود منا فضلا . ياجبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد (سـورة سبأ : 10)

34)موسوعة مصر القديمة : (د. سليم حسن) جـ9 ص 509.

35)نفس المصدر السابق : جـ9 ص 514–516 ومابعدها .

36) نفس المصدر السابق : جـ9 ص 533 . ومابعدها & جــــ14 ص 734 – 739 &جـ14 ص 744 ، 745.

37) نفس المصدر السابق : جـــ14 ص 758 – 767 & ص 775 – 778&ص 780 – 785

38) نفس المصدر السابق : جـ17 ص 8–14.

39)تعاليم أمينموبى : مقطوعة 13 : 15 ، 16.

40) سفْر الأمثال : 12 : 22

41)تعاليم أمينموبى : مقطوعة 24: 9-12

42)سِفْر الأمثال : 17 : 5

43)تعاليم أمينموبى : مقطوعة 4: 4،5

44)سِفْر الأمثال : 22: 22

45)تعاليم أمينموبى : مقطوعة : 7 : 12 - 15 & 8 : 9

46)سِفْر الأمثال : 23: 10

47)تعاليم أمينموبى : مقطوعة 5: 1-6

48)سِفْر الأمثال : 25 : 21

49)سِفْر المزامير : 104 : 24 ، 25

50)فجر الضمير : (د. جيمس هنرى بريستد) ص 15 ، 43 ، 44

51) نفس المصدر السابق : ص 47 ، 52، 53، 160 ، 163، 164، 205، 231، 256، 266، 271، 292، 295، 296، 299.

والأدب العبرانى يطلق على التوراة المروية والمكتوبة فى السَبى البابلى .

52) نفس المصدر السابق : ص 337 ، 357.

53) نفس المصدر السابق : ص 362 ، 363 ، 367 ، 368 ، 369 ، 372 ، 373

54) نفس المصدر السابق : ص 370 ، 371

- وُجد نقش للإله أوزير المصرى ذو الجناحين (وهو إله الحساب فى عالم الآخرة) قائما على مدخل قصر كورش نحو 2500 سنة بالاضافة إلى أن الفرْس اتخذوا عن المصريين القدماء الفن والعمارة . وعلى قبر الملك (دارا) الأكبر وُجدت نقوش لبيان خُلقى والمُثُل العليا للسلوك . هى نفس نص مصرى قديم .

55) نفس المصدر السابق :ص 373 ، 374.

56) نفس المصدر السابق :ص 384 ، 385 ،388 ، 389 .

57) نفس المصدر السابق : ص 389.

58) نفس المصدر السابق :ص 390.

59) تعاليم أمينموبى : 6 : 1-12

60)سِفْر إرميـــــا :17: 5 - 8

61)سِفْر المزامير : 1:1-5

فجــــر الضمير : (بريستيد)ص 394 ، 406 ، 410 ، 412

62) حضارة مصر الفرعونية : (فرانسوا دوما) ص8،9،10،12،20،21

63) عصور فى فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى) ص33 ، 37 ، 38 ، 39، 40 ، 41.

64) نفس المصدر السابق :: ص 45.

65) نفس المصدر السابق :ص 46 :.47

66) نفس المصدر السابق :ص 53

67) نفس المصدر السابق :ص54ومابعدها .

بردية (أيبوير) : 2 : 5،6

68) سِفْر الخروج : 7 : 21

69)بردية (أيبوير) : 2 :10

70)سِفْر الخروج : 7 :20

71)بردية (أيبوير) : 10 : 3-6

72)سِفْر الخروج : 10 :15

73)بردية (أيبوير) : 9 :11

74)سِفْر الخروج :10 : 22

75)بردية (أيبوير) : 7 : 1، 2

76) سِفْر الخروج : 14 : 29

77) عصور فى فوضى : (فلايكوفسكى) ص 62.

78) عصور فى فوضى : (إ. فلايكوفسكى) ص83 ، 84 ، ص 90

79) نفس المصدر السابق : ص 103 – 105.

80) نفس المصدر السابق :ص 105 ، 111، 132 ، 33 1، 192 ، 358
سِفْر صموئيل الثانى : 8 :4 & سِفر الملوك الأول : 11 : 16

81) عصور فى فوضى :(فلايكوفسكى) ص 135
سِفْر أخبار الأيام الثانى : 9 : 23
سِفْر الملوك الأول : 10 : 24

82) وصف مصر : جـ2 الدراسة التاسعة . (دىبوا – إيميـه) ص 313 ، 314 ، 315.

83) نفـس المصـدر السـابق :ص 316 ، 319 ، 321 ، 324 ، 325 ، 327، 328،329،331 ، 335.

84) نفس المصدر السابق :ص 336 ، 338 ، 339

85) نفس المصدر السابق :ص 367 . نوما **Numa** هو ثانى ملوك روما (714 – 671 ق.م) كما تحكى الأساطير . وكان يقوم بـدور الكاهن الأكبر . ولكى يلزم شـعبه الـهمجى بـالأخلاق القويمة ادعى أنه يلتقى ليـلاً بحوريـة مقدسـة إسـمها (إيجـريا) تلهمه الرشد والنصيحة .

86) نفس المصدر السابق :ص 367

ليكورج :Lycurgue :

وكان حكيما يقول عنه هيرودوت أنه ابـن عـم الملـك كاريلوس ملك اسبرطة اعتبر نفسه مشرِّعاً يتلقى الوحـي فى معبد دلفى من السماء وذلك لإقناع شعبه بـالقوانين التى يفرضها لتغيير عادات النـاس ولإدخـال عـادات جديدة . ويرى آخرون أنه شخصية خيالية وأن الشـرائع

كانت من وضع عدة أشـــخاص وأنـــها ســميت باســم
الشخص الذى قام بجمعها وتدوينها .

87) نفس المصدر السابق :ص367 :

مانكوكاباكا Manco Capac

مؤسس امبراطورية بيرو وأول ملوك الأنكا . عاش فـى
القرن العاشر الميلادى وكان يتحدث باسم الشمس .

88) سِفْر العدد : 20 : 12

سِفْر التثنية : 32 : 52

89) اليهود فى تـاريخ الحضـارات الأولـى : (د. جوسـتاف لوبـون) ص15
ومابعدها .

90) نفس المصدر السابق : : ص 32 ومابعدها .

91) نفس المصدر السابق : ص 49 ومابعدها .

92) نفس المصدر السابق :ص 61 ومابعدها .

93) آرام دمشق وإسرائيل : (فراس السواح) ص 161 – 176 .

94) سِفْر القضاة : 5 : 12 – 18 .

95) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى : (توماس ل . طومسون).

انظر كتاب (آرام دمشق وإسرائيل) لفراس السواح ص 172 –176، 271

96)آرام دمشق وإسرائيل : (فراس الســـواح) ص 237 ، 247 ، 249 ، 250،
.290

97) القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص 31 ، 53.

98)سِفْر صموئيـل الثانى : 5 : 7 ، 9

سِفْر الملـــوك الأول : 8 : 1 & سِفْر أخبار الأيام الثانى : 5 : 2

99) سِفْر المـزامـير : 46 : 4

القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص33

100)سِفْر التكوين : 14 : 18

101) سِفْر القضاة : 19 : 10

102) سِفْر الملوك الأول : 8 :1 & سِفْر أخبار الأيام الثانى : 5 :2

سِفْر إشعياء : 28 : 6 .

103) سِفْر إشعياء : 29 : 1

104) سِفْر أخبار الأيام الثانى :3 : 1

سِفْر التكوين : 22 : 2

105) القدس عربية إسلامية : (د. سيدفرج راشد) ص 32

عروبة بيت المقدس : (د. اسحاق موسى الحسينى) .

106) سِفْر القضاة : 19 : 10 & سِفْر القضاة : 1 :8 & سِفْر صموئيل الثـــانى : 5 :6 &سِفْر نحميا : 11 : 1 & سِفْر يشوع : 10 : 1 ، 3 ،5

107) عروبة بيت المقدس : (د. إسحاق موسى الحسينى)

108) القدس عبر التاريخ : (ميخائيل مكسى اسكندر)

109) القدس الشريف : (د. محمد عمارة)

110) إسرائيل ركيزة الاستعمار : (د. حسن ظاظا) ص 116 ، 117

111) اليهود واليهودية : (د. عبد الجليل شلبى) ص 11 – 13

112) نفس المصدر السابق : ص 57 ، 58

113) قصة الحضارة : (ويل ديورانت) مجلد 6 جـ 11 ص 188 – 190

114) نفس المصدر السابق :مجلد 7 جـ 14 ص 37

115) نفس المصدر السابق : مجلد 7 جـ 14 ص 39

116) نفس المصدر السابق :مجلد 6 جـ 11 ص 291

117) نفس المصدر السابق :مجلد 6 جـ 11 ص 319

118) نفس المصدر السابق :مجلد 6 جـ11 ص 387

119) نفس المصدر السابق :مجلد 7 جـ 14 ص 6

120) نفس المصدر السابق :مجلد 6 جـ 11ص 275 ، 276

121)تاريخ القدس : (عارف العارف)

تاريخ الطبرى : (أبى جعفر الطبرى) . معاهدة القدس فتح بيت المقدس جـ 3 ص 609

122) صحيح البخارى : جـ 20 كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة & جـ 6 باب مسجد بيت المقدس . حديث رقم 379 عن أبى سعيد الخدرى .

صحيح مسلم : جـ 15 كتاب الحج . حديث رقم 415 (طبعة مؤسسة التاريخ العربى – بيروت) .

123)تاريخابن خلدون : (ابن خلدون)

فتوح الشام : (الواقدى)

124)شذرات الذهب : (أحمد ابن حنبل)

125)الكامل فى التاريخ: (ابن الأثير) جـ 11 ص 194 ، 195 (العهدة العُمَرية)

126) القدس : (عبد الحميد الكاتب) ص 165 .

(127) نفس المصدر السابق : ص 155

128) القبيلة الثالثة عشرةويهود اليوم : (آرثر كيستلر) ص 7 ، 63 .

129)مروج الذهب ومعادن الجوهر : (المسعودى) جـ 1 ص 151 ، 152.

130)(الخَزَر) فى كتاب التاريخ العالمى لليهود : (دانلوب) ص 206 ، 207 نقلا عن (المسعودى) .

القبيلة الثالثة عشرة : (كيستلر) ص 9 ، 55

131) القبيلة الثالثة عشرة : (كيستلر) ص 10 – 16

132) نفس المصدر السابق : ص 180 ، 181

133)فتوح مصر وأخبارها : (ابن الحَكَم) نشرة هنرى ماسيه ص 51.

أهل الذمة : (قاسم عبده) ص 26 ، 29 ، 32

اليهود تاريخ وعقيدة : (كامل سعفان) ص 310

الاسلام وأهل الذمة : (الخربوطلى) ص 218

الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين : (ابن دقماق) تحقيق (محمـــد كمـــال الدين) جــ 1 ص 142 ، 143 .
تاريخ وآثار مصر الإسلاميـــــــــــــة : (أحمد عبد الرازق).

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : (ابن تغـــرى بـــردى) جـــ 3 ص 165& جـــ 4 ص 31 ، 32
مصر فى عصر الاخشيـــــــــديين :(د. سيدة كاشف)ص 177

مصرفى عصر الدولة الفاطمية : (جمال الديـــن ســـرور) ص 54 ، 87 .
مرآة الزمان وعِبَر اليقظـــــــــان : (اليافعى) جــ2 ص 410 ، 449 (طبعـــة حيدر أباد)
اليهــــــــــــــــــود فى مصر : (قاسم عبده) ص 62 ، 88
تاريخ مصر الإسلاميــــــــــــة : (جمال الشيال) جــ1 ص 108
تاريخ الحكمـــــــــــــــــــاء : (ابن القفطى) 317 ، 318
طبقات الأطبـــــــــــــــــــاء: (ابن أبى أصيبعه) ج 2 ص 117
صبـــــــــح الأعـــــــــــشى: (القلقشندى) جـــــ 3 ص 462 & جـــ1 ص 356 ، 357
السلـــوك فى معرفة دول الملـــوك : (المقريزى) جـــ 4 ق2 ص 1038، جـــ1 ق1 ص 44 ، 47 ، 75 ، 384 ، جـــ3 ق1 ص 44 ، 75
اليهود فى مصر المملوكيــــــــة : (د. محاسن الوقـــاد) ص 39 – 135 ، 162 ، 163.
أفحام اليهـــــــــــــــــــود : (ابن يحيى المغربى) : ص 94
العقد الفريد للمـــــــــلك السعيد : (ابن طلحة) ص 159 ، 160 .
الأحكام السلطانيـــــــــــــة : (الماوردى) ص 142 – 145 .

أحكام أهل الذمــــــــــة : (ابن قيم الجوزية) جــ1 ص 22 ، 23.
معاملة غير المسلمين فى الدول الإسلامية : (نريمان عبد الكريم) ص 85 ، 86
134)اليهود فى مصر المملوكيــة : (د. محاسن الوقاد) ص217 – 295
135)نفس المصدر الســـــابق : ص 132 – 138 (الشروط العُمَرية)
أحكام أهل الذمـــــــــة : (ابن القيم الجوزية) (طبعة دمشق) الفصــل الأول ومابعده .
معـا ملــة غير المسلمين : (نريمان عبد الكريم) ص 60
الأحكــام السلطانيــــــة : (الماوردى) ص 145 ، 146.
نهـــايـــــــة الأرب : (النويرى) جــ8 ص 238 ، 239
أهـــل الذمــــــة : (قاسم عبده) ص26 ، 27 .
نهـــاية الرتبـــــــة : (الشيزرى) ص 106
136)اليهود فى مصر المملوكية : (د. محاسن الوقاد) ص 299 – 318
سِفّر التكويــن : 11 : 29 & 16 : 3 & 25 : 1 & 26 : 24
فتـــاوى رابى دافيـــد : (ابن زمرة) جــ 1 ص 53 & جــ4 ص 78
التأثير الإســــــــــلامى : (محمــد جــلال) ص 109 ، 114 ، 115.
الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية للإسرائيليين : (حاى ابن شـمعون) ص 1–3
اليهـــــــــودية : (محمد بحر) ص 105
137) اليهود فى مصر المملوكية: (د. محاسن الوقاد) ص 139 – 322
مركز المرأة فى الشريعة اليهودية : (السيد محمد عاشور) ص 17
المرأة وحقوقهـــــا : (سوزان السعيد) ص10
138) سِفّر التكوين : 38 : 8
سِفْر التثنيــة : 25 : 5– 10

دلالة الحائرين : (موسى بن ميمون) جـ3 ص 698

عقود الزواج : (ليلى أبو المجد) ص 17

هداية الحيارى : (ابن قيم الجوزية) ص 255 ، 256

139)اليهود فى مصر المملوكية : (د. محاسن الوقاد) ص376 – 397

نهاية الأرب : (النويرى) جـ 8 ص 187 – 189

الخطـــط : (المقريزى) جـ 2 ص 471 ومابعدها .

المجتمع المصرى فى مصر الاسلامية : (هويدا عبد العظيم رمضان) جـ 2 ص 67 ، 68

المرشـد الأمين : (يوسف إبراهام يمطـوب) ص 77،78 ، 81 ، 83 ، 87، 88

الأعياد والاحتفالات اليهودية : (جيلان عباس) ص 143 ، 145 ، 148، ص155

الفكر الدينى : (د. حسن ظاظا) ص 203 ، 207 ، 219، 223

اليهوديـــة : (محمد بحر) ص 134 ، 135 ، 137 .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود : (نبيل عبد الحميد) ص 162 ، 177 .

الجيتّو اليهودى : (سناء عبد اللطيف) ص 188 .

صبح الأعشى : (القلقشندى) جـ2 ص 436، 437 .

دلالة الحائرين : (موسى بن ميمون) جـ3 ص 655

الشخصية اليهودية : (رشاد الشامى) ص 107 .

العقيدة الدينيـــة : (ألفت جلال) ص 76 .

القراءون والربّانيون: (مراد فرج) ص 17 ، 18 .

الموسوعة العبرية الكبيرة : جـ26 حرف س .ع ص 25 & جـ27 حـرف ع.ق ص 947 .

الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود : (عبلة حنفى) ص 212 ، 214 ، 217.

140)تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية : (يعقوب لاندوا وآخرون) . ص 403 – 421 & ص 646 – 652

الخطـــــــــط : (المقريزى) جـــ2 ص 409 ، 472

مختارات أثرية : (بنسكر) جـــ2 ص 169 – 227

مصادر وايمان : (مان) جـــ2 ص 270

تاريخ اليهودية القرائية : (الجميل) جـــــــ2 ص 43 & جــــــ1 ص 133-138 ، 190

نهـــــر مصر : (ابن شمعون) ص35

141) تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية : (يعقوب لاندوا وآخـــرون) ص 29 -46

142) نفس المصدر السابق : ص 47-77

143) نفس المصدر السابق : ص 96 - 159

144) نفس المصدر السابق : ص 160 - 175

145) نفس المصدر السابق : ص176-299

146) نفس المصدر السابق : ص 300 – 327

نهـــــر مصـــــــــر : (ابن شمعون) جـــ1 ص 150

147)تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية : ص8 32 -402

148) نفس المصدر السابق : ص 403 -464

149) نفس المصدر السابق :ص 465 - 528

150) نفس المصدر السابق :ص 529-582

151) نفس المصدر السابق : ص 604-655

الضوء اللامــــــــع : جـــ5 ص 92 ،2 293

مختارات أثريـــــــــة : (بنسكر) جـــ2 ص 169 -227

مصادر وايمـــــــان : (مان) جـــ2 ص270

تاريخ اليهودية القرائية: (الجميك) جـــ2ص 43 &جـــ1 ص 190

152)تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية : 656 - 672

153) حضارة العـــرب : (د. جوستاف لوبـــون) ص 6 ، 19 ، 30 ، 49 ، 59 ، 62 ، 63، 64، 87 ، 90

154) اليهود أنثروبولوجياً : (د. جمال حمدان) ص 63 – 68 .

155) نفس المصدر السابق : ص 69 – 86

156) نفـــس المصـــدر الســـابق: ص 86،89،150 ، 151، 167 ، 168 ،172،175،178

157) نفس المصدر السابق : تعليق د. عبد الوهاب المســـيرى ص 221 ، 224 ،226 ، 242 – 245.

158)المفهوم المادةى للمسألة اليهودية : (**إبراهام ليون**) ص 7 ، 21

* ابراهام ليون هو ماركسى بولونـــى . نشـــر كتابه هذا سنة 1942م أى قبل انتهاء الحـــرب العالمية الثانية واعلان دولة إســـرائيل ســـنة 1948 ، وفى هذا الوقـــت كـــانت ألمانيـــا النازية تكتسح أوروبا بجيوشها . وتوجـــهات ليون الماركسية لا تخفى على أحد ومن ثـــم قناعته بها كحل لأى مشكلة أو مسألة ومـــن ضمنها المسألة اليهودية .

المسألة اليهودية :(كارل ماركس).

159) المفهوم المادى : (ليون) ص 25 .

160) نفس المصدر السابق : ص 25

161) نفس المصدر السابق :ص 25 ، 27

162) نفس المصدر السابق : ص 27 ، 29

163) نفس المصدر السابق : ص 33– 37

164) نفس المصدر السابق :ص 73 ، 77

165) نفس المصدر السابق : ص 73

166) نفس المصدر السابق :ص84 .
167)نفس المصدر السابق :ص115 ومابعدها .
168) نفس المصدر السابق :ص176، 177
169) نفس المصدر السابق :ص181
170) نفس المصدر السابق :ص 182 ، 183
171) نفس المصدر السابق :ص 184 ومابعدها .
172) نفس المصدر السابق : ص 202
173)دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 201
174 نفس المصدر السابق :ص 201
175) نفس المصدر السابق :ص 202
176) نفس المصدر السابق :ص209
177) نفس المصدر السابق : ص 214 .
178) تاريخ اليهود فى مصر العثمانية : (يعقوب لاندوا وآخرون)كلمة المراجع محمد خليفة حسن ص 7.
179) نفس المصدر السابق : ص 8 – 12.
180) استراتيجية الاستعمار والتحرير : (د. جمال حمدان) ص 9 –11.
181) نفس المصدر البابق :ص 12 – 14 ، 19 .
182) نفس المصدر السابق :ص 29 ، 30 ، 32 ، 33.
183) نفس المصدر السابق : ص 34 ، 35 ، 57.
184) نفس المصدر السابق :ص 129 ، 130 ، 139 .
185) نفس المصدر السابق :ص 140 ، 150
186) نفس المصدر السابق :ص 167 ، 168 .
187) نفس المصدر السابق : ص 169 – 176 .

الفصل الثالث

المؤامرة

- **يقول (إبراهام ليون)** [1] :

اعتبرت الجماعات الصهيونية اللا سامية شرطا لانبعاثها ووظيفتها من أجل تبرير مشروعها فدخلت مع أشد الجماعات اللاسامية عداءً لليـــهود مـــن أجل هذه الغاية كالاتفاقات التى وقعها (هرتزل) مع جماعة (المائة الســـود الروسية) الرجعية . والاتفاقات التى وقعها (وايزمـــان) مـــع (موســـيلينى وهتلر) .

- يقول المنظِّر اليهودي (**جاكوب كلاتزكين**) [2] :

نحن بإيجاز أجانب بحكم الطبيعة . إننا شعب أجنبي غريب وســـطكم ونريد أن نبقى كذلك . فبيننا وبينكم هوة من الخلاف لا يمكن ردمها . وعلـــى المرء أن يبحث ويدقق فى الأقطار الغربية ليلاحظ **أن اللاسامية لعبـــت دوراً كبيراً فى استمرارية اليهودية** وإثارة المشاعر والحركات التى أدت إلى إعادة مولد قوميتنا . حقاً إن أعداءنا فعلوا الكثير لتقوية اليهودية فى أرض الشتات . **وكان علينا أن نكون ممتنين لظالمينا لأنـــهم أقفلـــوا بوابـــات امتصاصنـــا وحرصوا على أن يبقوا شعبنا مركّزاً فى مناطق معينة وحالوا دون تشـــتيته وأسهموا فى بقائه موحداً ومنفصلاً عن الآخرين بحيث غدا مــــن الصعـــب علينا حتى ولوج باب اعتناق المسيحية .**

- **(بن جوريون)** [3] لا يتردد فى القول باستعداده لـــ :

تدبير مجموعات خاصة من الشباب اليهودي لإثارة حملات الكراهيـــة ضد اليهود فى البلدان التى غرق فيها اليهود فى رضا آثم عن النفس .

- تطرح الوثائق والقراءات التى رافقت نشأة وتطوير الفكرة الصهيونية كم كانت هذه الفكرة مدينة للنشاطات والتصورات اللاسامية المقصودة وأنها (أى الصهيونية) نشأت بدعم اللاسامية وليس بالرغم عنها .

- أحست الطبقات البرجوازية فى إنجلترا وأمريكا بفائدة اليهود للدولة البرجوازية حيث بدأ اليهود يلعبون دورا فى التوسع والازدهار الرأسمالي .

- دخلت اليهودية الغربية بشكل عام وابتداء من القرن التاسع عشر فى طرق الاندماج التام . ففى خلال ثلاثين سنة من نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (1770م -1800م) تحول نصف يهود برلين إلى المسيحية .

- يقول المؤرخ الصهيوني (**بن هالبرين**)[4] :

توقف اليهود عن تشكيل طبقة وكانوا يندمجون بسرعة فى المجتمعات الأخرى وأدى ذلك إلى :

ممارستهم الزراعة (فى شمال أفريقيا) وتنصر العديد من الملاك العقاريين (فى ألمانيا) والزوال التام للقبائل اليهودية (فى الجزيرة العربية) واختفاء العبرية كلغة حية وتبنى اليهود فى كل مكان لغات الشعوب المجاورة مع ظهور لهجات مختلفة : عبرية - عربية ، عبرية - فارسية ، عبرية - برتغالية ، عبرية - أسبانية .. الخ ماعدا العبرية الألمانية التي أصبحت (اللغة اليدشية) فى عصرنا الحاضر .

إن اليهود خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر قد نسوا لغتهم وزادت عدد الزيجات المختلطة وأعداد المرتدين عن اليهودية .

- يقول (**إميل توما**) فى كتابه (جذور القضية الفلسطينية)[5] :

حاجة البرجوازية الأوروبية الصاعدة إلى السيطرة على مفاتيح العالم القديم (وفى مقدمتها الشرق العربي) جعل الغرب بحاجة إلى إثارة المسألة اليهودية (و ليس إلى حلها) . مقدمة لتوظيف تلك المسألة هنا وليس فى أوروبا **حيث كان قيام كيان خاص باليهود يخدم الغرب فى أكثر من قضية تبدأ بالالتفاف مستقبلا على أية محاولة لتوحيد مصر مع سوريا على غوار محاولة (محمد على) وتنتهي بحاجة الغرب إلى السيطرة على مفاتيح الاقتصاد و السياسة فى الشرقين الأوسط والأدنى . وقد ارتبط ذلك باحتدام الصراع بين الامبرياليات نفسها وخاصة فرنسا وبريطانيا وألمانيا التى رأت فى المشروع الصهيوني جزءاً هاما من استراتيجية تفكيك الامبراطورية العثمانية وورائتها .**

- كانت الدوائر الغربية توظف القومية المعادية لليهود فى شرق أوروبا من أجل خلق مشاعر يهودية قومية وهمية فى الأوساط اليهودية المتوسطة التي بدأت بالتفسخ من المناخات الإقطاعية التي كانت تنتجها .

- **يؤكد (هرتزل)**[6] :

أن اليهود فى أوروبا فائض بشرى غير نافع داخل أوروبا ولكن يمكن تحويله إلى عنصر نافع للحضارة الغربية عن طريق نقله إلى الشرق (فلسطين على سبيل المثال) ليصبح عنصراً استيطانيا .

- ثمة مفارقة هامة وهى أن حمى العودة اليهودية التي تبناها المسيحيون لم تجد صدىً كبيراً بين اليهود فى بداية الأمر . فقضية العودة الفعلية الجماعية لم تكن مطروحة أساساً على المستوى الديني اليهودي .

• يقول (أينشتين) [7] العالم اليهودي المشهور :

إن الطبيعة الأصلية لليهود تتعارض مع فكرة إنشاء دولة يهودية بحدود وجيش وسلطة زمنية . وأن اليهود الحاليين ليس هم اليهود الذين عاشوا فى فترة المكابيين .

• يقول (إيفانوف) [8] :

إن إسرائيل لم تتشكل لحل المسألة اليهودية كما تزعم (الصهيونية السياسية) وليست تعبيراً عن فكرة الأمة اليهودية الخالصة المطلقة كما تزعم (اليهودية الروحية) بل لحل المشكلة الغربية الرأسمالية في الشرق العربي كمشروع غربي حطم الجيتّو اليهودي الربوى في أوروبا ليعيد تشكيله على هيئة ثكنة إسبارطية عسكرية تخدم مصالح الغرب فى الشرق .

• يضيف (ايفانوف) نقلاً عن (ميخائيل بريتشر)[9] :

إن التعاطف الغربي مع المسألة اليهودية تقرر فى ضوء **حاجة الغرب إلى جسر مع المناطق التابعة وراء البحار فى الشرق ومواجهة الخطر العربي بالوحدة (تفكير وسعى محمد على فى إقامة دولة عربية مركزية) .**

• يقول (**روتشيلد**) [10] اليهودي الشهير في رسالة إلى (بالمرستون) عام 1841م :

إننا إذا نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض فسوف نجد أن فلسطين هى الجسر الذى يصل بين مصر وبقية العرب فى آسيا . وفلسطين هى بوابة الشرق والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر وفى هذه البوابة لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربى ويحول

دونــــه . والهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور . وليست تلك خدمة لليهود ليعودوا إلى أرض الميعاد مصداقا **للعـــهد القديـــم** فحســـب ولكنها أيضا خدمة للامبراطورية البريطانية ومخططاتها . فليس ممـــا يخـــدم الامبراطورية أن تتكرر تجربة (محمد على) سواء بقيام دولـــة قويـــة فـــى مصر أو قيام اتصال بين مصر والعرب والآخرين .

- **ويقول (ماكس نوردو)**[11] :

أنتم تريدون منا أن نحمى قناة السويس وأن نؤمن طريقكم إلى الـــهند عبر الشرق الأوسط ونحن نريد منكم أن تساعدوننا من أجل أن نصبح قـــوة قادرة على خدمة هذه المصالح . ولما لسنا فى موقعين مختلفين فلا يسعنا إلا أن نهزأ بالنصائح التي تدعونا للتحول إلى آسيويين حتى ننجح هناك .

- كرر ذلك أيضا كل من (**بن جوريون**) و (**بنحاس سابير**)[12] فـــى تصريحين متشابهين أكدا فيه على ازدواجية الانتماء الإسرائيلي . **الثقافي للغرب والجغرافي للشرق** .

- ظل المشروع الصهيوني في بدايات القرن العشرين مشـــروع الأقليـــة اليهودية المرتبطة بالدوائر الغربية فيما ظلت الأكثرية غير معنيـــة بـــهذا المشروع لأسباب متفاوتة . ومعارضة المشروع الصهيوني من موقـــع (يهودي ديني) كانت الأبرز (**فاليهودية الأرثوذكسية**) **اعتبرت كل قومية معادية للدين** (**ناطورى كارتا**) و (**اليهوديـــة الإصلاحيـــة**) **اعتـــبرت اليهودية** ديانة وليست قومية .

- **الوظيفة التاريخية لليهود لم تُلغ وإنما أخذت ـ برعاية الغرب ـ شـــكلا جديداً:فحل الدرع محل الذهب وحل المحارب محل المرابي** .

- **كان (آحاد هعام)**[13] يرى أن:

الدولة اليهودية مجرد وسيلة وليست غاية . لأن الغاية الحقيقية فـــى تصوره هى تطوير الحياة الثقافية لليهود والانبعاث الروحي لليهود واليهودية .

- سبق لـــ (**نابليون بونابرت**)[14] أن وجه نــــداءً لليـــهود عـــام 1799م **(الحملة الفرنسية على مصر وسوريا) يدعوهم فيه إلى استعادة حقوقهم المسلوبة فى فلسطين** . وتـــابع (نـــابليون الثـــالث) عـــام 1852 – 1870م الاهتمامات ذاتها وساهم فى نشر كتاب (**موسى هس**) [15] الـــذي جـــاء فيـــه :

إن فرنسا معنية بدعم اليهود فى إقامة مستعمرات تمتد من السويس حتى القدس ومن ضفتي نهر الأردن حتى البحر المتوسط .

- **من جهة (روسيا القيصرية) تشير الوثائق إلى تعاون وثيـــق بيـــن وزير الشرطة القيصرية (كان يترأس حزب المائـــة الســـود المعـــادى لليهـــود) وبين (هرتزل) وإلى تعاون آخر تم إبرامه خـــلال الحـــرب الأهلية فى روسيا عام 1919 – 1921 م.**

- **كشفت الوثائق التى تركها النازيون بعد سقوط برليـــن عـــن أشـــكال عديدة من التعاون السياسي المباشـــر وغـــير المباشـــر بيـــن النازيـــة والصهاينة المتحمسين للهجرة .**

- **يكشف (جون) و (ليمخى) أو ليمشى**[16] **أن :**

المبعوثين اليهود / الفلسطينيين سافروا إلى ألمانيا النازية ليس من أجل إنقاذ اليهود الألمان بل من أجل انتقاء الرجال والشباب والنساء المستعدين والمتأهبين للتوجه إلى فلسطين .

- الاهتمام البريطاني باليهود بدأ مع اللورد (كرومويل) بغرض استخدامهم فى الصراع على تركة أسبانيا والبرتغال بين انجلترا والأقاليم المتحدة (هولندا) . وفى عام 1854 م

أعلن (**كرومويل**) [17] في البرلمان الإنجليزي :

إن العناية الإلهية قد وضعت سوريا ومصر فى طريق إنجلترا نحو المناطق الأهم فى تجارتها الاستعمارية الخارجية (الهند والصين واستراليا والأرخبيل الهندي) . **إن الإصبع الإلهي يشير إلى إنجلترا أن تعمل بقوة لخلق ظروف ملائمة أمام الشعب الملائم لهذه المهمة . والذي يمكن أن تستخدم طاقته دائما وبصورة فعالة** أى بواسطة الأبناء الحقيقيين لهذه الأرض أبناء إسرائيل .

- **تصريح (كامبل نبرمان)** [18] :

الذي اعتبر **أن المشروع الصهيوني ضرورة غربية لفصل المشرق العربي عن المغرب العربي وتبديد أية شروط تكرر تجربة (محمد على) .**

- لقد كانت المسألة اليهودية تتشكل فى إطار الرأسمالية الأوروبية القومية الصاعدة فى القرن التاسع عشر **ولم تأخذ طابعها الصهيوني إلا مع تحول هذه الرأسمالية إلى امبريالية وتحول الوظيفة التاريخية اليهودية من وظيفة التاجر المرابي داخل أوروبا إلى وظيفة المحارب خارجها . ولم تكن الصهيونية امتداداً للمسألة اليهودية إلا بقدر ما كانت الامبريالية**

امتداداً للرأسمالية . ولم تكن وظيفة المحارب اليهودي امتـــداداً لوظيفـــة التاجر اليهودي إلا بقدر ما احتاجه الغرب فى الحالتين للجيتـــو اليـــهودي (العزلة) مرة كجيتّو للمرابين داخل الأسوار الأوروبيـــة ومـــرة كجيتـّـو للمحاربين خارج هذه الأسوار .

- **تصريح بلفور (وعد بلفور)** (19) :

سواء كانت الصهيونية على حق أم على باطل . جيدة أم سيئة فإنها ذات أهمية كبيرة لنا تفوق بكثير رغبات وآمال السبعمائة ألف عربي الذيـــن يسكنون هذه الأرض القديمــــــة [الرقم المذكور واضح أنه غير حقيقــــي بقصد التهوين والإقلال من شأن النكبة المنتظرة . وهذا البلفور المخادع كـــان من المسيحيين المعروفين بعدائهم الديني لليهود ولكن المصــــالح الامبرياليــة العليا اقتضت التحالف مع اليهود الشياطين] .

- إدارة الرئيس (ويلسون) الأمريكي :

ضمت (لويس برانديس) أحد زعماء الصهيونية فى أمريكا ووافقت على إعلان بلفور قبل إعلانه رسميا .

- انعقد المؤتمر الصهيوني العالمي في نيويورك في فندق بالتيمور عـــام 1942 (مؤتمر بالتيمور) ثم انتقل المقر الرئيسي للصهيونية من لندن إلـــى نيويورك عام 1945 م (بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية) .

- **اعتراف أمريكا بإسرائيل فور قيامها والتزام أمريكــــا (بدعـــم مـــن الرئيس ترومان) لقرار التقسيم عام 1947 م .**

- إذا كانت المسألة اليهودية مظهراً من مظاهر انتصار الرأسمالية الأوروبية فإن الصهيونية مظهر من مظاهر انتصار الرأسمالية في تطورها الإمبريالي الأمريكي .

- **يقول (د. سيد فرج راشد)** [20] :

لعل أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود كانت تلك التي أفصح عنها السير (**هنرى فنش**) عام 1616 م فى كتابه (نداء اليهود) . وبعد مرور حوالى قرنين بدأت أصداء هذه الدعوة إلى الظهور مرة أخرى حيث ظهر اتجاهان فكريان متعارضان لحل المسألة اليهودية :

(1) **الاتجاه الأول :** حمل لواءه (**موسى مندلسون**) عام 1729 -1786 حيث نادى باندماج اليهود مع المجتمعات التى يعيشون فيها فى أوروبا .

(2) **الاتجاه الثاني :** كان على رأسه (**تيودورهيرتزل**) عام 1860 -1904 م والذي يدعو فيه إلى الصهيونية السياسية.

- استغلت الحركة الصهيونية الأماني الروحية لليهود في العودة إلى أرض الميعاد - على حد تعبيرها - بالاضافة إلى اتجاهات السياسة التى سادت فى القرن الماضي قد ساعدتهم على الإعلان عن هدفهم باعتبار فلسطين وطناً لهم يهاجر إليه يهود العالم . غير أن الهجرة الأولى كانت محدودة جداً حيث فضل يهود أوروبا الهجرة إلى الولايات المتحدة واستراليا والأرجنتين .

- يرى (ليوبنسكر)[21] أن : المعاداة للسامية هي كراهـية الغريب [يقصد كراهية اليهود] .

و(ليوبنسكر) هذا يهودي روسـي كـان يعمـل طبيبـا . اعتنـق الصهيونيـة السياسية وأصبح زعيما لجماعة (أحبّـاء صـهيون). وفـى أعقاب أحداث روسيا عام 1881 م طالب بإعادة توطين اليهود فـى وطـن جديد . ثم بدأ في التجول فى العواصم الأوروبية للدعوة لفكرته الخاصـة فقوبل بمعارضة من اليهود أنفسهم . وبعدها كتب مقاله الشهير (التحـرر الذاتى) وهو لم يحدد فلسطين كوطن لليهود يتملكونه ويهاجرون إليه . وقد اعتبر (هيرتزل) رائده فى الفكر الصهيوني حيث قام بتحويـل الحركـة الصهيونية من حركة فكرية إلى حركة سياسـية فـى أعقـاب قضيـة (دريفوس) عام 1894م .

- يعتبر (تيودورهيرتزل)[22]أن :

المشكلة اليهودية هي مشكلة قومية يجب حلها كمسألة سياسية على المستوى الدولي لا كمشكلة اجتماعية أو دينية . واختياره لفلسطين نبع من أفضليتها - في نظره - كمكان لغرس الدولة اليهودية المزعومة واضعاً فـي اعتباره تراثا دينيا لم يكن هو شخصيا يؤمن به ليستقطب عشاق صهيون .

- قرر (المؤتمر الصهيوني الأول)[23]فى بال بسويسرا فى 8/29 /1897 :

1- اتباع الوسائل العملية الفعالة لإنشـاء مسـتعمرات زراعيـة وعمرانيـة لتستوعب عمال اليهود من الزراعيين والصناعيين

2-تنظيم جماعات يهودية من خلال المنشآت المحليـة و الدوليـة لتحقيـق الغرض بحيث تتواءم مع قوانين الدول التى يعيش فيها اليهود .

3- تقوية الروح القومية اليهودية وإذكاء الحماسة فى صدورهم .

4- محاولة الاستفادة من تنافس الدول الاستعمارية ومساعدتها فى تحقيق أهداف الصهيونية .

- تحاشى اليهود فى مؤتمر (بال) والمؤتمرات اللاحقة حتى عام 1942م استعمال تعبير (الدولة اليهودية) مفضلين عليها كلمة (وطن) منعاً لإثارة حساسيات بعض الدول الأوروبية والعرب .

- **رفض (السلطان عبد الحميد)[24] العثماني فكرة الاستيطان فى فلسطين** وفى هذه الأثناء عرضت بريطانيا على (هيرتزل) عام 1903 م فكرة إنشاء وطن قومي لليهود فى أوغندا فرفض قائلا :

إن أفريقيا ليست فلسطين ولا يمكن أن تحل محل صهيون [يقصد القدس] ورفض المؤتمر الصهيوني السابع عام 1905م هذا العرض فسحبته بريطانيا .

- مع بدء الحرب العالمية الأولى عام 1914 م اتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك الدولة العثمانية فوجدت الصهيونية فرصتها فى الوصول إلى أرض الميعاد .

- نجح (**حاييم وايزمان**) بمساعدة صديقه (بلفور) الذي أصبح وزيراً لخارجية بريطانيا فى الحصول على وعد يحقق التحالف بين بريطانيا والصهيونية العالمية ضد حركة القومية العربية . وصدر (**وعد بلفور**)[25] عن الخارجية البريطانية في 1917/11/2م . ما نصه :

إن بريطانيا تعد بالنظر بعين العطف والرعاية إلى أمل الصهيونية فى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وإن بريطانيا ستستخدم كل مـــا فـــى وسعها لتحقيق هذا الأمل . على ألا ينتج عن ذلك أى أضـــرار أو تعريـــض بالحقوق المدنيّة والدّينيةّ للهيئات غير اليهودية الموجودة في فلســـطين أو أن يؤثر ذلك على الحقوق والأوضاع السياسية لليهود فى البلاد الأخرى .

- **كان العرب يشكلون 92 % من عدد ســـكان فلســطين وقـــــت صـــدور (وعد بلفور) وكان اليهود حوالي 65ألف نسمة بنسمة 7% .**

- فى أعقاب الحرب العالمية الأولى اتفق الحلفاء على وضـــع فلســطين تحت الانتداب البريطاني فى 1920/4/25 م.

- سهلت وثيقة الانتداب إهدار حقـــوق الشـــعب الفلســطيني وســـمحت للوكالــــة اليهودية (المنظمة الصهيونيـــة العالميـــة) بـــإدارة شـــئون فلسطـــين .

- كانت المهمة الرئيسية(للوكالة اليهودية)[26] أيام الانتـــداب هـــى **تمثيل الحركة الصهيونية ويهود العالم أمام سلطات الانتـــداب وعصبـــة الأمـــم . وتطورت هذه الوكالة لتصبح ما يشبه حكومة داخـــل حكومـــة الانتداب لها جيشها (الهاجاناه والبالماخ) وجهازها الاداري وميزانيتـــها المستقلة.**

- فى خلال اثني عشر عاما من بدء الانتداب البريطاني 1920 -1932م هاجر إلى فلسطين 118 ألف يهودي مما يوضح مدى مساعدة سلطات الانتـــداب للصهيونية على تدعيم أركانها فى فلسطين .

- وقفت الصهيونية وراء (**ترومان**)[27] فى حملته الانتخابية للرئاسة الأمريكية وبعد نجاحه قام بالضغط على بريطانيا لإنشاء جيش يهودي تم تجهيزه عام 1944م .

- اندمجت العصابات الصهيونية المختلفة (الأرجون وشتيرن وقوات البالماخ والهاجاناه) فيما يسمى بجيش الدفاع الإسرائيلي وذلك عقب إعلان قيام إسرائيل فى 1948/5/15.

- كان (قرار التقسيم)[28] الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى 26/11/ 1947 قراراً جائراً حيث **أعطى اليهود 56 % من أراضى فلسطين رغم أنهم يمثلون 5.6 % فقط قبل التقسيم . كما تجاهل القرار شعب فلسطين فى تقرير مصيره .**

- إذا كان (**هتلر**)[29] قد نادى بنظرية نقاوة الدم الألماني فإن الصهيونية ترى أيضا أن النقاوة العنصرية هي الطريق الوحيد لخلاص اليهود فى العالم وتحقيق وحدتهم القومية.

- **يهود العالم اليوم وهم من سلالة شعب الخَزَر المتهودين (اعتنقوا اليهودية فى القرن السابع الميلادي) ليس لهم أية صلة تاريخية أو عِرْقية بفلسطين .**



الهوامش

---

1) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 140

2)نفس المصدر السابق : ص 140 ، 141

3) نفس المصدر السابق : ص 141

احذروا الصهيونية : (يورى ايفانوف) ص 104

4)دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 143

5) نفس المصدر السابق : ص 143

جذور القضية الفلسطينية : (أميل توما) ص 5-8

6)دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 144

الدولة اليهودية : (تيودور هرتزل)

7) دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 148

8) نفس المصدر السابق : ص 149

احذروا الصهيونية : (يورى إيفانوف) ص 127 – 134

9) دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 149

احذروا الصهيونية : (إيفانوف) نقلا عن ميخائيل بريتشر .

10)دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 150

11) نفس المصدر السابق : ص 145

احذروا الصهيونية : (إيفانوف) ص 86 – 95

12) دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 145

احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 86 – 95

13) دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 147 ، 148

الايدولوجيا الصهيونيـــــة : (د. عبد الوهاب المسيرى) ص 67

14)دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 151

الصهيونية غير اليهوديـــة : (ريجينا الشريف) ص 106، 107

15) دورة الدين اليهودى : (محادين) ص 151 .

روما والقـــــــدس : (موسى هس) .

الصهيونية غير اليهودية : (ريجينا الشريف) ص 111 ، 112.

16)الدروب السرية : (جون & دافيد ليمخى)

دورة الدين اليهودى : (محادين) ص154

17) دورة الدين اليهودى : (محادين) ص155

ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية : (نصر شمالى) ص 138

احذروا الصهيونيـــــــــة : (ايفانوف) ص 33

18) دورة الدين اليهـــــودى: (محادين) ص 156

19)الصهيونية غير اليهوديـــــة: (ريجينا الشريف) ص 66 ، 67

دورة الديـــــن اليهـــودى : (محادين) ص156

* بـلفـــــــــــــــــــور : هو وزير الخارجية البريطاني الذي أصـــدر وعده الشهيرسنة 1917م بمنح اليهود وطن قومى في فلسطين .

20) القدس عربية إسلاميـــــة : (د. سيد فرج راشد) ص 205

نداء اليهـــــــــــود : (هنرى فنش)

21) القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) ص 206 ، 207

22) نفس المصدر السابق : ص 208

23) نفس المصدر السابق : ص 208

24) نفس المصدر السابق : ص 209

25) نفس المصدر السابق : ص209 ، 210

26) نفس المصدر السابق : ص 211

27) نفس المصدر السابق : ص 212

28) نفس المصدر السابق : ص 213، 214

29) نفس المصدر السابق : ص 214.

الفصل الرابع

التسمية - الصفات

التسمية

(1) بنو إسرائيل :

تسميتهم ببني إسرائيل لم تبدأ مع موسى (عليه السلام) وإنما **بدأت منذ يعقوب** (عليه السلام) **وهو المكنى بإسرائيل** (ابن إسحاق وحفيد إبراهيم (عليه السلام) . ويعقوب (إسرائيل) هو أبو الأسباط (يوسف (عليه السلام) وأخوته) أي قبائل بني إسرائيل الإثنى عشر.

* كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم **إسرائيل** (يعقوب) **على نفسه من قبل أن تنزل التوراة** . قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين[1].

- أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم **وإسرائيل** وممن هدينا واجتبينا إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خَرّوا سُجداً وبكياً[2].

(2) اليهود:

بدأ تسميتهم باليهود **بعد نزول التوراة على موسى** (عليه السلام) **وليس قبل ذلك.**

* **أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى . قل ءأنتم أعلم أم** الله (بل الله) ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون[3] .

* يا أهل الكتاب **لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده** . أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون * **ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلماً وما كان من المشركين**[4]

* وقالت **اليهود** عُزَيْرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله[5] .

* فبظلم من الذين **هادوا** حرمنا عليهم طيبات أُحلّت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً[6] .

* إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين **هادوا** والربّانيون والأحبار بما استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء[7] .

* وعلى الذين **هادوا** حرّمنا كل ذى ظُفُرٍ ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم . ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون[8].

* وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا . قل بل مِلّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين[9].

* واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا . فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى . أتهلكنا بما فعل السفهاء منا . إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . أنت ولّينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين *واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وَفى الآخرة إنا هُدْنا إليك[10].

(3) أصحاب السبت :

وأُطلقت عليهم منذ تحايلهم واعتدائهم فى يوم السبت المقدس .

* يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت . وكان أمر الله مفعولا[11] .

(4)السفهاء من الناس:

* سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قِبلَتِهم التى كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[12] .

وكان ذلك حينما تحولت قِبْلَة المسلمين فى الصلاة من الاتجاه إلى بيت المقدس لتكون فى اتجاه بيت الله الحرام فى مكة المكرمة (فى الشهر السادس عشر أو السابع عشر من الهجرة) .

(5) الذين كفروا من أهل الكتاب:

وأُطلقت عليهم هذه التسمية **منذ بعثة النبى محمد** (ﷺ) **وكفرهم بنبوته ورسالته** الخاتمة (بعد غزوة بنى النضير) :

* مايودّ الذين **كفروا من أهل الكتاب** ولا المشركين أن يُنزَّل عليكم من خـــير من ر بكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم[13] .

*هو (الله) الذى أخرج **الذين كفروا من أهل الكتاب** من ديارهم لأول الحشر . ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله مـــن حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديـــهم وأيـــدى المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار[14] .

* **لم يكن الذن كفروا من أهل الكتاب** والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينــــة (البراهين والأدلة على نبوة محمد (ﷺ)[15] .



الصفـــات

* وأمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرٍ بــه **ولا تشـــتروا بآياتى ثمناً قليلاً** وإياى فاتقون[16]

* **ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**[17]

* **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم**[18] .

* وإذ قلتم **يا موسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ** فادع لنا ربك يخرج لنـــا ممـــا تنبت الأرض من بَقلها وقِثّائها وفومها وعَدَسِها وبَصَلِها . قال **أتستبدلون الـذي هو أدنى بالذي هو خير** اهبطوا مِصراً فإن لكم ما سألتم وضُربت عليهم الذِلّـــة والمسكنة . وباءوا بغضبٍ من الله. ذلك بأنهم **كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**[19]

* **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشـــد قســـوة.** وإنّ مـــن الحجارة لما يتفجر منه الأنهار . وإنّ منها لما يشّقق فيخرج منه المـــاء . وإن منها لما يهبط من خشية الله . وما الله بغافلٍ عما تعملون[20] .

* **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يســـمعون كـــلام الله ثـــم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلَمون**[21] .

* **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضـــهم إلـــى بعـــض قـــالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم** أفلا تعقلون[22] .

* ومنهم أمّيون **لا يعلمون الكتاب إلا أمانى** وإنْ همْ إلا يظنون[23] .

* وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده . **أم تقولون على الله ما لا تعلمون**[24]

* ثم أنتم هؤلاء **تقتلون** أنفسكم **وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان** وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم . **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**[25] .

* ولقد آتينا موسى الكتاب . وقفّينا من بعده بالرسل . وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس . **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوَى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقا تقتلون**[26] .

* **وقالوا قلوبنا غُلْف** (مغطاة بالأغلفة) . بل لعنهم الله **بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون**[27] .

* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور . خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا . **قالوا سمعنا وعصينا**[28] .

* **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ومن الذين أشركوا (أيضا) . يود أحدهم لو يُعمّر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمّر والله بصير بما يعملون[29]

***ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن يُنزّل عليكم من خير** من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم[30] .

* **وقالوا اتخذ الله ولداً** (عُزيّر) . سبحانه . بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون[31] .

* **سيقول السفهاء من الناس** ما ولّاهم عن قِبْلتهم التى كانوا عليها . قـــل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[32] .

* الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنــــاءهم . وإن **فريقــاً منـــهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**[33] .

*سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة . **ومن يبدل نعمة الله مــن بعدمــا جاءته** فإن الله شديد العقاب[34] .

* إن الذين **يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حــق ويقتلــون الذيــن يأمرون بالقسط من الناس** فبشرهم بعذاب أليــم[35] .

* كل الطعام كان حِلّاً لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبــل أن تُنزَّل التوراة . قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين * فمن **افـــترى على الله الكذب من َبعد ذلك فأولئك هم الظالمون**[36] .

* لن يضروكم إلا أذىً . **وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثـــم لا ينصــرون** * **ضُربت عليهم الذِلّة** أين ما ثُقفوا إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من النـــاس وبــاءوا بغضب من الله **وضُربت عليهم المَسْكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيــات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**[37] .

* لقد سمع الله قول الذين **قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** . سنكتب ماقــــالوا **وقتلهم الأنبياء بغير حق** . ونقول ذوقوا عذاب الحريق[38] .

*من الذين هادوا **يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه (يغيرونه) ويقولون ســـمعنا وعصينا واسمع غير مُسْمَعٍ وراعِنا ليّاً بألسنتهم** (قصدوا سب النبــي ﷺ) **وطعناً في الدين**[39] .

* فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق . وقولهم قلوبنا غُلْف . بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا[40] .

* فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل[41] .

*فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية . يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكّروا به[42] .

*سمّاعون للكذب أكّالون للسحت . فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم . وإن تُعرض عنهم فلن يضروك شيئا[43].

* وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السُحْت . لبئس ماكانوا يعملون[44] .

* لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا . كلما جاءهم رسول بما لا تهوَى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقا يقتلون[45] .

* لُعِن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون[46] .

* لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى[47]

* لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله . **ذلك بأنهم قـــوم لا يفقـــهون * لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرىً محصنةٍ أو من وراء جُدُر . بأســـــهـــم بينـــهم شديد . تحسبهم جميعا وقلوبهم شتّى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون**[48] .

- وقالت اليهود يد الله مغلولة . **غُلّت أيديهم (أصبحوا بخلاء)** ولُعنوا بمـــا قالوا . بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنّ كثيراً منهم ما أنـــزل إليك من ربك طغياناً وكفراً . وألقينا بينهم العداوة والبغضـــاء إلـــى يـــوم القيامة . كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . ويسعون في الأرض فســاداً . والله لا يحب المفسدين[49] .



الهوامش

---

[1]) سورة آل عمران 93

[2]) سورة مريم : 58

[3]) سورة البقرة : 140

[4])سورة آل عمران : 65 – 67

5) سورة التوبة : 30

6) سورة النساء : 160

7) سورة المائدة : 44

8) سورة الأنعام : 146

9) سورة البقرة : 135

10) سورة الأعراف : 155، 156

11) سورة النساء : 47

12) سورة البقرة : 105

13) سورة الحشر : 2

14) سورة البيّنة :1

15) سورة البقرة : 142

16) سورة البقرة : 41

17) سورة البقرة : 42

18) سورة البقرة : 59

19) سورة البقرة : 61

20) سورة البقرة : 74

21) سورة البقرة : 75

22) سورة البقرة : 76

23) سورة البقرة : 78

24) سورة البقرة : 80

25) سورة البقرة : 85

26) سورة البقرة : 87

27) سورة البقرة : 88

28) سورة البقرة : 93

29) سورة البقرة : 96

30) سورة البقرة : 105

31) سورة البقرة : 116

32) سورة البقرة : 142

33) سورة البقرة : 146

34) سورة البقرة : 211

35) سورة آل عمران : 21

36) سورة آل عمران : 93 ، 94

37) سورة آل عمران : 111 ، 112

38) سورة آل عمران : 181

39)سورة النساء : 46

40) سورة النساء : 155

41) سورة النساء : 160 ، 161

42) سورة المائدة : 13

43)سورة المائدة : 42

44)سورة المائدة : 62

45)سورة المائدة : 70

46) سورة المائدة : 78 – 80

47)سورة المائدة : 82

48)سورة الحشر : 13 ، 14

49) سورة المائدة : 64

الفصل الخامس

العقـــاب الإلـــهي

*وإذْ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنـــا مما تنبت الأرض من بَقْلها وقِثّائِها وفُومِها وعَدَسِها وبَصَلِها . قال أتسـتبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير . اهبطوا مِصراً فإن لكم ما سألتم . **وضُربـــت عليهم الذِلّة والمَسْكنةُ وبَاءوا بغضبٍ من الله** . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون[1] .

* ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت **فقلنا لهم كونوا قردةً (تصرفـاتكم كالقردة) خاسئين (منبوذين)**[2] .

* **وقالوا قلوبنا غُلْف . بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنـــــون**[3].

* بئسما اشتروا به أنفسكم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً (حسداً)   أن ينزِّل الله من فضله على من يشاء من عباده (محمد (ﷺ)) **فباءوا بغضبٍ على غضبٍ وللكافرين عذاب مهين**[4] .

* وقالت اليهود ليست النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست اليـــهود على شيءٍ وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم . فــــالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ومن أظلم ممن منع مســـاجد الله أن يُذكر فيها اسمه وسعى في خرابها . **أولئك ماكان لهم أن يدخلوهـــا إلا خائفين . لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم**[5] .

* فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا . وإن تولوا **فإنما هم في شـــــقاق** (نزاع وعداوة) . فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم[6] .

* سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة . ومن يبدل نعمة الله مــــن بعـد ماجاءته فإن الله شديد العقاب[7] .

* إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقٍ ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس **فبشرهم بعذاب أليم * أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين**[8] .

*** لن يضروكم إلا أذىً . وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبـــار ثــم لاينصــرون * ضُربت عليهم الذِلّة أين ما ثقفوا إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس . وباءوا بغضبٍ من الله وضُربت عليهم المَسْكنة** . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيــات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق.ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[9] .

* لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء . سنكتب مـــا قـــالوا وقتلهم الأنبياء بغير حقٍ ونقول **ذوقوا عذاب الحريق**[10] .

* يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن **نطمس وجوهاً** (نمحوها أو نتركها فى الضلالة) **فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا**[11] .

* **فبظلمٍ من الذين هادوا حرمنا عليهم طيباتٍ أُحلّت لهم** وبصدهم عن ســبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل **واعتدنــا للكافرين منهم عذابا أليما**[12] .

* ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدبـــاركم **فتنقلبوا خاسرين**[13] .

* قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنـــا هاهنا قاعدون * قال رب إنى لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القــوم الفاسقين *** قال فإنها محرمة عليهم . أربعين سنةً يتيهون فى الأرض فـــلا** تأْسَ على القوم الفاسقين[14] .

* من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً . ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون[15] .

* قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله . **من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَد الطاغوت** (أطاع الشيطان) . أولئك شرٌ **مكاناً وأضل عن سواء السبيل**[16] .

* وقالت اليهود يد الله مغلولة . **غُلّت أيديهم (أصبحوا بخلاء) ولُعنوا بما قالوا** . بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانا وكفراً . **وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله** . ويسعون فى الأرض فسادا . والله لا يحب المفسدين[17]

* **لُعِن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لِسان داود وعيسى** ابن مريم.ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ماقدمت لهم أنفسهم **أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون**[18] .

* وإذّ تأذن ربك **ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . إن ربك لسريع والعقاب**وإنه لغفور رحيم[19] .

* **وقطعناهم فى الأرض أمما** . منهم الصالحون **ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم** يرجعون[20] .

* وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . ومن البقر والغنم حرّمنا عليـــهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا (الأمعاء) أو ما اختلط بعظـــم . ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون * فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين[21] .

* * * * *

الهوامش

1) سورة البقرة : 61

2) سورة البقرة : 65

3) سورة البقرة : 88

4) سورة البقرة : 90

5) سورة البقرة : 113 : 114

6) سورة البقرة : 137

7) سورة البقرة : 211

8) سورة آل عمران : 21 ، 22

9) سورة آل عمران : 111،112

10) سورة آل عمران : 181

11) سورة النساء : 47

12) سورة النساء : 160 ، 161

13) سورة المائدة : 21

14) سورة المائدة : 24 – 26

15) سورة المائدة : 32

16) سورة المائدة : 60

17) سورة المائدة : 64

18) سورة المائدة : 78 – 80

19) سورة الأعراف : 167

20) سورة الأعراف : 168

21) سورة الأنعام : 146، 147.

الفصل السادس

قطار المسيرة وتصحيح المفاهيم

تمهيد

إذا تتبعنا مسيرة بنى إسرائيل منذ بدء التسمية الإلهية لهم **ببني إسرائيل** (نسبة إلى يعقوب(عليه السلام) المكنّى بإسرائيل إلى تسميتهم **باليهود** (من عهد موسى (عليه السلام) إلى تسميتهم **بالصهاينة** (كما أطلق عليهم ناثان برونباوم بالمعنى السياسي الحديث) نجد أن تلك المسيرة قد حفلت بالعديد من المحطات الهامة . وإذا تتبعنا رَكْب بنى إسرائيل وهم يستقلون قطار الحياة ومسيرة العمر والمحطات الهامة في حياتهم نجد فيها المحطات الكبيرة والمحطات الصغيرة وفى كلٍ نجد الركب وقد تضاعف أو تضاءل وتلاشى ليعود من جديد إلى الساحة معلناً عن وجوده بصورة أو بأخرى مرة في زي السيد المتمكن القادر القاهر ومرات في لباس العبد الذليل المتمسكن الخاضع . مرة فوق القمة ومرات تحت السفح والقاع . في الحواري والأزقة والجحور . فترات بياتٍ قد تطول أو تقصر ريثما يشتد العود وتقوى الشكيمة وتنمو الأنياب والمخالب ويزداد مخزون السم . كيداً و حقداً . غلاً و حسداً . تتغير السِحْنات والملامح بضخ الدماء الجديدة في الجسد المترهل مع كل تهوّدٍ أو تحوّلٍ لتعود مرة أخرى إلى التيه والشتات والجيتّو .

بوتقة انصهارٍ جديدة تبدأ بالنضارة والثروة والحظوة والسيطرة . فإذا ما هبت العاصفة وتمادى الإعصار خنس البنيان واصطكت الأسنان و ارتعدت الفرائص وغارت العيون وشاهت الوجوه وهطل الدمع واعتصر الخوف الأفئدة من المصير المحتوم والقدر الذي لا فرار منه مهما تحصنت النفوس. فمن تمكن من الهروب ناجياً بدأت دورته من جديد ومن لم ينج بنفسه لا يجد مفرّاً من تقديم حياته طواعية . قربانا للآثام والشرور التي ارتكبها وافتداءً لذويه وبنى جلدته. رحلة هي أو ارتحالات عبر المكان

والزمان . كلما توهجت خبت . وكلما علــت خســأت.فــى داخلــها كــل المتناقضات والطفرات ومــن خارجها تأتى الأقدار بالسخط والذِلّة والمســكنة وغضب من الرب له مايبرره . النكبات تلاحقهم بما كسبت أيديهم واللعنــات تطاردهم لشرورهم فى حق أنفسهــم قبل الخلق أجمعين .

أحيانا يستقلون قطاراً أفعوانياً يصعد بهم إلى قممٍ عالية فيتصورون أنهم سادة الكون والباقون من الأنعام والمواشى :

***لحمهم كلحم الحمير ومنيّهم كمني الخيل** (أى نطفهم ونسلهم كالحمير والخيل) (1) .

ولذلك لا ينطبق مفهوم الزنا عندهم كما نفهم . فالمرأة غــير اليهوديــة كالبهيمة تستأهل وتستحق ما يُفعل بها . ونصــوص عــهدهم القديــم الــذى اخترعوه وكتبوه بأيديهم تعطى نظامهم المنشود حق قتل الأبرياء العزل مــن حولهم :

*وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك **فمن الشعوب الذين حولكم منهم تقتنون عبيداً وإماءً** (2) .

ويعتقدون أن أنفسهم تتساوى مع العِزّة الإلهية (قاتلهم الله أنى يؤفكــون & وتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا) . فالدنيا وما فيها ملك لهم والشفقة ممنوعة لغير اليهودي . وعليهم أن يعاملوا الأغيار والأجــانب (جوييــم) أى غــير اليهود كحيوانات دنيئة غير عاقلة . يصبّون عليهم جام حقدهــم واحتقــارهم عسى أن يبيدواويهلكوا إلى الأبد وتخرب ديارهم فيصبحوا هم العنصر البشرى الباقي والخالد :

* لأنهم تآمروا بالقلب معاً عليك . تعاهدوا عهداً . خيام أدوم (الأردن) والإسماعيليون (المسلمون) . مؤاب والمهاجرون . جبال وعمون وعماليق . فلسطين مع سكان صور (لبنان) . آشور (العراق) أيضاً اتفق معهم . صاروا ذراعاً لبنى لوط . سلاة.إفعل بهم كما بمَدْيَان كما بسيسرا كما بيابين فى وادِقيشون . بادوا فى عين دور . صاروا دِمَناً للأرض . **اجعل شرفاءهم مثل غراب ومثل ذئب** . ومثل زبح ومثل صلمناع كل أمرائهم الذين قالوا لنمتلك لأنفسنا مساكن الله . **ياإلهى اجعلهم مثل الجلّ مثل القش أمام الريح** . كنار تحرق الوعر . كلهيب يشعل الجبال .هكذا **اطردهم بعاصفتك وبزوبعتك روّعهم** . املأ **وجوههم خزياً فيطلبوا اسمك يارب . ليخزوا ويرتاعوا إلى الأبد . ولينجلوا** ويبيدوا (3) .

***لأن للرب ذبيحة فى بصرة (العراق) وذبحاً عظيماً فى أرض أدوم (الأردن)** . ويسقط البقر الوحشى معها والعجول مع الثيران . **وتُروى أرضهم من الدم** . وترابهم من الشحم يسمن لأن للرب **يوم انتقام سنة جزاءَ من أجل دعوى صهيون . وتتحول أنهارها زفتاً وترابها كبريتاً وتصير أرضها زفتاً مشتعلاً ليلاً و نهاراً لا تنطفئ إلى الأبد يصعد دخانها من دور إلى دور تخرب . إلى أبد الآبدين يكون من يجتاز فيها . ويرثها القوق والقنفذ.والكركى والغراب يسكنان فيها . ويمد عليها خيط الخراب ومطمار الخلاء** (4).

* لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلِّصك . **جعلت مصر فديتك . كوش وسبا عوضك** (5) .

ونكتفى بتلك المقاطع من الأسفار الكثيرة والاصحاحات الممتلئة بالأحقاد والشرور التى يضمرونها لكل البشر . ولا عجب فى ذلك . **حيث أن كاتبوها فى السَبْى (المنفى) البابلى والآشورى قد ارتوت لحومهم وعظامهم حتى النخاع بتلك الأحقاد فآثروا أن يطمسوا ما جاء فى ألواح التوراة المنزلة .** ويردوها فى غياهب النسيان وردحات الزمان . فماذا يكتب الشخص غير السوى فى منفاه غير هذا الذى يقطر غِلا وحقداً على البشرية جمعاء . لأنهم - فى نظره - مشتركون فى إيذائه ومتضامنون على الخلاص منه . ومتفقون على تجريمه وتأثيمه فيما فعل ويفعل . وماذا بعد سبعة قرون من نزول ألواح التوراة من قِبَل الله العلى القدير :

***إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور** .يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء [6] .

فأين ذهبت هذه التوراة المنزلة . ولماذا أخفوها وطمسوها وبدّلوا وحرفوا كل مافيها . ألم يكن كافيا مافيها ليعملوا بها ويتبعونها :

***وكتبنا له (لموسى) فى الألواح (التوراة) من كل شيء** موعظةً وتفصيلاً لكل شيءٍ فخذها بقوةٍ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها (وكلها طيب وحسن) سأوريكم دار الفاسقين [7] .

ولكنهم أبوا الطاعة والامتثال للأمر :

***مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً** بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله . والله لا يهدى القوم الظالمين [8] .

فهم لم يكونوا أهلاً للطاعة والامتثال . ولم يوقروا كلمات الله المنزلة والتوراة المرسلة إليهم . لم يحملوها كما أراد الله وتمنى موسى (عليه السلام) ومن جاء بعده من النبيين . فأصبحوا كالحمير يحملون الأسفار (أى الكتب والعلوم النافعة) فلا هم يعلمون ما فوق ظهورهم ولا هم يستطيعون القراءة . وإن قرأوا فلا إدراك ولا فهم ولا تدبّر . وبالتالي فلا حمل حقيقي لها . ويدعون أنهم الشعب المؤمن والمختار ويملأون الدنيا صراخاً وعويلاً بأنهم مضطهَدون ومحارَبون من كل الأمم . وأنهم شعب مميز ومختار من الله نقى الدماء وطاهر الجنس . وقالوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن لهم الجنة والخلود فيها :

* وقالت اليهود والنصارى **نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلم يعذبكم بذنوبكم . بل أنتم بشرٌ ممن خلق** . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء [9].

*** قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصةً من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين *ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** [10].

* قل يا أيها الذين هادوا إنْ زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس **فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم** والله عليم بالظالمين [11] .

ادعاءات كثيرة لا سند لهم فيها . ولا دليل على مصداقيتهم فيما يدعون . ودائما ـ كما نعلم ـ **صاحب الصوت الأعلى ليس على حق ـ** أى حق ـ وإنما صاحب الحق هو الأقل صراخاً وصخباً وضجيجاً . فصاحب الحق تكون لديه البراهين والحجج فلا حاجة له للنعيق أو النهيق . أما

المدعـــي والأفّاك فيستخدم صوته الصاخب للتشويش وللتضليـــل وللتمويـــه ولطمس الحقائق . كل الحقائق .

وعودة إلى قطار بنى إسرائيل واليهودِ والصهاينة نجد أنـــهم يســتثقلونه كلما ضاقت بهم السبل . **يضيقون بالوقوف الطويل فـــى محطـــات الإيمـــان والحق والالتزام** . وينزعون إلى التِرّحال والشتات حيث جبلوا علـــى ذلـك وحيث حلّت عليهم لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة.(الديناميكـــا) **تعطيـــهم الحياة وتمنحهم الطموحات** . أما (الاستاتيكا) **فهي لـــهم كـــالطوق حـــول العنـــق يشعرون معه بالاختناق حتى ولو كان الطوق واسعاً فضفاضاً** .

ولايغرنّ عاقل وفاهم وواعِ أن تجمّعهم الان في أرض فلسطين هو مبلغ طموحهم وأمانيهم وعزتهم . **فلا هم متدينون كما يدعون . ولا هـــم آمنـــون مهما كانت قوتهم الظاهرة وأسلحتهم القاهرة كما يقولون ويشيعون** . إنمـــا هو الخوف الغريزي الذي تمكن منهم فجعلهم ينكفئون على أنفسهم في محاولة للطمأنينة وبث الأمن والسكينة في كوامن النفس . **ونعمة الأمن تلك لا تعادلها نعمة مع الإيمان بالله** :

* **أوَ لم نمكن لهم حرماً آمنا يُجبَى إليه ثمرات كل شيءٍ رزقاً من لدنّا** ولكن أكثرهم لا يعلمون[12] .

* **أوَ لم يروا أنّا جعلنا حرماً آمنا ويُتخطّف الناس مـــن حولـــهم** أفبالبـــاطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون[13] .

***هو الذي أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم**[14] .

وبعد . فلنبدأ معاً فى تتبع رحلة بنى إسرائيل عبر المكان والزمان ومحطات رَكْبهم الرئيسية التي تتميز بكبار أنبيائهم - فى نظرهم - مثل موسى (عليه السلام) صاحب التوراة والرسالة والشريعة . وداود وسليمان (عليه السلام) صاحبي المملكة والهيكل . وعيسى (عليه السلام) آخر أنبيائهم وميلاده المعجز . ووفاته التي قيل فيها ما قيل .

مع آيات الله المرشدة والهادية لنتعرف على أنبيائهم المذكورين فى القرآن الكريم (ثلاثة عشر نبياً ورسولاً من جملة ستة وعشرين نبياً وردت أسماؤهم فى القرآن الكريم أى النصف تماما) .



إبراهيم (عليه السلام)

* واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صِدِّيقاً نبيا[15].

وهو المحطة الكبرى قبل البداية . بداية انطلاق آباء بنى إسرائيل ولن نتوقف طويلا عند تلك المحطة في دراستنا هذه لأن وجود بنى إسرائيل وتسميتهم إنما تبدأ مع حفيده يعقوب (عليه السلام) المكنى بإسرائيل . ولكننا نتذكره بحكم أنه الجد الأكبر لهم :

* وامرأته قائمة فضحكت **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** [16].

* وقال إنى ذاهبٌ إلى ربى سيهدين *رب هب لي من الصالحين * فبشرناه **بغلام حليم (إسماعيل)** [17] .

* وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما (ذرية إبراهيم فإسماعيل & ذرية إبراهيم فإسحاق) محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين [18] .

لما أنار الله بصيرة إبراهيم (عليه السلام) وهداه إلى الرُشد رفض عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع وقام بتحطيمها مما عرّضه ذلك لمحاكمة انتهت بإلقائه في النار ونجاه الله منها بقدرته :

* قالوا حرِّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نـــار كونـــي بـَـرْداً وسلاماً على إبراهيم [19].

ثم حاجة الملك - بعد محاجه قومه وأبيه - بأنه - أي الملـــك - يحيـــي ويميت كالإله فأفحمه إبراهيم بأن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها مـــن المغرب فبُهت الملك ولم يستطع الرد أوادعاء الألوهية . وأصبـــــح إبراهيـــم (عليه السلام) موضع اضطهاد قومه وكيدهم . ولما أخفق في هدايتهم بشتى وســـائل الإقناع المختلفة تبرأ منهم ولم يطب له المقام بينهم وذهب إلى (أور) الكلدانيين ثم (حاران) ثم رحل بعد ذلك إلى فلسطين غريبا ومعه زوجه سارة ولـــوط ابن أخيه وزوجه وهم الذين آمنوا به حين دعا قومه لعبادة الله الأحد:

* فآمن له لوط **وقال إني مهاجر إلى ربى إنه هو العزيز الحكيم** [20].

* **ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين** [21].

وإبراهيم (عليه السلام) **من أولى العزم من الرسل** (وهم خمسة) وكان أمـــةً قانتاً لله ومطيعاً له :

***وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم . ومنك (محمد) ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيســـى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً** [22] .

وسكن إبراهيم ولوط (عليه السلام) في شكيم (نابلس) ولم يطل به المقام لمـــا حدث جدْب وقحْط فى الأرض وانتقل إلى مصر فى عهد الهكسوس ثم عـــــاد إلى فلسطين ومعه جارية مصرية (هاجر) تزوجها لينجب منها - بعد ذلـــك - إسماعيل (عليه السلام) ثم بشرته الملائكة بميلاد إسحاق (عليه السلام) وكـــان ذلـــك فـــي

معرض حديثهم عن مهمتهم لتدمير قوم (لوط) الذيـــن يــأتون ويمارســون ٠ الفاحشة (اللواط) أى إتيان الذكور بدلاً من الإناث :

* ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلامٌ فما لبث أن جـــاء بعجلٍ حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه (لا يأكلون كالبشر) نكرهم (نفــر منهم وخشى بأسهم) وأوجس منهم خيفة . قالوا لا تخف . إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإســحاق ومــن وراء إسحـــــــاق يعقوب[23].

* * * * *

إسحاق (عليه السلام)

*ونبئهم عن ضيف إبراهيم *إذْ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنّا منكم وَجِلون *قالوا لا تَوْجَل إنا **بشرنك بغلام عليم**[24] (**إسحاق**).

*فلما اعتزلهم (إبراهيم) وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبيا[25] .

ونلاحظ هنا أن صفة **إسحاق** (عليه السلام) المذكورة فى الآيات أنه **غلام عليم** . أما صفة **إسماعيل** (عليه السلام) **أنه غلام حليم** :

*رب هب لي من الصالحين *فبشرناه **بغلام حليم**[26].

ومن هذين النعتين نعلم أن إسماعيل (عليه السلام) هو الذبيح (في واقعة الذبح والفداء) الذي ورد ذكره أولاً - في سورة الصافات - قبل الإشارة إلى ميلاد إسحاق أخيه الأصغر **لأن الحلم قرين الصبر :**

*فلما بلغ معه (الغلام الحليم أى إسماعيل) السعْىَ قال يابني إني أرى فى المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت أفعل ما تؤمر . ستجدني إن شاء الله **من الصابرين** [27].

أما سيرة إسحاق والبشارة به فتأتى بعد الآية السابقة من نفس السورة الكريمة (الصافات) :

*كذلك نجزى المحسنين *إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسنٌ وظالمٌ لنفسه مبين [28].

ولو أن الذبيح - كما يقول اليهود - هو إسحاق فلِمَ جاءت به البشارةُ بعد ذكر واقعة الذبح والفداء . والدليل الثاني أن الذبيح هو إسماعيل (عليه السلام) لا إسحاق (عليه السلام) أنه اتصف بكونه من الصابرين (فى سورة الصافات) وهى نفس الصفة التي اتصف بها ووردت فى (سورة الأنبياء) :

* وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . **كلٌ من الصابرين** [29].

ويقال - عند أهل الكتاب - أن إسحاق تزوج من رِفْقَة بنت بتوئيل فأنجب منها غلامين أولهما (عيسو) أو عيساو وهو والد الروم والذي أعقبه (يعقوب) وهو إسرائيل. وفى العهد القديم نرى :

* **وقال يا هاجر جارية ساراى (أى سارة) من أين أتيت وإلى أين تذهبين، فقالت أنا هاربة من وجه مولاتى ساراى فقال لها ملاك الرب . ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها . وقال لها (لهاجر) ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعدّ من الكثرة . وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك** [30].

* وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك . **فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك إبناًو تدعو اسمه إسحاق** [31].

وفى أسفار التوراة الموجودة الآن (العهد القديم) يذكرون أن الذبيح هو إسحاق . وينعتونه مرة بأنه وحيد أبيه إبراهيم ومرة بأنه بِكْر أبيه . وكلا القولين فيه تجنٍ وتجاوز ومغالطة واضحة . **فلا إسحاق وحيده ولا هو بِكْره . وإنما هو الابن الثاني لإبراهيم والأخ الأصغر لإسماعيل** (عليه السلام) .

يعقوب (إسرائيل) (عليه السلام)

وهو أحد توأمين لأبيه إسحاق (عليه السلام) وقد سماه الله إسرائيل :

* وكذلك يجتبيك ربك (الخطاب ليوسف عليه السلام) ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك **وعلى آل يعقوب** كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم [32].

* كل الطعام كان حلاً لبنى إسرائيل **إلا ماحرّم إسرائيل (يعقوب) على نفسه من قبل أن تُنزل التوراة** . قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين[33].

* أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم **وإسرائيل** وممن هدينا واجتبينا إذا تُتلَى عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجدا وبكيا[34]. واستمرت ذرية يعقوب (عليه السلام) تحمل اسمه وسماهم الله (**بنى إسرائيل**) إلى يوم القيامة (بالاضافة إلى تسميتهم باليهود فى عهد موسى (عليه السلام) مع نزول التوراة):

***ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى** إذْ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله[35].

* ولقد آتينا **بنى إسرائيل** الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين[36].

وهذا التفضيل المشار إليه فى الآية الكريمة مشروط بميثاقهم وعـهدهم مع الله بتوحيد ألوهيته وربوبيته سبحانه :

***يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم وإياى فارهبون**[37].

وقد أنجب يعقوب (عليه السلام) إثنىعشر ولداً ذكراً أحدهم يوسـف (عليه السلام). وهم الذين سماهم الله الأسباط :

* أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلـهاً واحـداً ونحـن لـه مسلمـون [38].

* قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتى موسى وعيسى وما أُوتى النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون [39].

* أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق **ويعقوب والأسباط** كانوا هـوداً أو نصارى . قل ءأنتم أعلم أم الله (بل الله) ومن أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله . وما الله بغافلٍ عما تعملون[40].

* إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده . وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق **ويعقوب والأسباط** وعيسى وأيـوب ويونـس وهـارون وسليمان . وآتينا داود زبورا[41].

ونلاحظ من الآيات السابقة أن ترتيب الأسماء مقصـــود بعينـــه أى أن إبراهيم هو والد إسماعيل (الأكبر) وإسحاق (الأصغر) . ومن نسل إســحاق كان يعقوب (إسرائيل) ومن نسل يعقوب كانت الأسباط ومن نسل الأســـباط كانت الفروع والذراري التي جاء منها أنبياء بنى إسرائيل جميعهم صلـــى الله عليهم وسلم أجمعين . وعند أهل الكتاب أن يعقوب (عليه السلام) هو الـــذي أســـس المسجد الأقصى (مسجد إيليا) ببيت المقدس.[42] والأسباط هم :

(1) رأوبين (روبيل) (2) شمعـــــون (3) لاوى(4)يـــهوذا (5)ويســـاكر (يساخر) (6) زبوون(زابلون) من ليئة.(7) يوســـف (8) بنيامين من راحيـــل. (9) دان (10) نفتالى من بلها جارية راحيل.(11) جاد (12) أشـــير مـــن زلفـــا جاريـــة ليئـــة . وكلهم وُلدوا في آرام (سوريـــا) عدا بنيامين أخي يوســـف فقد وُلد فى كنعان (فلسطين) [43] .



يوســـــف (عليه السلام)

وهو الابن الأثير ليعقوب والذي ورث النبوة وعلمه الله كيفيـــة تـــأويل الأحاديث والرؤى :

* **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات** فمازلتم فى شكٍ مما جاءكم به حتـــى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مســـرف مرتاب (44) .

وهو الذي ألقاه أخوته (الأسباط) فى الجُبّ (البئر) خلاصـــاً منـــه بعدمـــا أدركوا وأحسوا استئثاره بحب أبيهم . فبدت في قلوبهم الغيرة والحقـد على يوسف (وهو ما تجلى عند اجتباء الله له كنبي ورسول) فتربى فى بيـت العزيز بمصر (كعبد) ثم سُجن فى تهمة ظالمة لفقتها له امرأة العزيز (يعادل منصب رئيس الوزراء أو الوزير الأول) وبعد أن فسر رؤيا الملك أفرج عنه وعينه الملك - بعد إعلان براءته مما نسب إليه - من خاصته وأكابـــر دولته (وزيراً للمالية وحفيظا على خزائن البلاد) وفى ســـنوات القحـط (سـبع سنـــوات عجاف) استقدم أبويه وأخوته إلى مصر وأهله ويقـــال أن عددهـم وقتئذ سبعـــــون أو يزيد (مع ذراريـــــهم) قدموا في عصر ملوك الرعاة (الهكسوس) :

* فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه **وقال ادخلوا مصـــر إن شـــاء الله آمنين** * ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجداً (سجود تكريم وتشريف لا سجود عبادة) وقال يا أبت هذا تأويل رؤيايَ من قبل قد جعلها ربـــى حقـــاً .

وقد أحسن بى إذْ أخرجني من السجن **وجاء بكم من البدو** من بعد أن نـــزغ الشيطان بينى وبين أخوتي . إن ربى لطيف لما يشـــاء . إنـــه هـــو العليـــم الحكيم[45].

وفى الآيتين السابقتين نلاحظ أنهم دخلوا مصر آمنين لا غـــزاة ولا متسربين متسللين . كما أن يوسف يقر ويؤكد أصله وأصل أهله من أنـــهم رعاة (وجاء بكم من البدو) .

وسورة يوسف (عليه السلام) تقص علينا حياته وابتلاءاته ومنزلتـــه وكيـــد أخوته (الأسباط) له ونجاته واصطفاء الله له نبياً من نسل يعقوب بتفـاصيل دقيقة وصادقة ومحكمة (على خلاف ماورد فى العهد القديم) وتمكينه فـــى الأرض .

* وكذلك مكنّا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين [46] .

ولقد أقام يوسف (عليه السلام) وأهله الذين استقدمهم إلى مصر فـــي أرض جاســان (جوشن أو جاشان) شمال بلبيس بمحافظة الشرقية بمصر فمكثـــوا بها (ذرياتهم) حتى بعثة موسى (عليه السلام) ثم خروجهم مـــن مصـــر معـــه . والسورة (سورة يوسف) من السور المكية التى نزلت على قلب النبـــي (صلى الله عليه وسلم) وهو بمكة وفيها الكثير من العظات والعبر . وهى من أحسن القصص القرآني (كل القصص القرآني حسن) كما وصفها الله تعالى :

* نحن نقص عليك (يا محمد صلى الله عليه وسلم) أحسن القصص بما أوحينـــا إليـــك هـــذا القرآن . وإن كنت من قبله لمن الغافلين.[47]

موسى (عليه السلام) وهارون (عليه السلام)

موسى (عليه السلام) هو أحد أولى العزم من الرسل (خمسة) وهو نبي الله المرسل بالتوراة . وهو في نظر اليهود أهم أنبيائهم ومخلِّصهم من عبودية فرعون مصر وبطلهم الأسطوري . وهو نبي الخروج من مصر وصاحب المعجزات العديدة (تسع آيات بينات) . وهو محطة هامة في حياة بنى إسرائيل . وهو كليم الله :

* وكلم الله موسى تكليما(48) .

* و اذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلَصاً وكان رسولا نبيا *وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيّا *ووهبنالهمن رحمتنا أخاه هارون نبيا(49) *

و إذا كان غالبية بنى إسرائيل يعدون موسى (عليه السلام) قائداً عسكريا محنكاً وينكرون عليه النبوة - افتراءً وزوراً - وينسبون الرسالة إلى هارون (عليه السلام) أخيه فليس ذلك إلا لأنه كان حاداً معهم في تطبيق الشريعة كما أنه - في أغلب الأحوال - كان يستعين بأخيه هارون ليبلغ قومه بالتعاليم المنزلة لمنزلة ومكانة هارون في قومهم :

* وأخي هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معي رِدْءاً يصدِّقني (عوناً) إني أخاف أن يكذبون(50).

* واجعل لى **وزيراً من أهلي * هارون أخي** * اشدد به أزرى * وأشـــركه فى أمري [51].

كان موسى (عليه السلام) شديد البأس والبطش وحاد الطباع فنفى عنه قومـــه الرسالة - فى أحايين كثيرة - ونسبوها إلى هارون الأكثر فصاحة والأكثر ليناً وحلماً . وكثيراً ما قالوا أن موسى (عليه السلام) هو القـــائد السياســـي والعســكري وهارون (عليه السلام) هو القائد الديني . وقد عانى موسى (عليه السلام) كثيراً من قومـــه ولأجلهم حتى اضطروه - لعنَتِهم وصلَفِهم وكفرهـــم وجحودهـــم - أن يدعـــوا عليهم بالتيه :

* قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها (الأرض المقدســـة) أبـــداً مـــاداموا فيـــها (الجبارين والعماليق) فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون * قـــال رب إنى لا أملك إلا نفسي وأخي . فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين *قـــال (الله) فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض.فلا تأس (تأسف) علـــى القوم الفاسقين [52] .

الميـــلاد :

* نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون عـــلا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويســـتحيي نساءهم . إنه كان من المفسدين [53] .

فلما ولدته أمه خبأته عن عيون رجال فرعون الذي أمر بقتل ذكـــور بنى إسرائيل واستحياء (استبقاء) إناثهم حيث سرت في القوم نبوءة مفادهـــا أن هلاك الفرعون سيكون على يد أحد مواليد بنى إسرائيل الذكور . وظلـــت

كذلك حوالي ثلاثة أشهر ثم أوحى الله إليها (ليس كوحي الأنبياء وإنما كما يوحي إلى النحل مثلا) :

*وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه . فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي **ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** * فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا . إن فرعون وهامان (وزيره أو نائبه) وجنودهما كانوا خاطئين* **وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك . لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون** * وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها(بالسكينة والأمن) لتكون من المؤمنين * وقالت لأخته قصيه (تحسسى أخباره وراقبيه) فبصرت به عن جُنُبٍ وهم لا يشعرون * وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون * فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن **ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون**[54].

* ولقد مننا عليك مرة أخرى * إذْ أوحينا إلى أمك ما يوحي * أن اقذفيه في التابوت (الصندوق) فاقذفيه في اليمّ فليلقه اليمّ بالساحل يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له.**وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني** * إذْ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله (يربيه ويرضعه).فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن[55].

وبحفظ الله له وإلقاء محبته على كل من تقع عينه على موسى نشأ وترعرع في بيت عدو الله وعدو موسى وهو الفرعون . وكان الله قد حرم عليه المراضع (أثداء المرضعات كان يرفضهن) ليتم وعده بعودة موسى إلى أمه التي أرضعته وتكفلت به حتى شب عن الطوق وأخذت عن ذلك أجراً من الفرعون.

البلوغ والاستواء :

* ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما . وكذلك نجّزى المحسنين[56] .

وبلغ موسى من العمر أربعين عاما (بلوغ الأشـــد) . وكـــان قـــوى البنيان . فلما استغاثه أحد العـــبرانيين (مـــن بنـــى إســـرائيل) علـــى أحـــد المصـــريين وكزه موسى (ضربه في صدره) فمات الرجل . فندم موســـى على ذلك . وفى اليوم التالي وجد موسى نفس الإسرائيلي يقاتل مصرياً آخـــر ويطلب منه العون . فلما مد موسى يده ليبطش بالذي هو عدو لـــهما . قـــال المصري لموسى محذراً أتريد قتلى كما قتلت مصريا آخر بالأمس . إنـــك إن فعلت ذلك أصبحت من الجبارين في الأرض لا المصلحين . فـــانفضح أمـــر موسى . وبلغ ذلك مسامع الفرعون وجاء رجل من المدينة مهرولا ناصحـــاً موسى بالهرب من البلاد حتى لا يناله عقاب الفرعون :

* ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا مـــن شيعته وهذا من عدوه . فاستغاثه الذي من شيعته على الذى من عدوه فـــوكزه (ضربه) موسى فقضى عليه . قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضـــل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له . إنه هو الغفور الرحيـم * قال رب بما أنعمت علىّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين * فأصبح فى المدينـة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه . قال له موســـى إنـــك لغوىّ مبين * فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريـد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فـــى الأرض ومـــا تريد أن تكون من المصلحين * وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يـــا

موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين * فخـــرج منها خائفا يترقب . **قال رب نجني من القوم الظالمين** [57].

فخرج موسى من مصر إلى أرض (مَدْيَــن) هاربـــا وخائفـــا مـــن القصاص . وهروب الخائف المتعجل لا يسمح له بحمل متاع أو زاد . ووجد بئر ماءٍ يتزاحم عليه الرعاة الذين يطلبون السقيا لهم ولمواشيهم :

* ولما توجه تلقاء مَدْيَن قال عسى ربى أن يهديني سواء السبيـــــل * ولمـــا ورد ماء مَدْيَن وجد عليه أمةً من الناس يسقون ووجد مـــن دونــــهم امرأتيـــن تذودان (تمنعان أغنامهما عن الماء) قال ما خطبكما . قالتا لا نســـقي حتـــى يصدِرّ (ينصرف) الرعاء وأبونا شيخ كبير * فسقى لهما ثم تولى إلى الظـل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير[58] .

وكان رجوعهما إلى أبيهما بسرعة غير معتادة . فسألهما . فقصّا عليه من أمر الرجل القوى الذي عاونهما فأرسل إحدى ابنتيه لتستدعيه (موسى) :

* **فجاءته إحداهما** تمشي على استحياءٍ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر مـــا سقيت لنا . فلما جاءه وقص عليه القصص **قال لا تخف نجوت مـــن القـــوم الظالمين** * قالت **إحداهما** يا أبت استأجره إن خير من اســـتأجرت القـــوى الأمين * قال إني أريد أن **أنكحك** (أزوجك) **إحـــدى ابنتى هاتين** على أن تأجرني (تعمل عندي) ثماني حِجَج (سنوات) فإن أتممـــت عشـــراً فمـــن عنـــدك وما أريد أن أشق عليك . ستجدني إن شاء الله **من الصالحين** * قـــال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلاعدوان عليّ والله على ما نقـــــول وكيـــل[59] .

ونلاحظ هنا أن إحدى ابنتي الرجل الصالح التي ذهبت في استدعائـــــه هي نفسها التي طلبت من أبيها استئجاره للعمل طرفهم لإعجابها بموسى الذي عبّرت عنه بقولها (إن خير من استأجرت القوى الأمين) فموسى كما بدا لها قوى البنيان أميناً عليهما فلم يخدش حياءهما بقول أو فعل وهو ماجالَ بخـاطر الأب حين طلب منه الزواج بإحدى الابنتين وغالبا تلك التى استدعته للمثـول بين يدي أبيها وهى نفسها التي زكّته ووصفته بالقوة والأمانة . ويلاحظ مـن الآيات أن خروج المرأتين للسقاية كان بسبب أن أبيها رجل طاعن فى السـن لا يستطيع أداء الأعمال كما أنهما بحكم أنوثتهما لم يزاحما الرجال حول البئر **وهما شرطان تشريعيان لخروج المرأة لأداء المهام والأعمال** : الضـــرورة والاحتشام (عدم المزاحمة والاختلاط بالرجال). كما نجد في الآيات أيضاً أن الرجل عرض على موسى اختيار إحدى ابنتيه للزواج لا الاثنتين (أى عـدم الجمع بين الأختين فى الزواج) وهو ما يوافق تشريع التوراة والإســلام (لم يتنزلا قبل حدوث تلك الواقعة بل بعدها) . وحين عرض الرجل الصالح (ونحسبه صالحاً لا نبياً كما يقول أهل الكتاب) المهر المطلوب للزواج بـأن يعمل موسى (عليه السلام) عنده ثماني سنوات وإن أتممها لعشر سنوات كان ذلـك راجعاً لموسى دون مؤاخذة.و موسى أتم الأجل الأكبر والأمد الأبعد أى عشـر سنوات لعدة اعتبارات منها سقوط التهمة التي تلاحقه في مصر مـن جـراء قتـل المصري خطأ وإمعانا في رد الجميل للرجل الصالح الذي آواه وطمأنه واحتضنه وزوّجه بعد أن كان موسى يعانى الخوف مـن القصـاص الـذي يلاحقـه والجوع والبطالة . فمكث موسى (عليه السلام) بمَدْيَن (تقع بيـن جنـوب فلسطين وشمال الحجاز وتسمى مَدْيان فى العهد القديم) حتـى أتـم الأجـل المتفـق عليه يراوده حلم العودة إلى أهله وقومه بمصر .

البعثة والتكليف بالرسالة :

لما قضى موسى (عليه السلام) مدة الاتفاق مع صهره وبينما هو سائر يرعى الأغنام والماشية في التلال والهضاب رأى ناراً في ليلة باردة . فسأل أهله الانتظار حتى يجلب لهم جذوة من النار يستدفئون بها ويستدل على الطريق (طريق العودة لداره) من أصحاب تلك النار :

* فلما قضى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبرٍ أوجذوةٍ من النار لعلكم تصطلون (تستدفئون) * فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أنْ يا موسى إني أنا الله رب العالمين (60) .

وكان ذلك إيذانا ببدء تكليف موسى بالرسالة مباشرة من العلي القدير . والكلام المباشر من الله جل وعلا إحدى طرق المخاطبة والوحي من الله تعالى لعباده الذين يصطفيهم :

* وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا **وحيا** (بالإلهام والإلقاء في الروع) **أو من وراء حجاب** (حاجز من النار أو خلافه) **أو يرسل رسولا** (جبريل أمين الوحي) فيوحي بإذنه ما يشاء . إنه علي حكيم (61).

وبدأت أوامر الله وتكليفات الرسالة :

*وهل أتاك حديث موسى * إذْ رءا ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى * فلما أتاها نودي يا موسى * إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى * وأنا اخترتك فاستمع لما يوحي * إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة

لذكرى * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بمـــا تسـعى * فــلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى (فتهلك).[62]

والتكليف بالرسالة كان على ثلاثة محاور:

(1) توحيد الله وإفراد العبودية له وحده .

(2) التوجه بالعبادة لله وإقامة الصلاة لذكر الله .

(3) الإيمان بالساعة والحساب .

ثم بدأت الأوامر لتحديد المهام :

إذهب إلى فرعون إنه طغى * قال رب اشرح لى صدري * ويسّر لــي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزرى * وأشركه فى أمري * كي نسبحك كثيرا * ونذكرك كثيراً * إنك كنت بنا بصيراً * قال قد أوتيت سؤلك يا موسى [63] .

أما لماذا طلب موسى (عليه السلام) معاونة أخيه هارون (عليه السلام) فـــي تبليـــغ الرسالة :

* قال رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون * وأخي هارون هو أفصــح منى لساناً فأرسله معيَ رِدْءاً (عونا) يصدِّقني . إنى أخــاف أن يكذبــون * قـــال سنشد عضدك (سنعينك ونقويك) بأخيك ونجعــل لكمــا ســلطانا فــلا يصلـــون إليكما . بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون [64].

وفصاحة هارون تأتى من كونه ملازما لأهل مصر فترة طويلة ، فلغته سلسة لطول الممارسة بينما اغتراب موسى عن مصر لعشر سنوات صبغـت حديثه بلكنة من لغة أهل مَدْيَن . كما أن خوف موسى من قصاص فرعـــون بسبب قتله المصري خطأ يصبح عامل توتر فلا تسعفه البديهة وحضور الذهن

والقبول لدى الفرعون عند تبليغه بالرسالة التي أنزلها الله عليه فيضيق صـدر موسى لذلك.ونرفض القول **بأن موسى كان يتكلم بلثغة أو أن لديه عيوب في النطق لأن الأنبياء منزهين عن العيوب الخِلْقية والخُلُقية :**

*إذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكرى (لا تفترا في تبليغ الرسالة) * إذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى * قـالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا (يعجل بالعقوبة) أو أن يطغى *قالا لا تخافـا إنني معكما أسمع وأرى * فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسـل معنـا بنـي إسرائيل ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربـك والسـلام علـى مـن اتبـع الهـدى(65).

*وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين * قوم فرعون ألا يتقون * **قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلـى هارون** * ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون * قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكـم مستمعون ***فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** * أن أرسل معنا بنـي إسرائيل (66).

فلما عاد موسى بأهله إلى مصر وأبلغ هارون بما كان من أمر الرسـالة توجها إلى فرعون معاً . فما كان من فرعون إلا أن تذكر ما كان مـن أمـر موسى (القتل الخطأ) وأخذ يعايره بما حدث ويذكّره :

*قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين *وفعلت فعلتـك التـي فعلت (قتل المصري) وأنت من الكافرين(67).

فنفى موسى (عليه السلام) عن نفسه تهمة الكفر واعتبر أن ما حدث هو خطأ غير متعمد (الضلال) والجهل والاندفاع بعصبية لمناصرة بنى قومه دون وعى :

*قال فعلتها إذن وأنا من الضالين *ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكماً وجعلني من المرسلين * وتلك نعمة تمنّها علىّ أن عبّدت بنى إسرائيل . (جعلتهم عبيداً لك) [68].

فانتقل الفرعون من المحاجة فى موضوع موسى الشخصي إلى موضوع الرسالة التى حملها إليه من رب العالمين :

*قال فرعون ومارب العالمين *قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين *قال لمن حوله ألا تستمعون (متعجباً) * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (مستهزئا) *قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون[69].

ونلاحظ هنا تصاعد نبرة الحوار وحِدّته . وكلما صعّد فرعون الموقف صعّده موسى (عليه السلام) حتى بلغ الفرعون غضبه وشططه أن قال :

*قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين[70].

فأراد موسى أن يظهر له البرهان على صدق نبوته :

*قال أوَلَو جئتك بشيءٍ مبين * قال فأت به إنْ كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين[71] .

ولما كان السحر منتشراً فى عصر الفرعون اعتقد أن موسى قد تعلم فنون السحر فترة غيابه (هروبه) عن مصر وأن الأمر يحتاج إلى مواجهته بسحرة قومه حتى يبطل ادعاء موسى :

*قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا أرْجِهْ وأخاه وابعث في المدائن حاشرين *يأتوك بكل سحّار عليم(72).

المواجهة :

* فجُمع السحرة لميقات يوم معلوم * وقيل للناس هل أنتم مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين * فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إنْ كنّا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذن لمن المقربين * قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون(73).

* قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى * فلنأتينك بسحر مثله . فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى * **قال موعدكم يوم الزينة (عيد الربيع) وأن يُحشر الناس ضُحى** * فتولى فرعون كيده **ثم** أتى * قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النجوى * قالوا إنْ هذان لساحران (موسى وهارون) يريد أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المُثلى (معتقداتكم) فأجمِعوا كيدكم ثم أئتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلَى * قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقَى * قال بل ألقوا . **فإذا**

حبالهم وعصيهم يخيّل إليهِ من سحرهم أنها تسعَى * فأوجس فى نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخفْ إنك أنت الأعلى [74].

ولنا أن نتخيل آلاف الحيّات والثعابين تتحرك من السحر في حلبة الصراع والمنازلة وتبدو وكأنها حيات حقيقية فيها الروح (*) . وللوهلة الأولى توجس موسى خوفا ورهبا إلا أن الله ناداه ألا تخف . فإنك المنتصر بإذنه :

*وألق مافى يمينك تلقف ما صنعوا . **إنما صنعوا كيد ساحر ولا يُفلِح الساحر حيث أتى**[75] .

* فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون [76] .

فأيقن السحرة أن تلك العصا التي التهمت حبالهم وعصيهم (وهى على هيئة الحيات والثعابين) هي من صنع غير البشر لأنها تلتهم كل ما حولها دون أن تنتفخ أو تشبع فما كان منهم إلا السجود لله والإقرار بنبوة موسى :

*فأُلقِىَ السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون[77] .

فظن فرعون أن ماحدث هو مجرد تمثيلية اتفق عليها السحرة مع موسى ليحرجوا موقفه أمام قومه وظن أيضا أن موسى هو ساحرهم الأكبر ومعلمهم الأعظم فتوعدهم بالعذاب الشديد :

---

*) يقال أن السحرة كانوا يملأون الحبال التى تشبه الحيّات بمادة الزئبق فإذا ما ألقوها تتحرك بحركة الزئبق داخلها فتبدو وكأن فيها الروح .

* قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . إنه (موسى) لكبيركم الذي علمكم السـحر فلسوف تعلمون * لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لا ضير . إنا إلى ربنا منقلبون * إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين[78].

- فأُلقِىَ السحرة سُجداً . قالوا آمنا برب هارون وموسى * قال (فرعون) أمنتم له قبل أن آذن لكم . إنه لكبيركم الذى علمكم السحر . فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمنّ أينا أشد عذابا وأبقى * قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا . فاقض ما أنت قاض . **إنما تقضى هذه الحياة الدنيا** * إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر . والله خير وأبقى [79] .

توعد فرعون لموسى وقومه بالعذاب والرجل المؤمن:

بعد واقعة السحرة وإيمانهم بأن ما جاء به موسى هو من عند الله وتهديد فرعون لهم والتنكيل بهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف (قطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرجل اليمنى) استعداه الملأ من قومه على موسى وقومه الإسرائيليين:

*وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك والهتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون * قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أوذينا من قبل أنْ تأتينا (بالرسالة) ومن بعد ما جئتنا (بها) . قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون[80] .

*ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامـــان وقـــارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين (في نظرهم موسى وقومه كافرون) إلا في ضلال * وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخـــاف أن يبدل دينكم (دين فرعون المشرك) أو أن يظهر في الأرض الفساد * وقـــال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب [81] .

ولما علت صيحات الانتقام من فرعون وملئه انبرى صوت عاقل من آل فرعون آمن بماجاء به موسى وأنه نبي مرسل من عند الله ولكنه (الرجـــل) كان يخفى إيمانه :

*وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وإن يكُ كاذبا فعليه كذبـــه وإن يـــكُ صادقـــاً يصبكم بعض الذى يعدكم. إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب * ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنـــا . قـــال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (مصـــادراً الـــرأى العاقل) * وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد (يوم الحســاب) يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم * ومن يضلل الله فما له من هـــاد * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مماجاءكم به حتـــى إذا هلك (مات) قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله مـــن هـــو مسرف مرتاب * الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم . كبر مقتـــاً عند الله وعند الذين آمنوا . كذلك يطبع الله على كل قلب متكبرٍ جبار[82] .

لم يعجب فرعون الكلام الذي قاله الرجل المؤمن ذو الحظوة لديه (من قومه) وإن كان سمح له بالكلام في حضرته بتلك النبرة من القول (يقال أنه ابن عمه)[83] . ونادى فرعون على وزيره (أو نائبه) هامان غاضبا :

*وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا . وكذلك زُين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل . وما كيد فرعون إلا فى تباب (خسران وهلاك)[84] وعلا صوت الحق والعقل مرة أخرى مشفقا عليهم :

* وقال الذي آمن يا قوم اتبعونِ أهدكم سبيل الرشاد *يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار * من عمل سيئة فلا يُجزى إلا مثلها . ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزقون فيها بغير حساب[85].

ولما استمر القوم على عنتهم ورفضهم للاقتناع بما يقوله الرجل المؤمن رفع الرجل من صوته محتداً ومحذراً تحذيراً أخيراً بقوله :

*وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار * تدعوننى لأكفر بالله وأُشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار * لاجرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله . وأن المسرفين هم أصحاب النار * فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمرى إلى الله . إن الله بصير بالعباد[86] .

وحينئذ - لما فاض به الكيل - تعرض الرجل لغضب فرعون وملئه وهموا بإيذائه كما هموا بموسى من قبل ولكن الله نجاه من مكرهم :

* **فوقاه الله سيئات مامكروا** وحاق بآل فرعون سوء العذاب[87] .

واستخف فرعون بقومه وعقولهم المغيبة ليخرج من المـــأزق الــذى وضعه فيه موسى والرجل المؤمن (من قومه) ولم يؤمن بموسى إلا قليل من قومه (خوفاًمن فرعون) وهذا الرجل (من قوم فرعون) وامـــرأة فرعـــون (كتمت إيمانها) والرجل الذى جاء من أقصى المدينة ناصحا موسى بالهروب (حين قتل المصري خطأ)[88].

* فما آمن لموسى **إلا ذرية من قومه** على خوفٍ من فرعـــون وملئـــهم أن يفتنهم . وإن فرعون لعالٍ فى الأرض. وإنه لمن المسرفين[89].

* وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذْ قالت رب ابن لي عندك بيتـا فى الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين [90] .

وجاء وحى الله لموسى وهارون (عليهما السلام) أن يجعلا بيوتـــهما وبيـوت قومهم الذين آمنوا قِبْلةً وملاذاًلكل مهتد. ودعا موسى وهارون على فرعـــون وملئه :

* وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا (اجعلا) لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا (لجميع المؤمنين) بيوتكم قِبْلةً وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين * وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عـــن سبيلك . ربنا اطمس (أهلك وأتلف) على أموالهم واشدد (اطبـــع) علـى قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليـم * قـال قـد أجيبـت دعوتكمـا فاستقيماولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون[91] .

قـــارون:

كان من قوم موسى (عليه السلام) ومن أغنى أغنيائهم وليس من قوم فرعـــون كما يشاع (يقول ابن جرير أنه ابن عم موسى ورد قول ابن إسحاق من أنـــه كان عم موسى)[92] . دعاه موسى (عليه السلام) للإيمان بالله فأنكر وجـــود الإلـــه والرب فاستحق عذاب الله الذى نزل به :

* إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم . وآتيناه مـــن الكنـــوز مـــاإنّ مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة إذّ قال له قومـــه لا تفـــرح إن الله لا يحـــب الفرحين * وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبـــك مـــن الدنيـــا وأحســـن كما أحسن الله إليك ولا تبغِ الفساد فـــى الأرض . إن الله لا يحـــب المفسدين * قال إنما أوتيته على عِلمٍ عندى . أوَ لم يعلم أن الله قد أهلك مِن قبله من القرون من هو أشد منه قوةً وأكثر جَمْعاً . ولا يُسئل عـــن ذنوبـــهم المجرمون * فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظٍ عظيم * وقال الذين أوتوا العلـــم ويلكـــم ثواب الله خيرٌ لمن آمـــن وعمـــل صالحـــاً . ولا يُلقاهـــا (أى الجنـــة) إلا الصـــابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه مـــن دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لـــولا أن مـــنّ الله علينـــا لخسف بنا . ويكأنه لا يفلح الكافرون[93] .

* وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينـــات فاســـتكبروا فـــى الأرض وماكانوا سابقين * فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنـــا عليه حاصباً (قوم عاد) ومنهم من أخذته الصيحة (قوم ثمود) ومنهم مـــن خســـفنا بـــه

الأرض (قارون) ومنهم من أغرقنا (فرعون وهامان) وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[94] .

وكان موسى (عليه السلام) مرسَلاً لقومه ولفرعون وقومه لهدايتهم إلى طريق النجاة والرشاد وأيده الله بالمعجزات ليؤمنوا دون جدوى :

* ولقد أرسلنا موسى بآيتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب[95].

وقارون هذا كانت مفاتيح خزائنه (المفاتيح فقط) كثيرة وثقيلة فيصعب حملها (مجتمعة) بواسطة جماعة من الرجال الأشداء .

الآيات المفصلات (تسعة) :

رغم كل ما حدث من البراهين والأدلة على صدق نبوة موسى وهارون (عليه السلام) لم يؤمن فرعون وحاشيته وقومه . ولما دعا موسى وهارون (عليه السلام) ربهما بأن يطمس على أموال الكافرين وأن يشدد على قلوبهم استجاب الله لهما وبدأت سلسلة من الابتلاءات للمصريين لعلهم يؤمنوا بموسى ورسالته :

*ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إنى رسول رب العالمين * فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منهم يضحكون * وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون * وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون * فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون * ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى مُلْك مِصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى . أفلا تبصرون * أم أنا خير من هذا الذى هو مهين (يقصد

موسى) ولا يكاد يبين (ليس فصيحا عند الكلام) * فلولا أُلقى عليه أسـورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين(96).

*ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقـال لـه فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا * قال لقد علمت ما أنزل هـؤلاء إلارب السماوات والأرض بصائر (آيات بيّنة للمبصر) وإنـى لأظنـك يـافرعون مثبورا (أى هالكا)(97).

* ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يذكرون * فـإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومَنّ معـه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتنا به من آيـة لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمـل والضفادع والدم آياتٍ مفصلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقـع عليهم الرجز (العذاب) قالوا يا موسى ادع لناربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجـز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون(98).

والآيات المذكورة هنا خمسة (الطوفان والجراد والقُمّـل والضفـادع والدم) بالاضافة إلى الأخذ بالسنين (الجدْب والقحط فلا يـأتى فيضـان ولا تروى الأرض) ونقص من الثمرات (بتسليط الآفات الزراعية والريـاح أو الحر الشديد) والعصا (التى تتحول إلى ثعبان عظيم وفيـها منـافع أخـرى لموسى) واليد (يده التى كان يضعها فى جيبه ثم يخرجها فتكـون بيضـاء كالشمع من غير سوء أو مرض) . وتلك هى الآيات المفصلات (تسـعة) والبراهين المتتالية الدالة على نبوة موسى وهـارون (عليهما السلام).ورغـم توالـى

حدوثها لم يؤمن فرعون ولا قومه إنما كانوا يضحكون استهزاءً وجحوداً واستعلاءً . فبعد الجَدْب والقَحْط جاء عام فيه فيضان شديد مدمر للمحاصيل وأغرق الجسور والأراضى . وكانت الزروع لا تثمر من الآفات المسلطة عليها بإذن الله تعالى ومن الرياح الساخنة والحر الشديد . وملأ الجراد الوادى فأتى على ماتبقى من الأخضر واليابس . وانتشر القمل بأنواعه قمل الشعر وقمل الجسم (مايسبب مرض الجرب) وامتلأت البيوت والشوارع بالضفادع تتقافز هنا هناك ، وتغير ماء النهر واكتسى بالدم فعافت النفوس الشرب منه إلا اضطرارا .

وهذه الآيات والابتلاءات لم تأت دفعة واحدة وإنما على مراحل وكل مرحلة تتلوها أخرى عسى أن يؤمن القوم دون جدوى . وكان كلما حل البلاء بأهل مصر تشاءموا من وجود موسى والإسرائيليين (يطّيروا بموسى ومن معه) . ولما يسقط الأمر فى أيديهم يطلبون من موسى أن يدعوا الله (أدع لنا ربك . وليس ربهم أوربنا) ليرفع عنهم البلاء والعذاب على أن يؤمنوا به بعد ذلك . فيرفع البلاء وينقضوا عهدهم مع موسى ومع الله . وكانوا يظنون أن موسى قد حذق فنون السحر (يا أيها الساحر) فأصبح بارعاً فى ممارسته لدرجة لايباريه أحد فيما يفعل . وبعد عدة ابتلاءات لم يؤمنوا ولم يرسلوا بنى إسرائيل مع موسى (أى لم يطلقوا سراحهم من الأعمال المهينة والاضطهاد) وكان ذلك استكباراً منهم :

* **وألقِ عصاك** . قلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقّب **ياموسى لاتخف إني لا يخاف لدىّ المرسَلون** * إلا من ظلم ثم بدل حُسْناً بعد سوءٍ **فإنى غفور رحيم** * **وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوءٍ** (مرض) **فى تسع آياتٍ** إلى فرعون وقومه . إنهم كانوا قوماً فاسقين * فلما جاءتهم

آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين * **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمـــا وعلوّاً . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**(99).

*ولقد جاء آل فرعون النذر * **كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخــذ عـــــزيز مقتدر**(100).

الخـروج مـن مصر :

صدر الأمر الإلهي لموسى وهارون (عليهما السلام) أن يصحبا بني إســرائيل للخروج من مصر ليلاً للذهاب إلى أرض فلسطين (الأرض المقدسة) تخلصاً من العبودية على يد فرعون مصر وقومه وبعدما تبين أن فرعون وقومه لـن يؤمنوا برغم كل الابتلاءات التي مرت بهم وكل الأدلة علـــى صـــدق نبـوة ورسالة موسى وهارون (عليهما السلام) :

* وأوحينا إلى موسى أن أسرِ (ليلا) بعبادى إنكم متَّبَعون * **فأرسل** فرعـون فى المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلــون (طائفـــة) *وإنـــهم لنـــا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون (متأهبون لما سوف يفعلوا) (101).

* ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدّوا إلىّ عبـــاد الله إنى لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إنى آتيكم بسلطان مبين * وإنــى عذت بربى وربكم أن ترجمون * وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون * فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون * **فأسرِ بعبادي ليلاً إنكم متَّبَعون** (102).

أى رغم الحيطة والحذر والسير والـهروب ليـلا فـإن آل فرعـون سيتبعونكم ويطاردونكم فلا تخشوهم واثبتوا على الإيمـان لأن الله نـاصركم ومجيركم من القوم الظالمين . فانطلق بنى إسرائيل ليلا بعدما رفض فرعـون إطلاق سراحهم وتمادى في تعذيبهم بالسخرة والضغوط النفسية :

* ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين[103].

وكان أن استعار نسوة بني إسرائيل حُلياً من الذهب من نساء مصـر للتزين بها في عيدهم المشرف على الحلول قبل هروبهم من مصر فكان ذلـك سبباً فى ازدياد حنق المصريين عليهم واعتبروهم لصوصا ومخادعين فـرّوا بالحلي الذهبية . ولذا انطلق المصريون فى حماس مع جيش الفرعون الـذي استدعاه على وجه السرعة ليلحق بالإسرائيليين الهاربين إلى شرق البلاد :

* **فأتبعوهم مشرقين**[104] :

ورأى الفريقان والجمعان كل منهما الآخر رأى العين عندما أشـرقت الشمس عليهم . وخاف قوم موسى وهلعوا رغم أن الله أخبرهم سـلفا أنـهم متَبعون من جند فرعون . ولكنها الرهبة من شخصية فرعون المتجبر . وبـدا أمامهم البحر وخلفهم جنود الفرعون والمصريين . فكيف الفرار وإلى أين :

* **فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إنّ معـى ربى سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطود العظيم (كالجبل)** *وأزلفنا ثَمَّ الآخرين (قرّبنا آل فرعون منكم وراءكم مباشرة) * وأنجينا موسـى ومـن معـه أجمعيـن * **ثـم أغرقنـا الآخرين**[105] .

* ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب **لهم طريقاً فى البحر يَبَسَاً** (أرضا جافة) لا تخاف دَرَكاً (إدراكا) ولا تخشى * فأتّبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليمّ ما غشيهم[106] .

* **فأسرِ بعبادي ليلا إنكم متّبعون** * واترك البحر رَهْواً (منفرجاً عن اليابسة كما هو) **إنهم جندٌ مغرَقون**[107] .

وكل هذه الآيات المذكورة تدل على حدوث معجزة **شق البحر ووجود طريق واحد من اليابسة وسطه** يسمح بالسير الآمن فوقه . والماء على الجانبين مفروق كالجبل الشامخ العظيم بأمر الله لا ينطبق إلا بعد نجاة آخر إسرائيلي فيعود الماء إلى سيرته الأولى وخاصيته الطبيعية (خاصية الاستطراق حسب نظرية الأواني المستطرقة المعروفة) فيغرق آل فرعون وجنوده وأولهم الطاغية المتأله فرعون مصر مدعى الألوهية والمصريين الذين خاضوا من ورائه في البحر . فماذا قال فرعون عند معاينة الغرق :

* وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتْبَعهم فرعون وجنوده بغياً وعَدْواً (ظلما وعدوانا برغبة الفتك بهم) حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * الآن (أى أدركت ذلك الآن) وقد عصيت قبلُ وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببدنك (بجثتك) لتكون لمن خَلْفَك آية (عظة وعبرة لمن كان يظن بألوهية فرعون وعدم موته كالبشر) وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون[108] .

* فأراد (فرعون) أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا[109] .

* **فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمّ وهو مُليم (فرعون لائم لنفسه)**[110] .

ولنا عدة ملاحظات على واقعة الخروج كما بينتها الآيات الكريمة :

- **سير بنى إسرائيل كان ليلا ولمدة ليلة واحدة فقط** (الكتاب المقدس فى عهده القديم يشير إلى أن الرحلة استغرقت بضع ليال-) والدليل فى نص الآيات السابقة (فأسر - فأرسل فرعون - فأخرجناهم - فأتبعوهم مشرقين - فلما تراءا الجمعان - فأوحينا إلى موسى) والفاء هنا تعنى التتابع السريع للأحداث لا التراخي و البطء (في حالة لو استخدمت كلمة ثم بدلا من الفاء) وطبيعي أن الخوف الذي تملك من قلوب الإسرائيليين دفعهم للخروج بمنتهى السرعة . وعيون فرعون رصدت ذلك الهروب فانطلق الجيش سريعا خلفهم . أما الدليل الذي من داخل نصوص العهد القديم (التوراة الموجودة الآن) فليس وصف الواقعة وإنها تمت على ثلاثة أيام (أو مراحل) وإنما أعنى أن العهد القديم قد ذكر أن الإسرائيليين أخذوا معهم - أثناء الهروب والخروج - **خبزاً لم يتخمر قط (فطير أو خبز الفصح) حيث لم يكن لديهم الوقت الكافي لتخمر هذا العجين (الخبز) وكما نعلم فإن العجين لا يحتاج سوى لساعات قلائل ليتخمر خصوصا وأن واقعة الخروج كانت في شهر إبريل (نيسان) وتحديداً التاسع عشر منه وفى هذا الوقت تكون درجة حرارة الجو بمصر دافئة (تتراوح ما بين 17° & 30° مئوية) بما يكفى لتخمر العجين في سويعات قليلة .**

- عند الشروق وبعد انتهاء ليلة الخروج تراءا الجمعان وعاين كل منهما الآخر معاينة العلم لا الجهالة بأن فرعون بشخصه هو الذي يقود جنده وراءهم .

- خوف بنى إسرائيل من المواجهة وإدراك فرعون وجنده لهم رغم معرفتهم المسبقة بأنهم متبعون يدل على أن هيبة الفرعون وجنده في نفوسهم كانت ما تزال كبيرة.

- **مكان العبور** نرجح له طرف خليج السويس شمالا بالقرب من موضع امتداده نحو البحيرات المرة غربي عيون موسى التى تقع إلى الشرق من الشاطئ الشرقي لخليج السويس حيث كان السير من الدلتا باتجاه الشرق (بعض التفسيرات تقول أن العبور كان فى منطقة بحيرة المنزلة[111] أو منطقة الملاحات جنوبها والمسماة ببحر البوص[112] أو يم سوف[113] أو أنهم عبروا نهراً أو إحدى البحيرات المرّة أو بحيرة التمساح أو بحيرة البردويل (سيربون) أو بحيرة قارون [114] (غربا ثم الاتجاه شرقا بعد ذلك) ومنهم من قال أن الخروج كان في منطقة عسير وجنوب الحجاز بالسعودية حيث افترض إقامتهم هناك غرب شبه الجزيرة العربية [115]. ومنهم من قال أيضا أن خروج اليهود من مصر كان وقت خروج الهكسوس بافتراض أن اليهود هم الهكسوس [116] أو بعد حكم إخناتون حيث الفوضى .. الخ)

- **انفلاق البحر معجزة إلهية** لا تقبل الشك والتشكيك حتى أن اليابسة توسطت المياه والموج توقف ليرتفع على جانبي طريق العبور كالجبل العظيم الشامخ مما يدل على **وجود اتساعٍ ملحوظٍ وكافٍ فى منطقة العبور لا مجرد أمتار** قليلة يتزاحم فيها بنى إسرائيل ولا مجرد موجات من المدِّ والجَزْر كما قال بعض المفسرون وأفاضوا في الوصف ولا رياح موسمية كما أشاعوا .

- طريق السير وسط البحر كان **طريقا واحداً** لا اثنا عشر طريقا كما قال البعض والدليل :

*فاضرب لهم **طريقاً في البحر يَبَساً** لا تخاف دركاً ولا تخشى[117] .

- بعد عبور آخر إسرائيلي انطبق البحر وعادت لمياهه خواصها الطبيعية من الإغراق وتحرك الأمواج التى ابتلعت فى جوفها جنود فرعون جميعهم والفرعون نفسه **دون ناجٍ واحدٍ** (نظرية الأواني المستطرقة) .

- **توبة فرعون** وقت معاينة الغرق والموت لم يقبلها الله جل شأنه منه ولا من غيره - إلى يوم القيامة - لقوله تعالى :

* فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنّا به مشركين * **فلم يكُ ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا . سنّة الله التى قد خَلَت فى عباده وخسر هنالك الكافرون**[118] .

***إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب** فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار . أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما[119].

*قال (ﷺ) **إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر**[*] .

- نجاة فرعون لم تكن نجاة حياة **وإنما نجاة جسد (جثة) لاروح** فيه ولا حياة حيث لفظه البحر إلى الشاطئ بملابسه ودرعه الملكي ليراه باقى

---

[*]) رواه الترمزى فى صحيحه . وقال حديث حسن ورواه ابن ماجة أيضا .

المصريين الذين صدقوا أنه إله وليعلموا أنه بشر يموتِ كما يموتون لا إله كما ادّعى وصدقوه.

- جثة فرعون ستبقى إلى يوم الدين آية ودليلا على قدرة الله وتنفيذ وعده لموسى ووعيده لفرعون بالهلاك والعذاب ولتعلم الأجيال التي تليها بنهاية الطاغية مدعى الألوهية وذلك للعظة والعبرة :

*** فاليوم ننجيك ببدنك (جثتك) لتكون لمن خلفك آية . وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون**[120].

- لا يعنينا **موضع العبور** بدقة ولا **اسم الفرعون** المعنى في واقعة الخروج وانفلاق البحر وغرقه لأن مناط الإيمان هو التصديق بالحدث الذى قصه الله علينا فى كتابه الكريم صدقا وعدلا . ولا يعنينا إن كان رعمسيس الثاني أم ابنه مرنبتاح أم سيتى الأول أم تحتمس أم غيرهم هو فرعون الخروج وإنما يعنينا التصديق والإيمان المطلق بحدوث معجزة انفلاق البحر وغرق الفرعون مدعى الألوهية (أى فرعون) وهلاكه . والارتباط الشرطي بين تصديقنا بما حدث وإيماننا بالله وبين اسم ذلك الفرعون أو مكان العبور تحديداً (وهو ما اختلف عليه أغلب المفسرون) لن يكون سببا فى نفى المعجزة أو إنكار حدوثها كما حدث من بعضهم[121] ودليله فى ذلك عدم وجود وثائق تاريخية مصرية تشهد بحدوث ذلك (*) .

---

*) إيمانويل فلايكوفسكى عالم طبيعة (فيزياء) يهودى روسى هاجر إلى أمريكا عام 1939م وعاش بها إلى أن مات عام 1980 م وهو لا يؤمن بالمعجزات الإلهية وكل شيء يعزوه للطبيعة .

والإيمان بالله لا يستلزم أن ننقب عن تفاصيل دقيقة للمعجزة (أي معجزة) ولا يتطلب معايشتها أو معاينتها رأى العين من كل متشكك ومتنطع لأن الإيمان هو الإذعان والتصديق بكل ما أخبرنا الله به وبما قصه علينا رسله جميعا عليهم أفضل الصلوات والتسليمات . ولا يمكن أو يجوز أن نعطل العمل بآية من آيات القرآن الكريم بحجة نزولها في ظروف معينة أو بسبب واقعة معينة فى زمن معين (أسباب النزول) لأناس بعينهم غيرنا . وإنما آيات الله البينات تصلح وتسرى بجميع أحكامها دون تعطيل أو توقيف أو إحالة وعلينا التصديق بها كما أنزلت والعمل بما فيها وتدبر معانيها وأخذ العظات منها والأحكام دون مجادلة أو محاجة أو مراء :

*ولاينبئك مثل خبير(122) .

*** لقد كان فى قصصهم عبرة لأولي الألباب . ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيءٍ وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون(123).**

➢ محاولة التنطع والمماحكة فى تفصيلات بعينها لم تذكر فى آيات القرآن الكريم (وهو القول الفصل فى دراستنا هذه) واللجوء إلى تفسيرات أو مقولات أو إحالات أو افتراضات قد يودى بنا إلى الشك والتهلكة والضلال والشطط (أعاذنا الله) . فنحن فى أشد الحاجة والحرص على أن ننأى بأنفسنا وعقولنا عن الدخول فى مجادلات ومراء ومحاجة مآلها الزلل والسقوط فى هاوية لا يعلم مداها إلا الله :

* فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى(124) .

* فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون(125).

➢ إن القرآن الذي اتخذناه فيصلا وهاديا ومرشداً وحَكَما في كل قضية نتعرض لها يقص علينا الصدق والحق والعدل ويقينا الاختلاف والشطط :

*** إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون * وإنه لهدىً ورحمة للمؤمنين * إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم**(126).

وسنرى بعد قليل كيف أودى التنطع والمماحكة والمِراء والمجادلة والمحاجّة ببنى إسرائيل فأوردهم المهالك . فاستحقوا غضب الله عليهم ونقمته بعد أن كانوا من عباده المفضلين على غيرهم بسبب إيمانهم وطاعتهم فى البداية .

ماذا بعد النجاة من فرعون وقومه :

بعد غرق فرعون وجنده ونجاة بنى إسرائيل وضحت معالم الطريق . فقد نعموا بالحرية بعد طول كبت ومذلة وإذلال . تنفسوا الصعداء بعدما أصبح مصير فرعون معلوم ومعاين رأى العين فى الدنيا أمامهم . فقد انزاح عن صدورهم كابوس الخوف والرهبة من اسم الفرعون وبطشه إلى الأبد أما فى الآخرة فمآله النار :

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (المعجزات الواضحة) * إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون . وماأمر فرعون برشيد * **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار. وبئس الوِرْد المورود (النار) * وأُتْبِعوا فى هذه (الدنيا) لعنة ويوم القيامة** . بئس الرِفْد المرفود (اللعنة)(127).

* واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمِّ . فانظر كيــــف كـــان عاقبـــة الظـــالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار . ويوم القيامة لا يُنْصَرون * **وَأَتْبعناهم فـــى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين**[128] .

* فلما آسفونا (أغضبونا بكفرهم) انتقمنـــا منـــهم **فأغرقنـــاهم أجمعيـــن** * فجعلناهم سَلَفاً (قدوة ومثلا للكفار) ومثلا للآخرين (عظة وعبرة)[129] .

* فعصى فرعون الرسول (موسى) فأخذناه أخذاً وبيلا (شديدا)[130] .

- ولقد جاء آل فرعون النذر * كذبوا بآيتنا كلـــها فأخذنـــاهم أخـــذ عزيـــزٍ مقتدر[131] .

وبعد.فهذا جزاء فرعون ومن اتبعه وآزره . أما بنى إسرائيل فقـــد عمّتهم الفرحة بالنجاة ولكنهم ما إن شاهدوا - لتوهم - قوما يعبـــدون أصنامـــا وأوثاناً لهم حتى طلبوا من موسى (عليه السلام) أن يجعل لهم صنما كهؤلاء :

***وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأَتوا على قوم يعكفون على أصنـــام لـــهم . قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة** . قال إنكم قـــوم تجـــهلون * إن هؤلاء متبرٌ (مدمر وهالك) ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغـــير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين (بالإيمان والرسالة)[132] .

كان ذلك الحديث صبيحة النجاة من فرعون . وبدلا من أن يشكروا الله ويحمدوه ويسبحوه رغبوا ومالوا إلى الانحطاط فى مدارك الشرك بالله الواحـد الذى نجاهم لتوهم من فرعون وجنوده . ساروا قليلا بعد توبيخ موســـى(عليه السلام)

لهم ثم طلبوا منه طعاما وشرابا حيث بدأت الشمس في الاصفرار والتوهج . تذكروا الجوع والعطش بعدما أمنوا الخوف :

* **وإذْ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا** . قد علم كل أناس (قبيلة أو سبط) مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين[133] .

* يابنى إسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن (لتلقى الرسالة والتشريعات) **ونزلنا عليكم المنّ والسلوى** * كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى . ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى[134].

لم يعجبهم المنّ (مادة تتجمع على أوراق بعض الشجر تشبه العسل وقيمتها الغذائية عالية) والسلوى (طائر السمّان الشهي الذي كان يتساقط بين أيديهم) . لم يعجبهم ذلك فقد ألفوا طعام أرض مصر التي غادروها منذ سويعات وطلبوا من موسى طعاما تعودوه وألفوا طعمه :

*وإذْ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك (لاحظ ربك وليس ربنا) يخرج لنا مما تنبت الأرض من بَقْلِها (البقول) وقِثّائِها (الكوسة) وفومِها (الثوم) وعَدَسِها (العدس) وبَصَلِها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير . اهبطوا مِصْرَاً فإن لكم ما سألتم[135] .

حذرهم موسى عليه السلام بأن تلك الأطعمة موجودة بأرض مصر الزراعية في وادي النيل والدلتا وليست متوافرة في الصحراء ولا الجبال (أرض سيناء التي دخلوها) فإن رغبتم في تلك الأطعمة واشتقتم لها فعودوا إلى مصر حيث الأرض المنبسطة والوادي المنخفض وزراعات الري لا المطر

(اهبطوا مِصْرَاً) إن كنتم تفضلون هذا الأكل مع الإذلال والقـــهر والاســـتعباد وذكريات فرعون وجنده على النجاة والحرية وعبادة الواحد الأحد الذي نجاكم من عدوكم وسقاكم من فضله (عيون مياه تفجرت من بين الحجارة الصلـدة) لكل سِبْط وقَبِيلة عيناً من الماء العذب حتى لا يحدث تزاحــم (بعكــس أثنــاء عبور البحر كان الطريق واحداً كناية عن المصير والهدف المشترك ولعـــدم الحاجة لطرق كثيرة يتجادلون عندها أيها يخص كل قبيلة أو سِبط).

واشتدت حرارة الشمس بمضي الوقت . فطلبوا من موســى (عليه السلام) أن يستظلوا من الشمس الحارقة في تلك الصحراء الموحشة . فدعا الله الذي مــنّ عليهم :

*وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمما . وأوحينا إلى موسى إذْ استسقاه قومه أن أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا . قد علم كـــل أنــاس مشربهم . **وظللنا عليهم الغمام (السحاب) وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى** . كلوا من طيبات ما رزقناكم . وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون[136] .

ومنّ الله عليهم بالخيرات عوضاً عما تركوه بمصر (إن كان هناك مــا يستحق) وأورثهم مقاما خيراً منه :

*كم تركوا من جنات وعيون (فرعون وجنــوده) * وزروع ومقــام كريم * ونَعْمَةٍ كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قومـــا آخريــن (بنــى إسرائيل)[137]

* فأخرجناهم (آل فرعون) من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم * كذلك وأورثناها بنى إسرائيل[138] .

*وأورثنا القوم (بنى إسرائيل) الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها . وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا . **ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه . وما كانوا يعرشون (المباني وغيرها)**[139] .

ويثور سؤال ملح . كيف أُورث بنو إسرائيل النعم والكنوز وهم في الصحراء الجرداء . هكذا كان تساؤلهم - وغيرهم - ونسوا أن **الحلي والأقراط والذهب** الذي استعاره الإسرائيليون من المصريين قد استولوا عليه جميعه وهم خارجون من مصر . أخذوه على سبيل الإعارة فتملكوه دون صك بالبيع أو الهبة . وأصبح ميراثهم الجديد (منحة وعطية من الله الكريم) ليبدأوا به حياتهم الجديدة في سيناء ومن بعدها الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم . وكلتا الأرضين كانتا تحت هيمنة وسيطرة ملوك مصر الفراعين ومن الولايات التابعة لمصر . **أورثوها وزالت سيطرة الفراعين عنها (مملكة داود وسليمان في أرض فلسطين)** .

ومن سياق الآيات وكلماتها المحكمة نجد أن الله تعالى ذكر تدمير ما كان يصنعه الفرعون وقومه في مصر وما كانوا يعرشون من مباني وآثار ومعابد وأبنية وقصور وبالطبع فإن التدمير **يعنى الخراب والهدم واندثار الآثار التى تدل - إن وجدت على حالتها سليمة - على من يكون ذلك الفرعون تحديدا** . وحكمة الله فى ذلك - كما سبق وأشرنا - هى أن أسماء الطغاة ليست الفيصل فى تصديق المعجزة أو وقوع العذاب بقدر ما أن الخراب والتدمير دليل على الطمس والتنكيل والخسف (**كما حدث لقارون وداره وممتلكاته وكنوزه)** . والعبرة والعظة إنما فى الحدث والوقائع لا فى الأسماء والشواهد المادية التى يبصرها كل متشكك فى كل زمان . **فالمعجزة**

- أى معجزة - مرهونة بوقت معين حدثت فيه وغـــرض وهــدف محــدد لحدوثها . إلا المعجزة الباقية التى أرادها الله سبحانه إلى يوم القيامة شـــاهداً على حكمته وعلمه وقدرته ألا **وهى القرآن الكريم** الذى تكفل الله بحفظه إلــى يوم الدين لأن شريعة القرآن هى المهيمنة على ماقبلها وما عداهـــا ورســالة محمد (ﷺ) هى الرسالة الخاتمة حيث تنتهي الضرورة - حتى قيام الساعة - وتنتفى الحاجة إلى ابتعاث أنبياء جدد أو إرسال رسل للبشرية .

نزول الألواح (التوراة):

بعد النجاة من الأعداء وبعد الأكل والشراب والاســتظلال مــن حــر الصحراء ولفحة شمسها تبقّى شيء هام. تبقى تنظيم حياة ذلك الشـــعب بمــا يكفــل أن يكون أهلاً للتفضيل كما أراد الله له . شـــرائع وعبــادات تكفــل الاستقامة ورضا الرب والفلاح فى الدنيا والآخرة ليكون بحق شعب متمـــيز ومختار بين أقرانه :

* ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين * ولقد اخترناهم على علم على العالمين (فى زمانهم وأممهم التــى تعاصرهم) * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين[140].

ذلك الاختيار لم يكن مطلقاً بلا قيد أو شرط . واستمرارية التفضيـــل والتميز على باقى الأمم تحكمه عوامل كثيرة أهمها الإيمـــان بـــالله وإفـــراده بالعبودية والامتثال لأوامره ونواهيه وطاعة الرسل والكف عن إيذاء الغـــير والكيد له وعدم الاستكبار والبغّى والظلم . والوفاء بعهدهم مـــع الله وميثاقـــه الذى واثقهم به :

*** يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفِ بعهدكم وإياى فارهبون**[141] **.**

*** واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذْ قلتم سمعنا وإطعنا واتقوا الله.إن الله عليم بذات الصدور**[142] **.**

*** ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل**[143] **.**

وعند الاخلال بتلك الشروط وعصيان الله فيما أمر يصبح أمر التفضيل على العالمين كأن لم يكن . تزول النعم وتزداد النِقَم وينزل بهم غضب الرب وتُسلب منهم ميزة التفضيل . فالوفاء بعهودهم مع الله يتبعه وفاء الله بعهده معهم بأن يكونوا مفضلين ومتميزين على سائر الشعوب والأمم .

(**وهى نفس الشروط أيضا لتفضيل الله للأمة المسلمة** لتكون خير أمة أخرجت للناس . طاعة وإيمان وامتثال وتقوى وأمر بمعروف ونهى عن منكر) .

وبعد واقعة النجاة من فرعون وقومه والخروج من مصر استعداداً لدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم بدأت المرحلة العملية للتمحيص والاختبار . من يظل على الدرب ومن يحد عنه . من يصلح للاقتداء ومن لاتكن له الأهلية.من يستطع حمل التكاليف الشرعية فيظل ناجيا طوال حياته وفى أخراه ومن ينكص على عقبيه . من يظل ثابتا على المبدأ ومن يتلون

ويتغير حسب الأحوال والظروف . من يتمسك بالهدى والرشاد فلا يكل ولا يفتر ومن يخرج عن حظيرة الإيمان مع أول ابتلاء واختبار :

* ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ (شك وتردد) فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين(144) .

جاء الأمر لموسى (عليه السلام) أن يذهب لميقات ربه ليتلقى الرسالة والشريعة وتعاليمها ليبلغها إلى قومه وينظم بها شئون حياتهم فى الدنيا والآخرة (على مدى أربعين ليلة حيث نزلت التوراة كلها فى تلك الليالى) :

* ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان (التوراة) وضياءً وذكراً للمتقين * الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (145) .

- وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر **فتم ميقات ربه أربعين ليلة** . وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين * ولما جاء موسى لميقاتنا **وكلمه ربه** قال رب أرني أنظر إليك . **قال لن ترانى** . ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً **وخرّ موسى صعقا . فلما أفاق** قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين * قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من **الشاكرين * وكتبنا له فى الألواح من كل شىءٍ موعظةً وتفصيلاً لكل شىءٍ** . فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها (وكلها حسن) سأوريكم دار الفاسقين * **سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق . وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها . وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل**

الغي يتخذوه سبيلا . ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم . هـــل يجـــزون إلا ماكـــانوا يعملون[146] .

ولنا ملاحظات بتدبّر الآيات السابقة :

- ميقات موسى (عليه السلام) مع الله **أربعين ليلة تلقى فيهــا التوراة كاملــة** (القرآن نزل متفرقا على مدار ثلاثة وعشرين عاما).
- استخلف موسى (عليه السلام) أخاه هارون (عليه السلام) فـــى قومـــه وأوصـــاه بالصلاح وعدم اتباع أهواء المفسدين المغرضين من قومه .
- **طلب موسى (عليه السلام) رؤية الله تعالى** هو طلب حب وخشـــية وتبتـــل وشوق لا رؤية تيقن من وجوده جل شأنه ولا رؤية اطلاع علـــى شـــكله ومعاينة كنهه حاشالله :

*ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[147].

وكان طلب موسى الرؤية كطلب ابراهيم عليه السلام من الله أن يريه كيفية إحيـــاء الموتى :

* وإذْ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى . قال أوَلم تؤمن قـــال بلـــى ولكن ليطمئن قلبى[148] .

- تجلي رب العزة للجبل جعله دكاً (متفتتا) برهانٌ ودليلٌ على أن قـــدرة الجبل (مقارنة بقدرة الانسان) لا تتحمل التجلي . فمـــا بـــال الإنســـان الأضعف فى تلك الحالة :

***وخُلِق الإنسان ضعيفا**[149] .

* **لاتدركه الأبصار** (سبحانه) وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير(150)

- **صَعْق موسى (عليه السلام) ليس إماتة لأن بعد الإماتة بَعْث أما بعد الصَعق (خرّمغشياً عليه) إفاقة .**

- ماجاء فى الألواح المنزلة هو موعظة وتفصيل كل شىء. أى تفصيل الأوامر والنواهى وأحكام الشريعة والوصايا (الوصايا العشر) **وهى ألواح لم يكتبها موسى وإنما بلغته مكتوبة بلغة قومه أنزلها الله عليه** . وخامة هذه الألواح وعددها لا يغير فى الأمر - والإيمان بها - شىء . سواء كانت هذه الألواح من الحجر أو الاردواز أو البرونز أو غيرها من الخامات والمعادن ولا ينبغى لنا التقعر فى استشفاف كنه تلك الألواح والمادة المصنوعة منها ونوع الحبر المستخدم ومن أين أتت . وهل كانت الكتابة بالحفر الغائر أم البارز أم بالمداد وما لون ذلك المداد .. الخ . كل ذلك تنطع لا يجوز ولا ينبغى لمؤمن المجادلة فيه بل الإيمان والتصديق .

- حذرهم الله جل شأنه فى الألواح أن الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق والذين لايؤمنون بآيات الله والذين يُعرضون عن سبيل الرشاد ويتمسكون بالغيِ والضلال والفساد كطريق لهم ومنهاج لحياتهم . فإن فعلوا كانوا من الغافلين عن الهداية والرشد والفلاح . وكانوا من المكذبين الذين سيحبط الله أعمالهم حتى ولو كانت صالحة . **فالصلاح في العمل وحده لا يكفى للقبول وإنما الإيمان شرط أصيل لذلك** . ومع إحباط الأعمال يكون الشقاء فى الدنيا والآخرة . ويكون الصَغار والذِلة والطرد من رحمة الله ونزع المهابة والمكانة وحط المنزلة وتحقير الشأن واللعنة والغضب من الله :

***إنما يتقبل الله من المتقين**[151] .

➢ **تشير الآيات إلى لقاء الآخرة والحساب بعد البعث والنشور وفى العهد القديم الذى بين أيدينا الآن لا نجد إشارات إلى القيامة ولا إلى الحساب بعدما حذفها الوضّاعون والمؤلّفون** الذين كتبوه بأيديهم . يظنون أنهم تبعاً لما كتبوه فلن يحاسبوا . وهذا محض وهم وافتراء :

* **ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات . وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون**[152].

* فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا . فويل لهم مما كتبت أيديهم . وويل لهم مما يكسبون * **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لاتعلمون**[153] .

عبادة العجل :

فى أثناء غياب موسى (عليه السلام) عن قومه لتلقى الوحى والتوراة ورغم التحذير والنصائح عادت فكرة صناعة وثن يعبده الإسرائيليون إلى الالحاح بشدة فصادفت دعوة السامرى قبولا من القوم . وصنع لهم السامرى عجلا من الذهب (الذي استعارته النساء من أهل مصر) ولكونه حاذقاً فى صناعة الحلى (لعله كان فنانا تشكيليا أوصائغا) فقد صنعه بالحجم الطبيعى وجعله مجوفا من الداخل وله فتحات لدخول الهواء وخروجه حتى إذا تعرض العجل المصنوع لتيار من الهواء (رياح مثلا) يصدر صوتا كخوار الثور الحقيقى (كما يحدث ذلك بالنفخ فى ماسورة معدنية أو عوداً من البوص) فيظن القوم

أن التمثال فيه حياة . وقد أقنعهم السامرى بذلك الصنيع قائلا لهم أن الحلي التى معهم هى أوزار (آثام وتبعات) لأنهم فى حكم اللصوص . فلاهم يستطيعون ردها إلى أهل مصر (خشية أن يقبضوا عليهم ويعذبوهم مرة أخرى) ولا يصح لهم أن يحتفظوا بها بعد نجاتهم من الفرعون وجنوده . ولذلك تخلصوا منها بإلقائها فى النار التى أعدها السامرى لصهر الذهب الحرام (فى كل الأحوال) . ثم تمتم السامرى بكلمات على الذهب المصهور وألقى فيه قبضة من التراب المقدس الذى سار عليه موسى (عليه السلام) المبارك فيهم وكأنما بترديده تلك التعاويذ (التى عرفها من أهل مصر) يطهرهم من ذنوبهم وآثامهم ويطهر أيضا ذلك الذهب من حرمته فيصبح حلالا للاستخدام . ولم يجد السامرى شيئا أفضل - فى تصوره - من تحويل الذهب المنصهر إلى معبود مقدس ليتم التطهير تماما وشكل السامرى الذهب المنصهر على هيئة عجل أبيس الذى يعرفه منذ وجود بنى إسرائيل بمصر (وهو عجل مقدس عند المصريين القدماء) **وأراد بفعلته تلك أن يسلب زعامة هارون (عليه السلام) فى القوم** وأن ينافسه على التودد إلى قومهم الذين مازالوا يميلون إلى الانقياد لمن يسوسهم .

وعند عودة موسى (عليه السلام) من ميقات ربه عاتب هارون على صمته على تلك الفعلة النكراء فدافع هارون (عليه السلام) عن نفسه بأنه خشى حدوث فرقة وشقاق فى بنى إسرائيل فيكون فريق معه وفريق مع السامرى المشعوذ المشرك . ودافع بنى إسرائيل عن أنفسهم بماسبق وقاله لهم السامرى من أن تلك الحلي ماهى إلا أوزار ينبغى التخلص منها . وادعى السامرى - تملصاً من المسئولية - أنه أخذ قبضة مباركة من أديم الأرض التى سار عليها موسى (عليه السلام) ليطهر بها الذهب المسروق ويطهر بها قومه . وكان عقاب موسى

للسامرى هو العزل فلا يكلم أحداً ولا أحد يكلمه حتى يموت . أما العجل الذهبى فيكون مصيره إعادة صهره وحرقه وإلقائه فى البحر .

وبعد تنفيذ ماقرره موسى (عليه السلام) قال لقومه :

***إنما إلهكم الذى لا إله إلا هو . وسع كل شىءٍ علما**[154] .

ويقص رب العزة تلك الواقعة فيقول جل شأنه :

*واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار . ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا (كمعبود) . اتخذوه وكانوا ظالمين * ولما سُقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين * ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا (حزينا بعدما أعلمه الله بما حدث من قومه) قال بئسما خلفتمونى من بعدى . أعجلتم أمر ربكم . وألقى الألواح (حسرةُ وغضباً لما حدث) وأخذ برأس أخيه يجره إليه . قال (هارون) ابن أم (أخى) **إن القوم استضعفونى** وكادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين * قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين * **إن الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضبٌ من ربهم وذِلّة فى الحياة الدنيا . وكذلك نجزى المفترين** * والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا . إن ربك من بعدها لغفور رحيم * ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون[155] .

*وما أعجلك عن قومك يا موسى (كان الميقات ثلاثين ليلة أضيف إليها عشر أخرى فتعجل موسى العودة بعدما علم بعبادة قومه للعجل) * قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى * قال فإنا قد فتنا (ابتلينا) قومك

من بعدك وأضلهم السامرى * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا . قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد (الزمان) أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى (بعدم الثبات على الهداية) * قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلْكِنا (غصبا عنا) ولكنّا حُمِّلنا أوزاراً من زينة القوم (الحلي المستعارة) فقذفناها فكذلك ألقى السامرى (مثلنا) * فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار (عجلا مجسداً من الذهب له صوت كالبقر) فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي (نسوا عهدهم مع موسى ومع الله بعدم الشرك) * أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا (بعكس الإله الحق) * ولقد قال لهم هارون من قبل (قبل صنع العجل) ياقوم إنما فُتنتم به (بالسامرى) وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى * قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا * ألا تتبعن أفعصيت أمري * قال يابن أمّ (يا أخي) لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . إنى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولي * قال فما خطبك (ما موضوعك وحجتك) يا سامري * قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضةً من أثر الرسول (موسى) فنبذتها (ألقيتها في الذهب المنصهر) وكذلك سولت لى نفسى * قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لامساس (منبوذ لا يتعامل معك أحد) وإن لك موعداً لن تُخْلَفَه (في الآخرة) . وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً (مصرّاً ومتعبّداً) لنحرقنّه ثم لننسفنّه في اليمِ نسفا * إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو . وسع كل شيءٍ علما[156] .

وهكذا أنهى موسى قضية العجل الذهبي بصهره مرة أخرى وإلقائه فى البحر . فغيّر ما بقومه قولا وفعلا دون إبطاء أو تهاون وكان غضبه لله ولنصرة دين الله .

الميقات - القرية - السبت :

* واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا . فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي . أتهلكنا بما فعل السفهاء منا . إنْ هي إلا فتنتك (ابتلاءك) تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين * واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنّا هُدْنا إليه . قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسِعَتْ كل شيء . فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآيتنا يؤمنون[157].

وكان هذا الميقات لإعلان توبتهم بعد حادثة العجل وطلب المغفرة لبنى إسرائيل مما وقعوا فيه من الكفر والمعصية . وأنه تكفيراً لذلك أمرهم الله أن يقتل المطيع والتقى منهم المسيء الذى عصى الله وعبد العجل :

* وإذْ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون * وإذْ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون * وإذْ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم** . ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم . إنه هو التواب الرحيم * **وإذْ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون**[158].

وقد قتل التقاة العاصين منهم فتاب الله عليهم . ثم كان اختيار السبعين من شيوخهم وخيرتهم . ولكن هؤلاء الأكثر تقىً تشككوا فيما أبلغهم به موسى عن رب العزة بالمغفرة وبما جاء فى التوراة . فطلبوا منه رؤية الله جهرة رأى العين حتى يؤمنوا إيمانا قويا لا شبهة فيه فأخذتهم الصاعقة والرجفة

فصاروا موتى . ورغبتهم تلك ليست كرغبة موسى (عليه السلام) حين طلبوا رؤية الله تعالى **لأنهم قرنوا إيمانهم وتصديقهم برؤية الله تعالى جهرة** . فلماصعقوا وماتوا توسل موسى (عليه السلام) إلى الله تعالى ودعاه أن يكشف غضبه عن القوم حتى لا يُقال أن موسى قد ساق خيرة قومه إلى حتفهم وأنه يتخلص من شعبه واحداً تلو الآخر . فبعثهم الله من بعد موتهم لعلهم يشكرون ويحمدون الله ويصدقون بموسى كرسول ونبى يبلغهم عن رب العزة وأن ما جاء به هو الرسالة والتشريع من لدن الخالق الأحد الذى بيّن لهم أنه يمنح رحمته ويهبها لمن اتقاه وخشيه وآمن به وأنفق من ماله طُهْرةً وزكاةً لمن يستحق من الفقراء والمساكين وغيرهم .

ثم تجيء الاشارة والبشارة بخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وسلم) :

* واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنةً وفى الآخرة إنا هُدنَاإليك . قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء . فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . **والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبى الأمى (محمد (صلى الله عليه وسلم)) الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة** (شريعة موسى) **والإنجيل** (شريعة عيسى) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . ويضع عنهم إصْرَهم (عهدهم بالعمل بما فى التوراة) والأغلال التى كانت عليهم (التكاليف الشاقة فى التوراة) . فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه (القرآن) أولئك هم المفلحون(159) .

وبعث الله القوم الموتى (السبعين رجلا) وبيَن أن هناك من قوم موسى من يأتمر بالحق ويتمسك بالعدل فيما بينهم :

* ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون[160] .

وأمر الله الإسرائيليين أن يسكنوا إحدى القـــرى ويدخلوهـا ســاجدين شاكرين لله على نعمائه عليهم بإحيائهم من الرجفة والتوبة عليهم بعد اتخـاذهم العجل إلهاً يتعبدونه فى غيبة موسى (عليه السلام) وبعد نعمته عليهم بتفجير عيـون الماء لكل سِبْط (قبيلة) منهم عيناً تخصه حتى لا يتزاحموا أو يتقاتلوا فيمـا بينهم . وأنزل عليهم المنْ والسلوى وأظلهم بالغمام (السحاب) فى نهار سـيناء الحار والمشمس ونجاهم من قبل من فرعون وملئه . بعد كل هذه النعم أمرهم بدخول القرية متواضعين ومستغفرين سُجّداً واتخاذها سكناً ومقاماً :

*وإذْ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً **وادخلوا الباب سُجّداً** وقولوا **حِطّةٌ** (أى حُطّتْ **خطايانا**) **نغفر** لكم خطاياكم . وسنزيد المحسـنين * **فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم** فأنزلنا على الذين ظلمـوا رجزاً (عذابا) من السماء بما كانوا يفسقون[161] .

فكان العذاب هو جزاء الذين استهزأوا بكلام الله وأوامره وبدلوا وحرفوا الكلمات التي لقّنها لهم ليقولوها عند دخول تلك القرية . وبعدما سـكنوا تلـك القرية الساحلية عاد فريق منهم إلى الاعتداء على حرمات الله رغم أنهم هـم الذين طلبوا من الله أن يجعل لهم يوما للعبادة يتفرغون فيه من مشاغل الدنيا . وكان هذا اليوم هو **يوم السبت** من كل أسبوع:

* وَسْئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر (قرية ساحلية) إذ يَعْدون فـى السبت (يعتدون بالصيد المحرم فى يوم السبت) إذْ تأتيهم حيتانهم يوم سـبتهم (يوم العبادة) شُرّعاً (ظاهرة وكثيرة) ويوم لايسبتون (خلاف أيام السـبت) لاتأتيهم . كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون * وإذْ قالت أمةٌ منهم لِمَ تعظون قوما

الله مهلكهم أو معذبهم عَذابا شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون * فلما نسوا ما ذُكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئيسٍ (شديد) بما كانوا يفسقون * فلما عتوا عن ما نُهوا عنه (تحايلوا وعصوا) قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين (أذلاء منبوذين)[162] .

وكان بنو إسرائيل قد طلبوا من موسى (عليه السلام) أن يجعل الله لهم يوما للراحة كل أسبوع يتخذونه للعبادة والاستغفار والتبتل إلى الله ولا يشتغلون فيه بشئون المعاش وأمور الدنيا . فجعل الله لهم يوم السبت من كل أسبوع واشترط عليهم في يوم السبت ألا يمارسوا الصيد وإنما مسموح لهم بالصيد طوال أيام الأسبوع وأخذ عليهم الميثاق فى ذلك.ثم ابتلاهم الله واختبرهم فجعل الأسماك تتقافز أمامهم وتصعد إلى سطح الماء بكثرة فى أيام السبت أما باقى أيام الاسبوع فهى لا تفعل ذلك بل يقل ظهورها وعددها.وفكر شياطينهم فى حيلة متظاهرين أنهم لا يخالفون ميثاق الله معهم ولا يعصونه . فكانوا يوم السبت يقيمون الحواجز في البحر ويضعون الشباك ولا يسحبونها إلا في اليوم التالي (الأحد) مدعين أنهم بذلك غير آثمين لأنهم لم يصطادوا الأسماك ويسحبونها خارج المياه إلا فى يوم الأحد.وقالت الجماعة الواعية (التقاة) منهم أن ذلك يغضب الرب ويستوجب نقمته عليهم لأن في ذلك تحايل واضح على تعاليم الرب . ومضى فريق ثالث (الفريق الثاني هم العصاة) يعاتب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (التقاة) ليتركوهم وشأنهم لله إن شاء الله عذبهم أو عفا عنهم خصوصا وأن أولئك العاصين لا يرتدعون ولا يستجيبون للنصح.ثم وجهوا نصحهم للجماعة الأولى (التقاة) بأنهم قد أدوا واجبهم من النصح مرة فلا داعي للتكرار لأنه لن يجدي مادام الفريق العاصي لا يستجيب لهم وانقسمت الأمة إلى ثلاث فرق :

1-متحايلون على شرع الله وميثاقه(عصاة) .

2-آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر (التقاة) .
3-متفيقهون ومتحذلقون (منافقون) .

وجاء حكم الله العادل على كل طائفة منهم :

1-العصاة : حل بهم العذاب الشديد (البئيس) وَأصبحوا كالقردة في تصرفاتهم وتفكيرهم مُبعَدين عن باقي الأمة ومنبوذين ومطرودين من رحمة الله .

2-التقاة : كُتبت لهم النجاة من عذاب الله الذي حل بأهل هذه القرية .

3-المنافقون : شملهم العذاب لكونهم متعاطفين مع العصاة . ولم يذكرهم القرآن تبكيتا لهم . حيث لم ينج إلا التقاة .

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين[163] .

وأصبح المسخ على هيئة القردة والخنازير تصرفا وطباعا عقوبة كل عاص من بنى إسرائيل وذلك ليتعظوا ويعتبر الملتزمون التقاة .

نتق الجبل:

* وإذ نتقنا الجبل (رفعناه) فوقهم كأنه ظُلّةٌ (سقف أو سحاب) وظنوا أنه واقع بهم . خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون[164] .

* وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا **فوقكم الطور** (جبل الطور) خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون * ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين[165] .

وكان رفع جبل الطور فوق رءوسهم حقيقة لا مجازاً وتهديداً بالـــهلاك والافناء لهذا الشعب المتحايل والمتخاذل والناكث لعهود الله ومواثيقه . ولأنـــه سبحانه يعلم طباع خلقه والذين جبلوا على النكوص والخذلان والغِلْظَة فرفـــع جل شأنه فوقهم جبل الطور ليعلموا أنه سبحانه قادر على تنفيذ وعيده لهم كما يهبهم وعوده وفضله إذا ما أطاعوه واتقوه :

* يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم . **وأوفـــوا بعـــهدى أوفِ بعهدكم وإياى فارهبون**[166] .

قصة البقرة :

* وإذْ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . قالوا أتتخذنا هـزوا . قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين * قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ماهي.قـــال إنه يقول إنها بقرةٌ لا فارضٌ (المسنة العجوز) ولا بكرٌ (فتيّه) عوانٌ بيـــن ذلك (متوسطة العمر) . **فافعلوا ما تؤمرون** * قالوا ادع لنا ربك يبين مـــا لونها . قال إنه يقول (سبحانه) إنها بقرةٌ صفراءَ فاقعٌ لونها تسر النـاظرين * قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي . إن البقر تشابه علينــــا وإنّــا إنْ شـــاء الله لمهتدون * قال إنه (سبحانه) يقول إنها بقرةٌ لاذلولٌ (ليست سهلة الانقياد) تثير الأرض (لا تعمل فى حرث الأرض) ولا تسقى الحرث (ولا تســتعمل فى رى الحقول) مسلّمة لا شِيَة فيها (غير معيبة ولا علامة فيها من لـــون آخر) . قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وماكادوا يفعلون * وإذْ قتلتـــم نفســا فادّارأتم فيها (تخاصمتم فيها) والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون * فقلنا اضربـــوا ببعضها (بجزء من البقرة المذبوحة) . **كذلك يحيى الله الموتـــى . ويريكـــم آياته لعلكم تعقلون**[167] .

فى هذه الآيات الكريمة نجد صفة غالبة من صفات بنى إسرائيل وهى المماحكة والتلكؤ فى الاستجابة للتكاليف وتلمس الحجج والمعاذير للهروب من الالتزام والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وغلظته وسلاطة اللسان . فعندما أمرهم موسى (عليه السلام) بذبح بقرة امتثالا لأمر الله فكان ردهم بسفاهة وسـوء أدب مع نبيهم وقائدهم وزعيمهم اتهاماً له بأنه يهزأ بهم ويلهو معـهم بطلبـه هـذا . وعليه فلا استجابة إلا بعد التأكد من أن ذلك الأمر هو من عند الله لا من عند موسى (عليه السلام) . ولما أجابهم وطمأنهم أنه لا يهزأ بـهم وأن الأمـر الإلهى يستوجب الطاعة والامتثال (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) عـادوا للمماطلة والمماحكة فطلبوا منه أن يسأل الله ربه (ولم يقولوا ربنـا) عـن أوصاف البقرة (ماهى) فبين باختصار أنها بقرة متوسطة العمر وأن عليـهم الطاعة والتنفيذ (فافعلوا ما تؤمرون) ولما كانوا بطبعـهم قـوم خصمـون يحبون الجدال والمراء والمحاجة طلبوا منه المزيد من الأوصاف (مالونـها) فأجابهم بأن الله بين أنها صفراء تسر الناظرين إليها . وضيقوا بذلـك علـى أنفسهم . ولكنهم عادوا للتنطع والتقعر بأن تلك الأوصاف غير كافية فليأتـهم بأوصاف أكثر دقة لا تحتمل اللبس لأن البقر - فى نظرهم - متشابه . وجاءهم الجواب بأن الله يشترط أن تكون بقرة لا تعمل فى حرث الأرض أو سـقايتها ولونها شديد الصفرة ليس فيه علامة من أى لون آخر هنا فقط - لما أسـقط فى أيديهم - أجابوا أنك يا موسى قد جئت الآن بالحق (وكأن ما سـبق مـن الأوصاف ليس بحق أو يقين) فبحثوا عـن بقـرة تتوافـر فيـها تلـك الصفـات(**فذبحوها وما كادوا يفعلون**) وهنا كشف موسى (عليه السلام) عـن الغرض من ذلك الأمر بأن أخذ قطعة من البقرة المذبوحة وضربوا بها قتيـلاً منهم (اختلفوا فى قاتله) فأحيا الله القتيل ليخبرهم بقاتلـه ليتم القصـاص وتبطـل الاتهامات المتبادلة والشكوك وليرى القوم بأعينهـم كيف يحـي

الله الموتى لعلهم يعقلون ويقدرون قدرة الخالق العظيم . ويقال أنهم بتشـــددهم في موضوع البقرة تلك شدد الله عليهم فلم يجدوا تلك الأوصاف إلا في بقـــرة عند رجل منهم أبى أن يعطيهم إياها بالثمن المعروض فيها فزادوا الثمن حتى بلغ سعرها عدة أضعاف وزنها ذهبا (عشرة أضعاف) (168) . ولا يغيب عن فطنة المؤمن العاقل أن الله سبحانه وتعالى قادر علـــى إحيـــاء الموتـــى دون وسيـــــلة أو سبب (ضرب القتيل بجزء من البقرة المذبوحة) ولكنه الأمـــر الإلهي الذي يميز به الخبيث من الطيب والطائع من العاصي وكان الله يشـــدد عليهم في الصفات كلما تلكأوا وتمردوا على الامتثال والطاعة كعادتهم دائمـــا حتى أن الله تعالى طبع على قلوبهم بالقساوة وكأنها كالحجارة أو أشد قسوة :

***ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشـــد قســوة** ، وإنّ مـــن الحجارة لما يتفجر منه الماء (عيون موسى الإثنى عشر) وإن منها لما يشقّق فيخرج منه الماء (العيون المعدنية وغيرها) وإن منها لما يهبط من خشية الله (الجبل الذي اندك عندما تجلى رب العزة له) . ومـــا الله بغافـــــلٍ عمـــا تعملون (169)

قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح :

*وإذْ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحـــــــــــــــرين (ملتقـــى النهر والبحر) أو أمضي حُقُبا * فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتـــهما فـــاتخذ سبيله في البحر سَربا (مسلكا ومنفذا) * فلما جاوزا (المكان) قال لفتاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هٰذا نَصَبا (تعباً وإعياءً) * قال أرأيـــت إذْ أوينـــا (التجأنا) إلى الصخرة فإني نسيت الحوت (السمكة) ومـــا أنســا نيــه إلا الشيطان أنّ أذكره . واتخذ سبيله في البحر عجبا * قال ذلك مـــا كنـــا نبـــغِ

(العلامة التي ننتظرها) . فارتدا على آثارهما قصصا (يقصان آثارهما) * فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا عِلْما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنِ مما عُلّمت رُشْدا (صوابا) * قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبْرا (علما ومعرفة) * قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمرا * قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أُحْدِث لك منه ذِكْرًا * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها . لقد جئت شيئا إمرا (منكرا) * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معيَ صبرا * قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمرى عُسْرًا (مشقة) * **فانطلقا** حتى إذا لقيا غلاما **فقتله** . قال أقتلت نفساً زكيةً بغير نفس لقد جئت شيئا نُكْرًا (فظيعا) * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معيَ صبرا * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدني عذرا (استنفذت الأعذار) * **فانطلقا** حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما (يطعموهما) فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ (يتهدم) فأقامه . قال لو شئت لتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بينى وبينك . سأنبئك بتأويل (تفسير) مالم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (يصادرها) * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنَين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (رشدهما) ويستخرجا كنزهما **رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى** ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبراً (170) .

ولنا ملاحظات على هذه القصة :

- **مجمع البحرين** أراه ملتقى نهر ببحر (مصب النهر في البحـــر) ولا يوجد لذلك سوى ثلاث أمـــاكن مقترحـــة . الأول فـــى شـــمال ســـيناء ، وهـــــو موضع التقاء فرع النيـــل القديـــم البليـــوزى بالبحـــــــر المتوســـط (بالقرب من العريش) والموضع الثانى هو موضع التقاء أحد فروع النيـــــل القديمة (متفرع بالقرب من بابليون أو عيـــن شـــمس الحالية) بالبحيرات المرة ماراً بتل المسخوطة . والموضع الثـــالث عنـــد التقاء فرع النيل القديم بشمال خليج السويس (غرب عيـــون موســـى) . والموضع الثالث هو المرجح لقربه من مكان إقامـــة موســـى (شـــــرق الخليج) وقومه بسيناء (حول جبل الطور) .

- اسم **العبد الصالح** لايهم هل هو الخِضْر أم غيره . هل هـــو نبـــى أو رجـــل ذو كرامات (كما يقال) أو .. الخ . إن ما يـــهمنا هـــو الحـــدث والعبرة المستخلصة منه .

- الأرجح أن السمكة (الحوت) التى اصطحبها موســـى (عليه السلام) معـــه كانت معدة وجاهزة للأكل (مشوية أو مملحة) وأن إحياءهـــا واتخاذهـــا سبيلا إلى البحر كان آية من آيات الله لموسى عليه السلام وعلامة يعرف بـــها موسى (عليه السلام) أنه سيجد العبد الصالح عندها (عند الصخرة).

- لما جاوز موسى وفتاه المكان (بعد تسرب السمكة إلى البحـــر دون أن يدرى بأمرها) وطال به الزمن أراد أن يتأكد من وجود السمكة بالسلة من عدمها فطلب الغداء من فتاه (لايهم أهو يوشع بن نون أم غيره) .

- اصطحب موسى (عليه السلام) العبد الصالح وحده وترك فتاه الذى لم يصحبهما في رحلتهما (قال جل شأنه فانطلقا ، ركبا ، لقيا ، أتيا .. وهى كلمات تدل على المثنى لا الجمع ولو كان معهما الفتى لكانت الكلمات على النحو التالي : فانطلقوا ، ركبوا ، لقوا ، أتوا .. الخ) .

- لا أرى فيما رُوى عن موسى (عليه السلام) والعبد الصالح من قصص مملوءة بالإسرائيليات والخرافات مجالاً للتصديق أو إعادة ترديدها فيكفينا ما جاء في النص القرآني الواضح فهو الأحق بالتصديق والاعتماد عليه .

- جاء لفظ وصفة (عبداً من عبادنا) أنه **عبد صالح** تقى نسبه الله تعالى لذاته العليه لكونه صالحاً ومؤمناً وتقياً . وهذا العبد الصالح آتاه الله رحمة من عنده وعلمه علماً فيه حكمة وصبر وتواضع لله **وتصرفاته كانت وحياً من الله له وإلهاما** (مثل وحى الله لأم موسى ووحى الله للنحل) .

- **لايوجد هناك ما يسمى بالعلم اللادني كما يدعى البعض ويروج له . فكلمة (لَدُن) تعنى لدى أو من عند** . ولوكان هناك مايدعيه البعض من اختصاص الله لبعض خلقه بذلك العلم **لكان الأنبياء والرسل هم الأولى بذلك** . لأن ذلك العلم - فى عُرْفهم - علم بالغيب والمستقبل من الأحداث .

والله جل شأنه نفى عن خاتم المرسلين (صلى الله عليه وسلم) أنه يعلم الغيب أو يدرى ماسوف يحدث :

* قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله . **ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء . إنْ أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون** [171].

وإذا كان ما يدعيه البعض من وجود ذلك العلم (العلم اللادنّى) لكــان هناك أيضـا ما يسمى (العذر اللادنى) ورائـده فى ذلك موسى (عليه السلام) (قد بلغت من لدنّي عذرا)[172] . ولكان يحيى (عليه السلام) نتــاج (الانجــاب اللادنى)[173] و (الحنان اللادنى)[174] ولكان هنــاك أيضـا (الـــرزق اللادنى)[175] و (الأجر اللادنى)[176] و (النذير اللادنى) [177] . ولكــان النبي ﷺ رائداً (للذكر اللادنى)[178] وهكذا .. **وكلمة (لَدُنْ) ظرف مكان أو زمان** مبنى على السكون وإذا اتصلت به ياء المتكلم فصلت بينهما نــون تُدْغم فيها نون لدن فتصبح (لدنّي) ويُجرّ بمن فقط (من لــدن) وقـد تضاف الكلمة إلى اسم ظاهر[179] أو إلى ضمير المفرد المخاطب[180] . أو إلى ضمير المتكلمين[181] . أو إلى ضمير المفرد الغائب [182]. أو إلى يـاء المتكلم[183] .

- القصة فى سياقها تبين أن هناك أمراً إلهياً لموسى (عليه السلام) بالذهاب إلى ذلك المكان ليلتقى بذلك العبد الصالح وليسمع منه وليتعلم عنه وأن يكـون صبوراً على كل ما يشاهده ويسمعه فلا يسأل عـن شـىء حتـى يأتيـه الجـواب فيما بعد.وكما نعلم فإن موسـى (عليه السلام) مـن بنـي إسـرائيل اصطفاه الله بالنبوة والرسالة.والطبيعة البشرية الغالبة لهذا الشعب أنه كثير المراء والمجادلة وكل أمر يأتيه يطلب تفسيراً وتوضيحاً قبل الأخذ به أو اتباعه.وموسى(عليه السلام) له بعض تلك الصفــات فــهو سـريع الانفعــال **والاندفــاع** (قتله للمصري المتعارك مع الإسرائيلي - إلقاؤه ألواح التوراة لما وجد قومه يعبدون العجل الذهبي الذي صنعه لهم الســامرى - جذبــه لهارون (عليه السلام) من شعره ولحيته أثناء عتابه له فى تلك الواقعة - قصــة

البقرة - دعاؤه على قومه بالتيه كما سيأتى بعد قليل) . والله جل شأنه أراد بحكمته فى هذه المرحلة أن **يدرب موسى** (عليه السلام) **على المزيد من الصبر والتخلى عن الاندفاع فى شتى الأمور لأنه بالنسبة لبنى إسرائيل هو النبي والرسول والقدوة والإمام** . فكما يلومهم على كثرة أسئلتهم وفظاظتهم (ادع لنا ربك)وتسرعهم وعدم صبرهم فعليه أن يوطن نفسه على التريث والصبر الجميل وعدم الاندفاع والحمية . وعليه أن يرتقى ويسمو بنفسه إلى مكانة أرادها الله تعالى له . ورغم هذا لم يتخل موسى (عليه السلام) عن تلك الطبيعة التي تلازمه . فكان سريع الانفعال مع كل أمر يأتى به العبد الصالح (أخرقتها لتغرق أهلها.لقد جئت شيئا إمرا - أقتلت نفساً زكية بغير نفس . لقد جئت شيئا نُكْرا - لو شئت لتخذت عليه أجراً).رغم أن العبد الصالح قد حذره ونبهه قبل بداية الرحلة العجيبة بأنه لن يستطيع الصبر معه.**واللفظ (لن) يفيد القطع والجزم** بأنه لن يستطيع الصبر على ما سوف يراه ويعاينه (ولم يقل له مثلا إنك لا تستطيع معي صبرا) وأكد العبد الصالح كلامه بثلاث طرق (إنك لن تستطيع معي صبرا) & (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبْرا) & (فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحْدِث لك منه ذكرا) .

ولما سار الاثنان وأتى العبد الصالح بأول تصرف وهو خرق السفينة اندفع موسى منكراً عليه ما فعل (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) ولما ذكره العبد الصالح ، قال له موسى (عليه السلام) (لاتؤاخذنى بما نسيت) . وعندما قتل العبد الصالح الغلام اشتد غضب موسى (عليه السلام) كعادته (أقتلت نفساً زكية بغير نفس . لقد جئت شيئا نُكْرا) ولما عاتبه العبد الصالح بدرجة أشد مما كان فى المرة الأولى (ألم أقل لك) تذكر موسى (عليه السلام) شروط

الصحبة والرحلة فأبدى أسفه واعتذاره للمرة الأخيرة (إن سألتك عن شـــيء بعدها فلا تصاحبني) لأنه استنفذ جميع الأعذار التي تذرع بها في كل مـرة . **إذن فهي رحلة تدريب وتعليم وتهذيب تليق بالأنبياء والمرسـلين** . وتليـق بمكانة موسى (عليه السلام) أحد أولى العزم من الرسل وكان اختيار الله سـبحانه للعبد الصالح لما يتمتع به من التقوى والصلاح والعلم والرحمة والتأدب فـي الحديث وتنفيذ ما يوحى إليه من ربـه حرفيـاً فـلا يجـور أو يتمـادى ولا يستعرض مِنّة الله عليه فيتكبر على موسى (عليه السلام) أو يتعالى ويتفاخر عليـه بما أوتى من قِبَل الله تعالى.

- كل الأمور العجيبة التي فعلها العبد الصالح فسـرها لموسـى (عليه السلام) بعدما تعذرت المصاحبة أكثر من ذلك (هذا فراق بيني وبينك) .

وبعد تفسيرها لم يقل لموسى (صلى الله عليه وسلم) هاأنذا أعلم منك أو أنك لا تصلـح لأن تكون قائداً وقدوة لشعبك أو أنا الأحق منك بالنبوة والرسالة . ولم يبكته أو يتفاخر عليه أو يزدريه فيقلل من شأنه . لم يحدث ذلك مطلقا وإنما قال له :

* **وما فعلته عن أمري**[184] .

أى أن الأفعال كلها لم يفعلها من تلقاء نفسه (ادعاءً للمفـاخرة علـى موسى (عليه السلام) أو على هواه ورغبته (فيتمادى العبد بإتيان أشياء أخرى لم توحَ إليه) وإنما كان الأمر كله واعترافه بذلك أنه كان وحيا وإلهاما من قِبَـل الله العليم الخبير عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو . وكان دور العبد الصـالح لا يتعد تنفيذ أوامر الله التي بلغته . افعل كذا ففعل نفس الأمر بحذافيره ولم يـزد عليه أو ينقص منه . ولأنه كان عبداً لله فقد صدق القول والفعل ونسب العلـم والغيب لله وحده (وما فعلته عن أمري) عالم الغيب والشهادة .

الوصايا العشر :

هي الوصايا التي نزلت على موسى (عليه السلام) في التوراة **وهى ليست كل التوراة المنزلة** وهى تشتمل على التوحيد (العقيدة) والعبادات والمعاملات . وقد وردت فى العهد القديم كما يلى :

* لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا .لأن الرب لا يبرى من نطقه باسمه باطلا . أذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب إلهك . لا تصنع عملا ما أنت وإبنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك . لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح فى اليوم السابع (*) لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه . أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل . لاتزن . لا تسرق . لا تشهد على قريبك شهادة زور .لا تشته بيت قريبك . لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا أَمَته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا لقريبك[185] .

أى أن تلك الوصايا العشر هى :

1) احفظ السبت (بالعبادة).
2) لا يكن لك إلها آخر أو تقسم به باطلا.(عقيدة وتوحيد).
3) بر الوالدين . (معاملات) .
4) لا تقتل .(حدود).
5) لاتزن .

(*) هذا افتراء وبهتان لا يجوز فى حق الخالق قيوم السماوات والأرض الذى لا تأخذه سنة ولا نوم أى لا يستريح ولا ينام.

6) لا تسرق .

7) لا تشهد بالزور .

8) لا تشتهِ مُلْك غيرك (لا تحسد أو تحقد).

9) لا تتعامل بالربا .

10) لا تأخذه رِشْوَة .

* إن أقرضت فضة لشعبي الذي عندك فلا تكن له كالمرابي لا تضعوا عليه ربا . إن ارتهنت ثوب صاحبك فإلى غروب الشمس ترده له . لأنه وحده غطاؤه . هو ثوبه لجلده . في ماذا ينام[186] .

*ولا تأخذ رِشْوَة . لأن الرِشْوَة تُعمي المبصرين وتعوج كلام الأبرار[187] .

أي تحريم الربا من اليهودي فقط والأجنبي مباح للتعامل بالربا معه . وفي القرآن الكريم جاء ذكر تلك الوصايا وغيرها . فهي وصايا لعباد الله الذين يبتغون مرضاته ورضوانه في كل زمان ومكان :

* قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ (فقر) نحن نرزقكم وإياهم . ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط . لا نكلف نفساً إلا وسعها . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا . ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم ربكم عن سبيله : ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون[188] .

*لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا * وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالو الدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لـهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونـوا صالحين فإنه كان للأوّابين غفورا * وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا * ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك (كناية عن البخل) ولا تبسطها كل البسط (كناية عن التبذير) فتقعد ملوماً محسورا * إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . إنه كان بعباده خبيراً بصيرا * ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاقٍ (فقر) نحن نرزقهم وإياكم . إن قَتْلهم كان خِطْئاً كبيرا * ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلا * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا * وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم . ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا * ولا تَقْفُ (تتبع) ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا * ولا تمشِ فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا * كل ذلك كان سيئهُ عند ربك مكروها[189] .

وجاهة موسى (عليه السلام) :

***يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها[190] .**

*وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . والله لا يهدى القوم الفاسقين[191] .

فى الآية الأولى (من سورة الأحزاب) نجد أن هناك أناسا من قوم موسى (عليه السلام) قد تقولوا عليه (فبرأه الله مما قالوا) وآذوه بالعمل بعد القول وفى الآية الثانية (من سورة الصف) عاتب موسى قومه (لم تؤذونني) رغم علمهم أنه رسول الله إليهم . (قد.هنا تعنى التوكيد وليس الاحتمال)ومن الآيتين نخلص أن هناك إيذاء وقع على موسى (عليه السلام) بالقول والفعل. وهذا الإيذاء قد بينه الله تعالى في القرآن الكريم في آيات أخرى متفرقة في سور القرآن المختلفة . وقع إيذاء من قومه (كلهم أو بعضهم) عليه وهو منقذهم من فرعون وملئه . ورسولهم وقائدهم ومعلمهم . وكان الإيذاء متعدد الألوان والصور . وجهاد موسى (عليه السلام) في تقويم اعوجاجهم جهاد مضنٍ عسير وطويل وشاق . وقد برأه الله ونجاه من إيذائهم له فى كل مرة :

ومن صور هذا الإيذاء :

١ ـ قال عليه قارون أنه ساحر وكذاب . وقارون من قوم موسى كما نعلم :

* ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب[192] .

2–قالوا له عندما طلب منهم الصبر والاستعانة بالله على أذى فرعون وملئه أنه سبب نكباتهم ومصائبهم :

***قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا (بالرسالة) ومن بعد ما جئتنا (بها)**.[193]

3- **بعد الخروج** من مصر مباشرة والنجاة من فرعون وجيشه طلبوا (**صنماً**) يعبدونه كغيرهم :

*وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم . **قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة**.[194]

4–ما كاد موسى يذهب لميقات ربه على الجبل ليتلقى ألواح التوراة حتى أضلهم السامري بعبادة (**عجل من الذهب**) صنعه لهم من الحلي المستعارة من أهل مصر :

* **واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار** .ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا . اتخذوه وكانوا ظالمين[195] .

*فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا . قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا . أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم **فأخلفتم موعدي** * قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلْكِنا ولكنا حُمِّلنا أوزاراً من زينة القوم (أهل مصر) فقذفناها فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار **فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى**[196]. (نسوا تحذير موسى لهم من الشرك بالله) .

5–تسخطوا على الطعام الشهي المنزل عليهم (**المنّ والسلوى**) وطلبوا من موسى الطعام الذي ألفوه وتعودوا عليه وهم في مصر :

*وإذْ **قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحدٍ فادع لنا ربك** يخرج لنا مما تنبت الأرض من بَقلِها وقِثّائِها وفومِها وعَدَسِها وبَصَلِها . قال أتستبدلون الذي هو أدنى (الطعام الذي طلبتموه) بالذي هو خير (المن والسلوى)[197] .

6-في حادثة القتيل الذي اختلفوا فيمن هو قاتله (**قصة البقرة**) أكثروا من فظاظتهم مع موسى وتعمدوا إيذاءه بكثرة سؤالهم عن أوصاف البقرة المطلوبة :

*وإذْ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . **قالوا أتتخذنا هزوا**[198] .

***قالوا** ادع لنا ربك يبين لنا ما **هي**[199].

***قالوا** ادع لنا ربك يبين لنا **ما لونها**[200].

***قالوا** ادع لنا ربك يبين لنا **ما هى** إن البقر تشابه علينا[201]

وفى نهاية المماطلة والمماحكة والمجادلة ذبحوا البقرة المطلوبة (وما كادوا يفعلون) .

7-طلبوا من موسى (عليه السلام) يوماً أسبوعيا للراحة يتفرغون فيه لعبادة الله . فلما أُجيبوا إلى طلبهم اعتدوا في ذلك اليوم المقدس (**السبت**) بالصيد المحرم .

*وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر **إذْ يعْدُون** (يعتدون بالصيد المحرم فى يوم السبت) **في السبت** إذْ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون[202] .

8- لما طلب منهم موسى (عليه السلام) أن يدخلوا القرية الساحلية ساجدين لله شكراً وحمداً - ولقّنهم كلمات - من الله - يقولونها عند دخولهم فبدلوا القول :

*وإذْ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولــوا حطــة (أى حُطّت خطايانا) **وادخلوا الباب سجداً** نغفر لكم خطيئاتكم . سنزيد المحسـنين * **فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم**[203] .

9- *وإذْ قلتم **ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً** فأخذتكم الصاعقــة وأنتم تنظرون [204]

10- *وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسـمعوا . **قالوا سمعنا وعصينا**[205] .

11- لما طلب منهم موسى (عليه السلام) أن يدخلوا **الأرض المقدسة** التي وعدهـا الله لهم تباطأوا وامتنعوا عن تنفيذ الأمر الإلهي :

* قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين . **وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منـها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون**[206] .

*قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها **فاذهب أنت وربك فقاتلا . إنـا هاهنا قاعدون**[207].

فلما أصروا على عدم مقاتلة الأعداء وتبجحوا علـى موسـى (عليه السلام) وتمردوا على الأمر الإلهي بالجهاد **دعا موسى عليهم بعد ما فاض به الكيـل منهم** رغم أنه كان فى كل مرة يخطئون أو يعصون الله يدعـو الله أن يغفـر لهم :

*قال رب إنى لا أملك إلا نفســي وأخــي . فــافرق **بيننـا وبيـن القـوم الفاسقين**[208] .

فحرم الله عليهم دخول الأرض المقدسة وشتتهم في صحـــراء وجبـــال سيناء أربعين سنة (**التيه**) :

*قال فإنها محرمة عليهم . أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس علـــى القوم الفاسقين[209] .

ثم شتتهم الله بعد ذلك فى شتى بقاع الأرض (الشتات):

* وقطعناهم فى الأرض أمما[210]:

كل هذا الأذى وغيره من التبجح والتعنت في طاعتـــه والتمـــرد علـــى أوامره التي هي من عند الله وسوء أدبهم مع **نبيهم ومع الله والتطاول علـــى الذات الإلهية** وأنهم لن يؤمنوا بموسى ونبوته حتى يـــروا الله جـــهرة . بـــل والتشكيك فى نبوة موسى (عليه السلام) حيث اعتـــبروه قـــائداً سياســـياً وعســـكرياً وأنكروا نبوته التى نسبوها لأخيه هارون (عليه السلام) .

وبعد وفاة موسى (عليه السلام) بدلوا وحرفوا وأضافوا للتوراة ما ليس فيـــها .وكانت تبرئة الله لموسى (عليه السلام) فى كل المواقف أن جعله وجيهاً فى الدنيا ذا جاه وقدر ومنزلة ومكانة وجعله الله أحد أولى العزم من الرسل . وفضله جل شأنه بالكلام المباشر معه :

***وكلم الله موسى تكليما**[211].

*فبرأه الله مما قالوا . وكان عند الله وجيها[212].

*قال ياموسى إنى اصطفيك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين[213].

وجعله مستجاب الدعوة فى كل المواقف التى مر بها فى حياته وأيـــده بالمعجزات الكثيرة (تسع آيات) ضد أعدائه أعـــداء الله وأرســـله بـــالتوراة وصنعه جل شأنه على عينه (أى برعايته سبحانه) .

لانرى أى داعٍ لترديد خرافات عن موسى (عليه السلام) مما ورد فى العـــهد القديم والإسرائيليات التى أشارت إليها وذكرتها بعض التفاســـير وكتـــب الحديث[214] (قالوا إن بنى إسرائيل ادعوا أن موسى به عيب بدنى ولمـــا كان ذات يوم يستحم بالخلاء خلف حجر وضع ثيابه على الحجـــر ولكـــن الحجر جرى بثيابه ليكشف اليهود عورة موسى فيرونه أحسن ما يكـــون مبرأ مما اتهموه به .. الخ) .

وهذه الإسرائيليات لا تليق بنبى من أولى العزم من الرسل وهم (وكل الأنبياء) الذين برأهم الله من النقائص والعيوب لأنهم من المصطفين الأخيـــار . وترديد تلك الخرافات والقصص ما نجنى من ورائها أية فائدة تذكر بـــل هى اساءة لأنبياء الله ورسله.

الأمر بدخول الأرض المقدسة:

*وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكـــم أنبيـــاء وجعلكم ملوكاً (أحراراً عندكم ما يكفيكم لا تحتاجون أحداً) وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين * **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتـــب الله لكـــم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين** * قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبـّارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فـــإذا دخلتمـــوه فـــإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا يا موسى إنا لن ندخلـــها

أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون * قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق (افصل بحكمتك) بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرمة عليهم . أربعين سنة يتيهون في الأرض . فلا تأس على القوم الفاسقين(215) .

ذكّر موسى (عليه السلام) قومه بنعم الله الكثيرة عليهم من نجاتهم من فرعون وملئه . ومن وجود أنبياء بينهم ومن بني جلدتهم (موسى وهارون ومن قبلهم يعقوب ويوسف) وجعلهم أحراراً لا يتسولون معاشهم . وآتاهم من النعم ما لم يؤت أحداً من العالمين (في زمانهم) بنزول التوراة التي تفاخروا بها على الأمم التي كانت تعاصرهم (ومازالوا يدعون إلى عصرنا الحالي أنهم شعب مختار مميز على باقي الأمم) . وبعد بث روح التفضيل بالنعم الكثيرة قال لهم موسى أن الله قد كتب لهم دخول الأرض المقدسة ليكون لهم شأن عظيم إذا فعلوا وأطاعوا . وحذرهم من النكول والارتداد على الأعقاب حتى لا ينالهم الخسران المبين . فقالوا لموسى إن فيها قوما جبارين من الكنعانيين والفلست وغيرهم وأنهم - لخوفهم الشديد منهم - لن يدخلوا تلك الأرض حتى يخرج أولئك القوم منها . أي إنهم اشترطوا على موسى ما لا يمكن تحقيقه أو وقوعه . فهل يخلي الناس - أي أناس - أرضهم ويهجروا مساكنهم وممتلكاتهم طواعية ويفسحوا الطريق لقادمين يرثوها دون مقابل أو عناء أو تضحية وجهاد،شيء لا يقبله المنطق والعقل كان طلبهم ذلك.

وانبرى رجلان منهم أنعم الله عليهما بالسكينة بعد الخوف، والشجاعة بعد الجبن . والقوة بعد الضعف،فقالا إن القوم إذا دخلوا على الأعداء الباب (*) فالغلبة ستكون لهم لأن هذا الوعد من الله القادر العليم .

---

*) كانت المدن قديما لها أسوار وأبواب للحماية من الأعداء تُغلَق وقت الحاجة .

وطلب الرجلان من قومهم أن يتوكلوا على الله إن كانوا حقا مؤمنين كما يعلنون ويشيعون .ولكن القوم عادوا يتعللون ويتباطأون فى تنفيذ الأمر ثم أعلنوها بلا مواربة لموسى (عليه السلام) أنهم لن يدخلوا تلك الأرض أبدا مهما كان فيها من خير ومهما كان هناك وعد من الله بالغلبة والفوز ومهما كانت المغريات . وحجتهم فى ذلك أنهم يخشون قتال الجبارين والحقيقة أنهم يهابون الموت . وتطاولوا على الله خالقهم وعلى موسى نبيهم وقالوا :

*إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون [216] .

ونلاحظ أنهم يقولون دائما (ربك) لا ربهم أو ربنا . وكأنهم من جنس آخر وعالم آخر . يريدون المكاسب والغنائم والخيرات دون أدنى مجهود أو تضحية بالنفس أو المال . يريدونها غنيمة بلا مقابل . وأدرك موسى (عليه السلام) أنهم بذلك التعنت الشديد والتبجح الواضح لن يصلحوا للمهمة التي أمرهم الله بها ولا يستأهلون بالتالي أية مكاسب دون جهاد . لحظة عانى موسى (عليه السلام) فيها من الألم والصدمة التى لم يتوقعها من قومه الجاحدين . فدعا الله أن يفصل بينه وبين قومه الفاسقين لأنه لا يملك سوى نفسه وأخيه هارون (عليه السلام) من دون ذلك **الشعب صلب الرقبة** (نفس الصفة التي وردت في العهد القديم حرفيا فى سفر الخروج)[217] الذي لم تعد تجدي معه حيلة أو نصح أو طلب هداية . صدمة لن يتراجع عنها موسى (عليه السلام) بندم لاحق ولا أسف آت ومقبل . وكانت استجابة الله له :

*** فإنها محرمة عليهم . أربعين سنة يتيهون فى الأرض . فلا تأس على القوم الفاسقين** [218] .

فلا تأسف على حالهم ياموسى بعد ذلك أبدا . فقد قضـــى الله عليـــهم بالتيه فى دروب الصحراء دون هُدَىً . حيرة وضلالـــة وزيـــغ . كالأنعـــام الشاردة لا مأوى لها ولا رابط بينها . كأنهم بذلك الموقف الذى كُتب عليهم فى ساعة قيامة :

* لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه [219] .

وقد كان . فقد فني الجيل المتخاذل في فترة التيه (أربعين عاما) ونشأ جيل جديد لم يعاصر مذلتهم على يد فرعون مصر وملئه . جيل ترعرع فـــى كنف الصحراء بخشونتها وطبيعتها . جيل صلب العود قوى المراس يســتطيع تحمل المشاق والتكاليف وتنفيذ أمر الله المؤجل :

* ولقد كتبنا في الزبور (رسالة داود) من بعد الذكر (تـــوراة موســـى) أن الأرض يرثها عبادي الصالحون[220] .

وقضى موسى وهارون (عليهما السلام) نحبهما دون أن تقرّ أعينـــهم بدخـــول الأرض المقدسة ودون أن يسعدا بثمرة جهادهما **مع بنى إســـرائيل . الإبـــن العاق الذي استحق غضب العبد والرب .**

* * * * *

جماعة من أنبياء بني إسرائيل

عدد الأنبياء والمرسلين الذين ذُكروا فى القرآن الكريم علـــى التعيين وبالاسم هم ستة وعشرون نبياً ورسولا . نصفهم (ثلاثة عشر) أُرسلوا إلــى بنى إسرائيل (ذرية يعقوب عليه السلام) . وهناك أنبياء ومرسلين وردت سـيرتهم دون ذكر أسمائهم وآخرين لم يُذكروا ولم ترد سيرتهم .

ونلاحظ أن كُتّاب العهد القديـم قـد ذكـروا عشـرات الأسمــاء(*) واعتبروهم أنبياء ومرسلين من عند الله . **فجعلوا القَـوّاد والملـوك أنبيـاء وأنكروا نبوة بعض رسل الله الكرام . ومنحوا القداسـة والنبـوة للنسـاء (أستير ويهوديت وخَلّدة) في الوقت الذي أنكروا فيه قداسة غيرهم (مريـم ابنة عمران)** . تصرفوا على هواهم دون ضابط أو رابط ودون وازع مـن إيمان بالله ورسله . والقرآن الكريم الفيصل فى دراستنا هذه يقص الحق مـن عند الله ويهدى السبيل :

*وتلك حجتنا آتيناها **إبراهيم** على قومه . نرفع درجات من نشاء . إن ربـك حكيم عليم * ووهبنا (لإبراهيم) **له إسحاق ويعقوب . كلا هدينا . ونوحـاً هدينا من قبل** . **ومن ذريته (ذرية إبراهيم) داود وسليمان وأيوب ويوسـف وموسى وهارون** .وكذلك نجزى المحسـنين * **وزكريـا ويحيـى وعيسـى وإلياس.** كلٌ من الصالحين * **وإسماعيل واليسَع ويونس ولوطـا** . وكـلاً فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم (اصطفينـا منهم أيضا) وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدى به من يشـاء من عباده . ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * **أولئك الذين آتينـاهم**

---

*) أحصى عددهم بعض المدققين فوجدوهم حوالى خمسين نبيا ورسولا .

الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة . فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده . قل لا أسألكم عليه أجراً . إن هو إلا ذكرى للعالمين[221] .

المذكورون فى الآيات السابقة ثمانية عشر نبياً ورسولا . اصطفاهم الله واختارهم وأيدهم بالآيات والمعجزات . فلا يجوز أن نخلع النبوة على أحد من الناس لم يختره الله ولم يوكله برسالة .

* يا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح . وما قوم لوطٍ منكم ببعيد *واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه . إن ربى رحيم ودود * قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رَهْطك (أهلك وعشيرتك) لرجمناك . وما أنت علينا بعزيز[222] .

وفى الآيات السابقة ذكر الله أسماء ثلاثة أنبياء (هود وصالح وشعيب) . فيصبح العدد الآن واحداً وعشرين نبيا ورسولا .

*وإسماعيل وإدريس وذا الكِفْل كلٌّ من الصابرين [223].

*وقالت اليهود عُزَيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله. ذلك قولهم بأفواههم . يضاهون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنّى يؤفكون [224] .

وأصبح العدد الآن أربعةً وعشرين نبياً ورسولا .

* إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين[225] .

*وما محمد إلا رسول قد خَلَت من قبله الرسل[226].

*سأل أبو ذر رسول الله (ﷺ) عن آدم :

أكان نبياً مرسلا . قال نعم . قيل : لمن كان رسولا ولم يكن في الأرض أحد . قال : كان رسولا إلى أبنائه [227] .

ولأن **آدم** هو أول النبيين والمرسلين **ومحمد** (ﷺ) آخر المرسلين فيصبح العدد المذكور ستةوعشرين نبياً ورسولا .

وبخلاف الأسماء المذكورة من أنبياء الله ورسله توجد مجموعات أخرى من الأنبياء :

* ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوحٍ وعادٍ وثمود **والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله . جاءتهم رسلهم بالبينات** فردّوا أيديهم فى أفواههم (عضّوا أناملهم من الغيظ والحنق على الرسل) وقالوا إنا كفرنا بما أُرسلتم به وإنّا لفى شكٍ مما تدعوننا إليه مريب[228] .

* واضرب لهم مثلا **أصحاب القرية إذْ جاءها المرسلون * إذْ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالثٍ** فقالوا إنا إليكم مرسلون[229] .

*ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم **اثنى عشر نقيبا** (أمينا) وقال الله (لبنى إسرائيل) إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى (إليكم) وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل [230].

وهؤلاء النقباء الاثنا عشر هم رؤساء الأسباط (أو ممثلوهم) :

* قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب **والأسباط** وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون[231].

*ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى **إذْ قالوا لنبىٍ لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله** . قال هل عسيتم إنْ كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين[232] .

***ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك (لم تُذكر أسماءهم)** . وكلم الله موسى تكليما[233].

وهناك من المرسلين والأنبياء أُرسلوا لأقوام آخرين . ولم يُرسلوا تحديداً لبنى إسرائيل (مثل شعيب وأيوب ويونس) ولذا فلن نتعرض لهم في دراستنا هذه (رغم أنهم كانوا معاصرين لبنى إسرائيل).



إلياس (عليه السلام)

*وإن إلياس لمن المرسلين * إذْ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بَعْــلاً (اســم صنم) وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب أبائكم الأولين *فكذبوه فإنهم لمحضرون * إلا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه فى الآخريــن * ســلام على إلياسين (آل إلياس) إنا كذلك نجــزى المحســنين * إنــه مــن عبادنــا المؤمنين[234] .

ويقول أهل الكتاب عنه أنه النبى (**إيليا**) المذكور عندهم فــى العــهد القديم[235] .

وكان قوم إلياس يعبدون صنما يسمى (بَعْل) فعاتبهم إليــاس (عليه السلام) لأنهم تركوا عبادة الله الواحد الأحد أحسن الخالقين وتوجهوا إلى صنم لايسمع ولا يضر ولا ينفع يعبدونه من دون الله خالقهم وخالق آبائهم الأولين . ولكــن القوم أبوا إلا التكذيب والشرك وقليل من القوم تذكروا النصيحة وعملوا بــها فهؤلاء هم الذين يستحقون الإحسان لإحسانهم ولإفرادهم الله بالعبادة الحقة .

*وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصالحين[236].



اليسع (عليه السلام)

*وإذكر إسماعيل واليَسَع وذا الكِفْل . وكلٌّ من الأخيار[237].

*وإسماعيل واليَسَع ويونس ولوطا . وكلاًّ فضلنا على العالمين [238] .

ويقول أهل الكتاب أنه هو النبى (**اليشع**) المذكور عندهم فى العهد القديم[239] . وفى الآية أجمل الله تعالى سيرته وذكر أنه من الأخيار والمختارين . اصطفاه الله تعالى مثلما اصطفى إسماعيل (عليه السلام) وذا الكفل . وأنه من المفضلين على العالمين مثله فى ذلك مثل إسماعيل ويونس ولوط (عليه السلام) . ولا نتعرض لما جاء فى العهد القديم لأن الأنبياء معصومون برحمة الله ومعيته معهم.وأيضا لا نخوض فى أحاديث الإسرائيليات عن نبى الله اليسع (عليه السلام) .



ذو الكِفل (عليه السلام)

* واذكر إسماعيل واليَسَع وذا الكِفْل . وكلٌّ من الأخيار [240].

*وإسماعيل وإدريس وذا الكِفْل . كلٌّ من الصابرين * وأدخلناهم فى رحمتنا إنهم من الصالحين [241] .

وقال أهل الكتاب عنه أنه تكفّل لأحد أنبياء بنى إسرائيل فى أن يخلفه فى قومه بعد وفاته على أن يتكفّل بثلاثة أمور [242] :

1-أن يقوم الليل .
2-أن يصوم النهار .
3-ألا يغضب فى القضاء .

والله جل علاه يصفه بأنه من المصطَفين الأخيار وأنه كان من الصابرين على الابتلاءات وكان صالحا تقيا . ولذا فقد استحق رحمة الله ومعيته ومنته عليه .

وما ورد فى العهد القديم نتنزه عن ذكره لأن أنبياء الله معصومون عن الخطيئة والخطأ .



داود (عليه السلام)

* أم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من **بعد موسى** إذْ قالوا لنبيٍ لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل . قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا . **فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم** . والله عليم بالظالمين * وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا . قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤتَ سعة من المال . **قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم** . والله يؤتى ملكه من يشاء . والله واسع عليم * وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت (صندوق التوراة) فيه **سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون** تحمله الملائكة . إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * فلما فصل طالوت بالجنود (إنفصل عن بيت المقدس) قال إن الله مبتليكم بنَهَرٍ فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غُرْفَة بيده . **فشربوا منه إلا قليلا منهم** . فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله.والله مع الصابرين * ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * **فهزموهم بإذن الله . وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه ممايشاء** . ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضلٍ على العالمين[243].

يقص الله جل شأنه علينا قصة بنى إسرائيل من بعد موسى بزمن طويل حيث طلبوا من نبى لهم (كما طلبوا من موسى من قبل) أن يبعث الله لهم ملكا قائداً يقاتلون تحت إمرته جهاداً فى سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد ومحاربة الوثنية والباطل وأنهم عازمون على هذا الجهاد بصدق . ولما أراد نبيهم أن يستوثق من صدق نيتهم ويتأكد من قوة عزيمتهم وتصميمهم على النهوض بتبعة الجهاد سألهم (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال إلا تقاتلوا) خاف أن يخذلوه وقت الجد حينما يعلن الحرب والتعبئة والجهاد . ولكنهم أجابوا بحماسة منقطعة النظير (ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله) والأسباب التى ساقوها فى معرض تصميمهم على الجهاد هى (وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فقد طردوهم من ديارهم وأسروا أبناءهم وسلبوا نقودهم وشردوهم فلا مجال إذن للمهادنة والنكوص . وكما توقع نبيهم لما فُرض عليهم الجهاد وأعلنه ولّوا على أدبارهم ونقضوا عهدهم إلا قليلا منهم . كان صياحهم مجرد شعارات جوفاء لم تصمد عند أول تكليف طلبوه بإلحاح .وهذه سمة لبنى إسرائيل : **نقض العهود وفرارهم من الموت وخشيتهم من لقاء أعدائهم** . ووصفهم الله بأنه بنكوصهم ظلموا أنفسهم أولا ثم ظلموا نبيهم وخدعوه بعد أن وثق فى كلامهم رغم أنهم قالوا أنهم على حق وعدوهم على باطل والجهاد مشروع ومطلوب . وقال نبيهم للفئة التى ثبتت على الحق ومضت معه أن الله تعالى قد اختار لهم **طالوت (شاؤل)** ملكا وقائداً عليهم . فجادل القوم في هذا الاختيار في محاولة منهم لتأجيل المعركة برمتها . فقالوا كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق منه بذلك . كما أنه - فى نظرهم - لم يؤت سعة من المال . يظنون أن الثراء شرط للقيادة .ولا يهم أهلية القائد ولا خبرته . فعدّد لهم نبيهم أسباب الاختيار الإلهي بأن الله اصطفاه واختاره لعلمه - جل شأنه - بأهليته للمنصب والقيادة وفوق ذلك فقد زاده الله بَسْطة في العلم (المهارة)

فهو أذكى وأحذق وأمهر منهم وزاده أيضا في القوة البدنية التي تؤهله لتحمّل المشاق . والله قبل وبعد هذا حرٌّ فى الاصطفاء والاختيار (والله يؤتى ملكه من يشاء) لأنه جل شأنه (واسع عليم) وأيضا رحمته مطلقة وواسعة . فتظاهر القوم بالاقتناع - على مضض - وقال لهم نبيهم حينئذ أن دليل اختيار الله لطالوت هو أن الله سيعيد لهم التوراة المحفوظة (التابوت) والتى سُلبت منهم وبعض مقتنيات موسى وهارون تحمله الملائكة فتغشاهم الرحمة والسكينة من ربهم فتقوى العزائم وتثبت القلوب فى مواجهه الأعداء . وتحققت الآية من الله كما وعد . وبدأ طالوت (شاؤل) فى قيادة ما تبقى من قومه ليحارب جيش جالوت (جوليات) وجهز جنوده وحثهم على الضبط والربط والطاعة والامتثال لأوامره . وطلب منهم عند اجتياز النهر ألا يشربوا منه وأن يتحملوا العطش حتى لا تفتر عزيمتهم وتسترخى أبدانهم فتثقل خطاهم وتكون الهزيمة من نصيبهم . ولما عبروا النهر شرب الجنود منه بكثرة إلا قليلا منهم (أى أن عدد الجنود يتناقص بالتدريج قبل المعركة). وبعد العبور قال المؤمنون الذين صمدوا معه أن عددهم أصبح قليلا ولا طاقة لهم بعدو يفوقهم عدداً وعدة . وانبرى صوت صادق بالإيمان قوى العزم أن الله لطالما نصر الفئة القليلة المؤمنة والصابرة على الكثرة الكافرة بإذنه تعالى . وأن معية الله مع الصابرين فامتلأت قلوب المؤمنين منهم بالثقة والرغبة ودعوا الله بالنصر (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) وكان الله لدعائهم الصادق مجيباً فكان النصر المؤزر حيث بارز داود جالوت المدجج بالسلاح والدروع ورمى داود الجندى المؤمن راعى الغنم فاقد الخبرة القتالية حجارة مقلاعه (يشبه النبلة) نحو جالوت الذى سخر منه لأنه بلا سلاح أو دروع سوى الحجارة . وقال له أنه هالك لا محالة (كان من عادة الجيوش قديما أن يتبارز رجلان يمثلان الجيشين

المتحاربين قبل بداية الالتحام لأن فى هذه المبارزة مؤشرات على خط سير المعركة ولمن تكون الغلبة فى النهاية) لم ينل الخوف من (داود) الإسرائيلي وهو مقدم على مبارزة قائد العدو شخصيا فقد كان الإيمان يملأ قلبه بأن الله سينصره وكان صابراً على سخرية خصمه . ثابتا بفضل الله واثقا من معيته وعونه . تقدم داود بخطىً ثابتة راسخة نحو جالوت . وضع الحجر المدبب فى مقلاعه وصوبه نحو رأس خصمه . رمى متوكلا على الله فجاءت الاصابة مباشرة ومؤثرة وقاتلة :

***ومارميت إذْ رميت ولكن الله رمَى**[244] .

وسقط جالوت على الأرض مُضرَجاً فى دمائه . وحدث هرج ومرج فى صفوف الأعداء لمقتل قائدهم والتحم الجيشان . قلة مؤمنة صابرة واثقة فى نصرة الله ضد فئة كثيرة مغرورة غير مؤمنة (كافرة) قد تسلل الخوف فى قلوب جنودها بعد مقتل القائد . وتحقق النصر بإذن الله (فهزموهم بإذن الله) وأفاء الله على عبده داود بالملك (أصبح قائداً للجيش الإسرائيلي) والحكمة (اصطفاه الله نبياً فى قومه) وعلمه مما يشاء (علمه صناعة الدروع القوية والخفيفة بعد ما ألان له الحديد) وورث داود الملْك من طالوت وأسس (ومن بعده ابنه سليمان (عليه السلام)) مملكة بنى إسرائيل التى مازال يتغنى بها اليهود إلى اليوم :

*ولقد آتينا داود منّا فضلا . ياجبال أوّبي معه والطير (رجعى ورددى تسبيحه وصلواته) وألنّا له الحديد (بصهره) . أن أعمل سابغات (دروعا) وقدر فى السَرد (يحكم الصنعة ويتقنها) واعملوا صالحا . إنى بما تعملون بصير[245].

* اصبر على مايقولون . واذكر عبدنا داود ذا الأيد (صادق العبـــادة) إنـــه أوّاب (دائم الرجوع إلى الله) * إنا سخرنا الجبال معـــه يســبحن بالعشـــي والإشـــــراق * والطير محشورة كلٌ له أوّاب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة (النبوة والعلم) وفصل الخطاب (الفصل بين المتخاصمين)[246] .

*وداود وسليمان إذْ يحكمان فى الحرث (الزرع) إذْ نفشت فيه غنـــم القوم (أكلته) وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان . وكلا آتينا حكما وعلمـــا وسخرنا مع داود الجبال يسجن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لَبــوسٍ لكم (الدروع) لتحصنكم من بأسكم (فى الحرب) فهل أنتم شاكرون[247] .

*وربك أعلم بمن فى السماوات والأرض . ولقد فضلنا بعض النبييـــن علـــى بعض . **وآتينا داود زبورا**[248] .

*ولقد آتينا داود وسليمان علما . وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثـــير مـــن عباده المؤمنين * وورث سليمان داود (في النبوة) وقال ياأيها الناس **عُلِّمنـــا مَنطِق الطير** (فهم لغة الطيور) **وأوتينا من كل شيءٍ** . إن هذا لهو الفضـــل المبين[249] .

*ولقد كتبنا فى الزبور (رسالة داود) من بعد الذكـــر (تـــوراة موســـى) أن الأرض يرثها عبادي الصالحون [250] .

*ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الـــهوى فيضلك عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بمـــا نسوا يوم الحساب[251].

* لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون *كانوا لايتناهون عن منكرٍ فعلـــوه لبئـس ماكــانوا يفعلون[252].

ولنا عدة ملاحظات فى سيرة نبى الله داود (عليه السلام) :

- **منَ الله على داود بالكثير من النعم** التى هو أهل لها بســـبب صـــدق إيمانه وتقواه :

(أ) **آتاه الله الملك** فأصبح قائداً لشعبه .

(ب) **آتاه الحكمة** (النبوة) **وفصل الخطاب** (بين المتخاصمين أى قاضيا).

(ج)**علمه صناعة الدروع الحديدية** خفيفة الوزن وســـهلة الحركـة وقويـــة الحمايـــة .

(د) **ألان له الحديد** وعلمه كيفية صهره وتشكيله وتطويعه .

(هـ) **أنزل عليه الرســـالة** (الزبـور) وهــى تعـــاليم وحكـم ومواعــظ وتسبيحــــات لله .

(و) **منحه الله صوتا رخيما رائعا** . فكان يسبح الله ويذكره فتردد معه الجبـال والطير ذلك التسبيح .

(ز) **أعلمه الله لغة** (منطق) الطير فيفهم ويتخاطب معها .

(ح) **حُشر له الطير (كلٌ له أوّاب) لتسبح وتردد معــه** صلواتــه وكــانت تؤانســه .

(ط) **قوى الله ملكه** بأسباب القوة كلها (شددنا ملكه).

(ي) **جعله خليفة فى الأرض** يدعو شعبه لتوحيد الله وعبادته .

(ك) **سخر له الجبال والطير** فيسبحون الله معه .

(ل)**آتاه الله من كل شيءٍ يتمناه** (وأوتينا من كل شيء).

(م) **وهبه سليمان وجعله وارثا للنبوة من بعده** (وورث سليمان داود) .
(ن) حب الله لداود (عليه السلام) وحب داود لله جعل الناس يحبونه وكذلك الطير والجبال **وأصبح له القبول والمحبة عند الناس والمخلوقات** (نعم العبد إنه أوّاب).

- **كانت فترة حكم داود وملكه ومن بعده سليمان من أزهى عصور بني إسرائيل التي لم ولن تتكرر بإذن الله (رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحدٍ من بعدى).**

- امتدح النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) نبى الله داود (عليه السلام) وقال عنه :

* أفضل الصيام صيام داود . كان يصوم يوما ويفطر يوما[253].

*قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أحب الصيام إلى الله صيام داود . وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود . كان ينام نصفه (الليل) ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما[254] .

*أفضل الصيام صيام داود . وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا يكوّن فيها وكانت له ركعة يبكى فيها ويُبكى ببكائه كل شيء . ويصرف بصوته المهموم والمحموم [255].

فتنة داود :

* وهل أتاك نبأ الخصم إذْ تسوّروا المحراب * إذّ دخلوا على داود ففزع منهم . قالوا لا تخف . خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط (لا تجور أو تظلم) واهدنا إلى سواء الصراط (الحق) *

إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولىَ نعجةٌ واحدة فقال أكفلنيها وعَزّنى فى الخطاب (طلب تنازلى عنها بإلحاح) * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه . وإن كثيراً من الخلطاء (الشركاء) ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم . وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا (سجد) وأناب (تاب) * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى (مكانة ومنزلة) وحُسْنَ مآب (عاقبة)[256] .

وهذه هى قصة ابتلاء داود التى نسجت حولها اليهود أساطير مريبة وخرافات وافتراءات تسىء إلى نبيهم داود (عليه السلام) . فقالوا وتقوّلوا عليه الأقاويل أنه اشتهى امرأة أحد الجنود فأرسله إلى ميدان الحرب ليلقى حتفه . وداود (عليه السلام) براء من هذا الافتراء . والقضية كما جاءت فى القرآن الكريم تقص عن وجود خصمين احتكما لداود . أحدهما (الشاكى) يمتلك نعجة واحدة ادعى أن الخصم الآخر الذى يمتلك تسعا وتسعون نعجة طلب منه ضم نعجته الوحيدة إلى نعاجه وألح فى الطلب والمحايلة حتى كان له ما أراد . فانفعل داود (عليه السلام) لشكوى الضعيف وحكم على الغنى بأنه ظالم دون أن يستمع لدفاع المشكو فى حقه . ونسى داود (عليه السلام) تعليم الله له فى كيفية الفصل فى الخصومات والمنازعات وهو ألا يُستثار من الخصوم فيحكم بسرعة وتعجل بما لايرضى اللهودون أن يستمع إلى دفاع الطرف الآخر. لأنه ربما يكون الشاكى أحسن عرضاً لشكواه ودعواه مع أنه هو الظالم والآثم . والمشكو فى حقه لا يُحسن الدفاع عن نفسه لأنه أقل حنكة وحجة فيبدو - وهو المظلوم - وكأنه هو الظالم الجائر . ولما اختفى الخصمان من المحراب بعد عرض الشاكى وحكم داود بسرعة ظن داود أن ذلك ابتلاء من الله وامتحانا له فخرّ ساجداً مستغفراً منيبا إليه بعدما أدرك الفتنة . وكان عتاب الله له :

*ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض **فاحكم بين النـــاس بـــالحق ولا تتبـــع الهوى** فيضلك عن سبيل الله . إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نَسَوا يوم الحساب [257].

أى أنه كان من الأجدر أن تتريث فى الحكم وتستمع إلى جميع أطراف النزاع حتى تتبين الحقيقة كاملة . أما اتباع الهوى والانفعال فيحيد بـــك عـــن الحق والعدل ومآل الضالين عذاب شديد من الله لغفلتهم وجورهم وحســاب الله مع القضاة المفترض فيهم العدالة أشد لأنه بدون العدل تصبح أحكام القضـــاء مضرجة بالظلم الذي هو ظلمات :

*قال رسول الله (ﷺ) : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة[258].

ولذا فطن داود (عليه السلام) ولكن بعد فوات الأوان وعلم أنه مر بفتنة وابتلاء من الله فاستغفر الله كثيراً وأناب إليه .



سُلَيْمَان (عليه السلام)

*ولقد آتينا داود وسليمان علما . وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داود وقال ياأيها الناس عُلِّمنا مَنْطِقَ الطير وأوتينا من كل شيء . إن هذا لهو الفضل المبين[259] .

*ووهبنا لداود سليمان . نعم العبد إنه أوّاب[260] .

وورث سليمان (عليه السلام) مُلك أبيه داود (عليه السلام) وعمله وورثه فى النبوة وقاد شعبه من بعد أبيه . وورث علم داود (عليه السلام) وعبادته . فعلم لغة الطير وأوتى من كل شيء يعينه على عبادة الله والدعوة إليه . تعلم صناعة الدروع الحديدية وكيفية صهر الحديد وتطويعه وتشكيله ليصبح درع المقاتل خفيف الوزن وسهل الحركة وشديد المقاومة لأسلحة ذلك الزمان (السيف والرمح والمطرقة والجنزير والمقلاع .. الخ) وأصبح جيش سليمان من أقوى الجيوش فى المنطقة . **ووراثة الأنبياء لا تكون في المال إنما تكون فى العلم والنبوة :**

* قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : نحن معشر الأنبياء لا نورث . ما تركنا فهو صدقة (261) .

*عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : .. إن العلماء ورثة الأنبياء . وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم . فمن أخذه أخذ بحظ وافر [262] .

وكان سليمان (عليه السلام) - كأبيه - متبتلا ومسبحا لله تعالى ويعز عليه أن يكون هناك من يعبدون الأصنام والكواكب والشمس وغيرها . وكان يتمنى أن يكون جميع الناس مؤمنين خاضعين لله تعالى منكبين على طاعته وعبادته وشكره . وهو حين يدعو الله بملك واسع ومتنوع لا يبغى عرض الحياة الدنيا وإنما ليكون هذا الملك عوناً له ووسيلة تمكنه من إخضاع الوثنيين لعبادة الله تعالى :

***قال رب اغفر لي وهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغى لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهّاب**[263] .

فاستجاب له رب العزة لعلمه بمقصده ونواياه وبارك توجهه ولبى دعوته :

*فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاءً (طائعة منقادة) حيث أصاب (يريد) * والشياطين كل بناءٍ وغواص (يستخرجون اللؤلؤ وغيره) * وآخرين مقرّنين في الأصفاد (مقيدين في الأغلال) * هذا عطاؤنا فامنن (فأرسل) أو أمسك (أقبض) بغير حساب (دون مؤاخذة) * وإن له عندنا لزلفى (قربى) وحُسن مآب[264].

فبعد أن أعطاه الله نعمة فهم لغة الطير وتسبيح الطير والجبال معه (كما كان لأبيه) منحه الله نعمة تسخير الرياح فيوجهها حيث أراد الاستفادة بها فى الزراعة والملاحة ونقل الأخبار دون أن تعصى له أمرا . وكذلك تسخير الشياطين في تأدية الأعمال الشاقة وبناء الدور والعمائر وخزانات المياه (لتجميع ماء المطر) وحفظها وغير ذلك من الأعمال . ومن يعصه يقيده في الأغلال والسلاسل :

*ولسليمان الريح غُدّوها شهر ورواحها شهر (مسيرة شهر) وأسلنا له عين القطر (فينصهر النحاس ويصبح كنبع الماء) ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه . ومن يزغ منهم عن أمرنا (يهرب أو يتراخى) نذقه من عذاب السعير * يعملون له ما يشاء من محاريب (قصور ومعابد) وتماثيل (من النحاس) وجفانٍ كالجَوَاب (قصعة كبيرة كالحوض الكبير) وقدور راسيات (على المواقد).اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور(265) .

وكان الله تعالى قد منح سليمان ذكاءً شديداً منذ صباه :

*وداود وسليمان إذْ يحكمان في الحرث إذْ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكما علما . وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين * وعلمناه (داود) صنعة لَبُوسٍ لكم لتحصنكم من بأسكم (دروع الحرب) . فهل أنتم شاكرون * ولسليمان الريح عاصفةً تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنها فيها (أرض فلسطين) وكنا بكل شيءٍ عالمين*ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنّا لهم حافظين (من الزيغ عن أمر سليمان ومن إفسادهم للناس)(266) .

كان حكم داود (عليه السلام) في قضية رعى غنم أحد الأشخاص فى أرض لا يملكها ودون قصد منه أو علم أن يقوم صاحب الغنم بإعطاء غنمه لصاحب الأرض المزروعة تعويضا عن تلف زراعته . وكان ذلك - من حيث القيمة المادية - عدلا لاغبار عليه.ولكن الله أوحى إلى سليمان برأى آخر (ففهمناها سليمان) حيث أشار على أبيه داود (عليه السلام) أن يصوّب الحكم ويجعله أكثر إيجابية بأن يجعل صاحب الغنم يقوم بفلاحة الأرض حتى تنبت زرعا جديداً بدلا من الذى أكلته أغنامه وأن يأخذ صاحب الأرض الغنم ينتفع من لبنها وصوفها إلى أن ينمو الزرع ويصبح كما كان . ثم تعود الغنم لصاحبها وتعود

الأرض بزرعها إلى مالكها . وهو ما يسمى بالعدل الأيجابى لكلا المتخاصمين . فلا يفقد صاحب الغنم ما يملك لذنب ليس له يد فيه . ولا يفقد صاحب الأرض زرعه بعدما أفنى جهده فى فلاحته ورعايته حتى يثمر .

وادي النمل :

* وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون (يتوقف أولهم حتى يلحق بهم آخرهم فينتظم الصف) * حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى (ألهمنى) أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه . وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين(267).

فى استعراض مهيب للجنود التى حشرت لسليمان (عليه السلام) من الجن والإنس (الثَقَلين المكلفين من خلق الله.وتقديم الجن على الإنس لأنه يسبقه فى الخلق) والطير بأنواعه تقدم هذا الحشد ومر بوادى النمل فسمع سليمان (عليه السلام) نملة كانت مكلفة بالحراسة والمراقبة وهى تحذر قومها (ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم) ليختبأوا فى أعشاشهم تحت الأرض حتى لا يحطمهم جنود سليمان ويدهسونهم وهم لايشعرون بوجود النمل صغير الحجم لأن سليمان وجنده مشغولون بالتجهز لمعركة من المعارك وهم فى سيرهم غير عابئين بما دق حجمه من المخلوقات . فكان رد فعل نبى الله سليمان (عليه السلام) بعد أن فهم كلام النملة اليقظة أن تبسم دون قهقهة ودعا الله أن يعينه ويوفقه على حمده

وتسبيحه وشكره على نعمائه التى مكنته من فهم كلام النملة وأن يكون دائما سباقا لفعل الصالح من الأعمال ليكون فى معية الله تعالى ورحمته .

ونلاحظ من سياق القصة أن النملة المراقِبة علمت أن هذا الجند هو جند سليمان نبى الله وأنه بالقطع سيفهم كلامها وتحذيرها إلى قومها ولذا فهى تقصد أن تنبه سليمان (عليه السلام) أكثر مما تنبه قومها .

قصة الهدهد وملكة سبأ :

وبعد هذا الموقف النبيل من سليمان (عليه السلام) نحو النمل حيث نبه جيشه بوجود مملكة النمل فى طريقهم فليحترسوا من إهلاكهم . تذكر سليمان غياب طائر الهدهد عن بقية الحشد ولم يره وسط الجنود وهو يتفقدهم :

*وتفقد الطير فقال مالىَ لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين (مايبرر عذره وغيابه) * فمكث غير بعيدٍ فقال (الهدهد) أحطت بمالم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إنى وجدت امرأة تملكهم (تترأسهم) وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألّا يسجدوا لله الذى يخرج الخبْءَ (المستور) فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون (ماذا يكون رد فعلهم على خطاب التوحيد)[268].

تفقد سليمان الجنود وتمّم عليهم فلم يجد الهدهد بينهم وتساءل إن كان غائبا من بداية الاستعراض أم أنه متخفٍ لأمرٍ ما . فإن كان غيابه دون عذر مقبول فلسوف يعذبه عذابا شديدا (نوع العذاب لا يهم فى الموضوع) أو ليذبحنه وينتهى من أمره كلية إلا أن يأتيه بحجة وعذر قهرى وسبب يبرر غيابه الذى يُشتَّم منه رائحة التسيب والاستهزاء بسلطان سليمان (عليه السلام) عليه . أو لعله يستهين بطابور الاستعراض والضبط والربط فوضويا لا يعبأ بالنظام (يحدث فى الفرق العسكرية والجيوش على مستوى العالم أن يكون هناك أوامر بالضبط والربط والنظام وتوقيع الجزاءات المختلفة على الغائب عن الخدمة والمتهاون . وتتدرج تلك العقوبات إلى أن تصل إلى الإعدام فى حالة الهروب من الميدان وقت العمليات الحربية) .

وبعد فترة لم تطل بلغ فيها غضب سليمان (عليه السلام) مبلغه وصل الهدهد إلى المجلس.والهدهد فى جيش سليمان يمثل فرع الاستطلاع والمراقبة والمخابرات.وحينما مر بوادى النمل أُعجب سليمان بيقظة النملة الحارسة والتى تقوم بالمراقبة حين حذرت قومها.والهدهد عليه أن يقوم بنفس المهام ولكنه بدا متراخيا ومتهاونا ومقصرا فى واجباته حيث غاب عن موقعه فى الجيش . وبمقارنة سريعة من سليمان (عليه السلام) أدرك عِظَم الذنب الذى اقترفه الهدهد ولذا كانت دهشته من غيابه وغضبته الشديدة لعدم أخذ الإذن منه قبل الغياب .

وصل الهدهد وبادر بالإعلان عن وصوله بطريقة فرضتها ظروف تغير قسمات وجه نبى الله سليمان (عليه السلام) وظهور الغضب على مُحيّاه فبادره بقوله :

* أحطتُ بما لم تحط به .

كلمات حاسمة تعنى الكثير والخطير من الأمور وتلقى بالكرة فى موقع المحاكمة.وبيان حاسم بأن الهدهد قد أحاط علما بما لم يحط به سليمان الـــذى أوتى من كل شيء ولديه الكثير من الجند المسخر فـــى خدمتـــه وطاعتـــه. فكيـــف لم يصل أسماعه ذلك الذى علمه الـــهدهد فـــى الأطـــراف القصيـّـة والمتاخمة لمملكة سليمان (عليه السلام) . وحين يعلن الهدهد ذلك الخبر على مسـمع سليمان (عليه السلام) فإن الأمر جد خطير . إذن لم يكن لاهيا ولـــم يكـــن الـــهدهد متهاونا ولم يكن متهربا من الخدمة والمهام الملكـــف بـــها . وأردف الـــهدهد بشجاعة وحسم بقية الخبر:

*وجئتك من سبأ بنبأ يقين .

ودليل براءته قبل أن يسمع دعوى الاتهام ضده وأهمية ما حصل عليـــه من معلومات يبدأ الهدهد فى سرده تفصيليا :

*إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيءٍ ولها عرش عظيم .

أسباب هامة ومعلومات خطيرة . ففى (سبأ) وجد الـــهدهد امـــرأة تحكم شعبها . وهذا فى حد ذاته شيء مثير للعجب والدهشــــة . وأن يكـــون عندها من النعم والرياش والمباهج ما يعجز الوصف والتبيان فهذا فى حد ذاته أمر مثير للفضول.وأن يكون لها عرش عظيم مطّعم بالذهب والجواهر فذلـــك شيء يدعو لإثارة المقارنة بين ما تملك تلك المرأة وماهو عند نبى الله سليمان (عليه السلام) . ويستمر الهدهد فى القص ويلقى بالمفاجأة الكبرى :

* وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله . وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

فهنا تنعقد الألسنة وتشهق الصدور وتجحظ العيون دهشة واستنكاراً لما يحدث . فقيادة امرأة لقوم شيء عجيب ونادر ولكنه من ناحية المضمون مقبول بدرجة ما . وأن يكون لها ثروات ورياش فهو أمر وارد . وأن يكون لها عرش فخيم ليس له مثيل فذلك محتمل . أما أن يحدث بعد ذلك جحود وكفران بالمنعم الإله رب العالمين بدلا من الشكر وعبادة المنعم فذلك هو غير المقبول مطلقا . وأضاف الهدهد أن ما يثير ضيقه وحنقه من هذه الملكة أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الخالق الرازق إذ كيف يتأتى لها ولقومها أن يضلوا هكذا بعد تقدمهم العلمى ورجاحة عقولهم الذى يدل عليه ما وصلوا إليه من تقدم فى شتى الفنون والعلوم كيف يغويهم الشيطان إلى هذه الدرجة فيغفلون عن الحقائق ويضلون عن سبيل الله رغم كل هذه النعم التى أنعم الله بها عليهم . وتساءل الهدهد مستنكرا :

*ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .

أليس فى القوم من يعقل ولديه الرشد والهداية ليدلهم على منعم النعم وصاحب وخالق تلك الآلاء . إنه الله قيوم السماوات والأرض الذى يعلم السر وأخفى والذى بيده ملكوت كل شيءٍ وله العرش الأعظم والأجل وهو الملِك بحق . مالك هذا الكون الفسيح الأرجاء . عرشه ليس كعرش ملوك الأرض . فهو وحده الخالق الرازق ذو القوة المتين . اعتملت المعلومات التى سردها الهدهد فى قلب وعقل سليمان (عليه السلام) وبدلاًمن أن يخلع النياشين والأنواط على الهدهد تريث قليلا وهو يفكر . **فقد تعلم ألا يكون متسرعاً كوالده داود** (عليه السلام) **فى إصدار الأحكام** (واقعة الخصمين الذين تسوروا المحراب & وواقعة الغنم والحرث) وأمعن سليمان مفكراً ثم قال :

* سننظر . أصدقت أم كنت من الكاذبين .

فربما تكون تلك القصة مختلَقَة من أساسها ادعاها الهدهد لينجو بنفسه من العقاب والعذاب أو تكون بها بعض المبالغات والتهويلات للإثارة ولفت الانتباه (سننظر) أى سوف يرى مدى صدق الرواية والخبر . وأعطى سليمان (عليه السلام) الهدهد خطابا موجزا إلى تلك الملكة ليلقيه على عرشها بين يديها (فى مجلسها) ثم ينتظر رد الفعل على أن يبلغ سليمان بعد ذلك ليتخذ مايراه على ضوء رد الفعل .

*إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون .

وعليك أيها الهدهد بمراقبة وقع الخطاب عليهم وتصرفهم إزاءه :

*قالت يا أيها الملأ إنى ألقى إلىّ كتاب كريم * إنه من سليمان . وإنه (يفتتح بـ) بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلو علىَ وأتونى مسلمين * قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون (تشيرون على) * قالوا نحن أولوا قوةٍ وأولوا بأسٍ شديدٍ (فى الحرب) والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وكذلك يفعلون * وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون[269].

وقع خطاب سليمان (عليه السلام) بين يدى ملكة سبأ (باليمن) وهى لا تعلم من الذى ألقاه وأتى به (أُلقى إلىّ . بصيغة المبنى للمجهول) وتصف الكتاب (الخطاب) بأنه (كتاب كريم) من هيئته وشكله ومحتوياته التى بدأت باسم الله الرحمن الرحيم . ولما كانت لا تعبد الله وإنما تعبد الشمس ووجدت اسم

المرسل منه أنه سليمان أحست بالخطب الجلل لأنها سمعت عن سليمان كثيراً وتعلم نوعية جيشه وجنوده :

* إنه من سليمان . وإنه (يفتتح بـــ) بسم الله الرحمن الرحيم .

تلك الافتتاحية التي لم تعهدها من قبل . وقرأت على مسامع حاشيتها نص الخطاب وفحواه :

*ألا تعلوا عليَّ وأُتونى مسلمين.

أمر فيه حزم وجزم بأن يعلنـــوا دون ابطـــاء استســـلامهم لســـليمان وخضوعهم لسلطان الله جل شأنه وإسلامهم وانقيادهم له . وطلبـــت الملكـــة الرأى والمشورة من أعضاء مجلسها وحاشيتها وأوضحت أنها لن تقطع برأى حتى يشيروا عليها بما ينبغى عمله . ورد الملأ (الحاشية) بأنهم تحت إمرتها فيما ترى . فهم أهل قتال ونزال ولكن أمر إعلان الحرب لا يملكون صـــدوره دون أن تكون لها الكلمة الأولى والأخيرة . وإذا ما رأت وجوب القتال فـــهم على أتم الاستعداد لذلك وإذا رأت غير ذلك فلها ماترى .

وعادت الملكة تفكر ملياً وبعمـــق فـــى فحـــوى الخطـــاب وتـــدرس الاحتمالات المختلفة ورأت بفطنتها أن تبدأ باللين مع سليمان فلعلـــــه أرســـل خطابه طمعاً فى هدايا أو فرض جزية (إتاوة) على مملكتها كما يفعل الملوك الأقوياء عادة . فهى تجنبا لحرب قد تخسرها سترسل إليه بهدية لتليـــن قلبـــه وترققه وتهدئ من حدة خطابه لأن (الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلـــوا أعزة أهلها أذلة) فتلك هى عادة الملوك الأقوياء المنتصرين . يجعلون أعـــزة القوم (رأس الدولة والحاشية) أذلة مهانين ويفسدوا فـــــى الأرض بـــالتقتيل والخراب والدمار والهدم لا يردعهم وازع من رحمة أو رادع مـــن ضمـــير .

ويصل الرسل بالهدايا إلى سليمان فيغضب غضبا شديداً لأنه ـ كما بدا وقتئذ ـ لم تعِ الملكة مضمون الرسالة :

*فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمالٍ فما آتاني الله خير مما آتاكم . بل أنتم بهديتكم تفرحون * إرجع إليهم (بالهدايا) فلنأتينهم بجنود لا قِبَل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (مأسورون) * قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (مستسلمين) * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك (مجلسك) وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرْفك (نظرك) . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر . ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم *قال نكّروا (غيروا معالمه) لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل (لها) أهكذا عرشك . قالت كأنه هو . وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين * وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين * قيل لها أدخلي الصرح (الباحة أو الساحة) فلما رأته حسبته لُجة (مغمور بالماء) وكشفت عن ساقيها (كيلا تبتل من الماء) . قال إنه صرحٌ ممردٌ من قوارير (مغطى بالبلور الشفاف) **قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**[270].

لما وصلت الهدايا لسليمان (عليه السلام) رفضها لأن مأربه غير المال وبدا له أن الملكة لم تفهم رسالته جيدا . فالمال لديه منه الكثير والوفير ويزيد عنهم أنهم كافرين وعنده الإيمان . ماعنده النبوة بفضل الله وماعندهم الدنوّة . مايرجوه الآخرة ومايرجونه عَرض الدنيا . رفض الهدايا وأعادها للملكة مع رسلها وأجزم أنه سوف يذهب إليهم بجنود لا يعرفونها ولا يألفونها ولا قِبَل

لهم بها (جنود من الطير والجن والإنس) وعقد العزم على إذلالهم واستعبادهم وأَسْرهم لإصرارهم على الكفر والشرك.وطلب من حاشيته بأن يأتوا إليه بعرشها قبل أن يأتوا إليه مستسلمين . كان واثقاً من النصر ومعية الله أنها معه . وخصوصا أن رجوع الهدايا للملكة وردها ثانية لا تعنى سوى الحرب عليها وعلى مملكتها :

* قال يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها .

فرد أحد جنوده من الجن (عفريت من الجن) بأنه يفعل ذلك فى غضون فترة وجيزة وسيكون ماثلاً بين يدى سليمان دون كسر أو تلف أو نقصان (قوى أمين) قبل أن يقوم من مجلسه . ونظر سليمان إلى باقى الجند لأنه استبطأ الزمن الذى عرضه عفريت الجن فقال له أحد الموجودين بالجلسة أنه قادر على التنفيذ فى برهة من الزمن (قبل أن يرتد إليك طرْفك) أى قبل إرتداد البصر (رمش العين).ولا يهمنا فى هذا المقام تعيين المتكلم أهو من الجن أم الإنس أم الطير (**نرى استبعاد حدوث ذلك بواسطة ملاك كما تقول معظم التفاسير والإسرائيليات لأن مجلس سليمان وحاشيته هى من الجن والإنس والطير فهؤلاء هم الذين سخرهم الله لسليمان . ولم يسخر له ملائكة**) وهذا الذى أتى بالعرش فى لمح البصر لم ينتظر رأى سليمان (عليه السلام) بل فعل فى الحال بأقصى سرعة . وعلمه المشار إليه (علم من الكتاب) سواء كان هذا الكتاب هو التوراة أو الزبور أو أى كتاب آخر (كتاب علوم أو فيزياء أو تكنولوجيا) لا يمنع أو يعطل حدوث المعجزة والخارقة كما وصفتها آيات القرآن الكريم . ولنرجع بالذاكرة إلى الوراء قليلا (فى عهد موسى) **حيث العبد الصالح** الذى أتى بأعمالٍ غريبة وعجيبة وخارقة للعادة نسبها فى نهاية الرحلة مع موسى بقوله :

*ومافعلته عن أمرى[271] .

فهذا العالم الذى أحضر عرش ملكة سبأ لم يفعل ما فعل عن قدرة ذاتية محضة . وإنما ذلك بأمر من الله جل علاه وشاءت قدرته أن يتم بتلك الكيفية . ولما رأى سليمان (عليه السلام) العرش مستقراً عنده وماثلا أمامه بأبهته نسب الفضل كله لله (هذا من فضل ربى) ولم ينسبه للعالم (الذى عنده علم من الكتاب) لأنه على يقين بأن الله هو وحده القادر وما على المخلوق إلا أن يأخذ بالأسباب . وفطن سليمان (عليه السلام) بأن ما حدث فتنة وابتلاء تستوجب شكر المنعم جل جلاله على نعمائه التى لا تُعدّ ولا تُحصى (ليبلونى ءأشكر أم أكفر) ومع الامتناع عن الشكر يكون الكفر بالنعم هو البديل الطبيعى.والشكر والحمد لله جل شأنه يعود على المخلوق بالنفع :

***لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد** [272].

وطلب سليمان (عليه السلام) من حاشيته أن يغيروا بعض معالم عرش الملكة حتى إذا ما جاءت (كان واثقا من حضورها) سيرى إن كانت ستتعرف على عرشها أم لا (ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون) . فلما وصلت الملكة كما توقع رأت عرشها ولكنها لم تبد أى رد فعل وظلت على ثباتها ورباطة جأشها إلى أن سألها سليمان (عليه السلام):

*أهكذا عرشك . قالت كأنه هو (يشبهه) .

لأنها تعلم أن عرشها قد تركته منذ فترة بسيطة بالمملكة وهو من الضخامة بحيث يصعب نقله . كما أنها ظنت أن صانع عرشها قد صنع لسليمان عرشا مثله ولا غرابة فى ذلك . ولكن التطابق يصبح مستحيلا مهما فعل الصانع ولما أدرك سليمان (عليه السلام) أنها متشككة فى موضوع العرش أراد

أن يبهرها بما لديه من نعم فطلب منها ارتياد الباحة أو الساحة حيث المجلس لبدأ المشاورات والمباحثات المفترضة . فلما نظرت الملكة إلى أرضية الصرح (الساحة) ظنت أنها مغمورة بالمياه فخشت أن تبتل ملابسها فرفعتها (وكشفت عن ساقيها) فأجابها سليمان (عليه السلام) بأن الأرضية مصنوعة من الزجاج الكريستال والبلور الشفاف والسميك الذى لا يحجب ما تحته من مياه البحر بأسماكها وشعابها المرجانية . هنا أيقنت الملكة أن سليمان الذى سمعت عنه كثيراً ليس ملكاً من ملوك الدنيا ترضيه الهدايا (التى ردها عليها من قبل) وليس جباراً فى الأرض أو طاغية يفرض هيمنته على الشعوب والأمم والممالك . وإنما هو نبى مرسل آتاه الله الملك والحكمة والنبوة لانتشال البشر من الوثنية وجهالتها وأن الذى منعها - سابقا - من عبادة الله وحده أنها نشأت فى قوم كافرين بالله وثنين مشركين . **وأن النعم والثراء بلا إيمان وتوحيد لا قيمة لها لأنها فى زوال تحت أى ظرف من الظروف** . كأن يعتدى عليهم آخرون فيخربون ويهدمون ويسلبون . أما الإيمان والإسلام لله فهو الحصن الحصين . ولذا فقد نطقت الملكة بما كان يعتمل بصدرها ويدور بخلدها من فترة (رد الهدايا وخطاب سليمان وطلبه إليهم بإعلان إسلامهم) وتغلبت الفطرة السليمة على مادرجت عليه ونشأت من الجهالة والوثنية والشرك . أعلنت صادقة وباءت بذنبها وآثامها **واعترفت بأنها ظلمت نفسها كثيراً فى حياتها الماضية .أعلنت إسلامها لله وحده مع سليمان لا له** . وختمت حياتها بإسلامها وإيمانها بنبوة سليمان (عليه السلام) وبالله رب العالمين أجمعين خالق البشر وواهب النعم والآلاء وهنا صدق حس سليمان (عليه السلام) بإيمان الملكة وإسلامها لله هى وقومها لا رجما بغيب وإنما باستقراء الأمور وثقة فى أن الهدى من الله وما علينا إلا الأخذ بالأسباب . ومن ناحيتها - الملكة - كانت موقنة أنها لا تتعامل مع أحد الملوك الجبابرة بدليل أن الرسالة الأولى من

سليمان إليها كانت مفتتَحة باسم الله الذى صفاته أنه رحمن ورحيـــم . وأنـــه دعاها - فى نفس الخطاب - بعدم الاستعلاء والتكبر ودعاها للإســلام بــرب العالمين . وعندما اقترحت إرسال هدايا إليه لتتيقن أنه نبى مرســل أو ملــك جبار من ملوك الدنيا الذين يفسدون فى الأرض ولا يهمهم إلا توسيع سلطانهم وتدمير القرى والممالك حتى يكونوا - وحدهم - المتمتعون بالرقى والرخـــاء والرفاهية دون غيرهم من الشعوب.ولما عاد رسلها بالهدايا تأكدت من ظنونها ولم تعلن التعبئة أو الحرب بل ذهبت للتأكد بنفسها من منزلة سليمان وحقيقــة دعوته بالإسلام دون خشية الوقوع فى الأسر لأنها باتت أقرب لليقين منها إلى الشك فى دعوة سليمان (عليه السلام) ونبوته . أما حاشيتها فكما قص علينا القــرآن يأتمرون بأمرها (الأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين) أى أنها صاحبة الكلمـــة الأخيرة فى موضوع الحرب - وغيره - وإن كان ذلك لا يمنعـــها استشـــارة حاشيتها . ولأن الله أراد لها الاسلام دينا فقد يسر لها السبيل وهيأ لها الأسباب لأنه وحده رب الأسباب والمسببات كلها.

السحر :

ومع موقف آخر لنبى الله سليمان (عليه السلام) نعيــش حــول مـــا نســجه المخرفون والمزورون والمدعون حيث نسبوا إليه تعليم الناس الســحر وأنـــه كان ساحراً حاذقا :

*ولما جاءهم (اليهود) رسول من عند الله (محمد) مصدق لما معهم نبـــذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنـــهم لا يعلمـــون (بشارة مقدم النبى (صلى الله عليه وسلم)) * واتبعوا ما تتلـــوا الشــياطين (مــن الكــذب والسحــر) على ملك سليمان (ادعاءً عليه) . وما كفــر ســليمان ولكــن

الشياطين كفروا (وكذبوا) يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة (ابتلاء) فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم . ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق (نصيب من الخير) . ولبئس ماشروا به أنفسهم (باعوا) لو كانوا يعلمون * ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبةً من عند الله خير .لو كانوا يعلمون(273).

لقد أخلف اليهود عهدهم مع النبى (ﷺ) إثر قدومه إلى المدينة المنورة مهاجراً من مكة . وهو العهد الذى وادعهم فيه بشروط معينة بينما كانوا هم أول من أعان عليه أعداؤه . وأول من عاب دينه وحاولوا بث الفرقة والفتنة فى الصف المسلم مخالفين ماعاهدوا المسلمين والنبى (ﷺ) عليه . وكان من مظاهر نقض عهودهم ومواثيقهم **أن الله سبحانه وتعالى قد أخذ عليهم ميثاقا أن يؤمنوا بكل رسول يبعثه وأن يحترموه وينصروه ويؤيدوه :**

* ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه(274) .

*ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا (أمينا) وقال الله إنى معكم . لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل (275).

*ولما جاءهم كتاب من عند الله (القرآن) مصدق لما معهم (التوارة) وكانوا من قبل يستفتحون (يستنصرون ببعثة النبى ويستبشرون به على الوثنيين)

على الذين كفروا . فلما جاءهم ماعرفوا كفروا بـــه . فلعنـــــة الله علـــى الكافرين[276].

وهذا الميثاق يشمل أيضا النبيين جميعهم :

* وإذْ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول (أى رسول) مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال ءأقررتم وأخذتم علـــى ذلكم إصرى (عهدى) قالوا أقررنا . قال فاشهـــــــــدواوأنـــا معكـــم مـــن الشاهدين[277] .

إذن فعهد بنى إسرائيل مع الله وهو مماثل لعهد النبيين مـــع الله جـــل وعلا أن يؤمنوا بأى نبى أو رسول يبعثه الله لأن هذا النبى وذاك الرسول إنما جاء مصدقاً لما معهم من الكتب والرسالات . وعليهم بالتالى نصرته وتـــأييده فيما يأتى به من عند الله . ولما جاءهم محمد (ﷺ) بالقرآن الكريم وبدلائـــل نبوته ورسالته نبذ فريق منهم كتاب الله (القرآن) وطرحوه وراء ظـهـورهم ونقضوا عهودهم مع الله برغم أن فى كتبهم البشارة والدليـــل علـــى بعثتـــه وصـــدق الرسالة التى جاء بها . ورغم هذا أنكروا وجحدوا كل شـــىء بـــل وأنكروا ما سُطر في كتبهم (التوراة والزبور والإنجيل) وكأنهم لا يعلمـــون شيئا مما هو مكتوب ومسطور فى كتبهم . وليس هذا فقط وإنما **اتبعـــوا مـــا تتلوا الشياطين وتقصه على مملكة سليمان (عليه السلام) وعنه . الشياطين التـــى زينت لهم الخرافات والأساطير الكاذبة عن ملك سليمان ونبوتـــه ورســـالته وحكمته . تلك الأساطير والخرافات التي لا تستند إلى ذرة واحدة من الحقيقة وتدعى بهتانا وزوراً أن سليمان (عليه السلام) كان ساحراً ماهراً وحاذقاً سخّر مـــا عنده من الجن والطير والإنس بطرق سحرية خاصة لا يعلمـــها إلا هـــو .** وينفى الله جل شأنه تلك الفرية والتهمة البشعة عن نبيه سليمان (عليه السلام) فيقـول

سبحانه **(وما كفر سليمان) وكلمة (ما) نافية لكـــل مـــا يروجـــون لـــه ويدعونـــه** . ولكن الذين كفروا هم الشياطين الذين زينوا للناس أعمالهم . **لأن من مارس سحراً أو لجأ إلى ساحر أو كاهن فقد كفر بالله:**

* قال رسول الله (ﷺ) : اجتنبوا السبع الموبقات (المهلكات).

قالوا يارسول الله : وماهن . قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حـــرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف (الفرار مـــن المعركة) وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات.(متفق عليه)[278] .

*عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : اجتنبوا الموبقات (المـــهلكات) الشرك بالله والسحر [279] .

ولكن لا عجب لأن هؤلاء القوم - اليهود - قد درجوا علـــى الإيمـــان والتصديق بالكهانة والسحر والنبوءات والتنجيم والترويج لـــها منـــذ إقامتـــهم بمصر القديمة ومخالطتهم السحرة والكُهّان:

* ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجِبْتِ (مايُعبد مـــن دون الله والسحروالكهانة) والطاغوت (الشيطان أو الســـاحر) ويقولـــون للذيـــن كفروا هؤلاء (السحرة والطواغيت) أهدى من الذين آمنوا سبيلا[280] .

(وماكفر سليمان) بممارسة السحر لأنـــه نبـــى مرســـل ويعلـــم أن ممارسة السحر والكهانة كفر بالله ولكن الشياطين هم الذين كفروا وزينـــوا للناس السحر يمارسونه ويعزون إليه الخوارق (المعجزات) من الأمور ولا يؤمنون بآيات الله التى يؤيد بها رسله (المعجزات) .

والله جل شأنه ينفى مرة أخرى نزول السحر من عنده (وما أُنـــزل على الملكين) وإنما كان هذين الملكين (هاروت وماروت) فتنة وابتـــلاء من الله لأهل بابل فيذهبون إليهما طالبين تعلم السحر وفنونه . والسحر ليـــس من عند الله ولم ينزله على الملكين (وما أُنزل) لأن الله لا يأمر بفحشـــاء أو كفر :

***قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله ما لاتعلمون**[281].

وإذا ما عدنا بالذاكرة إلى أيام (**السَبْى البابلى**) وما كان فيه مـــن ذل واضطهاد لبنى إسرائيل . وماكان فيه من وضع وتأليف لأسفار العهد القديـــم بمعرفة (عَزْرا ونحميا) بعد نزول التوراة بأكثر من سبعمائة سنة سندرك فى الحال أن **ادعاءات اليهود بكهانة سليمان** (عليه السلام) **وممارسته السحر ما هـــى إلا سلسلة من الافتراءات اليهودية ضد أنبيائهم الكرام .**

وكلما تعلم بعض الناس من الملكين (هاروت وماروت) شـــيئا مـــن السحر والكهانة يحذرونهم من ممارسة ذلك السحر لأنه كفر بالله جـــل شأنه (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر) ولكن أولئك الذيـــن رغبوا عن هدى الله واستمرأوا الكفر بممارسة السحر وتعلموا (مايفرقون بـــه بين المرء وزوجه) . أى إشاعة الشحناء والبغضاء بين الأزواج بـــدلا مـــن المودة والسكن والرحمة التى أودعها الله بين الأزواج :

*ومن آيته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكـــم مـــودة ورحمة.إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون[282].

ورغم تعلمهم السحر وممارسته فإن ضرره يتوقف على مشيئة الله شأنه فى ذلك شأن كل الأمور الأخرى :

*عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى (ﷺ) يوما (على دابته) فقال: ياغلام إنى أعلمك كلمات . احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك (معك). إذا سألت فأسال الله. وإذا استعنت فاستعن بالله . وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك . **وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىءٍ لم يضروك إلا بشىءٍ قد كتبه الله عليك** . رُفعت الأقلام وجفت الصحف[283].

وفى تعلمهم السحر رغبة دفينة للضر لا النفع . الضرر لغيرهم ولهم لأنهم جنوا الذنوب والخطوب التى توردهم موارد التهلكة والكفر بتعلم وممارسة السحر . وهم يعلمون ذلك (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) ويعلمون أنهم فى الآخرة سيناالون الحساب والجزاء (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) ورغم هذا يصرون على المعصية والضلالة . وإنه لأمر عجيب من هؤلاء الناس أن يشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) وبالطبع فهم يعلمون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكفرون بها ولا يصدقون وعيد الله والعذاب الذى أعده لكل كفار عنيد من المهانة فى الجحيم . ولو أن هؤلاء القوم عقلوا ما هم فيه وارتدعوا عن غيهم وسعيهم للشر والضلالة ما كان مصيرهم كذلك (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) .

ونخلص مما سردناه إلى أن من نبذ ونقض وأعرض عن كتاب الله وهديه وراء ظهره وسعى للضلالة والاضلال والإفساد بين الناس وادعى ماليس له به علم على عباد الله وصفوتهم وهم الأنبياء فإنما اختط لنفسه طريقا لا رجعة فيه ولا نجاة منه (ولبئس ماشروا به أنفسهم) أما من احترز واحترس أن تزل قدماه فى ذلك الطريق الوعر وسعى بإيمانه وتقواه إلى

مرضاة الله والتصديق بما جاء به الرسل والأنبياء دون ابتداع ودون ادعـــاء ضمن لنفسه السلامة والنجاة وجزاؤه عند الله ثوابا ورحمة خير مما ينتظــر ويتوقع . ولنعلم أن الله يؤيد رسله وأنبياءه بالآيات والمعجــزات وتــأييد الله لايكون إلا بخير . فلا ينبغى لنا أن ننساق وراء أباطيل وخرافـــات ابتدعــها وافتراها اليهود على أنبيائهم فلم يسلم منهم أحــدا (فريقـــا كذبـــوا وفريقـــا يقتلون) . والقرآن الكريم المنزل من عند الله ليس فيـــه دليـــل واحـــد علـــى مفترياتهم بل العكس فيه الحق والصدق :

***إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون * وإنه لهدىً ورحمة للمؤمنين**(284).

الصافنات الجياد :

* ووهبنا لداوود سليمان . نعم العبد إنه أواب *إذْ عُـــرض عليـــه بالعشـــي الصافنات الجياد * فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى تـــوارت بالحجاب * ردوها علىّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق(285).

يقص سبحانه وتعالى قصة ابتلاء وقعت لسليمان (عليه السلام) ابن داود (عليه السلام) . فقد كان كل منهما يداوم على تسبيح الله جل شأنه فى العشى والإبكار :

*إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق (286).

أى أن موعد تسبيح الله وتنزيهه كان من الصباح إلى غروب الشـــمس. ولما عرضت الجياد على سليمان (عليه السلام) ليراجعها ويتأكد مـــن تجـــهيزها لمعركة وشيكة طاف عليها يمسح سوقها وأعناقها مباركا إياها لأنـــها معـــدة

هامة من معدات الحرب (فى تلك الأزمنة وفى زمن بعثة النبى (ﷺ) أيضا كان من المألوف عند التجهيز لمعركة وشيكة أن يتم التأكد من سرج الخيل ورباطها والأسلحة والمؤن . وكذلك إطعام الجياد وتدليك سوقها وعضلاتها وأعناقها لتكون على أهبة الاستعداد لخوض المعارك . ويحدث فى عصرنا الحديث أشياء مشابهة لتلك التجهيزات . فالطائرات والدبابات والمركبات لا تنطلق فجأة فى ساحة القتال وإنما يتم تسخين وإدارة محركاتها حتى يتسنى اصلاح العيوب قبل بدء المعركة كما أن مواتير تلك المركبات تعمل بكفاءة أكبر إذا ما كانت ساخنة عنها وهى باردة . وأيضا تتم الآن عمليات الصيانة الدورية للمعدات والأسلحة حتى لا يصيبها العطب وقت العمليات العسكرية).

وبعد أن قام سليمان (عليه السلام) بتفقد الجياد وتدليك عضلاتها بنفسه (بعد تدليك الجنود لها قبله) للمزيد من الحيطة والتأكد من سلامتها ومراجعة كل شيء قبل بدء المعركة (ولنتذكر الآن مشهد استعراض سليمان (عليه السلام)لجنوده من الجن والإنس والطير وهم سائرون فى وادى النمل وافتقاده للهدهد رغم أنه جندى واحد ضمن فيالق وفرق كثيرة من الجيش . فبحث عنه وسأل عن سبب غيابه عن قوات الاستعراض) **وتلك هى سمات القائد الناجح الذى لا يعتمد على مجرد التقارير وهو جالس فى مكتبه وإنما عليه تفقد حالة الجنود والأسلحة والمركبات والمؤن على الطبيعة حتى تكون رؤيته شاملة ودقيقة وخططه نابعة من واقع حالة القوات فعليا .**

تفقد سليمان (عليه السلام) الجياد ومسح (دلك) بيده سوقها وأعناقها . وبعدما أتم ذلك جعلها تنطلق (للتجريب والتدريب والمناورة) حتى اختفت عن ناظريه . ثم عادت إليه بعد حين ليعاود مسح السوق والأعناق مرة أخرى والفترة التي انقضت بين تجهيز الجياد وانطلاقها ثم عودتها والاطمئنان عليها

مرة أخرى وتدليك سوقها وأعناقها (لكل الجياد) واضح أنها استغرقت الوقت المخصص لتسبيح الله فترة العشي (إذْ عُرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) فلما تنبه سليمان (عليه السلام) أنه بانشغاله بالجياد أغفل دون عمد (سهواً ونسيانا) التسابيح التي كان يقوم بها منزها الله ومسبحا ذاته العليه وشاكراً نعمه عليه . تذكر سليمان أن موعد التسبيح بالعشي قد انقضى دون أن يفعل . وبالرغم أنه كان فى حالة إعداد الجياد للجهاد فى سبيل الله وفى معية الله ومراقبته فإنـــــه اتهم نفسه بالتقصير الشديد على غفلته وسهوه فاستغفر ربه على ما حـــــدث . (حدث ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) عندما كان يقوم وأصحابه بحفر الخندق حول المدينة المنورة فنسى صلاة العصر حتى غربت الشمس فصلاها بعد الغروب وقبـــل صلاة المغرب)[287].

وهذه شيمة المخلصين والأتقياء . كلما فعلوا خيراً يتـــــهمون أنفســـهم بالتقصير حتى ولو كان الفعل العارض مساوٍ أو يفوق الفعل الأصلـــي الـــذي انعقدت عليه الرغبة والعزم في البدء . وكان السهو والنسيان سبباً في تأديـــة عمل دون آخر . ونربأ بأنفسنا وبنبي الله سليمان (عليه السلام) من الإســـرائيليات التي قيلت في هذا الموضوع وغيره فلا نذكرها أو نناقشـــها لتفاهـــة مافيـــها ولتجنّي رواتها على المصطَفَين من عباد الله .

فتنة الكرسى :

*ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب(وتاب) *قال رب أغفـــر لى وهَبْ لى مُلْكا لا ينبغى لأحدٍ من بعدى إنك أنت الوهّاب[288].

وهذا ابتلاء آخر وامتحان لسليمان (عليه السلام). ابتلاه الله بمرض أعاقه عن ممارسة مهامه وإدارة شئون مملكته فحزن لذلك كثيراً ولجأ إلى التطبيب بالأدوية والأعشاب دون تحسن ملموس . وابتلاء الإنسان بالمرض يتم بين الحين والآخر فيصبر من يصبر ويقنط من يقنط . وقنوط سليمان ليس نِقّمة على الابتلاء إنما هو شعور انتابه لإحساسه بالعجز عن الجهاد فى سبيل الله والمجاهدة فى إعلاء كلمة التوحيد . و **(ألقينا) تعنى (ألقيناه) على كرسيه كالجسد الهامد بلا نشاط كما اعتاد وكأنه فاقد للحياة** (نعبر فى كثير من الأحيان عن الإرهاق الشديد وأداء المهام الشاقة بأن الإنسان قد أصبح كالجثة لا حراك فيها ولا حياة والمقصود فقدان النشاط البدنى والحيوية المعتادة نتيجة تفكك العضلات واجهاد الأربطة والمفاصل) . وكما نعلم أن أشد الناس ابتلاء هم الأنبياء كما روى عن النبى (صلى الله عليه وسلم):

* عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبى وقاص قال : قلت : يارسول الله أى الناس أشد بلاءً ؟ . قال : الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل . يُبتلَى الرجل على حسب دينه[289] .. الخ .

*عن العلاء بن المسيّب عن أبيه عن سعد . قال : سُئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

أى الناس أشد بلاءً ؟ . قال : الأنبياء . ثم الأمثل فالأمثل . يُبتلَى الناس حسب دينهم . فمن ثخن دينه (عظم) اشتد بلاؤه . ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ماعليه من خطيئة[290].

*عن أبى سعيد أنه دخل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو موعوك (محموم) عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك (الحمّى) يارسول الله . قال : إنا كذلك (الأنبياء) يشدد علينا البلاء ويُضاعف لنا الأجر . ثم

قال : يارسول الله من أشد الناس بلاءً ؟ قال : الأنبياء . قال : ثم من ؟ قال: العلماء قال : ثم من ؟ قال الصالحون . [291]

وابتلاء نبى الله سليمان (عليه السلام) بالمرض الذى أقعده استوجب منه الاستغفار والإنابة إلى الله كى يرفع عنه البلاء والمرض ليعاود تأدية مهامه فى سبيل إعلاء كلمة الحق فى الأرض (وحدث أن أصيب النبى (صلى الله عليه وسلم) بالحمّى فى مرض الوفاة وكان كلما أفاق من غيبوبة مرضه يقوم ليصلى بالناس وإذا اشتد عليه المرض يغيب عن الوعى وهكذا على نوبات متقطعة) . وحين منّ الله على سليمان (عليه السلام) بالشفاء دعا ربه أن يهبه ملكا يعينه على أداء رسالته لا يحق لأحد من بعده :

*قال رب اغفر لي (على ما أحسبه خطأ وتقصير) وهَبْ لي ملكا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهاب.

وفاته:

*فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض (حشرة تأكل الخشب) تأكل مِنسأته (عصاه) . فلما خرّ (سقط) **تبينت الجن أنّ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين** [292] .

وتجيء الخاتمة فى قصة نبى الله سليمان (عليه السلام) باكتشاف وفاته . بعد عمر طويل حافل قضاه فى الدعوة إلى الله وعبادته مؤيَّداً من عنده بالآيات (الريح - الجن - الإنس - الطير .. الخ) التى تيسر مهمته فى تبليغ دعوة الله والجهاد فى سبيله حين انقضى الأجل توفته الملائكة طيبا :

*قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكِّل بكم ثم إلى ربكـــم ترجعون[293].

وكان لآخر لحظة فى حياته متبتلاً ومسبحا الله . **وبلغت مملكته فـــى عهده مرحلة لم ولن تتكرر فى عمر بنى إسرائيل بإذن الله تعالى .** مرحلـــة من الثراء المـــادى والروحى،حشر الله له الجـن والإنـس والطـير فـهم يوزعون (ينتظر أولهم ليلحق بهم آخرهم وينتظم الحشد) ومنحه العديد مـن النعم التى تعينه على تبليغ رسالة الله إلى قومه . فلما انقضى أجلــه (قضينـا عليه الموت) قُبضت روحه الطاهرة وهو متكئٌ على عصـاه فـى معبـده (الهيكل) . كانت الجن تقوم بالأعمال المنوطة بها دون عصيان أو تمـرد . ومن يتمرد منهم ويزغ عن التكاليف كان مصيره القيود والأغلال (وآخريـن مقرنين فى الأصفاد & ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السـعير) . والجن لم تُخلَق لعمارة الأرض وخلافتها (بعكس الإنسان) ولكنـهم كـانوا مسخرين للعمل تحت إمرة سليمان (عليه السلام) فيعملون لـه المحـاريب (دور العبادة) والقصور والتماثيل النحاسية والأحواض الضخمة (جفانٍ كالجواب) وقدور ضخمة (راسيات) على مواقد وهى قدور لا يستطيع حملها النـاس . قُبضت روح سليمان (عليه السلام) وهو متكئٌ على عصاه فـى مجلسـه بالـهيكل فظنت الجن أنه يراقبها فيما تعمل فلم تعص الأوامر ولم تتخل عن الاستمرار فى العمل . وأوحى الله جل علاه وأصدر أوامره لحشـرة الأَرَضَـة (دابـة الأرض) أن تأكل وتنخر عصا سليمان (عليه السلام) التى يتكئ عليـها . فـاختل توازن الجسد المسنود على العصا (فلما خرّ) ثم سقط على الأرض . حينئـذ علمت الجن بموت سليمان . ورغم فرحتها وسرورها بالخلاص من الأعمـال الشاقة (العذاب المهين) التى كانت تقوم بها إلا أنها تأثرت ـ بالقطع ـ لمـوت نبى الله سليمان (عليه السلام) . النبى الكريم الذى انتهى بموتـه عصـر المملكـة الموحدة لبنى إسرائيل .

ونخلص من قصة حياة سليمان (عليه السلام) بالعظات الآتية :

(أ)– كل مخلوق له أجل إذا وافاه لا مردّ له من أمر الله سواء كان هذا المخلوق إنساً أو طيراً أو حيواناً .. الخ . نبياً مرسلاً أو بشراً . صغيراً أو كبيراً . غنياً أو فقيراً . معافاً أو مريضاً ومعتلاً .

(ب)– لأن الإنسان وكل مخلوق لا يعلم متى يحين أجله فعليه أن يظل على جهده مع الله لآخر لحظة فى حياته فيموت على الطاعة لا المعصية . يحمده على نعمائه ويعبده ولا يشرك به شيئا .

(ج)– استخدام عطايا الله ونعمه فى طاعة الله هو أفضل ما يتمناه ويصبو إليه المؤمن .

(د)– برغم نعم الله الكثيرة وتسخير بعض المخلوقات فى خدمة سليمان (عليه السلام) لتعمل تحت إمرته لم يدفعه ذلك للغرور و الجحود و الاستعلاء على الناس . بل زاده ذلك إيمانا وطاعة ابتغاء مرضاة الله :

"رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين [294].

(هـ)– لم يغتر سليمان (عليه السلام) بهدية ملكة سبأ وكانت غضبته فى الحق لله حينما علم أنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .

(و)– الجن ليسوا أقوى بأساً من البشر ولا باقى المخلوقات كما يتخيل الكثير من الناس (وكما قال الجن عن نفسه متفاخراً أنه مخلوق من النار بخلاف الإنسان الذى خُلق من التراب والطين) ودليل ذلك أن الذى أتى بعرش ملكة سبأ ليس من الجن (عفريت قوى من الجن) بل عبدٌ لله أنعم الله عليه

بالإيمان والعلم فأنجز المهمة كأحسن وأسرع ماتكون (أنا آتيك به من قبل أن يرتد إليك طَرْفك).

(ز)– **الجن مخلوق – كباقى المخلوقات – لا يعلم الغيب** بدليل أن موت سليمان لم يدرِ به الجن إلا بعد أن أكلت (دابة الأرض) أى حشرة الأَرَضَة العصا الخشبية لسليمان (عليه السلام) والتى كان يتكئ عليها (**فلما خرّ تبينت الجن أنْ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين**) وأيضا الملائكة والرسل لا يعلمون الغيب :

***قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء**[295] .

(ح)– نفى الله سبحانه وتعالى السحر عن سليمان (عليه السلام) كما ادعى اليهود وافتروا عليه.وتعليم السحر وممارسته هو من الكفر (وما كفر سليمان) **والسحر كله ضر لا نفع فيه وإلا كان أول المنتفعين به هو من يمارسه فيجلب لنفسه الثراء والعافية والقوة وغيرها من الخيرات** . وحتى الضرر المفترض وقوعه من ممارسة السحر لا يحدث إلا بإذن الله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله . ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم).وجنود سليمان (الجن والإنس والطير) **كانت مسخرة بأمر الله لسليمان ولم يسخرها سليمان لنفسه بطرق سحرية كما يدعون .**

(ط)–ابتلاءات سليمان (عليه السلام) (وغيره من الأنبياء) هى ابتلاءات تليق بالأنبياء والمرسلين ؛ فلا يصح الانسياق وراء الأساطير والخرافات التى تملأ – للأسف – كتب التفاسير والسيرة والمرويات التوراتية فيما ذهبت إليه .

(ى)- إذا ماكُلِّفَ أحدٌ بالقضاء والحكم فليكن حكمه بالعدل ولا يتبع الهوى (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ومن شروط العدل الاستماع لكافة الأطراف المتخاصمة دون تحيز أو مجاملة أو ميل مع تمحيص الاتهامات والشكايا والدفوع والتثبت منها دون تسرع.

(ك)حين ابتلى الله سليمان (عليه السلام) بالمرض الشديد لم يجزع ولم ينقلب على وجهه كما يحدث لكثير من الناس بل صبر ودعا الله أن يكشف عنه الضر ويعينه على تبليغ دعوته للناس وأن يمنحه التأييد والتعضيد . وفى الحديث :

*عن أبى يحيى صهيب بن سنان قال : قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم):

عجباً لأمر المؤمن . إن أمره كله خير . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء (مايسره) شكر . فكان خيراً له . وإن أصابته ضراء صبر (مايضره) فكان خيراً له[296].

* ومن الناس من يعبد الله على حَرْف (شك وتزلزل فى الدين) فإن أصابه خيرٌ اطمأن به . وإن أصابته فتنة (ابتلاء) انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين[297] .

ونرى أن نبى الله سليمان (عليه السلام) كان من الصابرين (نعم العبد إنه أواب) فاستحق رضوان الله فعافاه وغفر له وأعطاه الكثير من النعم .

(ل) . تجهيز القوات والمعدات والمؤن قبل المعارك أمر ضرورى . والتأكد من حالتها وصلاحيتها وصيانتها من مسئولية القادة ولا يعهد بها إلى التقارير وحدها دون المراجعة العملية على أرض الواقع حتى لا يكون التقصير وعدم الصيانة سببا للهزيمة .

(م) - الضبط والربط من العوامل الأساسية فى نجاحات الجيوش وكل فرد مكلف بأداء عمل بعينه عليه الالتزام والاخلاص (حراسة - مراقبة - استطلاع..) .

(ن)- الثقة فى نصر الله لعباده المؤمنين الطائعين من شروط النجاح :

*إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.[298]

(س) - الصدق منجاة دائما من الوقوع فى الأخطاء والتعرض للعقاب . ولنا فى قصة الهدهد المثل الواضح (وجئتك من سبأ بنبأ يقين).

(ع) جميع المخلوقات هى أمم أمثالنا . مسخرة لما اقتضته حكمة الله :

*وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم[299].

فلانهزأ أو نسخر من أصغر المخلوقات أو أضعفها . فالأمراض العضال الصعبة الشفاء لا يسببها إلا ميكروبات وفيروسات دقيقة الحجم جدا . والهدهد قام بدوره كما ينبغى وكذلك النملة التى حذرت قومها من جيش سليمان .

(ف) - الأرض يرثها عباد الله الصالحون . فصلاح سليمان (عليه السلام) ومن آمن معه مكّن لهم فى الأرض فكانت نصرتهم على الوثنيين ووراثتهم أرضهم :

* ولقد كتبنا فى الزبور (رسالة داود) من بعد الذكر (توراة موسى) أن الأرض يرثها عبادى الصالحون.[300]

(ص)- لا يجب تمنى الثروة أو الجاه أو السلطان لأن الحصول علـــى ذلــك ابتلاء لا يقدر عليه كثير من الناس . وعلى قـــدر الـــثروة - مثـــلا - يكـــون الحساب :

*ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض . ولكن ينزل بقدرٍ مايشاء . إنه بعباده خبير بصير[301].

وتمني سليمان (عليه السلام) ملكا لا ينبغى لأحد من بعده لا يقدر عليه عامة البشر لأن النبياء والمرسلين مؤيّدون من قِبَل الله ومعصومـــون مـــن الزلـــل والدنايا من الأمور .

(ق) - تدبر آيات القرآن الكريم وفهم مرادها يحول دون الانزلاق إلى خرافات وتأويلات فاسدة تحط من قدر عباد الله الصالحين وأنبيـــاء الله المخلصيـــن . **وليس كل ما هو شائع ومألوف من الروايات والسير والتأويلات والتفسيرات هو الصواب بعينه** . علّمنا الله وفقّهنا فى دينه :

*أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها[302] .

(ر) - من صفات ملوك الدنيا أنهم يفسدون فى الأرض إذا ماقدروا أما أنبيـــاء الله وعباده الصالحون فليس فى طبعهم ولا شيمهم الإهـــلاك والإفســـاد فـــى الأرض :

*إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة[303] .

(ش)- يجب أن ننأى بأنفسنا عن الرواية الإسرائيلية التى تدعى أن لســـليمان (عليه السلام) زوجات وجوارى ومحظيات تزيد على السبعمائة فى رواية وروايات أخرى تقول أنهن سبعون أو مائة أو ألف .. الخ وأيضا تلك التى تصف كنوز

سليمان وخاتم سليمان وبساط سليمان . وكلها أساطير وأباطيل لا تمت للحقيقة بصلة . ونحن لا نهون ولا نهول في ذات الوقت عما كان لدى نبي الله سليمان (عليه السلام) من الثروة والممتلكات. وإنما نتلمس الحقيقة في آيات القرآن الكريم ولا نزيد أو ننقص .

(ت)- نحن نرفض أى مساس بأنبياء الله المكرمين أولئك الذين قصهم علينا رب العزة تبارك وتعالى فى كتابه الكريم ولا نتقوّل عليهم كما يتقوّل الآخرون ولا ننسب إليهم أباطيل وهرطقات.وهم لدينا نحن معشر المسلمين قمة الصفاء والنقاء البشرى خَلْقا وخُلُقا وعملا وتقوىً وهم جميعا من المصطَفَين الأخيار الذين اختارهم الله على علمٍ ليكونوا أنبياءً ورسلا مبشرين ومنذرين للناس الذين أرسلوا إليهم . ونحن لا نفرِّق بين أحد منهم ونحن لله مخلصون ومصدقون ومؤمنون بما جاءوا به :

*قل (يا محمد أنت وأمتك) آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم **لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون**[304].



عُـــزَيْر (عليه السلام)

*وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولــهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل. قاتلهم الله أنَّى يؤفكون[305].

وهذه هى الاشارة الوحيدة فى القرآن الكريم لنبى الله عُزَيْر. والآيـــة تدلنا على أنه من اليهود (بنى إسرائيل) وأن له منزلة كبيرة عندهم بدليل أنهم رفعوه إلى مصاف الآلهة ووصفوه أنه ابن الله - حاشا لله - وأنه جـــاء بعـد سنين طويلة من بعد موسى (وقالت اليهود) . لأن التسمية باليهود إنما هـــى ابتداء من موسى (عليه السلام) وهم - اليهود - يمـــاثلون ويشـــابهون مـــا ادعتــه النصارى من أن عيسى ابن الله - حاشا لله أن يكون له ولد – وسبب ادعائـــهم هذا الله تعالى أعلم به.وإن كانت هناك روايات عنه فى الأسفـــار التوراتـــية (العهد القديم) ينسبون فيها إليه أن له معجزات شفاء الأعمى (قالوا أنه شفى خادمة له كانت ضريرة) وإحياء الموتى (قالوا أنه مات مائة عام أو يزيد ثم بُعث مرة أخرى بنفسه أو بفضل الله عليه) وقالوا أنه هو الذى جدد لهم كتابة التوراة بعدما فقدت حيث يدعون أنه كان يحفظها عند احتراق جميع النســـخ وإتلاف الموجود منها مع اليهود إبان الغزو البابلى ثم السَبْى . وقالوا عنه أنـــه (عَزْرا) الذى كتب التوراة فى فترة السَبْى البابلى . وقالوا عنه الكثير مـــن القصص والروايات والمعجزات ما أنزل الله بها من ســلطان . وقـــالوا أنـــه صاحب القرية المذكورة فى سورة البقرة :

*أو كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنَّى يحيي هـــذه الله بعد موتها . فأماته الله مائة عامٍ ثم بعثه . قال كم لبثت . قال لبثت يومــــا أو

بعض يوم . قال (الله) بل لبثت مائة عامٍ فانظر إلى طعامك وشـــرابك لم يتسنّه(لم يتغير أو يتلف) وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس . وانظــــر إلى العظام كيف ننشزها (نرفعها من الأرض لنولفها) ثم نكسوها لحماً . فلما تبيّن له قال أعلم أن الله على كل شيءٍ قدير[306] .

وكل هذه الأقاويل ليس لها سند من القرآن الكريم أو السنّة بأنـــه هـــو المقصود والمعني بتلك الأحداث ولا نزيد على ماجاء فى الآية المذكورة مـن سورة التوبة بأن قومه اعتبروه إبناً لله - تعالى سبحانه عما يقولون - كما قالت النصارى عن عيسى نفس المقولة . وكلاهما (اليهود والنصارى) يشـــابهون بادعائهم هذا قول الذين كفروا من قبل وهم :

ثالوث المصريين القدماء (إيزيس وأوزيريس وحــــورس) والـــهنود (براهما وفشنوا وسيفا) والآشوريين (مردوخ الذى يقولون عنه أنه ابـــن الله البكر) والإغريق (يقولون بالإله المثلث الأقانيم) والعرب القدامى (اعتــبروا الملائكة إناثاً وأنهن بنات الله) حاشا لله عن كل هذا الزيف والافتراء وكــــل تلك العقائد الشِرْكية الفاسدة صبغت معتنقيها ووصمتـــــهم بـــالكفر والإلحـــاد والشرك بالعلى الكبير . **فمن قال ذلك وروّج له فهو كافر بالنص القرآنـى بعد سطوع الحق وتبيانه على يد أنبياء الله ورسله :**

*قالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه هو الغنى . له مافى السماوات ومافى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا . أتقولون على الله ما لا تعلمون[307] .



زكريا (عليه السلام) ويحيى (عليه السلام)

***كهيعص** *ذِكْرُ رحمة ربك عبده زكريا * إذْ نادى ربه نداءً خفيّا * قال رب إنى وَهَن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيّا (ضائع السعى) * وإني خِفتُ الموالى من ورائي (عصبته وأقاربه وكانوا من أشرار اليهود)وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليّا (إبنا يلينى) * يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيّا (مرضيا عندك) * **يازكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يَحْيَى لم نجعل له من قبل سميّا** * قال رب أنّى يكون لى غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عِتيّا (طعن سنى) * قال كذلكَ قال ربكَ هو عليّ هيّن (يسير على الله) وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * قال رب اجعل لى آية (علامة بالبشرى) . قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويّا * فخرج على قومه من المحراب (المصلى) فأوحى (أشار بيده) إليهم أن سبحوه بكرةً وعشيّا * يايحيى خذ الكتاب (التوراة) بقوةٍ وآتيناه الحُكْم (النبوة) صبيّا * وحناناً من لدنّا وزكاةً وكان تقيا * وبَرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصيّا * وسلام عليه يوم ولِد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّا[308].

- وزكريا إذْ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يَحْيَى وأصلحنا له زوجه (شفيناها من عقمها) إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهَباً وكانوا لنا خاشعين[309].

* إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين . ذرية بعضها من بعض . والله سميع عليم *إذْ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محرّراً (متفرغا للعبادة وخدمة الهيكل) فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى (مريم) والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى . وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم *فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريا (يرعاها) . كلما دخل عليها زكريا المحراب (المصلى) وجد عندها رزقا قال يامريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب *هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء *فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً (منزّهاً عن المعصية) ونبيا من الصالحين *قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر . قال كذلك الله يفعل ما يشاء * قال رب اجعل لي آية (علامة بالبشرى) . قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً (بالإشارة) واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار(310).

*وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . كلٌّ من الصالحين(311).

هذه الآيات وردت في القرآن الكريم لتقص علينا الصدق والحق عن زكريا (عليه السلام) حينما بلغ المشيب دون أن ينجب ولما كان زكريا من ذرية يعقوب (عليه السلام) فقد كان متشوقا لأن تكون له ذرية ترث النبوة والدعوة إلى الله وخدمة الهيكل المخصص للعبادة في بني إسرائيل . تشوقا غريزيا للذرية والنسل وهو العبد الطائع لله والدائم التسبيح والدعاء والحمد . دعا زكريا ربه دعاءً فيه خشوع وحياء وضراعة وتبتل وابتهال ومناجاة . دعاءً خفيض

الصوت يبثه فيه - سبحانه - شكواه وحاجته ورغبته وهمه الذى يثقل صـــدره وبدعائه المتكرر والمتواصل لله لم يكن ضائع السعى فاقد الأمل قانط الصـــدر بل كان دعاءً يرضى الله عز وجل وفيه وثوق من استجابة الله له.لأن دعـــاء الأنبياء لا يرَدّ ومستجاب.ورحمة الله تعم جميع المخلوقات ويؤكدها ما ارتـــآه زكريا (عليه السلام) من الرزق الذى يفيض على مريم وهى تصلى فى المحراب . وهو الرزق الذى لا ينبغى أن نخوض فى كينونته لأن رزق الله ونعمه لايمكن احصاؤها .(ولا نؤيد ما يقوله المفسرون أن فاكهة الصيف كانت تأتيها شـتاءً وفاكهة الشتاء كانت توجد عندها فى الصيف . لأن مريم كـانت تتعبـد فـى المحراب وقدس الأقداس ولا تأكل طعاما فى تلك الأماكن المقدسة المخصصة للعبادة والتسبيح)ونعتقد أن هذا الرزق هو فيضٌ من الرحمن تضـــاء بـه القلوب والابصار . إشراقٌ يملأ المحيّا . نضارةٌ ووضاءةٌ وتواضعٌ يزيدهـا - مريم - بهاءً ونوراً لأنها فى صحبة الملائكة وحضرة رب الكون كله . وكلما دخل عليها زكريا المحراب رأى ذلك وأحسه وشعر بوجوده فسألها مصدر كل هذه الفيض النورانى والكرم الإلهي فأجابته متواضعة ومقرة (هو من عنـــد الله) . نسبت الرزق للوهاب وحده وأردفت مؤكدة (إن الله يرزق من يشـــاء بغير حساب) . فى هذه اللحظة تذكر زكريا (عليه السلام) مسألته التى تراوده بيـن الحين والحين . فدعا ربه خاشعا متيقنا من الاستجابة قائلا (رب هب لى مـن لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء). فاستجاب لـــه رب الخلائـق أجمعيـن وواهب النعم . فأصلح له زوجه العاقر وجعلها مهيئة لتلقى الحمل والإنجـاب والإرضاع بإذنه رغم كبر سنها وعقمها الذى يلازمها منذ بلغت المحيـض . تماما مثلما حدث مع سارة زوجة إبراهيم (عليه السلام) . فقد كانت قبلهـــا ومثلها (عجوز عقيم).ولأن زكريا وزوجه (كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننـــا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فقد بشرته الملائكة (وهو قائم يصلى فـــى

المحراب) أن الله قد استجاب لدعائه ويبشره بغلام سيولد له بإذن الله واسمه يحيى ، وهو اسم لم يتسمّ به أحد من قبل . (لم نجعل له من قبل سميا) فهو ليس مولوداً عاديا بل مميزا . فالتسمية من عند الله . ومؤيداً من الله (مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) . طلب زكريا (عليه السلام) الذرية لتكون امتداداً له فى طاعة الله وخدمة هيكل العبادة فجاءته البشرى بما يفوق الرغبة. حيث سيكون المولود سيداً فى قومه ومنزهاً عن ارتكاب المعاصى التى يفعلها أقرانه ونبياً من الصالحين . والنبوة ستأتيه وهو صغير السن قبل بلوغ الأشد (أى دون الأربعين مثلما حدث لعيسى (عليه السلام) وحينئذ نطق زكريا بعد أن ألجمته المفاجأة (أنّى يكون لى غلام) نطق تعجب واستكثاراً أن يأتيه الخير هكذا كالسيل الجارف . وتذكر ما يحدث لمريم والخير الذى يفيض عليها من عند الله (كذلك يفعل الله ما يشاء) وطلب إشارة أو علامة تفيد بدء البشارة بحدوث الحمل ليطمئن قلبه . فجاءه الجواب بأن لسانه سينعقد عن النطق دون مرض أو علة (خرس) لمدة ثلاثة أيام متواليات . وفى تلك الأثناء سيكون حديثه بالاشارة فيشير إلى قومه بأن يسبحوا الله صباحا ومساءً ويذكروه جل شأنه منعم النعم . وأن يستمر زكريا (عليه السلام) كعادته فى صلاته لله وتسبيحه (بالعشى والإبكار) .

وتم الإنجاب بفضل الله . وتمت التسمية من عند الله تعالى . وترعرع الطفل واشتد عوده وصار صبيا . فتعلم التوراة ووعاها كشأن أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى.وأخذ مافيها بقوة وعزم دون تهاون (خذ الكتاب بقوة) وآتاه الله الحكم (الحكمة) وهو مايزال صبيا . وأسبغ عليه حنانه الذى يقربه إلى الناس فيألفونه ويحبونه (وحنانا من لدنّا وزكاةً وكان تقيا).وطهارة وعفة القلب واللسان متنزهاً عن النزوات والرزايا والمعاصى التى يقترفها من هم فى مثل سنه (سن المراهقة) وكانت تقواه موصولة بالله خالقه وباريه وكان

من طباعه البر والاحسان إلى أبويه وطاعتهما فى كل أمر وصلاحه فى كل شأن ومصدقا ومؤيداً بكلمة من الله تعالى وكلماته المنزلة (التوراة) ومن الصالحين فى كل أعماله حيث جُبل على فعل الخيرات . ولم يكن جباراً فى الأرض ولا متعنتا قاسيا فى أقواله أو أفعاله ولم يكن عصيا لله أو لوالديه . لأن الله جل علاه قد اصطفاه وصنعه بعنايته ورعايته ومنحه ما يجعله متميزاً على أقرانه ومتفوقا عليهم بالخُلُق القويم والحكمة السابغة من قِبَل الله . ولذا فقد استحق سلام الله عليه وقت ميلاده المبارك ويوم وفاته ويوم البعث والنشور :

*وسلامٌ عليه يوم وُلِدِ ويوم يموت ويوم يُبعث حيا[312] .

وتحدثنا الروايات أن يحيى (عليه السلام) قد مات مقتولا على يد بنى إسرائيل كما حدث لأبيه أيضا (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) وكان يَدعى (يوحنا) عند أهل الكتاب وأيضا يُطلق عليه (يوحنا المعمدان) لأنه كان يقوم بتعميد الناس (أى يغسلهم فى نهر الأردن للتوبة من الخطايا) وقد اعتمد منه المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام).ولما بلغ المسيح أن يحيى (عليه السلام) قد قُتل . جهر بدعوته وقام فى الناس واعظا . ولن نخوض فى الإسرائيليات الكثيرة حول حياة زكريا ويحيى (عليه السلام) ونكتفى بماجاء فى القرآن الكريم وهو الحق .



عيسى ابن مريم (عليه السلام)

هو كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه . وهو عبد الله ورسوله . وهو آخر أنبياء بني إسرائيل . وهو أحد أولى العزم من الرسل . ذُكر اسمه في القرآن بلفظ (المسيح) تارة وهو لقب له . وبلفظ (عيسى) وهو اسمه . وبكنيته (ابن مريم) . واسمه بالعبرية (يشوع) أى المخلّص وعند النصارى يسمى (يسوع) . وأمه (مريم ابنة عمران) رضوان الله عليها . الصدّيقة . حملت به بكلمة من الله وروح منه دون زوج ودون معاشرة لرجل . وكان ذلك إعجازاً من العلى القدير وبأمره النافذ بين الكاف والنون (كن فيكون) مثلما خلق آدم من قبل بلا أب أو أم وسماه الله - عند البشارة به لمريم - (المسيح ابن مريم).

معجزة الميلاد والبشارة :

بدايات قصته تبدأ مع ميلاد أمه (مريم ابنة عمران):

* إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض،والله سميع عليم * إذْ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محرّراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى.وإنْى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها

بقبولٍ حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحــراب وجد عندها رزقا قــال يامريم أنّى لك هذا قالت هو مـــن عنــد الله . إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[313].

ثم تبدأ قصة عيسى والبشارة به بعد ذلك فى نفس السورة الكريمة :

*إذْ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشركِ بكلمةٍ منه (كـــن فيكـــون) إســمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى الدنيا (ذا قدر وشرف) والآخــرة ومــن المقربين *ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين * قـــالت رب أنـّى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر.قال كذلكِ الله يخلق مايشاء . إذا قضى أمـــراً فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل[314].

* واذكر فى الكتاب مريم إذْ انتبذت من أهلها (انفردت) مكانـــا شــرقيّا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا (جبريل) فتمثل لها بشراً ســويّا * قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّا *قال إنما أنا رسول ربكِ لأهـب لكِ غلاما زكيا (طاهراً ومبرأ) * قالت أنىَ يكون لى غلام ولــم يمسســنى بشر ولم أك بغيّا * قال كذلك قال ربكِ هو علىّ هيّن (أمر ســـهل ويســير) ولنجعله آية للناس (معجزة) ورحمة منا وكـــان أمــــــــراً مقضيـــّـا * فحملتـــه (فوراً) فانتبذت به مكانا قصيّا *فأجاءها المخاض إلى جذع النخلـــة قالت ياليتنى مِتُ قبل هذا وكنت نسياً منسيّا * فناداها (المسيح) من تحتــها (**مولودها**) ألا تحزنى قد جعل ربكِ تحتكِ سريّا (شريفاً وعظيما) * وهُــزِّى إليكِ بجذعِ النخلة تساقط عليكِ رطبا جنيّاً * فكلى واشربى وقرّي عيناً فإمـــا ترينّ من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً (عن الكلام) فلن أكلم اليوم إنسيّا[315] .

نذرت أم مريم (امرأة عمران) مافى بطنها لله وحده لخدمة الـــهيكل وعبادة الواحد الأحد . وعندما وضعت مولودها تبينت أنه أنثى فتوجهت إلـــى الله وكأنها تعتذر عما أنجبت (وهو شيء قدره الله لحكمـــة) وأن الأنثـــى لا تستطيع أن تخدم الهيكل كالذكر وأنها راغبة فى الوفاء بنذرها وعهدها مع الله الذى قطعته على نفسها . وسمت ابنتها (مريم) وطلبت من الله ودعتـــه أن يعيذها من الشيطان الرجيم هى وذريتها ومن كل شر وسوء . ولأن أم مريـــم كانت صادقة فيما نذرت وأوفت بنذرها قدر جهدها فقد كانت استعاذتها بـــالله وحده دليل إيمان صادق يملأ قلبها رضىً بما قسم الله لها . وتقبـــل الله منـــها النذْروالدعاء قبولا حسنا فأنبت مريم وأنشأها فى كفالة ورعاية زكريا (عليه السلام) رئيس الهيكل اليهودى فكان أمينا عليها يقوم برعايتـــها وتصريـــف شـــئونها وحمايتها . وكان اصطفاء الله لمريم أن جعلها مطهّرة من كل رجس وادعـــاء بخطيئة وبرأها سبحانه من الزور والبهتان وأحصنها وجعلـــها وابنـــها آيـــة ومعجزة للعالمين :

*وإذْ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ علـــى نســـاء العالمين * يامريم اقنتي لربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين[316] .

وذكر الله الاصطفاء هنا مرتين للتأكيد على اختيارهـــا دون غيرهـــا لتكون وابنها معجزة وآية للعالمين وليس لبنى إسرائيل وحدهم :

*وجعلنا ابن مريم وأمه آية . وآويناهما إلى ربـــوة ذات قرار (أمن) ومعين (ماء جار)[317] .

وجعل حياتها وقرة عينها فى الطاعة والعبـــــادة والركوع والسجود (الصلاة) وحياة موصولة بالله أهلتها وهيّئتها بعد ذلـــك للبشـــارة بـــالمولود العظيم والمعجزة الخارقة فى بنى إسرائيل الذين تعودوا وألفوا ألا يؤمنوا هكذا إلا فى وجود المعجزات والخوارق . ولكن تلك المرة كانت المعجزة على غير هواهم فأنكروها ورموها بالبهتان والزور بغير علم وبدون دليل غير هرطقات ذكروها فى (عهدهم القديم) حيث نسبوا (فى التلمود) عيسى (عليه السلام) إلــى يوسف النجار تارة وتارة أخرى لبندارا الجندى الرومانى . وذلـــك ترويجـا لخطيئة تمت بين مريم الطاهرة البتول والعفيفة الشريفة وبين يوسف النجار أو بندارا كما يدعون افتراءً .

كانت مريم تتعبد فى المحراب . تسبح بحمد ربها وتنزهه . واتخـــذت لذلك مكانا خلويا منعزلا وبعيداً عن أعين الرجال (مكانا شرقيا) ومخالطتـهم فى الهيكل . ولكن الله قضى أمراً (أمراً مقضيا) فبعث إليها جـبريل (عليه السلام) فظهر على صورته البشرية (فتمثل لها بشراً سويا).حيث لا يتسع المكـــان لجبريل فى هيئته الملائكية كما أن الأمر الإلهى استدعى ظـــهوره كبشـــر . فزعت مريم العذراء رضوان الله عليها لما وجدت رجلا غريباً فـــى مكـــان خلوتها وصلاتها وتعبدها فاستعاذت بالله تعالى منه (إنى أعوذ بالرحمن منكِ). فطمأنها وهدأ من روعها وأفهمها أنه رسول من عند الله تعالى وأنه جاء إليها ببشارة وتكليف (إنما أنا رسول ربكِ لأهب لكِ غلاما زكيّا) وازداد انفعـــال البتول واحمر وجهها خوفا وخجلا وحرجا (أنّى يكون لى غلام ولم يمسسـنى بشر ولم أك بغيًا) وهى أسباب منطقية ووجيهة فى نظرها . وجاءها الـــرد من جبريل (عليه السلام) أن ذلك أمر قضاه الله وقدّره ولا مرد لأمر الله (قال كذلكِ قال ربكِ) فهذا أمر هيّن على قيوم السماوات والأرض وخالق كل شـــىء فهو الذى ـ سبحانه ـ خلق آدم من قبل ولم يكن شيئا (أى من العدم) . وبيّـن

لها أمين الوحى.جبريل (عليه السلام) حكمة الأمر الإلهى (ولنجعلــــه آيـــة للنـــاس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا) فهذا الأمر لا رجعة فيه ولا مجادلة أو مناقشة (كذلك الله يخلق مايشاء . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) وصفـات هذا المولود المبشَّر به (وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) ومعجزتـــه أنه (يكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) . وإرسال جبريل لمريم كى تعلم مايجرى لها وحولها وحتى تبلغ قومها بمعجزة خلق عيسى (عليه السلام) بدون أب . وإنه لأمر هيّن على الله ويسير أن يحدث الحمل والإنجاب دون تنبيه أو ابلاغ.ولكن الله جل علاه إنما أراد أن يسوق لمريم أسباب ما يحدث لها وهو رب الأسباب كلها والمسببات وحتى لا تفجأ بحملها دون أن تعلم ســـبب مـــا حدث لها وكيفيته وحكمته . والقصة من بدايتها إلى نهايتها معجزة وخارقـــة مـــن الله العلى القدير . أرسل إليها الروح الأمين جبريل (عليه السلام) . نفخ فيـــها مـــن روح الله (من روحنا) لأن الإحياء والإماتة والخلق والأمـــر بيـــد الله وحده . **فحملت مريم مباشرة وفورا . واكتمل الجنين فى الحال** فتنحت بحملها مكانا بعيدا . وجاءتها آلام المخاض . ووضعت مولودها . كل ذلك فى زمن يسير وهيـــن على الله (زمن الحمل والولادة المعتاد فى البشر من ست إلـــى تسع شهور) ودليل التتابع وسرعة الحدوث لتحقيق المعجزة هو حرف الفـــاء الذى يعنى التتابع السريع لما حدث (فحملته - فانتبذت - فأجاءها المخـــاض - فنادها من تحتها) على غير السياق المألوف والنمط المعتاد .

وليس لنا أن ننساق مع الروايات (خصوصا الإسرائيلية) التى تصـــف الحدث بأنه استغرق تسعة شهور وبذلك تنتفي المعجزة كما بينها الله جل شأنه ثم بعد ذلك توضع الروايات بأن الحمل حدث من معاشرة مريم ليوسف النجار أو بندارا وفى ذلك افتراء وبهتان . وغرض اليهود من ذلك إنكـــار حـــدوث معجزة فى الحمل والولادة وهو ما بيناها منذ قليل فى معنى وجود حرف الفاء

الداخل على الكلمات التى ذكرناها من قبل . ويجب علينا أن نربأ بأنفسنا من الدخول فى جدل عقيم حول كيفية النفخ . وكم مضى من الزمن بين النفخ والحمل . وهل استسلمت مريم طواعية أم تمنعت وأبت وقاومت . وكيف . ولم . ولماذا ؟ .. فكل هذه أسئلة تخرجنا من نطاق المعجزة إلى التصور والقياس البشرى كما فعل اليهود . ولنا ملاحظات نسوقها فى تلك المناسبة :

- إن جبريل (عليه السلام) لم يظهر فى صورته الملائكية لبشر قبل أو بعد مريم رضى الله عنها إلا لخاتم النبيين والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) . وكان ذلك لمرتين فقط وباقى المرات (عند تبليغ الوحى ومدارسة القرآن) كان فى هيئته البشرية .

- رآه النبى (صلى الله عليه وسلم) على صورته الملائكية **أول نزول الوحي عليه وهو فى الغار** (ولقد رآه بالأفق المبين)[*] والمرة الثانية **ليلة الإسراء** (ولقد رآه نزلةً أخرى)[**] لأن جبريل (عليه السلام) فى صورته الملائكية يفوق التخيل من حيث الحجم والشكل والإشراق والضياء . والأمر لا يستدعى ظهوره على حالته الملائكية لمريم أو لغيرها كتلك الحالتين التى رآه فيها النبى (صلى الله عليه وسلم) ولذا كان ظهوره لمريم على هيئته البشرية وهى فى المحراب (المكان يضيق ولا يتسع لهيئة جبريل الملائكية) .

- مريم رضى الله عنها لم تكن نبية أو رسولة لأن الله سبحانه وتعالى يخص بالنبوة الرجال من خلقه لأسباب عديدة :

---

*) سورة التكوير : 23 .

**) سورة النجم : 13

*ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه **صِدِّيقة** كانا يأكلان الطعام (كسائر البشر) . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنَّى يؤفكون [318].

ومريم هى صِدِّيقة صدَقت بكلمات ربها وكتبه ولم تُكلَّف بنبوة أو رسالة :

* ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين [319].

وعودة إلى حالة الوجل والخوف الذى انتاب مريم رضى الله عنها نجد أنها تمنت ـ وهى فى حالتها تلك ـ أن تكون شيئا مهملا منسيّاً لا يعرفه أحد من البشر وتمنت الموت قبل حدوث ما حدث لها (ياليتنى مِتُ قبل هذا وكنت نسياً منسيّا) لأنه بحكم كونها من آل عمران نسل يعقوب أى من بنى إسرائيل فهى تعرف قومها جيداً وهم لن يصدقونها مهما أقسمت ودللت على أن ما حدث هو بأمر الله فهم قوم سوء متشككون وفاسقون . تعلم أنهم سيرمونها بالزنا وينعتونها بأشد الألفاظ إيلاما . فهم قوم خصمون لا يتورعون عن اللعان والرمى بالبهتان والزور ولذا فهى تمنت حينئذ لو أنها ماتت قبل حملها وإنجابها عيسى أو كانت امرأة نكرة ولا يعرفها أحد من الناس كعامّة القوم . فهى لكونها ابنة عمران الرجل الصالح وأمها الصالحة ولكونها تنتسب إلى نبى الله هارون (عليه السلام) (يا أخت هارون) ولكونها المتبتلة والمسبِّحة والذاكرة الله كثيراً والعفيفة دائما والمتفرغة نذراً لخدمة الهيكل فإن الألسنة ستلوك سيرتها حتما بالسوء والبهتان وبما ليس فيها إطلاقا (ياليتنى متُ قبل هذا وكنت نسياً

منسيّا) . ولكن استمراراً لتأكيد المعجزة الإلهية ولتتبوأ مكانتها ومنزلتـها التى أراد الله لها نادى عليها وليدها الذى وضعته تواً دون مساعدة مـن أحد إلا من عناية ورعاية خالقها . نادى عليها مواسياً لها ومطمئنـا (ألا تحزني)فإن الله قد هيأ لها الرزق المناسب لها بعد الجهد والعنـاء مـن عملية الحمل والولادة المعجزة . هيأ لها الماء والطعام الذى يقيم أودهـا ويذهب بوهنها وضعفها ويعيد انقباض رحمها إلى وضعه الطبيعي (قـد جعل ربكِ تحتكِ سريًا) أى ماءً رقراقـا وعينـاً نقيـة وغلامـا عظيمـا وشريفا ﴿ وهُزّى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيّـا * فكلى واشربي وقرّى عينا ..) أى تقوتى بالغذاء والشراب الذى هيـأه الله لكِ إعجازاً ومِنةً منه لتتأهبى وتتأهلى لما سوف يـأتى . و نلاحـظ أن ميلاد عيسى (عليه السلام) كان في غير أوان إثمار البلح أو نضجه حتى يصبح رطبا طريّا سهل الجني والمضغ والهضم.وكيفية الحصول علـى ذلـك الرطب كما أخبرها وليدها مجرد هزة ضعيفة من جسد منـهك لشـجرة باسقة راسخة فى الأرض تتساقط ثمار البلح الناضجة الرطبة . ووجـود نخلة بعينها فى تلك البقعة من الأرض التى تفتقر إلى النخل معجزة إلهيـة . إثمار تلك النخلة في غير أوانها ونضج بلحها حتى أصبح رطبا طريـا معجزة . تدفق مصدر ماء (نبع أو غدير) فى متناول يدها نقيا لتشـرب منه معجزة . هزة بسيطة للنخل يتساقط بعدها الرطب معجزة . حديـث وليدها الذى لم يرضع بعد معجزة . إعجاز تلو الإعجاز للتسـرية عـن مريم الطاهرة العفيفة وكل شىء هيّن ويسير على الله يتحقـق بـأمر الله وتقديره :

*الله خالق كل شيءٍ وهو على كل شيءٍ وكيل * له مقاليد السماوات والأرض(320).

*إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون(321).

ويعقب الله جل شأنه على ميلاد عيسى (عليه السلام) بقوله :

*إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين (غير المصدقين الشاكّين) * فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (322) .

ولقد ذم الله سبحانه أهل الكتاب بتقولهم على مريم وبادعاءاتهم الباطلة بما لا يليق بصدّيقة وأم آخر أنبياء بنى إسرائيل قائلا :

*وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (323).

ونظراً لمعجزة خلق عيسى (عليه السلام) فقد تطاول أهل الكتاب وغالوا فى ادعاءاتهم على نبى الله ورسوله عيسى ابن مريم (عليه السلام) فقالوا أنه بذلك الميلاد المعجز فهو ابن الله (تعالى عن ذلك سبحانه). بل المولى عز وجل :

* سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا (324).

وقالوا عنه أنه ابن الله (حاشا لله) :

*ماكان لله أن يتخذ من ولد . سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (325).

*وقالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه . بل له مافى السموات والأرض كلٌ له قانتون *بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون [326].

* يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته (كن فيكون) ألقاها إلى مريم وروح منه (دبت فيه الروح بأمر الله) فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً لكم . إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له مافى السماوت ومافى الأرض . وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف (يستكبر) المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا [327].

*لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا . ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق مايشاء . والله على كل شيء قدير [328].

*لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار *لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة (إشارة إلى عقيدة التثليث :الأب.الإبن.الروح القدس) وما من إله إلا إله واحد . وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم [329].

*ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (بشر) وأمه صِدّيقه كانا يأكلان الطعام (كسائر البشر . لا إله ولا ملاك) . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنىّ يؤفكون (يحيدون عن الحق والمنطق)[330].

*إذْ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم (ابن امرأة من البشر) **هل يستطيع ربك (اعتراف بأنه بشر وعبد لله)** أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين [331].

*وإذْ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله (هل أنكرتم أنكم بشر) . قال سبحانك . ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق . إنْ كنت قلته فقد علمته . تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك . إنك أنت علام الغيوب ***ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أنْ أعبدوا الله ربي وربكم** . وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد [332] .

*وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم . يضاهئون (يشابهون) قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (يشرعون لهم) والمسيح ابن مريم (بادعائهم أنه إله).وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هوَ . سبحانه عما يشركون [333].

*وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم . **وخرقوا (اختلقوا) له بنين وبنات بغير علم** . سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السماوات والأرض **أنّى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبة** (زوجة) . وخلق كل شيء . وهو بكل شيء عليم[334].

*وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * مالهم به من علمٍ ولا لآبائهم . كبرت كلمةً (قبحت) تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلا كذبا [335].

***قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا** [336].

*ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (يجادلون ويفـــترون) * **مـــا كان لله أن يتخذ من ولد . سبحانه** . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كـــنْ فيكـــون[337].

*وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئا إدّا (فظيعـــا ومنكـــرا) * تكـــاد السماوات يتفطرن منه (يتفتتن) وتنشق الأرض وتخرّ الجبـــال هــدّا * أنْ دعَــوا للرحمن ولدا * **وما ينبغى للرحمن أنْ يتخذ ولدا** * إنْ كل من فـــى السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * وكلهم آتيه يـــــــوم القيامـــة فـــردا[338].

* تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا * الذى لـــه ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيءٍ فقدره تقديرا [339].

* إنْ هو (المسيح) إلا عبدٌ أنعمنـــا عليـــه وجعلنـــا مثـــلا (آيـــة) لبنـــي إسرائيل[340].

*وإذْ قال عيسى ابن مريم **يابنى إسرائيل إنى رســـول الله إليـــكم** (بشـــراً رسولا) مصدّقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (من البشر أيضا) [341].

*** قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكـــن لـــه كفـــواً أحـــد** [342]

ويبين رب العزة تبارك وتعالى أن أنبياءه ومرسليه إلى البشر هم من البشر يؤتيهم النبوة والرسالة والكتب من عنده تعالى ليبلغوا ذلك كله للناس دون ادعاء أو استعلاء ودون تفريط أو إحجام عن التبليغ . ورسالات الله وكتبه المنزلة لا تدعوا ولا تأمر إلا بوحدانية الله لا الكفر والشرك وعليه فإن أى أمر بشرك أو كفر أو فحشاء يكون من صنع البشر لا من عند الله :

***ماكن لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربّانيين (علماء وفقهاء فى الدين) بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون * ولايأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا . أيأمركم بالكفر بعد إذْ أنتم مسلمون**(343).

المواجهة بين مريم وقومها :

* فكلى وأشربي وقرّي عيناً . فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً (سكوتا وصمتا) فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئا فريا (منكرا) * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوءٍ وما كانت أملكِ بغيا (تمارس الرذيلة) * فأشارت إليه.قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيّا (رضيعا) * قال إنى عبد الله آتانى الكتاب (الإنجيل) وجعلني نبيّا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيّا * وبَرّاً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيّا (لا معتد ولا تعس) * والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيّا (يوم القيامة)(344).

بعدما طمأنها وليدها ساعة مولده ألا تحزن وألا تخشَى ما حدث لها لأن الأمر كله بيد الله وحده وهو أمر نافذ لحكمة أرادها الله . ثم وجهها لأن تــهزّ النخلة التى وجدتها بجوارها وتأكل ما يتساقط منها من الرطب الشهي وتروى ظمأها من الماء الذي أجراه الله تحتها وفى متناول يدها وأن تهنأ بالاً وتقــرّ عينا بوليدها الذي بشرها الله به على لسان الروح الأمين جبريل (عليه السلام) بأن سيكون نبيا مباركا . أشار عليها وليدها عيسى بألا تحدّث القوم بقصته لأنــه سيقوم بالرد عليهم وما عليها إلا التزام الصمت والصوم عن الكــلام مــهما سألوا أو تطالوا عليها بالقول . ورغم كل ما قاله لها رضيعها وطمأنــها بــه كانت مريم تشعر بالحرج والتوتر . وجاءت قومها وهى تحمل عيسى بحــب عميق ووجل.فلما رأوها على حالتها تلك ايقنوا أنها تحمــل وليدهــا لا وليــد غيرها . فبادروها بالتقريع والتأنيب والسباب (قالوا يامريم لقد جئــت شــيئا فريا) وسألوها من أين أتت بهذا الغلام الذى تحتضنــه بأمومــة واضحــة . وذكَروها بأن أبوها ماكان سيّئاً لأنه ينتسب إلى نبى الله هارون (عليه السلام) وأنــها بانقطاعها فى عبادتها فى الهيكل وسيرتها المعروفة عنها لا يمكن أن تمـارس الرذيلة ولا أمها (ياأخت هارون ما كان أبوكِ امرأ سَوءٍ ومــا كــانت أمــكِ بغيّا). فكيف رغم ذلك يتأتى عليها أن تنجب بغير زواج وهــى مــن النسـل الشريف العفيف . تعجبوا وتطاولوا وصورت لهم عقولهم المريضة أن سـبب مايرونه بأعينهم وجود فاحشة ورذيلة والنتيجة الحتمية لذلك هو جسم الجريمة الذى تحمله بين يديها.وخوفها وتوترها سببه خوفها من العقاب الذى يسـتوجبه تطبيق الشريعة عليها (شريعة التوراة) أى الرجم حتى المــوت.وتذكــرت نصيحة إبنها لها بالصمت والصوم عن الكلام . ولما زادت نبرة اســتنكارهم أشارت إلى ابنها ليتولى الرد عليهم (فأشارت إليه) . وازداد حنــق القــوم عليها وجهالتهم وتطاولهم وغيظهم وظنوا أنها تسخر منهم وتهزأ بهم (قــالوا

كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) . ولأن الله قد صنعه على عينيه ويجهزه لمهمة خاصة والتى من أجلها خُلق فقد أنطقه الله أمامهم ليسمعوا ويعوا بآذانهم وأفئدتهم وعقولهم. وعلا صوت الرضيع لا باكياً كأقرانه من الأطفال بل متحدثا لبقا (**قال إني عبد الله) افتتح كلامه بأنه عبد الله ولم يقل أنه ملاك أو ابن الله أو هو الله في صورة بشرية (تعالى الله عن ذلك)** . أقر بعبوديته لله الواحد الأحد الذى خلقه وسواه وصوره ووهب له الحياة لمهمة خاصة (آتانى الكتاب وجعلني نبيًا) ولم يقل أن ذلك الكتاب هو الإنجيل لأنه لم يُكلف بعد بالرسالة والنبوة . وإنما يقصد أن الله اصطفاه واختاره ليكون رسولا إليهم ومعه كتاب ورسالة من عند خالقه وربهم أجمعين . وأردف عيسى قائلا (وجعلنى مباركا أين ما كنت) فتحل البركة فى أى مكان يتواجد فيه وأن الله قد أوصاه بالعبادات (وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيًا)·لأن الصلاة هى صلة بين العبد والرب بما فيها من ركوع وسجود وتسبيح وتكبير وتوحيد لله رب العالمين . وأوصاه بالزكاة التى فيها الطهر فى المال والنفس مادام ينعم بالحياة . (وبَرّاً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيًا) فلا يكون بجبروته واستعلائه شقيا تعيساً فى حياته وإنما هو يتحلى ويتصف بالرحمة والمودة والبر و الإحسان . وإذا ما بلغ عيسى هذا الشأو وتلك المنزلة من التقى والورع والطهر والإحسان والبر فإنه يستحق السلام والأمن يوم مولده ويوم مماتهويوم البعث والنشور . وينتهى الموقف والمواجهة دون أن نعلم رد فعل اليهود لمولد عيسى وحديثه معهم وهو فى المهد رضيعا. وإن كان ذلك مفهوم ضمناً حيث أن اليهود قد جُبِلوا على التكذيب والافتراء والتطاول . وطُبعوا على الزور والبهتان والادعاء بالباطل . فكما بادروا مريم بالاتهام دون أن يسمعوا منها كذّبوا - بالتأكيد - حواسهم وما سمعوه بآذانهم من الرضيع عيسى ابن مريم كمعجزة أفحمتهم وألجمت ألسنتهم الناطقة بالسوء

والفحشاءَ. ووارد أيضا إنكارهم نبوته ورسالته التى أعلمهم بأن الله سيمنّ بها عليه حين يصبح رجلا مكتملا لأن من طباع قومه الإنكار والتكذيب حتى لأنبيائهم :

*لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا.كلما جاءهم رسول بما لاتهوَى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون(345).

وذلك على الرغم أن التوراة التى بين أيديهم تبشر بعيسى ونبوته :

***فقال : جاء الرب من سيناء (بعثة موسى (عليه السلام)) وأشرق لهم من سعير (بعثة عيسى (عليه السلام)) وتلألأ من جبل فاران (بمكة . يعنى بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم))(346) .**

بعثة عيسى (عليه السلام) وتكليفه بالرسالة :

* ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل . وآتينا عيسى ابن مريم البينات (المعجزات) وأيدناه بروح القدس . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوَى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (347).

* تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض،منهم من كلم الله (موسى).ورفع بعضهم درجات . **وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (جبريل)** ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا . فمنهم من آمن ومنهم من كفر.ولوشاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد (348) .

*إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده.وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط **وعيسى** وأيوب ويونس وهارون وسليمان .وآتينا داود زبورا[349].

***ومصدِّقاً لما بين يدىَّ من التوراة ولأُحِلّ لكم بعض الذى حُرِّم عليكم .** وجئتكم بآية من ربكم . فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم [350] .

***وقفينا على آثرهم بعيسى ابن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة . وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتقين** [351] .

* إذْ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد (المعجزة) وكهلا (بالإنجيل) وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل [352].

أى علمه الله التوراة الأصلية (التى أُنزلت على موسى) كشأن كل أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى (عليه السلام).ورغم هذا لم يأخذ اليهود إلا بالتوراة التى كتبها (عَزرا).

*وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس . كل من الصالحين [353].

*وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا [354].

وهؤلاء المذكورون **هم أولو العزم من الرسل** (خمسة) أصحاب الرسالات والشرائع الرئيسية :

*شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصّينا بـــه إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (الميثاق الغليظ) . كبر على المشركين ما تدعون إليه . الله يجتبى إليــه مــن يشــاء ويهدى إليه من ينيب [355].

*ولما جاء عيسى بالبينات (المعجزات) قال قد جئتكم بالحكمـــة (النبـــوة) ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربـــي وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم [356].

*وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد .فلمـــا جـــاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين[357] .

لقد بعث الله عيسى (عليه السلام) نبيا ورسولا إلى بنى إسرائيل مصدقاً لمـــا نزل من التوراة . لا ينكر ما فيها ولا ينقضها ولا ينسخها . جـــاء مكمـــلا ومخففاً عنهم بعض التحريمات (ولأحل لكم بعض الـــذي حُـــرّم عليكـــم) وليصحح لهم مفاهيم الشريعة التى جاء بها موسى (عليه السلام) بعد أن انحرفوا بها وعنها وبدلوا وغيروا . وشددوا على أعدائهم ومبغضيهم وخففوا على أنفســهم وأعفوها من التبعات والمحاسبة . تشددوا فى تنفيذ أوامـــر التـــوراة نصـــاً لا روحاً فى بعض المسائل وتحايلوا عليها فى أمور أخرى بعدما تفرقوا شـــيعا وأحزابا . كانوا يحرقون لحوم القرابين والأضحيات فيذهب لحمها دخانا فـــى الهواء وهناك آلاف الفقراء يموتون جوعا خارج المذبح . وكانت أغلب تلـــك اللحوم تتسرب إلى بيوت الكهنة ودكاكينهم - سراً - لبيعها بعد ذلـــك . أفـــهم المسيح قومه أن الإنسان لا يصير إنسانا إلا إذا انخلع من ذاته وأنانيته وأحـــب

الآخرين . وكلما ازداد ذلك الحب . والتسامح إزداد الأمن والأمان والسلم بين الناس وازدادت المودة والرحمة :

*سمعتم أنه قيل فلتحب قريبك ولتبغض عدوك . أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلّوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم [358].

تميزت دعوة عيسى (عليه السلام) بالشفافية والنقاء . دعوة تستهدف خلاص الروح وتقويم السلوك الفردي لينصلح بعدها سلوك المجتمع وحاله . كان زاهداً متبتلا مسامحا لكل المسيئين . جاء لتصحيح مفاهيم قد اعتورتها مفاسد الضمائر والنفوس . والمقاصد التى انحرفت عن الشريعة الموسوية التى شابها الكثير من التبديل والتحريف .

***لاتظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل.** [359].

*احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدّام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات . فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدّامك بالبوق كما يفعل المراءون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجّدوا من الناس[360] .

*ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فإنهم يحبون أن يصلّوا قائمين فى المجاميع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس[361].

*لاتكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقّب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقّب سارقون ويسرقون [362].

***لايقدر أحد أن يخدم سيدين** .لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . **ولا تقدرون أن تخدموا الله والمال .**

إن الشريعة الموسوية كانت تلزم الإبن أن يعول والديه فى حالتى الحاجة والشيخوخة . ولكن الفريسيين كانوا يتيحون للأبناء فرصة التهرب من هذا الالتزام بحيلة بسيطة . أن يتفق الإبن مع الكهنة ويوقف كل أمواله وممتلكاته على الهيكل . وعندئذ يعجز الوالدان عن أخذ أى شيء منه حتى ييأسوا ويتوقفوا عن مطالبته بالنفقة . ثم يذهب الإبن ويسترد كل ممتلكاته من الكهنة نظير دفع نسبة معينة من المال . فيستمر الوقف صوريا فقط وغير نافذ المفعول (363).

كانت قشرة المجتمع اليهودى تلتئم على مجتمع قد تهرأ تماما من الداخل وساده نفاق لا مثيل له . ورغم أن الناس كان يتبعون التعاليم الحرفية للشريعة فقد كانت القلوب تموج بالشر وتضطرب بالكراهية . كما كانت العقول موانئ تستريح فيها سفن الخرافات والأساطير والأكاذيب والافتراءات . إن الصدوقين والفريسيين يتعاملون فىالهيكل وكأنهم داخل سوق يستغلونه للإثراء على حساب الضحايا الذين يوقعهم حظهم العاثر فى دخوله . وكثيرا ماكان الصدوقيون والفريسيون يتشاجرون فى أمور الشريعة العليا . فقد كان الفريسيون يرون أنه يجب شراء الأضاحى (التى تُقدم يوميا) من مال الهيكل . على حين يرى الصدوقيون أن مال الهيكل من حقهم . كذلك كان الفريسيون يوجبون حرق الضحية على المذبح . أما الصدوقيون فكانوا يأخذون تلك الأضاحي لأنفسهم ثم يبيعونها فى حوانيت يمتلكونها . وعمدوا إلى مضاعفة المناسبات التى ينبغى فيها تقديم الطيور (الحمام) ذبيحة . ولما لاحظ الفريسيون الثراء الذي أصابته طائفة الصدوقيين أفتى أحد شيوخ الفريسيين (سمعان بن عمالائيل) بتقليص

المناسبات التى يُقدَّم فيها الحمام ذبيحة فانخفض سعر الحمام إلى أقل من عَشر ثمنه [364].

وهكذا كان الفساد ينخر فى المجتمع اليهودى حين بدأت دعوة عيسى (عليه السلام) ورسالته تملأ الأسماع والآذان التى لا تعى والقلوب الغلف والأفئدة الخاوية من الرحمة والمودة والسماحة كانت الشريعة الموسوية (التوراة) تنص على القصاص :

*وكتبنا عليهم فيها (فى التوراة) أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص [365].

وكان اليهود يطبقون القصاص كما يحلو لهم . إذا كان المجنى عليه قادراً نسف بيت الجانى ودمره . وإن لم يكن قادراً صمت وامتلأ قلبه حقدا .

كانت الكراهية هى المرفأ الذى رست فيه شريعة موسى (عليه السلام) رغم أنه كان من رجال الحب الإلهى الكبار (أحد أولى العزم من الرسل) ولكن شريعته انتهى بها الأمر بين اليهود لترسو فى موانئ الحقد والكراهية حيث القلوب ماتت والضمائر فنت والعقول تحجرت . جاء عيسى (عليه السلام) ليبعث الروح فى الشريعة من جديد ليهدى قومه الذين ضلوا وأضلوا :

***وقال لم أُرسَل إلاّ إلى خراف بنى إسرائيل الضالة** [366] .

***لاتدينوا لكى لا تُدانوا** .لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تُدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يُكال لكم .ولِمَ تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها[367] .

*هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشـــجرة الرديـــة فتصنـــع أثماراً ردية[368].

*فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنـــى بيتـــه علـــى الصخر . فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيـت فلم يسقط لأنه كان مؤسَساً على الصخر . وكل من يسمع أقوالـــــى هــذه ولا يعمل بها يُشبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرمل . فنزل المطـــر وجــاء ت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيما [369].

*ولكن ويل لكم أيها الفريسيون . لأنكم تعشرون النعنع والسذب وكـــل بَقْـل (بقول) وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله . كان ينبغى أن تعملـــوا هــذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المـــراءون . لأنكـم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون[370] .

* الحق أقول لكم . إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبديـــة ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة [371] .

*فقال وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لاتمسون الأحمال بإحدى أصابعكم. ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبيـــاء وآباؤكم قتلوهم [372].

*لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم . لذلك أيضا قالت حكمـــة الله أنـــى أرسل إليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون . لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء ألعالم . من دم هابيل إلى دم زكريا الذى أُهلك بين المذبح والبيت . نعم أقول لكم إنه يُطلب من هذا الجيل . ويل لكـم

أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتـــم . والداخلـــون منعتموهم [373].

*وكان فى النهار يعلِّم (الناس) فى الهيكل وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يُدعى جبل الزيتون . وكان كل الشــعب يبكِّــرون إليـــه فـــى الـــهيكل ليسمعوه[374].

معجزات عيسى (عليه السلام) إلى قومه :

وهى المعجزات السبع التى أيد الله بها نبيه عيسى (عليه السلام) بعد أن أيده بروح القدس عسى أن يؤمن قومه بنبوته وبما جاء به :

(1)كلامه فى المهد رضيعا :

*ويكلم الناس فى المهد وكهلا[375].

*إذْ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا[376].

(2)تعليمه التوراة والإنجيل :

بعدما نُزعت التوراة من القلوب وحرفها اليهود وبدلوها. علمها الله لــه دون معلم وآتاه الإنجيل.فلماذا أصر اليهود على التوراة التى كتبوها بأيديـــــهم دون النص الإلهي :

*ويعلمه الكتاب (الكتابة) والحكمة والتوراة والإنجيل[377] .

*وإذْ علمتك الكتاب والحكمة (الفقه) والتوراة والإنجيل[378].

(3) خلق الطير بإذن الله :

* أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله[379]

*وإذْ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني[380].

(4) إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله :

وهما اللذان لا شفاء لهما : المولود ضريراً والمريض بالبرص دون جدوى علاج.

*وأبرئ الأكمه والأبرص[381].

*وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني[382].

(5)إحياء الموتى بإذن الله :

* وأحيي الموتى **بإذن الله**[383] .

*وإذْ تخرج الموتى **بإذني** (من قبورهم)[384].

(6) الإنباء بالمستور والخفي بإذن الله :

* وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم[385].

(7) إنزال مائدة من السماء :

على أنصاره وحوارييه لما طلبوا منه ذلك تأكيداً لصدق نبوته وأنه مستجاب الدعوة :

*إذْ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أنْ ينزل علينا مائدة من السماء . قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أنْ نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أنْ قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين *قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك (معجزة) وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم (بعد ذلك) فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين[386].

جاءت المعجزات منذ ولادة عيسى (عليه السلام) عسى أن يؤمن قومه . فكلمهم وهو رضيع وبيّن أنه عبدٌ لله.علمه التوراة وآتاه النبوة والحكمة والإنجيل المتمم للتوراة والمفسر والميسر لبعض أحكامها . وبإذنه - تعالى - كان يخلق ويصور من الطين على هيئة الطير ثم ينفخ فيه بإذن الله لتصبح طيراً حيا . وكان يشفى الأمراض العضال بإذن الله دون دواء(كان يدعوا الله تعالى أن يكشف الضر والمرض) فيبرئ المولود ضريراً والأبرص الذى لا شفاء له ولا دواء يجدى مع مرضه . ويحيى الموتى من قبورهم بإذن الله وينبئهم بما يأكلون وبما يدخرون فى بيوتهم من مال ومؤن وخلافه .

لم يكن عيسى (عليه السلام) ليعلم الغيب ولم يكن بخالق . ولم يكن بشاف وإنما كان منفذاً إرادة الله وأمر الواحد القادر. وفى الآيات القرآنية نلاحظ تكرار كلمة (بإذنى) & (بإذن الله) خصوصا فى موضوع الخلق والإحياء للموتى.والتكرار مقصود (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى) وذلك لنفى شبهة قدرة عيسى (عليه السلام)على إحياء الموتى أو الخلق من تلقاء نفسه أو حينما يرغب فى ذلك . إنما الأمر ابتداءً وانتهاءً مرهون بإذن الله . وبأمر الله له (تصريح منه فى كل حالة على حده لينفذ الأمر).فيكون تأييد الله له بتلك المعجزات سبباً مباشراً لإيمان قومه بنبوته وتصديقه فيما يبلغ عن ربه . وفى طلب حوارييه وأنصاره أن ينزل الله عليهم مائدة من السماء لم يقصدوا أن الله جل علاه غير قادر على إتيان ذلك **إنما مقصدهم هو هل عيسى (عليه السلام) قريب من الله حقا فيستجيب الله لدعائه مهما كان ذلك الطلب**.وموضوع طلب المائدة ليس تعجيزاً فى حد ذاته إنما هم (الحواريون) أرادوا بذلك أن يرى جملة القوم معجزة لعيسى بتأييد من الله (تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك) كان الشك يساورهم رغم أنهم (الحواريين) هم خلصاء القوم والمؤمنين فيهم وصفوة المصدقين وصحابة

عيسى (عليه السلام) ولكن كدأب بنى إسرائيل كان إيمانهم يتأرجح بين الشك واليقين (**لأن الشك والريبة صفة تلازمهم**) وكأن معجزات عيسى المتتالية لا تكفيهم ليزدادوا يقينا . طلبوا شيئا يملأ بطونهم ويستمر فيها لفترة . شيئا يشعرهم بالامتلاء ويشبع شهوة الأكل ونهمهم له (لتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) . ثلاثة أسباب - فى نظرهم - لطلب تلك المائدة الفريدة وإن كان هناك سبباً رابعاً سبق تلك المبررات الثلاثة وهو (**نريد أن نأكل منها**) . كان جَلّ همهم وليمة تملأ بطونهم التى لاتشبع ونفوسهم النهمة وأفئدتهم الشرهة لشهوات البطن . قبل نبوة عيسى (عليه السلام) كان الكهنة فى المعابد اليهودية يتمتعون بأغلى وأشهى الأطعمة على حساب قومهم (القرابين والذبائح) والحواريون لم يفارق وجدانهم ذلك أبداً بل طلبوا تميزا خاصاً لهم وطعاما يشفى غليل صدورهم التى حرمت من خيرات الهيكل بعدما آمنوا بعيسى (عليه السلام) وقوله تعالى (إنى منزلها عليكم) تأكيد على تنفيذ الطلب والرغبة بعدما دعا عيسى (عليه السلام) ربه بإنزال مائدة السماء ليس للحواريين وحدهم وإنما لجموع الشعب (تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك) وتلك المعجزة هى رزق من عند الله خير الرازقين . واستجابة الله كانت بشرط ثبات الإيمان بعد معاينة اليقين فلا تكون هناك رِدّة أو نكول عن طاعة الله وتصديق رسالة عيسى (عليه السلام) إليهم (الإنجيل) التى هى تصديق لما بين أيديهم من التوراة المنزلة على موسى (عليه السلام) من قبل (فمن يكفر بعدُ منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين).

وعلى قدر المعجزات والآيات المتتالية يكون الحساب والمؤاخذة من الله (بدءاً من معجزات موسى (عليه السلام) وحتى نبوة عيسى (عليه السلام) . ولكن طبيعة الشعب الإسرائيلي لا تتغير وأخلاقه لا تتبدل إلا بالنذر اليسير ولفترة محدودة من الزمن ثم تعود كما كانت صفات الشك والتكذيب ونعوت الفساد

والضلال . فساد العقول وضلال الأفئدة . وتحققت الآية ونزلت المائدة من السماء وكانت عيداً لبنى إسرائيل استجابة لدعاء عيسى (عليه السلام) عبد الله ورسوله إلى ربه . وجملة (**هل يستطيع ربك**) **إنما تدل منهم على بشرية عيسى وهى إقرار واعتراف منهم بأنه عبدٌ لله . مخلوق لا حول له ولا قوة إلا بإذن الله . فمن أين جاء التأليه وادعاء بنوته لله جل علاه** . تحققت المعجزات السبع فى قوم غشيتهم فلسفات الإغريق والرومان . كل شىء يتطلب علة للحدوث . بيئة سادت فيها الماديات وطغت على الروحانيات فجاءت المعجزات بما يصوّب المفاهيم ويقوّم العقول والفكر . (خلّق عيسى من غير أب – إحياء الموتى بإذن الله - إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله - خلق الطين كهيئة الطير ثم تدب فيها الروح بإذن الله) كلها دلائل على قدرة الخالق المصور . وعلى الإماتة والإحياء والبعث للحساب بعدما أنكر قومه ماجاء فى التوراة الأصلية (التى تعلمها عيسى من الله جل شأنه) عن البعث والنشور والحساب وحذفوا ما يشير إلى ذلك فى أسفارهم التى كتبوها بأيديهم بعدما أضافوا إليها ماليس فيها :

*وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّاً . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين [387].

الإنجيل :

هو رسالة الله المنزلة على عيسى (عليه السلام) . ومعناه البشارة . ويقال أن لفظة (إنجيل) باليونانية مركبة من كلمتين (ايف) ومعناها جيد أو خير وصدق و (انجيليون) ومعناها الإخبار بشىء . والمعنى إجمالا يكون الإخبار بالخير أو الخبر الحسن. والله يبين لنا أن الإنجيل كتاب تضمن الهدى

والنور وتصديق ما قبله وما بين يديه (التوراة) والتبشير بما بعده من مجيء نبي آخر الزمان (محمد (ﷺ)) :

* نزّل عليك الكتاب (القرآن) بالحق مصدقاً لما بين يديه . وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان (القرآن وكل ما يفرق بين الحق والباطل) [388] .

*وقفّينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة للمتقين [389].

والإنجيل المنزل فيه هدىً لمن أسلم وجهه وكيانه ووجدانه وقياده لله رب العالمين . نور يضيء البصائر والقلوب ويهديها إلى الطريق المستقيم كيلا تزيغ أو تضل أو تتعثر فى طريق الهداية والإيمان . وموعظة للمتقين الذين ترسموا خطى الهداية بعدما أضاءت كلمات الله لهم بصيرتهم . وقبل كل هذا فالإنجيل مصدق لما بين يديه من شريعة التوراة وأحكامها . وقد جعل الله الإنجيل منهج حياة وشريعة حكم لبنى إسرائيل :

*وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . ومن لم يحكم بما أنزل الله .فأولئك هم الفاسقون[390] .

تحذير وأمر بوجوب الحكم بما جاء من عند الله وبما أنزله الله فى الإنجيل لا اتباعا لهوىً ولا ابتداعا لشرع ولا تحريفا لمقصد:

*ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقـــهم ومن تحت أرجلهم (كناية عن البركة فى الرزق)•منهم أمة مقتصدة (معتدلة وهم الذين أسلموا) وكثير منهم (المكذبون والمغالون) ساء ما يعملون [391].

* قل يا أهل الكتاب لستم على شيءٍ (لستم على هدىً وإيمان حـــق) حتـــى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم (دون تبديل ولا تحريــــف) وليزيدن كثيراً منهـــم ما أُنزل إليك (القرآن) من ربك طغيانا وكفراً فلا تأس (تحزن) على القوم الكافرين [392].

فالاتباع وحده هو النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخـــرة . وكونـــهم ليسوا على هدىً وإيمان حق إنما ينبع من تحريفهم التوراة وما أنزله الله مـــن الشريعة وتبديلهم الكلمات والمعاني إلى أخرى يجنون من ورائها - فى نظرهم - التيسير والهروب من التبعات والعقاب . وفى حقيقة الأمر إن ما يفعلونه هو التشديد على أنفسهم لا التيسير (مثلما فعلوا فى التلمود) وذاك هو الـــهروب إلى عذاب الله لا الهروب منه . لأن المخالفة والتعمد فى إضـــلال نفوســـهم وتضليل غيرهم إنما جعلهم على لاشيء . أفئدتهم هواء وضمائرهم مطموســة وعقولهم مغيَّبة عن الحق الذى أُنزل عليهم . الحق الذي لو اتبعـــوه بصـــدق وإيمان لجاءتهم الخيرات والبركات من كل مكان وفاضت عليهم من حيــث لا يتوقعون ولكنهم تفرقوا إلى فرق وشيع . فمنهم أمة معتدلة (مقتصدة) آمنـت بالأصول والكلام المنزل . فهؤلاء أسلموا وضمنوا رضوان الله عليهم وجزاءه الوفير على التزامهم واحتكامهم إلى الشريعة المنزلة. قولا وعمـــلا وصدقـــا ونصا وروحا . أما الكثير منهم فقد باءوا بالخسران لأنهم أساءوا لأنفسهم بما عملوا وفعلوا وهؤلاء الكثرة ضلالتهم لأنفسهم لا يضـــرون بهـــــا مـــن اهتدى والتزم .

والتحذير تلو التحذير من العلى القدير والحكيم الخبير بأنهم لو لم يقيموا شرائع وتعليمات التوراة والإنجيل وما أنزله الله من الهدى فلا يستحقون الانتساب والانتماء إلى مِلة موسى(عليه السلام) ولا مِلّة عيسى (عليه السلام) لأنهم ينتسبون وينتمون إلى أهوائهم التى أوردتهم المهالك والعذاب . وتأكيداً لمصير المؤمنين من شعورهم بالأمن فى الدنيا والآخرة لا الخوف الذى يصيب الكثرة الكافرة والفئة العاصية فالله يقول :

* إن الذين آمنوا والذين هادوا (اليهود) والصابئون (عبدوا الله دون شريعة) والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [393].

ويشهدنا الله ويبصّرنا بأسباب هلاك الآخرين فيقول جل شأنه:

*لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون [394].

ويتبادر إلى الذهن سؤال . لماذا يوجد الآن بيننا أربعة أناجيل (متّى - مرقص - لوقا - يوحنّا) وليس إنجيلا واحداً كما نزل على عيسى (عليه السلام) . وما الاختلاف الحادث بين تلك الأناجيل وغيرها . وأيهم أصدق وأيهم نأخذ به ومنه.وأسئلة أخرى كثيرة(يمكن الرجوع لكتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندى وكتاب هداية الحيارى لابن القيِّم) :

يقول الإمام الشيخ (**محمد أبو زهرة**) [395] :

إن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الغابرة أناجيل أخرى تأخذ بها فرق قديمة وتروج عندها . **ولا تعتقد كل فرقة إلا فى إنجيلها** . وأجمع مؤرخو المسيحية على كثرة الأناجيل كثرة عظيمة ثم أرادت الكنيسة فى

أواخر القرن الثانى الميلادى أو أوائل القرن الرابع الميلادى (*) أن تحـــافظ على الأناجيل الصادقة فى اعتقادها فاختارت الأنـــاجيل الأربعـــة (متـــى - مرقص - لوقا - يوحنّا) من الأناجيل الرائجة إبان ذلك فصارت هذه الأنـــاجيل الأربعة هى المعتبرة عندهم دون سواها . غير أن هناك إنجيلا جديداً كشـــف عنه البحث العلمى وقد حمل من الإمارات ما يدل على أنه يمتد بنشأته إلـــى أبعد أعماق التاريخ المسيحي . وهو يشبه الأناجيل القائمة فى أنه يحكى قصـة السيد المسيح منذ ولادته إلى اتهامه . ويحكى محاوراته ومناقشاته وخطبـــه . **ولكن الكنيسة لم تعترف به وأنكرته** . فليس معتبراً عند المسيحيين مصـــدراً دينيا ولكنه متداول بين علماء الأمم الأوروبية . وقد اتجـــهوا إليـــه بـــالبحث والعناية والاهتمام . ولم يمنعهم من ذلك إنكار الكنيسة له . ذلك الإنجيل هـــو (**إنجيل برنابا**)[396] . ومن الحق علينا أن ندرسه ونعرف رأى المســـيحيين فيه . وما يؤدى إليه النظر العلمى من غير افتيات عليهم ولا تـــهجم . ومـــن غير أن نقحم أنفسنا فيما ليس لنا من إملاء عقيدة على القوم فى دينهم.

إن (**برنابا**) قديس من قديسى المسيحيين باتفاقـــهم . ورســـول مـــن رسلهم . وركن من الأركان التى قامت عليها الدعاية للمسيحية الأولى . **وقـد وُجِد إنجيل بإسمه يدل على أنه كان من الحواريين الذين اختصهم المســـيح بالزلفى إليه والتقرب منه وملازمته فى سرائه وضرائـــه** . ولكـــن كتـــب المسيحيين غير هذا الإنجيل لا تعده من هؤلاء الحواريين وإن كانت تعده مـــن الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين فى هذا الدين بعد المسيح . ومهما يكـــن من شيء فى هذا الأمر وهو كونه من الحواريين أو ليس منهم **فإن (برنابـــا) حُجّة عند المسيحيين وهو من الملهَمين فى اعتقادهم** [397] . فـــإن صحـــت نسبة هذا الإنجيل إليه كان ما يشمله حُجّة عليهم . يدعوهم إلى أن يوازنوا بين

---

*) عند تولى الامبراطور قسطنطين عرش الرومان عام 332م.

ما جاء فيه وما جاء في غيره من كتبهم . ويؤخذ بما هو أقرب إلى التصور والتصديق وأصحّ سندا وأقرب إلى المسيحية الأولى رحما .

واتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الإنجيل نسخة مكتوبة باللغة الإيطالية . عثر عليها (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا وذلك فى سنة 1709م . وقد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار في سنة 1738م.إلى البلاط الملكي بفيينا .**وكانت تلك النسخة هي الأصل لكل النسخ لهذا الإنجيل فى اللغات التى تُرجم إليها . ولكن فى أوائل القرن الثامن عشر الميلادى وُجدت نسخة أسبانية** ترجمها المستشرق (سايل) إلى اللغة الإنجليزية . ولكن لم يُعلم من تلك النسخة وترجمتها إلا شذرات أشار إليها الدكتور (هوايت) فى إحدى الخطب . وقد قيل إن الذى ترجم النسخة الأسبانية إلى تلك اللغة مسلم نقلها من الإيطالية إلى الأسبانية .

ولقد رجح المحققون أن النسخة الإيطالية هى الأصل للنسخة الأسبانية . وذلك لأنها قدمت بمقدمة تذكر أن الذي كشف النقاب عن النسخة الإيطالية التى كانت أصلا للنسخة الأسبانية راهب لا تينى اسمه (فرامينو) وأنه يقص فيقول : إنه عثر على رسائل (لإيريانوس) وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه (بولس) الرسول ويسند تنديده إلى (إنجيل برنابا).وقد وصل إلى مبتغاه لما صار أحد المقربين إلى البابا (سكتس الخامس) فإنه عثر على ذلك الإنجيل فى مكتبة هذا البابا وطالعه فاعتنق الإسلام . ويظهر أن تلك النسخة هى نفس النسخة التى عثر عليها عام 1709م .

ويقول الدكتور (خليل سعادة) (*) :

وإذ تحريت التاريخ وجدت أن زمن البابا (سكتس الخامس) نحو مغيب القرن السادس عشر . وقد علمت مما مر بك بيانه أن نوع الورق الذى سطر فيه إنما هو ورق إيطالي يمكن تعيين أصله من الآثار المائية التى فيه والتــى يمكن اتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الإيطاليــة . والتــاريخ الــذي يحدسه العلماء من كل ما تقدم بيانه يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الإيطالية هــي عينها التي اختلسها (فرامينو) من مكتبة البابا علــى مــا مــرت الإشــارة إليه[398].

ويباين هذا الإنجيل الأناجيل الأربعة المشهورة فى عدة أمور جوهرية :

1- قوله أن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله وذلك على مرأى ومسمع مــن ستمائة ألف جندى وسكان اليهودية من رجال ونساء وأطفال .
2- أن الإبن الذى عزم إبراهيم على تقديمه ذبيحة لله إنما هــو إســماعيل لا إسحاق .
3- أن مسيا أو المسيح المنتظَر expected Messiah ليس هو يسوع بل محمــد (ﷺ) وقد ذكر اسمه باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية الذيول .
4- أن يسوع لم يُصلب . بل حُمل إلى السماء وأن الذى صُلب إنمــا يــهوذا الخائن الذى شُبّه به .

فجاء إنجيل برنابا مطابقا للقرآن فى تلك الأمور الأربعة .

---

*) مترجم إنجيل برنابا إلى العربية .

وهذا الإنجيل قد أتى على آيات باهرة من الحكمة وطراز راقٍ من الفلسفة الأدبية وأساليب تسحر الألباب ببلاغتها السامية على مافيها من البساطة فى التعبير وهى ترمى إلى ترقية العواطف البشرية إلى أفق سامٍ وتنزيهها عن الشهوات البهيمية آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وحاثاً على الفضائل مقبحاً للرذائل . داعياً الإنسان إلى تضحية نفسه فى سبيل الإحسان إلى الناس حتى يزول منه كل أثر للأنانية ويحيا لنفع إخوانه[399] .

ويقول العلّامة الشيخ (**محمد رشيد رضا**) فى تقديمه للترجمة[400] :

إن إنجيل المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) واحد . وهو عبارة عن هديه وبشارته بمن يجيء بعده ليتم دين الله الذى شرعه على لسانه وعلى ألسنة الأنبياء من قبله . وإنما كثرت الأناجيل لأن كل من كتب سيرة عيسى (عليه السلام)سماها إنجيلاً لاشتمالها على ما بشر وهدى به الناس .

ومن تلك الأناجيل (إنجيل برنابا) . وبرنابا حوارى من أنصار المسيح الذين يلقبهم رجال الكنيسة بالرسل . صحبه (بولس) زمناً بل كان هو الذى عرف التلاميذ ببولس بعدما اهتدى بولس ورجع إلى أورشليم . فلعل تلاميذ المسيح (الحواريون) ما كانوا ليثقوا بإيمان بولس بعدما كان من شدة عداوته لدينهم لولا برنابا . ويذهب بعض علماء الإفرنج إلى أن إنجيل (مرقص) وإنجيل (يوحنّا) من وضع بولس الذى انفرد بتعليم جديد مخالف لما تلقاه الحواريون عن المسيح رغم أن إنجيل (بولس) اشتهر وصار عماد النصرانية كما تقول دائرة المعارف الفرنسية .

وقد دحض الدكتور (مرجليوث)[401] الانجليزى شبهة من قال إن لهذا الإنجيل - برنابا - أصلا عربيا وإنه من وضع المسلمين . وأن الدكتور (خليل سعادة) هو الذي فنّد رأس المستدل على كونه من وضع القرون الوسطى .

ويرى الإمام الشيخ (**محمد أبو زهرة**) [402] :

أن المسيحيين قد أنكروا (إنجيل برنابا) ورفضوه لأنه خالف أناجيلهم ورسائلهم فى مسائل جوهرية فى العقيدة المسيحية وهى الأمور الأربعة التى أشار إليها د. خليل سعادة من قبل .
وتفصيليا نقول عن تلك الأمور الأربعة :

(1)- إنسانية المسيح (بشريته) :

*أيها الأعزاء . إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم **والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى . مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله . ورافضين الختان الذى أمر به الله دائما . مجوزين كل لحم نجس الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى** . وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله (يوم القيامة والحساب) **وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا** ولكن الله العظيم معكم وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر آمين[403].

*أجاب الكاهن : أن اليهودية قد اضطربت لآيائك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك أنت الله . فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتى إلى هنا مع

الرالى الرومانى والملك هيرودوس . فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التى ثارت بسببك . **لأن فريقا يقول إنك أنت الله وآخر يقول إنك ابن الله ويقول فريق إنك نبى . أجاب يسوع :** وأنت يا رئيس كهنة الله لماذا لم تخمد الفتنة . وهل جننت أنت أيضا . هل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسيّا . أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان (404) .

*** ولما قال يسوع هذا عاد فقال : إنى أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أنى برىء من كل ما قال الناس عني أني أعظم من بشر . لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله . أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام.** لعمر الله الذي تقف نفسي بحضرته إنك أنت أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذى قلته . ليلطف الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نِقْمة عظيمة لهذه الخطيئة (405).

***إلعن إلى الأبد كل من يفسد إنجيلى الذى أعطيتنى عندما يكتبون أنى إبنك**(406).

* وانصرف يسوع من أورشليم بعد الفصح ودخل حدود قيصرية فِيلِبس فسأل تلاميذه (حوارييه) أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذى نجم بين العامة قائلا : ماذا يقول الناس عنى . أجابوا : يقول البعض إنك إيليا وآخرون إرميا وآخرون أحد الأنبياء . أجاب يسوع : وما قولكم أنتم فىّ . **أجاب بطرس إنك المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : اذهب وانصرف عنى لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسىء إلىّ . ثم هدد الأحد عشر (باقى الحواريين) قائلا : ويلٌ لكم إذا صدقتم هذا لأنى ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا** (407).

*** ثم قال يسوع : إذا كان إلهنا لم يرد أن يظهر نفسه لموسى عبده ولاإيليا الذى أحبه كثيراً ولا لنبى ما . أتظنون أن الله يظهر نفسه لهذا الجيل الفاقد الإيمان . بل ألا تعلمون أن الله قد خلق بكلمة واحدة كل شىء من العدم وأن مَنْشأ البشر جميعهم من كتلة طين . فكيف إذن يكون الله شبيها بالإنسان . ويل للذين يدعون الشيطان يخدعهم[408].**

(2) - رؤيا الذبح والفداء:

المذكور فى التوراة (العهد القديم) أن الذي رأى إبراهيم (عليه السلام) فى المنام أنه يذبحه هو إسحاق (على خلاف ما ذكر فى القرآن) وماجاء فى إنجيل برنابا يماثل ماورد فى القرآن الكريم :

***فأجاب الملاك جبريل انهض يا يسوع واذكر إبراهيم الذي كان يريد أن يقدم إبنه الوحيد إسماعيل ذبيحة لله ليتم كلمة الله فلمّا لم تَقوَ المدية على ذبح إبنه قدم عملا بكلمتي كبشا[409].**

***فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلا : خذ إبنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة (قربان) . فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما وُلِدَ كان إسماعيل ابن سبع سنين[410].**

(3) البشارة بالنبى محمد (صلى الله عليه وسلم) :

* الحق أقول لكم إن كل نبى جاء فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى أُرسلوا إليه . **ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ماهو بمثابة خاتم يده فيحمل خلاصا ورحمته لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه . وسيأتي بقوة على الظالمين ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزى الشيطان** . لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا : انظر فأنى بنسلك

أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك [411] .

* أما من خصوصى فإني قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص للعالم . ولكن احذروا أن تُغشّوا لأنه سيأتي أنبياء كَذَبَة كثيرون يأخذون كلامي وينجسون إنجيلي . حينئذ قال أندرواس : يا معلم أذكر لنا علامة لنعرفه أجاب يسوع : إنه لا يأتى في زمنكم بل يأتى بعدكم بعدة سنين حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا . فى ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختاري الله (*) . وهو سيظهره للعالم وسيأتي بقوة عظيمة على الفُجّار ويبيد عبادة الأصنام من العالم . وإني أُسرّ بذلك لأنه بواسطته سيعلن ويُمجّد الله ويظهر صدقي . وسينتقم من الذين يقولون إنى أكبر من إنسان [412].

* (هذه كلمات يهوذا الخائن) : ولكن إذا صار الرجل (يقصد المسيح) ملكا فلن يُسترضَى إلا إذا رأى عبادة الله كما كتب موسى . وأنكر من ذلك أنه يقول أن مسيّا (النبي محمد ﷺ) لا يأتى من نسل داود (كما قال لنا أحد تلاميذه الأخصاء) بل يقول إنه يأتى من نسل إسماعيل . وأن الموعد (الذبح والفداء) صُنع بإسماعيل لا . بإسحاق[413].

*أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي أنى لست مسيا الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلا : بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادم (أى عديم) التقوى على الاعتقاد بأني الله

---

*) تعرف عليه وتنبأ ببعثته ورقة ابن نوفل .

وابن الله فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا . حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله الذي سيأتي من الجنود بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام . وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا .[414]

***حينئذ قال التلاميذ (الحواريون) يامعلم هكذا كتب فى كتب موسى أن العهد (الذبح والفداء) صنع بإسحاق . أجاب يسوع متأوهاً : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ولا يسوع بل أحبارنا الذين لا يخافون الله [415] .**

*ما أسعد الزمن الذى سيأتى فيه إلى العالم . صدقوني أنى رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي .لأن الله يعطيهم روحه نبوة . ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلا : يا محمد ليكن الله ويجعلنى أهلا أن أحل سير حذائك . لأني إذا قلت هذا صرت نبيا عظيما وقدوس الله [416].

(4)- رفع المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) :

* ولما دنت الجنود مع يهوذا (الاسخريوطى) من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنوّ جمٍّ غفير . فلذلك انسحبت إلى البيت خائفا وكان الأحد عشر نياما (الحواريون الاثنا عشر عدا يهوذا الخائن) . **فلما رأى الله الخطر على عبده** أمر جبريل وميخائيل (وميكائيل) ورفائيل (إسرافيل) **وأوريل (عزرائيل)** **سفراءه** أن يأخذوا يسوع من العالم . **فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه فى السماء** [417].

(نلاحظ هنا وجود (عزرائيل) ملك الموت مع باقى الملائكـــة حَيــث يقوم بقبض روح عيسى قبل الرفع)٠

*ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أُصعِدَ منـــها يســوع وكـــان التلاميــذ (الحواريون ٰ) كلهم نياما. **فأتى الله العجيب (القدير) بأمر عجيـــب . فتغــير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتى اعتقدنا أنه يســوع .** أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا . أنسيتنا الآن [418].

*** الحق أقول أن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيســوع أن اعتقد تلاميذه (الحواريون) والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع** لذلك خــرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا وأنه إنما فعل الآيات التى فعلها بصناعة السحر [419] .

وهذه هى نقاط الخلاف الجوهرية بين (إنجيـــل برنابـــا) والأنـــاجيل المتداولة حاليا . وهذا الإنجيل دحض وأنكر ألوهية عيسى (عليه السلام) وهدم عقيدة التثليث وبنوة المسيح . وهو يوافق ماجاء فى آيات القرآن الكريم وغيرها من القضايا والتى سنتعرض لها الآن **بالنص القرآنى :**

(1)-بشرية المسيح (عليه السلام) :

* **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه** من تراب ثم قال له كن فيكـــون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (المتشككين)[420] .

*لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريـــم . وقـــال المســـيح يـــابنى إسرائيل اعبدوا **الله ربى** وربكم [421].

***ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صِدِّيقة كانـــا يأكلان الطعام (كسائر البشر) . انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنـــّى يؤفَكون** (422).

ويقول (**أبو عثمان الجاحظ**) (423): إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير أب(كما تقول بعض النصارى) فآدم وحواء إذّ كانـــا من غير أب وأم أحق بذلك من عيسى (عليه السلام) أن كانت العلة فى اتخاذه ولـــداً أن الله خلقه من غير أب .

(2)- رؤيا الذبح والفداء :

*وقال (إبراهيم) إنى ذاهب إلى ربى سيهدين *رب هب لى من الصـــالحين ***فبشرناه بغلام حليم (إسماعيل)** * فلما بلغ معه السَعْىَ قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله **من الصابرين** *فلما أسلما (الاثنين) وتله للجبين (**أضجعـــه** علـــى جبينه) * وناديناه أنْ يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا . إنـــا كذلـــك نجـــزى المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * **وفديناه بِذبحٍ عظيم** * وتركنا عليـــه فى الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنـــا المؤمنين * **وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين** * وباركنـــا عليـــه وعلـــى إسحاق ومن ذريتهما (إبراهيم وإسحاق) محسن وظالم لنفسه مبين (424).

فى الآيات السابقة نرى أن الله جل شأنه قد بشر إبراهيـم (عليه السلام) أولا بغلام حليم هو إسماعيل وهو الذى بلغ السَعْىَ (صبيا يمشـــى ويلعـــب) ثـــم حدثـــه برؤياه . ورؤيا الأنبياء حق تستوجب تنفيذ ماجاء فيها مـــن الأوامـــر والتوجيهات وكان رد إسماعيل أن على أبيه تنفيذ الأمر الإلـــهى دون إبطـــاء

وأنه (أى إسماعيل) سيكون بإذن الله من **الصابرين** (**ستجدنى إن شاء الله من الصابرين**) والصبر والحلم صفتان متشابهتان (**غلام حليم - من الصابرين**) ثم بعد الامتثال وتهيئة إسماعيل للذبح جاء الفداء من رب العالمين بعد الابتلاء والامتحان العظيم الذى تعرض له الأب والابن (وفديناه بذبح عظيم) . (إن هذا لهو البلاء المبين) أى الامتحان العسير الذى أوشك الأب أن يفقد ابنه الوحيد الذى رُزق به على الكِبَر وأصبح يملأ عينه وهو يسعى ويمشى ويلعب أمام ناظريه وامتدح الله تعالى إبراهيم الذي صبر فى تلك المحنة وذلك الاختبار العظيم . (سلام على إبراهيم * كذلك نجزى المحسنين) ثم بشره الله بعد ذلك بأنه سيُرزق **بغلام عليم** من زوجته الأولى (ساره) (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) وهذا الغلام صفته أنه **عليم** وكانت تلك البشرى فى معرض نزول الملائكة لتدمير قوم لوط الذين يمارسون الفاحشة :

- فأوجس (إبراهيم) منهم خيفة (من الملائكة) قالوا لا تخف وبشروه **بغلام عليم**[425] .

ولو أن إسحاق (عليه السلام) كان هو الذبيح فلماذا بشره به الله بعد واقعة الذبح . وأيضا فى سورة الأنبياء ما ينم عن صفة إسماعيل ونعته **بالصبر** كما وصف نفسه بأنه سيكون من **الصابرين** وذلك مما ورد فى سورة الصافات(آية 102)وفى سورة الأنبياء :

*و**إسماعيل** وإدريس وذا الكِفل . كلٌّ من **الصابرين** [426].

وكما سبق وبيّنا فإن صفة **الحلم** (غلام حليم) تترادف وتماثل صفة **الصبر** (من الصابرين) وكما هو معروف فإن إبراهيم (عليه السلام) أنجب إسماعيل أولا (الابن البكر) وكان وحيده وقت واقعة الابتلاء بالذبح والفداء .

وإسماعيل يكبر إسحاق بحوالى سبع سنوات أو يزيد . وإسحاق هو البكر لأمه (سارة) .

وفى الآية (54) من سورة مريم :

*واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان **صادق الوعد** وكان رسولا نبيا .

وصدق الوعد المذكور فى الآية يشير إلى ماقاله إسماعيل لأبيه إبراهيم (عليه السلام) حين عرض عليه الرؤيا بالذبح (سورة الصافات) فكان جوابه ووعده الصادق (ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) .

(3)- البشارة بالنبى محمد (ﷺ) :

* وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من **بعدى إسمه أحمد** . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين [427] .

والمعروف فى اللغة العربية أن أحمد ومحمد ومحمود هى من صفات الحمد والثناء بصيغ مبالغة مترادفة ومتماثلة فى المعنى .

*وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول (محمد ﷺ) مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه.قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى (عهدي) قالوا أقررنا . قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون [428] .

*واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هُدْنا إليك . قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء . فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة

والذين هم بآياتنا يؤمنون * **الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم** (عهدهم بالعمل بما فى التوراة) والأغلال (التكاليف الشاقة فى التوراة) التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أُنزل معه أولئك هم المفلحون(429).

(4)- عقيدة التثليث :

وهى عقيدة نشأت فى حضن الفلسفة الإغريقية (فلسفة الاسكندرية) وتكاملت آخر القرن الرابع الميلادي :

*يا أهل الكتاب لا تغلوا (لا تتجاوزوا الحد) فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه . **فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً لكم . إنما الله إله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السماوات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلا** (430).

***لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم** . وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله **ربي** وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . **لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة** . وما من إله **إلاإله** واحد . وإنْ لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم (431) .

***قالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه هو الغنى** . له مافى السماوات ومافى الأرض . **إن عندكم من سلطان (برهان ودليل) بهذا** . أتقولون على الله ما

لاتعلمون *قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون *متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون [432] .

(ﮤ) وفاة المسيح ورفعه :

*ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * **إذْ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا** وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون [433].

لقد دبر اليهود قتل عيسى (عليه السلام) بالوشاية عند الحاكم الروماني (بيلاطس) وادعوا أنه يقول أنه سيكون مَلِكَاً عليهم وينزع الملك من الرومانيين واتهموه بالكذب والشعوذة بعدما فضح عقائدهم الفاسدة ومخالفتهم للتوراة والإنجيل الذي جاء به بأكلهم أموال الناس بالباطل والتشدد في تطبيق الشريعة على قومهم وهم - الكهنة - يتحررون ويتحللون من تطبيقها على أنفسهم . بالإضافة إلى طبيعتهم الدموية وقتلهم الأنبياء بغير الحق وتكذيبهم خوفا من اندحار سلطانهم على الناس وكأنهم هم وحدهم حُرّاس الشريعة والقائمين عليها والمحافظين على تعاليمها . وقال الكهنة أن عيسى (عليه السلام) يدعى الألوهية والنبوة (إحياء الموتى وابراء الأكْمه والأبرص .. الخ) . ولما جاء الجنود الرومان للقبض على عيسى (عليه السلام) كان تدبير الله تعالى أكبر من فكر اليهود (ومكروا ومكر الله) فقد حفظ لنبيه ومصطفاه عيسى (عليه السلام) مقامه وطهارته ومنزلته من دنس أعدائه وتدبيرهم لقتله والخلاص منه كما سبق وتخلصوا من يحيى وزكريا وغيرهم من **الأنبياء فتوفاه** الله

وقبض روحه كسائر البشر :

*قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل بكم ثم إلى ربكم ترجعون[434].

فلم يمكن الله منه أعدائه وأعداء الدين وألقى شبهه على شخص آخر (يهوذا الاسخريوطى) ظنوا أنه عيسى فقبضوا على الشبيه وصلبوه وقتلوه واستراحوا - كما خيل إليهم - لنيلهم من عيسى (عليه السلام) . **وبعد أن توفاه الله رفعه الله إليه تكريما وعلو منزلة وقدر.** وكيفية ذلك والزمن الذى تم فيه القبض (قبض الروح) والرفع . وهل كان الرفع بالروح أم بالجسد . كل هذه أمور غيبية لا يعلمها إلا الله ولا نؤمن إلا بما أخبرنا الله تعالى فى قرآنه الكريم (المرجع الأخير والعيارى لدراستنا هذه) حيث يقول جل شأنه :

- وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** . و إن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه . مالهم من علم إلا اتباع الظن . **وما قتلوه يقينا (حقيقة) * بل رفعه الله إليه** . وكان الله عزيزاً حكيما [435].

فلم يرد سبحانه بتدبيره وحكمته أن ينالوا منه بأيديهم . فما قتلوه وما صلبوه كما تخيلوا وظنوا **ولكن الشبيه (أحد تلاميذه من الحواريين الذي خانه) هو الذي فعلوا به القتل والصلب وظنوا أنهم فعلوا بعيسى (عليه السلام) مافعلوا (مالهم به من علم إلا اتباع الظن) وما قتلوه حقيقة كما تظنون . بل رفعه الله إليه بعد ما توفاه** . وعصمه منهم وطهره من الذين كفروا فلم يخضبوا أيديهم بدمه الزكي الطاهر . **رفعه الله كما يرفع الشهداء الذين** جاهدوا فى سبيله فيصبحون أحياء عند ربهم يرزقون :

***بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون** [436].

***بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون** [437] .

وإمعانا فى تكريم عيسى (عليه السلام) من قِبَل الله تعالى أن جعل المؤمنين به كبشر نبى ورسول يدعوا إلى الله.المؤمنين بتعاليمه والإنجيل الذى جاء به . **جعل أتباعه فوق الذين كفروا به وكذبوه** وظنوا بصلبه وقتله إلى يوم القيامة . وتلك هى مِنّة الله على عباده المؤمنين :

*إذْ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىَ ومطهرك من الذين كفروا **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة** ثم إلىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون[438].

***ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** [439] .

وفى هذا المقام لن نعرض لما كتبه وأشاعه أهل الكتاب عن قتل عيسى بعد صلبه وماقالوه عن عقيدة الفداء للبشرية جمعاء بصلبه وأنه مازال حياً بجسده إلى يوم القيامة وأنه سينزل آخر الزمان مرة أخرى . الخ . لأن كل ذلك مردود عليه بوضوح بماجاء فى آيات الله المحكمة فى كتابه الكريم وهى الآيات التى سبق أن ذكرناها وسنذكرها فى موضعها المناسب (الفصل التاسع) وهى تنفى وتدحض كل الشبهات وترد على كل المفتريات والأباطيل والترهات . وعيسى ابن مريم (عليه السلام) براء من كل الأساطير والادعاءات والخرافات .

(٥) مشهد من يوم القيامة :

* **وإذ قال الله (يوم القيامة) ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك** . ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم مافى نفسي ولا أعلم مافى نفسك . إنك أنت علام الغيوب * **ماقلت إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم . وكنت عليهم شهيداً (مراقبا ورقيبا) مادمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم** . وأنت على كل شيء شهيد * إنْ تعذبهم فإنهم عبادك وإنْ تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم * قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . رضى الله عنهم ورضوا عنه . ذلك الفوز العظيم * لله ملك السماوات والأرض وما فيهن . وهو على كل شيء قدير (440).

أنعم الله علينا جل شأنه بمشهد صدق وموقف صدق سيحدث بإذنه تعالى يوم القيامة.يوم يقوم الناس لرب العالمين ويقوم الأشهاد للحساب والجزاء . يوم تبلى السرائر وتكشف البصائر ويصبح البصر حديد . وما يقصه الله علينا جل شأنه حق وصدق.فسيخاطبه الله العليم الخبير رسوله ونبيه عيسى ابن مريم (عليه السلام) على رءوس الأشهاد والخلائق جميعا يوم القيامة والحساب ويسأله إن كان قد قال للناس أنه إله أو ابن الله وأنه طلب لذلك تأليه أمه مريم إبنة عمران ليكونا إلهين من دون الله رب العالمين . فيأتى الجواب من عبد الله ورسوله عيسى (عليه السلام) (سبحانك) أى ننزهك يا ألله عن هذه الفرية والادعاء لأنه ما ينبغي ولا يحق لى أن أقول ماليس بحق أو صدق . ونفيا عن نفسه وما ألصقه به المؤمنون به والتابعون إلى يوم الدين (الدينونة) يستشهد عيسى (عليه السلام) بالله وحده فى أنه ما قال ذلك (إن كنت

قلته فقد علمته) وأنه برىء مما افتراه قومه وتابعيه وأنه قام بتبليغ رسالة الله (الإنجيل والتوحيد) كما أمره الله علام الغيوب.وأنه دائما كان يؤكد على بشريته وأنه خرج من رحم امرأة إنسانة من البشر تأكل وتشرب كسائر البشر. وأنه عبد لله ورسول إلى قومه (**ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم**).وكان حريصا طوال حياته على تأكيد هويته وبشريته.وكان ينسب المعجزات التي أتى بها قومه لله وحده.وكان ينفى ادعاء الألوهية والبنوة لله عن نفسه.وكان حريصا على تصحيح مفاهيم قومه ومراقبا لهم فيما يقولون (وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم).كان مراقبا ورقيبا عليهم خشية الافتتان به وعبادته من دون الله.فلما توفاه الله جل شأنه وأماته وقبضه كان الله وحده هو الرقيب والشهيد على قومه فعلم سبحانه بما أحدثوا من بعده وبما غيروا وبدلوا.(**فلما توفيتنى** كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد).وبعد وفاته لم يعد لعيسى (عليه السلام) أى سلطان على قومه وهو ينكر ادعاءهم هذا ويتبرأ مما قالوه وفعلوه ويفوض أمرهم إلى الله خالقهم.(إن تعذبهم فإنهم عبادك) الذين بستحقون العذاب جزاء الشرك بالله والكفر بقدرته على الخلق . ويحتمل بعض الأمل فى صدر عيسى (عليه السلام) من أن يعفو الله عنهم ويرحمهم ويسامحهم (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) :

* وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم . إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار [441].

ولكنها رحمة الأنبياء بأقوامهم وأسفهم عليهم لأنهم حذروهم دائما من الشرك بالله وعصيانه تعالى . ثم يفصل الله الحَكَم العدل - يوم القيامة - فى تلك القضية ويبرئ عيسى (عليه السلام) من ادعاء قومه (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم).ويجازى جل شأنه المدعين والمفترين بالباطل على الله ثم

على رسوله إليهم وأن مصيرهم إلى النار مالهم من ناصرين.أما من آمن بالله ونبيه عيسى (عليه السلام) دون شرك فأولئك هم الصادقون (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا).خلود أبدى فى جنات تجرى من تحتها الأنهار فيها من كل الثمرات وكل الخيرات التى بشرهم بها أنبياء الله ورسله . وقبل هذا وذاك رضوان من الله عليهم ورحمة (رضى الله عنهم) بأن أدخلهم جنته وغفر لهم وهداهم للإيمان . وتهنأ النفس المؤمنة الصادقة وترضى عن مصيرها الرائع الذى عملت لأجله فاستحقت ذلك الفوز والفلاح (ورضوا عنه . ذلك الفوز العظيم) . رضوا عن الجنة التى أعدت للمتقين المؤمنين وحمدوا الله كثيراً على نجاتهم من عذابه وتفضله عليهم بالرحمة والرضوان .

هذا هو المشهد العظيم الذى سيقع بإذن الله يوم الحساب والجزاء يقصه علينا رب العزة تبارك وتعالى لنعلم ونتأكد ماهية عيسى (عليه السلام) وكونه من البشر.وأنه عبد لله وليس إلها أو إبناً لله الواحد الأحد كما يدعى بذلك المشركون ويفترى الاثمون . وكما كتبوه بأيديهم وحرفوه بقلوبهم قبل أقلامهم . **فإنجيل عيسى (عليه السلام) إنجيل واحد منزّل من عند الله تعالى وليس مجموعة من الأناجيل . فتلك الأناجيل التى بين أيديهم الآن ماهى إلا روايات لبعض القديسين عن قصة وحياة نبى الله عيسى (عليه السلام)** . وفيها التضارب والتعارض والاختلاف فيما بينها . فكل كتب الله المنزلة على عباده ورسله لا تدعى الألوهية لغير الله جل وعلا . ولا تفترى على الله الكذب . ولا تهدى بضلال ولا تقص المفتريات والأساطير والخرافات . ولا تعارض بعضها بعضا . لأن مصدر التشريع والدين واحد وهو العلى العظيم رب الخلق أجمعين . أما تلك المفتريات والأباطيل فهى من صنع البشر على مدار الزمان ولمن أراد المزيد من التفاصيل فى هذا الشأن عليه بالرجوع إلى كتاب (**محاضرات فى النصرانية**) للإمام الشيخ (**محمد أبو زهرة**) وكتاب (**إظهار**

. **الحق)** للشيخ العلامة **(رحمة الله الهندى)** ففيهما ما يشفى الصدور ويجلـــى الأبصار ويميز الخبيث من الطيب لقوم مؤمنين يخافون الله ويرهبون عذابـــه ويطمعون فى رحمته ورضوانه .

(7) -لعنة الكافرين وجزاء المتقين :

*قل لى أيها الأخ . أخطر فى بالك لماذا أتيت لتسألني في الهيكل إن الله قـــد بعثنى (تعود على عيسى ﷺ) لأبيد الشريعة والأنبياء . من المؤكـد أن الله لا يفعل هذا لأنه غير متغير (لم يخلق الله أحد فهو لم يلد ولم يولد) فإن مـــا فرضه الله طريقا لخلاص الإنسان هو ما أمر الأنبياء بالقول به . لعمـــر الله الذي تقف نفسي فى حضرته **لو لم يفسد كتاب موسى مع كتاب أبينـــا داود بالتقاليد البشرية للفريسيين الكَذَبة والفقهاء لما أعطاني الله كلمته** . ولكـــن لماذا أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود . فقد فسدت كل نبوة حتـــى أنــه لا يَطلب اليوم شيء لأن الله أمر به . بـــل يُنظـــر إذا كـــان الفقـــهاء يقولـــون والفريسيون يحفظونه كأن الله على ضلال والبشر لا يضلون . **فويـــل لـــهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعة دم كل نبى وصِدِّيق مع دم زكريـــا بـــن برحيا الذى قتلوه بين الهيكل والمذبح** . أىَ نبىٍ لم يضطهدوه . أى صِدِّيـــق تركوه يموت حتف أنفه (ميته طبيعية دون قتل) . لم يكادوا يتركوا واحـــدا. وهم يطلبون الآن أن يقتلونى . يفاخرون بأنهم أبناء إبراهيم وأن لهم الـــهيكل الجميل مُلّكا . لعمر الله إنهم أولاد الشيطان . فلذلك ينفذون إرادته . **ولذلـــك سُيهدم الهيكل مع المدينة المقدسة تهدماً لا يبقى منه حجر على حجر مـــن الهيكل**(442).

وكل ذلك مذكور فى أناجيل :

مـــتى : 22: 40& 35:23 & 5: 17

يوحنّا : 8 : 39 -44

لوقـــا : 19 : 44 & 21 : 6 .

وهدم المدينة المقدسة (القدس) والهيكل تم بالفعل عام 70م وعام 135م.

ولنا وقفة للتدبر مع آيات الله وكلماته الهادية إلى سواء الصراط :

*ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون (يشكون) * ماكان لله أن يتخذ من ولد سبحانه . إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (443) .

*ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة (النبوة) ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه . فاتقوا الله وأطيعون * **إن الله ربى وربكم فاعبدوه** . هـذا صراط مستقيم * فاختلف الأحزاب من بينهم . **فويل للذين ظلموا من عــذاب يوم أليم** * هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون(444).

*وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه **ومن لم يحكم بما أنزل الله فألئك هــم الفاسقون** (445) .

و تجيء اللعنة على بنى إسرائيل على لسان أنبيائهم لما فعلــوا وبمــا أحدثوا :

***لُعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم** ذلــك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكـــانوا يفعلون *ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا . لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن

سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أُنزل إليه ماتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون [446].

وعقاب الله الذى توعده للنصارى الذين نسوا وتناسوا تعاليم عيسى (عليه السلام) الحقيقية ورسالته الحقة :

* ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** . وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون [447] .

ولماذا كان ذلك العقاب الالهى :

*قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم * قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم (لا تغالوا) غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل [448].

وهل أصبح كل النصارى يستحقون اللعنة والطرد من رحمة الله مثلما حدث لبنى إسرائيل من قبل :

*من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون*يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات . وأولئك من الصالحين *وما يفعلوا من خير فلن يُكفَروه (سينالون ثوابه) والله عليم بالمتقين [449].

*وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا . أولئك لهم أجرهم عند ربهم . إن الله سريع الحساب [450].

***لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا (من المسلمين) اليـــهود والذيـن أشركوا.ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى** . ذلك بـأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول (محمد (ﷺ)) ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولـــون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وماجاءنـــا مـــن الحــق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك جزاء المحسنين * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم [451].

وكيف يصل أهل الكتاب إلى منزلة المتقين ويفوزوا برضوان الله وجنته :

***قل يا أهل الكتاب لستم على شيءٍ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنـــزل إليكم من ربكم** . وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفـــرا . فلا تأس على القوم الكافرين * إن الذين آمنوا (من المسلمين) والذين هـادوا (اليهود) والصابئون (عبدوا الله بدون أنبياء فيهم) والنصارى من آمن بـــالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون[452] .

ويقول النبى (ﷺ) فى الحديث المروى عنه :

*من آذى - ظلما - يهودياً أو نصرانياً كنت خصمه يوم القيامة . قـــد يـدوم المُلك على الكفر ولكنه لا يدوم على الظلم[453] .

وأوصى النبى (ﷺ) بالنصارى خيرا . وتزوج من ماريــــة القبطيـــة (المصرية) . وقد أمر الرســـول (ﷺ) بـــالرفق بـــأهل الكتـــاب (اليـــهود والنصارى) وعدم تكليفهم - من الأعمال - فوق ما يطيقون . ومن حق أهـــل

الكتاب أن يمارسوا شعائرهم الدينية فلا تُهدم لهم كنيسة ولا يُكسر لهم صليب . ويقول الرسول (ﷺ) :

* **اتركوهم وما يدينون**[454].

بل ومن حق زوجة المسلم (اليهودية والنصرانية) أن تذهب إلى الكنيسة أو إلى المعبد ولا حق لزوجها منعها من ذلك . وأباح الإسلام زيارتهم وعيادة مرضاهم وتقديم الهدايا لهم ومبادلتهم البيع والشراء . وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه : ابدأ بجارنا اليهودى[455].

وكان الرسول (ﷺ)قد عقد مع نصارى نجران عقداً مع بقائهم فى أماكنهم وإقامتهم فى ديارهم دون أن يكون معهم أحد من المسلمين . وينص العقد على :

لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله (ﷺ) على ماتحت أيديهم من قليل أو كثير . لا يتغير أسقف من أسقفيته . ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته . وليس عليه دنية (أى لا يعامل معاملة الضعيف ولا دم الجاهلية) ولا يُخسرون ولا يُعسرون ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصف . غير ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل ربا من ذى قبل (أى فى المستقبل) فذمتى منه بريئة.ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر . وعلى مافى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي الأمى رسول الله أبدا . حتى يأتى الله بأمره [456].

(8)- رؤية المسيح قبل الموت :

***وإنْ مِنْ أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به قبل موته . ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا**[457]

فى الآية السابقة لتلك الآية الكريمة يبين لنا رب العزة تبارك وتعالى حقيقة موت عيسى (عليه السلام) ورفعه إليه سبحانه. وقد بيّنا موضع الإماتة والرفع في البند رقم (5) وقلنا أن الإماتة سبقت الرفع إلى السماء وأن كونه حياً في السماء يماثل ما يحدث للشهداء حين يرفعهم الله إليه ويقول عنهم :

* ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا . بل أحياء عند ربهم يُرزقون[458] .

وعيسى (عليه السلام) يرتقى ويسموا كما يسموا الشهداء . وهم جميعا عند ربهم أحياء يُرزقون حتى تقوم الساعة.وعيسى (عليه السلام) رابع أولى العزم من الرسل . وهو آخر رسل بنى إسرائيل . تعرض لاضطهاد قومه وعَنَتهم . وصادف منهم شروراً كثيرة . وحين دبروا لقتله ومكروا للفتك به لا لشيء سوى أنه يدعو إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراده بالعبودية والعبادة والتشريع . انقلبوا - اليهود - عليه لأنه يسلبهم سلطانهم المهترئ . ومنزلتهم المزعومة . وكهانتهم المزورة . دبروا ومكروا ولكن تدبير العلي القدير كان أكبر منهم وأحكم وأمضى . فقد شُبّه لهم وعليهم حيث ألقىالله شبهه على أحد تلاميذه (حوارييه) الذى خانه وأبلغ عنه ودبر للقبض عليه ليقتلوه . وحين أخذوا ذلك الخائن المرتد (يهوذا الاسخريوطى) على أنه عيسى (عليه السلام) صلبوه وقتلوه ظنا منهم أنهم قد نالوا من عيسى (عليه السلام) أخيرا (وما قتلوه يقينا). فارتد العديد منهم بدعوى أن عيسى (الأصلي) كان ساحراً تقمص شخصية عيسى المصلوب وخدعهم وادعى أنه نبى وارتد آخرون عن دينهم

وإيمـــانهم بعيسى الذى اعتقدوا أنه إله لا يموت فكيف يُصلب ويُقتـــل أمـــام أعينهم . ولكن تدبير الله أن نجّى عيسى (عليه السلام) منهم فلـــم يدنســـوه بأيديـــهم المخضبة بدماء الأنبياء الذين قتلوهم من قبل . **وقبض روحه الزكية الطـاهرة وأماته ثم رفعه إليه كما يرفع عباده الصالحين البررة الشهداء (أحياء عند ربهم يرزقون) ثم حكم الله تعالى على قومه وأتباعه إلى يـوم القيامـــة أن يؤمنوا ويعاينوا بأعينهم حقيقة نبيه ورسوله عيسى (عليه السلام) قبل موتهم هـــم فرادى وجماعات ويعلمون أنه نبى مرسل من عنده وأنه بشر . وأنـــه لـــم يُصلب ولم يُقتل بمعرفتهم أو بأيديهم أو أمامهم يقينا . يرون ويعاينون كـــل تلك الحقائق وهم فى سكرات الموت وحشرجته والغرغرة الأخيرة فيعلمـــون أنه كان بشراً رسولا** .ورسالته التى جاء بها (الإنجيل) الحق من عنـــد الله ليس فيها ما ينبئ ولا يشير إلى ألوهيته كما زعموا وآمنوا .وأن الحقيقة التـــى طمسوها كِبْراً وعنادا وشكّا.وكفروا وتمادوا فى إعلانها والدفـــاع عنـــها دون برهان أو دليل وأنكروا كل ماعداها من كلمة التوحيد والصدق واليقين . **كـــل ذلك سيكون ماثلا أمام أعينهم عند موتهم هم لا هو** . لحظة انكشاف البصـــر والبصيرة وحيث لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فـــى إيمانهـــا خيرا :

***يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبـــل أو كسبت فى إيمانها خيرا**[459].

وقتها لا ينفع إيمان ولا توبة ولا تكون هناك رجعة للتصحيح.

* إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون مــــن قريـــب . فأولئك يتوب الله عليهم . وكان الله عليما حكيما * **وليســـت التوبـــة للذيـــن يعملون السيئات حتى إذاحضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن . ولا الذيـــن يموتون وهم كفار** . أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما [460].

*حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون * لعلى أعمل صالحـــا فيمـــا تركت . كلا إنها كلمة هو (الله) قائلها . ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (حاجز يحول دون الرجعة)[461] .

هذا ما يحدث عند معاينة الموت وقت الحشرجة وغرغرة المـــوت . حيث كل واحد من أهل الكتاب (وإنّ مِنْ) يؤمـــن ببشـــرية عيســـى (عليه السلام) ورسالته وصدقه. (إلاّ ليؤمنن به) وهو تأكيد بالحدوث (قبل موته) أى موت كل منهم . ثم يوم القيامة يكون نبى الله عيسى (عليه السلام) (شهيداً عليـــهم) أى شاهداً عليهم بصدقه وأنه لم يأمرهم - كما يدعون - بتأليهه وإنكار بشريته :

*وإذْ قال الله يا عيسى ابن مريم ء أنت قلت للناس اتخذوني وأمىَ إلهين مـــن دون الله . قال سبحانك . ما يكون لي أن أقول ماليس لى بحق . إن كنت قلته فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيـــوب [462].

وتكون شهادة عيسى (عليه السلام) تبرئة لنفسه وتبرؤاً منهم ومما أحدثـــوه . كما آذوه وتبرأوا من نبوته وبشريته ورسالته التى حرفوها وأخفوا ما فيـــها من التوحيد .

الترغيب والترهيب : (المنذرى) المجلد الرابع ص 522 – 524

[292]) سورة سبأ : 14.

[293])سورة السجدة : 11

[294])سورة النمل : 19.

[295]) سورة الأعراف : 188

[296])صحيح مسلم : 53 - كتاب الزهد والرقائق حديث (64) طبعة (مؤسسة التاريخ العربى) .

مسند الإمام أحمد : جـ5 ص 24 (طبعة الحلبى) .

[297])سورة الحج : 11

[298])سورة غافر : 51

[299])سورة الأنعام : 38

[300])سورة الأنبياء : 105.

[301]) سورة الشورى : 27.

[302])سورة محمد : 24.

[303])سورة النمل : 34.

[304]) سورة آل عمران : 84.

[305]) سورة التوبة : 30

[306]) سورة البقرة : 259 .

[307])سورة يونس : 68 .

[308])سورة مريم : 1–15

[309])سورة الأنبياء:89،90

[310])سورة آل عمران: 32 - 41.

[311]) سورة الأنعام : 85.

[312]) سورة مريم : 15

[313]) سورة آل عمران : 34 -37.

[314]) سورة آل عمران : 45 –48

[315])سورة مريم : 16 –26

[316])سورة آل عمران : 42 ، 43.

[317])سورة المؤمنون : 50

[318])سورة المائدة : 75

[319])سورة التحريم : 12

[320])سورة الزمر : 62 ، 63.

[321])سورة يس : 82 ، 83 .

[322])سورة آل عمران : 59 - 61.

[323]) سورة النساء : 156

[324])سورة الإسراء : 43.

[325])سورة مريم : 35.

[326]) سورة البقرة : 116 ، 117 .

[327]) سورة النساء : 171 ، 172

[328])سورة المائدة : 17.

[329]) سورة المائدة : 72 ، 73.

[330])سورة المائدة : 75.

[331])سورة المائدة:112.

[332])سورة المائدة : 116 ، 117

[333])سورة التوبة : 30 ، 31

[334])سورة الأنعام : 101 .

[335])سورة الكهف : 4،5.

[336]) سورة مريم : 30 .

[337])سورة مريم : 34 ، 35.

[338])سورة مريم : 88 – 94.

[339])سورة الفرقان : 1،2.

[340])سورة الزخرف : 59.

[341])سورة الصف : 6.

[342])سورة الإخلاص : 1–4.

[343])سورة آل عمران : 79 ، 80 .

[344])سورة مريم : 26–33.

[345])سورة المائدة:70

[346])سِفر التثنية : 33: 2

[347])سورة البقرة : 87.

[348])سورة البقرة:253.

[349])سورة النساء : 163.

[350])سورة آل عمران : 50 ، 51.

[351]) سورة المائدة : 46.

[352]) سورة المائدة : 110.

[353])سورة الأنعام : 85.

[354]) سورة الأحزاب : 7.

[355])سورة الشورى : 13.

[356])سورة الزخرف : 63 ، 64

[357])سورة الصف : 6

358)إنجيل متَّى : 5: 43 ،44.

359)إنجيل متى : 5 : 7.

360)إنجيل متَّى : 6 : 1، 2.

361) إنجيل متّى:6: 5

362)إنجيل متَّى : 6: 19 ، 20

363)إنجيل متّى : 6 : 24 .

364) أنبياء الله : (أحمد بهجت) ص 323 ، 324 .

365)سورة المائدة : 45.

366)إنجيل متى : 15 : 24.

367)إنجيل متّى : 7: 1 -3

368)إنجيل متّى : 7 : 17 .

369) إنجيل متّى : 7 : 24 – 27 .

370)إنجيل لوقا : 11 : 42 – 44.

371)إنجيل يوحنا : 5 : 24.

372)إنجيل لوقا: 11: 46 ، 47.

373)إنجيل لوقا : 11: 48 – 52

374)إنجيل لوقا : 21 : 27 ، 28 .

375)سورة آل عمران : 46.

376) سورة المائدة : 110 .

377)سورة آل عمران : 48.

378)سورة المائدة : 110

379) سورة آل عمران : 49

380)سورة المائدة : 110

[381])سورة آل عمران : 49 .

[382])سورة المائدة : 110.

[383])سورة آل عمران : 49.

[384])سورة المائدة : 110 .

[385])سورة آل عمران : 49 .

[386])سورة المائدة : 112 – 115 .

[387])سورة النمل : 14.

[388])سورة آل عمران : 3،4.

[389]) سورة المائدة : 46 .

[390])سورة المائدة : 47 .

[391])سورة المائدة : 66.

[392])سورة المائدة : 68.

[393])سورة المائدة : 69 .

[394])سورة المائدة : 70 .

[395]) محاضرات فى النصرانية : (الإمام محمد أبو زهرة) ص 47 ومابعدها .

[396])نفس المصدر السابق : ص 66 .

[397]) نفس المصدر السابق : ص 69 ، 70 .

[398])نفس المصدر السابق : ص 71.

انجيل برنابا : مقدمة المترجم (د. خليل سعادة) ص 14 ، 15.

[399])إنجيل برنابا : (ترجمة د. خليل سعادة) المقدمة ص 16.

[400])إنجيل برنابا : ص 17 (تقديم الشيخ محمد رشيد رضا)

[401])إنجيل برنابا : المقدمة (الشيخ محمد رشيد رضا) ص21 .

[402])محاضرات فى النصرانية : (محمد أبو زهرة) ص75.

[403])إنجيل برنابا : المقدمة : 2–10

[404])إنجيل برنابا : 93 : 18 – 23

[405])إنجيل برنابا : 94 : 1–4

[406]) إنجيل برنابا :212 : 5

[407]) إنجيل برنابا : 70 : 1–7

[408]) إنجيل برنابا :70 : 12 –15

[409]) إنجيل برنابا : 13: 15 ، 16

[410]) إنجيل برنابا : 44 : 10 ،11

[411]) إنجيل برنابا : 43 : 13 – 19

[412]) إنجيل برنابا : 72 : 10 – 17

[413]) إنجيل برنابا : 142 : 16 – 18.

[414]) إنجيل برنابا : 96 : 8 – 15 .

[415]) إنجيل برنابا : 44 : 1–5.

[416]) إنجيل برنابا : 44 : 27 – 31

[417]) إنجيل برنابا : 215 : 1–6

[418]) إنجيل برنابا :216 : 1–7

[419]) إنجيل برنابا : 217 : 80 ، 81

[420])سورة آل عمران : 59 ، 60

[421])سورة المائدة : 72.

[422])سورة المائدة : 75.

[423])المختار من كتاب (الرد على النصارى) : (الجاحظ) ص24.

[424])سورة الصافات : 99 –113 .

[425])سورة الذاريات : 28.

[426])سورة الأنبياء : 85 .

[427])سورة الصف : 6.

[428]) سورة آل عمران : 81 ، 82

[429])سورة الأعراف : 156 ، 157 .

[430])سورة النساء : 171 .

[431])سورة المائدة : 72 ، 73 .

[432])سورة يونس : 68 – 70

[433])سورة آل عمران : 54 ، 55

[434])سورة السجدة : 11

[435]) سورة النساء : 157 ، 158 .

[436])سورة آل عمران : 169 .

[437])سورة البقرة : 154.

[438])سورة آل عمران : 55.

[439])سورة النساء : 141 .

[440])سورة المائدة : 116 – 120 .

[441]) سورة المائدة : 72 .

[442]) إنجيل برنابا : 189 : 6 -17 .

[443])سورة مريم : 34 – 37 .

[444]) سورة الزخرف : 63 –66

[445])سورة المائدة : 47 .

[446])سورة المائدة : 78 -81 .

[447])سورة المائدة : 14.

[448]) سورة المائدة:76 ، 77.

[449])سورة آل عمران : 113 – 115 .

[450])سورة آل عمران : 199.

[451])سورة المائدة : 82 – 86 .

[452])سورة المائدة : 68 ، 69 .

[453])أنبياء الله : (أحمد بهجت) ص 368.

[454])فقه السُنَّة : (الإمام الشيخ سيد سابق) المجلد الثالث ص 14

[455])نفس المصدر السابق : المجلد الثالث ص 14 ، 15.

[456]) نفس المصدر السابق : المجلدالثالث ص 72.

[457])سورة النساء : 159 .

[458]) سورة آل عمران : 169 .

[459]) سورة الأنعام : 158 .

[460])سورة النساء : 17 ، 18.

[461]) سورة المؤمنون : 99 ، 100 .

[462])سورة المائدة : 116 .

[463]) مسند الإمام أحمد : الجزء الثانى ص123 (طبعة الحلبى) .
سنن الترمذى : 45 – كتاب الدعوات & 98 -باب فضل التوبة والاستغفار
(عن إبراهيم بن يعقوب) .

[464])سورة الأنبياء : 115 .

[465])سورة المائدة : 15 ، 16.

الفصل السابع

وعد أولاهما

تمهيد

كانت الدنيا تتوق شوقا إلى مولد وبعثة النبي الخاتم الذي بشرت به الكتب السابقة (التوراة والإنجيل) . فقد مرت حوالي ستة قرون على مولد المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام) وعلى بعثته ووفاته . ابتعد المسيحيون فيها عن تعاليم الحب والنقاء وطهارة الضمير وتسللت العقائد الوثنية إلى بعض فرقهم وشاب صفاء التوحيد دنس عظيم . هجر اليهود وصايا موسى (عليه السلام) وعادوا لعبادة المال والهوى وأصبح لكل منهم إلهه الخاص به وأغارت الوثنية على الأرض كفرت بالعقل ونسيت الله واستسلمت للدجالين من الكهنة والكتبة وأصيب قلب الدنيا بالجفاف واشتدت حاجة البشر للمخلّص (المسيا) المبشر به في التوراة والإنجيل . نبي آخر الزمان الذي يأتي في ملكوت الله ويصير النور وإعلان أمره في المدينة (يثرب). ولأجل تلك البشارات جاء اليهود إلى المدينة (يثرب) وتيماء ووادي القرى وفدك وخيبر واتخذوا تلك الأمكنة مقاما وجعلوها دار قرارهم وأثاروها وعمروها وبنوا فيها المصانع والحصون المنيعة.واستقر من قبائلهم هناك بنو قَينُقَاع وبنو النضير وبنو قَرَيظة ويهود خيبر . وكان نزوحهم (اليهود) من فلسطين إلى تلك البقاع في أرض الحجاز لسببين :

(1)–بعد إغارة طيطس (تيطوس) الامبراطور الروماني على فلسطين وتدميره الهيكل عام 70م . ومن بعده الامبراطور (هدريانوس) عام 175م وإعمال القتل والتخريب والتشريد فيهم .

(2)–البشارات التي بين أيديهم في التوراة والإنجيل بمبعث النبي الخاتم وإعلان أمره في (يثرب) . فتمنوا أن يكون هذا النبي منهم ومن نسلهم

ليتناصروا به وسط الشعوب ويعيد إليهم أمجادهم المفقودة . وقد جاء في **سِفْر إشعياء** :

*__غنّوا للرب أغنية جديدة . تسبيحة من أقصى الأرض__ . أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها . لترفع البرية ومدنها صوتها . الديار سكنها قيدار . **لتترنم سكان سالع (جبل يثرب)** من رءوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا الرب مجداً ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه[1].

وسالع هذه التي يدعوها (إشعياء) للابتهاج ليست سوى جبل سلع غربي يثرب (يقع جبل أحد في شرقي يثرب) والأغنية الجديدة يُقصد بها الدين الجديد الذي يعلِن توحيد الله وإفراده بالعبادة ويكون حرباً على الأصنام التي تُعبَد من دون الله :

*قد ارتدوا إلى الوراء يخزى خزيا . **يكون على المنحوتات** (التماثيل) القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا[2].

ولم يأت نبي بعد (إشعياء) كان حربا على الأصنام وعبادتها وأعلن ثورته عليها حتى أبادها من بلاده سوى محمد (ﷺ) . ولهذا جاء اليهود إلى يثرب حيث شريعة الله الجديدة المتوقعة والنبي القائم بها . وهاجس في نفوس كهنتهم وكتبتهم أن يكون منهم النبي الذي تبتهج به سالع (يثرب).والنبوءة الثانية **وردت في سِفْر التثنية :**

***وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته فقال جاء الرب من سيناء (كلم موسى على جبل طور سيناء) وأشْرق لهم من سعير (الناصرة بالجليل - عيسى (عليه السلام)) وتلألأ من جبل فاران (بمكة)**

وأتى من ربوات القدس (هيكل داود وسليمان) وعن يمينه نـــــار شــريعة لهــم[3].

وفى **إنجيل (برنابا)** النصوص الصريحة المتكررة والفصول الكاملـة التي يذكر فيها اسم محمد (ﷺ) في عرضها ذكراً صريحاً.ويقول إنه رسـول الله (انظر الفصل السادس - عيسى ابن مريم (عليه السلام) - الإنجيل) ولا نـرى داعيا لتكرار تلك الفصول . وقد نقل الشيخ (**محمـد بـيرم) عـن رحالـة إنجليزي أنه رأى فى دار الكتب البابوية فى الفاتيكان نسخة مـن الإنجيـل مكتوبة بالقلم الحِمْيَرى قبل بعثة النبي (ﷺ) وفيها يقول المسـيح صراحـة وبالنص (ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) وذلك موافق لنـص القرآن الكريم بالحرف** [4].

وفى (**انجيل يوحنا**) جاء بالنص :

*إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنـــا أطلـب مــن الأب (أي الله) **فيعطيكم فارقليط** آخر (رسول آخر غيري) **ليثبت معكم إلى الأبد**[5] .

***فأما إذا جاء الفارقليط** الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق (أي مــن عند الله) الذي من الأب ينبثق وهو يشهد لأجلى وأنتم تشهدون معـــي مــن الابتداء[6].

*لكنى أقول لكم الحق . **إنه خير لكم أن أنطلق . لأني إن لم أنطلق لم يـأتكم الفارقليط** . فأما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم علــى خطيئة وعلى بر وعلى حكم . أما على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بى . وأمـــا على البر **فلأني منطلق إلى الأب** (أي الله) **ولستم ترونني بعدُ** . وأما علـى الحكم فإن رئيس هذا العالم قد دين . وإنّ لي كلاما كثيراً أقوله لكم . ولكنكـم

لستم تطيقون حمله . **وإذا جاء روح الحق (أي القرآن) ذاك . فهو يعلمكم جميع الحق . لأنه ليس ينطق من عنده (لا ينطق عن الهوى) بل يتكلم بكل ما يسمع (من الوحي) ويخبركم بما سيأتي** وهو يمجدني . لأنه يأخذ مما هو لي . ويخبركم جميع ما هو للأب فهو لي . من أجل هذا قلت : إن مما هو لي يأخذ ويخبركم (أي يبلغكم الوحي) [7] .

ويلاحظ أن لفظ (فارقليط) يوناني الأصل (لنتذكر معا الآن الترجمة اليونانية للتوراة ثم الإنجيل في العصر الروماني) . قيل أصله باراكلى طوس بمعنى المعزى والمعين والوكيل والشافع . وقيل بير كلوطوس فيكون من معنى محمد وأحمد . وكان نصارى العرب يستعملون اسما (أحمد) يقترب في المعنى من محمد لتسمية البراكلية به بمعنى صاحب الحمد . ويمكن الرجوع إلى كتابَي **(أعلام النبوة) للماوردى و (إظهار الحق) لرحمة الله الهندى** . ففيهما الكثير من الأدلة والشروح للبشارات الموجودة في التوراة والإنجيل . وقد شهد بتلك النبوءات والبشارات وعرفها العديد من الأحبار في عهد النبي (ﷺ) وفى القرن الأول الهجري أمثال : **(من اليهود)** عبد الله بن سلام . ابني سعية . بنيامين مخيريق . كعب الأحبار . ومن **(النصارى)**ورقة بن نوفل . بحيرا . نسطور الحبشي . ضغاطر الرومي . الجارود . النجاشي . السوس . الرهبان الذين جاءوا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة . وأيضا هرقل (قيصر الروم) . **المقوقس** (عظيم قبط مصر) . ابن صوريا وغيرهم . كل تلك البشارات والنبوءات وغيرها مما ورد في العهد القديم والجديد. **كلها بشرت بمقدم النبي (ﷺ) وأنه هو نبي آخر الزمان وأنه سيكون وبالاً على الأصنام يحطمها تحطيما كما فعل أبيه الأكبر إبراهيم (عليه السلام) جد الأنبياء الأكبر .**

وجاء نبي آخر الزمان . خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبـــد الله (ﷺ) جاء بالرسالة الخاتمة والرحمة المهداة للعالمين أجمعين . ولِدَ عام الفيل (واقعة محاولة أبرهة وجيشه من الفيلة هدم الكعبة المشرفة) وبُعث النبـــي محمد (ﷺ) وهو بمكة المكرمة حين بلغ الأربعين من عمـــره. جـــاء ليتمـم مكارم الأخلاق وليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون . ولو كـــره المشركون . جاء بكلمات الله التامة وهديه العظيم إلى يـــوم الديـــن . جـــاء بمعجزة القرآن الكريم الرسالة الباقية أبد الآبدين وإلى يوم الدين . إلى قيـــام الساعة.الرسالة التي تخاطب العقول قبل الأفئدة . لتخرج الناس من ظلمـــات الجهالة والشرك إلى نور الإيمان والإسلام والتوحيد . تدعـــو العـــالم أجمـــع والبشر جلهم إلى إفراد العبودية لله تعالى . جاءت الرسالة الخاتمة لتخـــرج الناس جميعا من عبادة وتأليه البشر والمخلوقات إلـــى عبـــادة رب الكائنـــات جميعا.جاءت الرسالة بالمبادئ السمحة والرحمة :

***وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**[8].

كل الرسالات السابقة كانت لأقوام بعينهم إلا الرسالة الخاتمـــة فـــهي للناس كافة:

***وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون.**[9]

لا يعلمون أنه مرسل إليهم جميعا إلى يوم القيامة . وكما هو المبدأ والنـــاموس الذي ينزل بلسان القوم الذي يُبعث فيهم الرسول . فإن الرسالة الخاتمة وهـــى القرآن نزلت بلسان العرب الذين بُعث فيهم النبي (ﷺ) :

***وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**[10] .

*وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين (جبريل) * على قلبك لتكون من المنذرين ***بلسان عربى مبين * وإنه لفي زُبر الأولين (مبشر به في الكتب السابقة) * أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل *** ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين [11] .

*ولو جعلناه قرآناً أعجمياً (بلغة غير العربية) لقالوا لولا فُصِّلت آياته (بُيِّنت ووضحت) ءأعجمى وعربي . قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء . والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عمىً . أولئك يُنادون من مكان بعيد[12] .

***قرآنا عربيا غير ذى عوجٍ** (لا اختلال فيه ولا تعارض) لعلهم يتقون[13].

***شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك . وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى** أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب[14] .

ولم يكن طريق الدعوة مفروشا بالرياحين والورود رغم أن الناس كانوا فى حاجة إلى رسالة من الله تهديهم إليه وتخرجهم من الظلمات إلى النور ورغم أن الناس - وأولهم اليهود - كانوا يتشوقون لخروج النبي الخاتم وبعثته إلا أنهم كانوا أول المكذبين والكائدين له . غيرةً وحقداً وحسداً من عند أنفسهم . فقد كانوا يتمنون ويتوقعون النبوة الخاتمة أن تكون فيهم رغم أن البشارات التي في التوراة تؤكد لهم أن النبوة الخاتمة ليست فى نسل إسحاق ويعقوب (إسرائيل) بل فى نسل إسماعيل (عليه السلام) . رغم كل هذا فقد **شكك اليهود فى صحة نبوة ورسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) . وتجلى ذلك بصورة واضحة عند تحويل قِبلَة الصلاة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة :**

*وقالوا كونوا هوداً أوْ نصارى تهتدوا قل بل مِلّة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين[15] .

* **سيقول السفهاء من الناس (اليهود)** ما ولّاهم عن قِبْلَتِهم التي كانوا عليها. قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[16].

وحين دعاهم النبي (ﷺ) للإيمان به وتصديق رسالته لكونهم أهل كتاب وأعلم من المشركين بوحدانية الله وكتبه ورسله وأجدر بالاستجابة أخذتهم العزة بالإثم وناصبوه العداء علوّاً واستكباراً وحقداً وتطاولاً . رغم أن الدعوة الإسلامية قامت على الوسطية في كل شيء . فلا غلوّ ولا تفريط :

*وكذلك **جعلناكم أمة وسطا** لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا [17].

أمة وسط بين مادية اليهود المفرطة ورهبانية النصارى بما فيها من الغلوّ حيث ابتدعوا فيها الانقطاع عن الدنيا والتنكر لما فيها ورفضه :

*ثم قفينا على آثارهم برسلنا (بعد موسى) . وقفينا (أتبعنا) بعيسى ابن مريم . وآتيناه الإنجيل . وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة . **ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم** إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون[18] .

هي رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم . ولكن حين ألزموا أنفسهم بها صاروا مطالبين أمام الله بحسن رعايتها والمحافظة على مقتضياتها من التطهر والترفع والقناعة والعِفّة والذكر والتسبيح والعبادة مما يقربهم إليه بتلك الأعمال . ولكنهم أخذوا من تلك الرهبانية شكلها الخارجي لتصبح طقوساً وشعائر خالية من الروح وأصبحت مظهراً عارياً من الحقيقة لم يصبر على

تكاليفها إلا عدد قليل منهم . كانوا يقصدون من وراء تلك الرهبانيـــة التشـــبه بنبي الله عيسى (عليه السلام) إلا أنهم انحرفوا بها وتألهوا بها على الناس يشـرِّعون لهم من دون الله فيحلوا الحرام ويحرموا الحلال :

* **اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله**[19].

تلك الرهبانية التي انحرفوا بها عن مسار الديـــن الـــذي ارتضـــاه الله لعباده. مع الخلط الذي ابتدعوه وافتروه على المسيح ابن مريم وعقيدة التثليـث التي أنكرها عليهم عيسى (عليه السلام). فالدين من قبل الله واحـــد . لأن مصـــدره واحد . والدين الذي جاء به الأنبياء جميعا هو دين الإسلام :

***إن الدين عند الله الإسلام . وما أختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد مـــا جاءهم العلم بغياً بينهم** (حسداً وطلبا للرياسة)[20].

والإسلام هو الاستسلام لله وحده بالطاعة والعبـــادة واتبـــاع المنـــهج الرباني وتحكيم كتاب الله في أمور العباد . بمعنى توحيد الألوهية والربوبية . **فالله جل شأنه له صفات الجلال ونعوت الكمال . ليـــس كمثلـــه شـــيء ولا يشبهه أيّاَ من خلقه.ولا يتجسد ولا يحل** - سبحانه - **في أيٍ من خلقه** . ولـــه ملكوت السماوات والأرض القائم على شئون خلقه بنفسه (**الألوهية**):

* **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** . لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديـــهم ومـــا خلفهم .ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرســـيه الســـماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم[21] .

*الله خالق كل شيءٍ وهو على كل شيءٍ وكيـــل * لــه مقـاليد السـماوات والأرض . والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون[22] .

***مالهم من دونه من وليٍ . ولا يشرك في حكمه أحدا [23].**

***قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد [24]**

و(**الربوبية**) لله وحده فهو الرزّاق والوهّـاب.الشـافي والضـار . الباسط والقابض . المحي والمميت . له الأسماء الحسنى جل شأنه :

* فإنهم عدوٌ لي إلاّ **رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هـو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحين [25].**

إذن لا مماحكة ولا ادعاء ولا تـأويل بعـد كلمـات الله الواضحـة الصريحة (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدمـا جـاء العلـم بغيـاً بينهـم) . فهذا الاختلاف لم يكن عن جهل بل عن علم جاء أهل الكتـاب في الكتب المنزلة عليهم (التوراة - الزبور - الإنجيل) . وفيمَ الاختلاف وكـل الكتب السماوية والرسالات الإلهية للبشر فيها الأمـر القـاطع بوحدانيـة الله وتفرده بالألوهية . ولمَ البغى والاعتداء على حق الله وظلم عباده الموحديـن والحيدة عن العدل والالتزام في العقيدة والشريعة . ليس بعـد ذلـك البغـي والاختلاف فيما بينهم - برغم العلم لا الجهل - سوى الكفر والإلحاد والشـرك من مصير . وحينئذ يستحقون عذاب الله وغضبه ولعنته :

*إن الدين عند الله الإسلام . وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً (ظلما وحسدا) بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب [26] .

وسرعة حساب الله تتمثل - دون إمهال - في الاقتتال فيما بينهم بعدما اختلفوا:

***وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (جبريل).ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات** (الرسالات الواضحة) ولكن اختلفوا . فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاءالله مااقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد[27].

***ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكروا به فأغرينا**(أجرينا وهيجنا) **بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة** . وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون[28].

***وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**[29].

وانحراف طوائف من أهل الكتاب عن الدين القويم الذي جاء به موسى وداود وعيسى (عليهم السلام) هذا الانحراف وراء كل جدال ومراء ومحاجة فيما بينهم.وبينهم وبين عباد الله المؤمنين في كل زمان ومكان . وحين نزلت الرسالة الخاتمة على قلب النبي محمد (ﷺ) ازداد الجدل والمراء رغم علمهم بأن تلك هي الرسالة الخاتمة التي تجيء من عند الله . فقد سبق وأن بشّروا بها في كتبهم التي بين أيديهم. ولكن الهدف المستور هو اضلال الجماعة المؤمنة :

*ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ومــا يضلــون إلا أنفســهم ومــا يشعرون[30].

تلك الرغبة في الإضلال هي رغبة ليست حبيسة النفس فقط بل ملؤها الحقد والشر والكيد والتلبيس.رغبات بقصد إثارة الشك في نفــوس المؤمنيــن عما في أيديهم وما في أيدي المسلمين . أيهما أحــق بالاتبــاع وأيــها أحــق بالتصديق ويظنون بذلك الإضلال والبلبلة فيما أنزل الله . ومــا يضلــون إلا أنفسهم وما يشعرون أنهم قد ازدادوا ضلالا على ضلالتهم وأصبحوا هم فــي دائرة الشك والريبة لأنهم - بداية - قد انحرفوا وبغوا وضلوا عن صــراط الله المستقيم :

***والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم[31] .**

***يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين[32].**

ولكن هل توقفت تلك المحاولات والرغبات واستكانت حملاتهم وكيدهم للجماعة المؤمنة وللمسلمين خاصة . لا . فهم مازالوا يحاولون الدس وإثــارة اللبس والتشكيك فيما نزل من عند الله فى قرآنه الحكيم وفى سيرة رســول الله (ﷺ) وحديثه النبوي الشريف وفى التفسير القرآني والتراث الإسلامي بصفــة عامة . فقد نشطت حملاتهم المستمرة لدس الإسرائيليات فى الدين الإسلامي . ومازالت محاولات المستشرقين والمستعربين وتلاميذهم تدور فى ذلك الفلك . يعلنون إسلامهم ويدسون السم فى العسل على علم منــهم بالحقيقــة . ولكــن نفوسهم وأفئدتهم لا تسعى إلى التجرد لله وحده - كما يقولون - ولا إلى الدعوة لدين الله الخاتم وإنما هم يحاولون بدأب وإصرار دون كلل.وإعمــال معــاول

الهدم والتخريب والإضلال تحت مسميات البحث العلمي والتدقيق والدراسات المقارنة . وإظهار وإشهار وإعلان إسلامهم ثم يرتدون بعد فترة كما حدث في صدر الدعوة الإسلامية وإلى الآن في محاولة منهم لإثبات قصور وعجز الدين الإسلامي - كما يظنون ويتوهمون - عن مسايرة التطور العلمي المتنامى بخطى لاهثة والنظريات البشرية التي تتغير من آن لأخر . ويعقدون المقارنات بين نظريات العلم ونتائج البحوث وبين آيات القرآن الكريم في محاولات مستميتة لإيجاد الثغرات ومواطن خلل ليست في دين الله وإنما في عقولهم المريضة وقلوبهم ونفوسهم الخاوية لتحقيق أغراضهم المشبوهة :

***يا أهل الكتاب لم تلبسون (تخلطون) الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون * وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار (أول الأمر) واكفروا آخره لعلهم يرجعون (عن دينهم)**[33].

وتجيء كلمات الله الدامغة لمقولة اليهود بأنهم (**شعب الله المختار**) إلى الأبد مهما فعلوا وأحدثوا وبدلوا وحرفوا وعصوا . فيقرر الله تعالى أن ذلك التفضيل مرهون بوفاء عهودهم مع الله . فلما نقضوا تلك العهود والمواثيق خرجوا من معيّة الله وتفضيله لهم إلى الغضب عليهم ولعنتهم :

***يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم . وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإيّاىَ فارهبون**[34].

*يابنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين[35]

وعهد الله وميثاقه مع بنى إسرائيل ليكونوا مفضلين على العالمين (فى زمانهم) هو :

* وآمنوا بما أنزلت (القرآن) مصدقاً لما معكم (التوراة) ولا تكونـــوا أول كافر به . ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإيّاىَ فـــاتقون *ولاتلبســوا الحــق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون*وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعــوا مع الراكعين(36).

*وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مــــا فيه لعلكم تتقون(37).

*وإذْ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحســـانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسْنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون *وإذْ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكمْ من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون(38).

*وإذْ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا.قالوا سمعنا وعصينا وأشرِبوا في قلوبهم العجل بكفرهم . قل بئسما يـــأمركم بـــه إيمانكم إن كنتم مؤمنين(39).

* أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم . بل أكثرهم لا يؤمنون(40).

*ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذْ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله . قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تقـــاتلوا . قالوا ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين(41).

* ومن أهل الكتاب مَنْ إنْ تأمنه بقنطار يؤدهِ إليك ومنهم مَن إنْ تأمنه بدينـــار لايؤدهِ إليك إلا مادمت عليه قائما. ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميـــن

(المسلمين) سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون * بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين[42] .

* الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم . فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين[43].

*وإذّ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننَه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . فبئس مايشترون[44].

*ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعْدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا * فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غُلْف . بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا[45] .

*ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار . فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل * فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية. يحرفون الكَلِمَ عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكّروا به ولا تزال تطلع على خائنةٍ منهم (خيانة وغدر) إلا قليلا منهم . فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين * ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا،حظاً مماذُكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون[46].

***لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوَى أنفسهم فريقا كذّبوا وفريقا يقتلون**[47].

***وقطعناهم فى الأرض أمما** منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون * **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب (التوراة) يأخذون عرَض هذا الأدنى (عَرَض الدنيا)ويقولون سيُغفَر لنا وإنْ يأتهم عَرَض مثله يأخذوه . ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه . والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون**[48].

هذه هى عهودهم ومواثيقهم مع الله . لم يحفظوها ولم يتمسكوا بها بل نقضوها :

* **فيما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية**[49] .

وكان لزاما أن يأتى الله بقوم يحبهم . يطيعون رسوله الذى أرسله إليهم ويؤمنون بما جاء به . يهتدون بهدى الله ولا يحرفون كلماته . ووقع اختيار الله جل شأنه على الأميين (العرب المعاصرين للنبى (ﷺ)) لتتنزل عليهم الرسالة الخاتمة والكتاب السماوى الأخير والدائم التشريع إلى يوم القيامة :

* هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين[50].

تلك هي الأمة الفضلى عند الله بشروط كتلك التي أخذها الله وواثق بها بنى إسرائيل :

***كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنـــهون عـــن المنكـــر وتؤمنون بالله** . ولو آمن من أهل الكتاب لكان خيراً لهم . منـــهم المؤمنـــون وأكثرهم الفاسقون[51].

تلك هي شروط الاختيار للأمة المسلمة لتكون خير أمة أُخرجت للناس :

1-تأمرون بالمعروف .

2-تنهون عن المنكر .

3-تؤمنون بالله .

والإيمان سابق ولاحق على شرطي الأمر بالمعروف والنـــهى عـــن المنكر . فبغيره لايكون شيء.وإن وُجدَ ذلك الشيء فإن الله لا يقبلـــه بـــدون إيمان وتصديق :

***إنما يتقبل الله من المتقين**[52].

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر قد يكون من ملحد أو مشرك ولا يعنى ذلك ولا يساوى شيئا عند الله فلا يقبل ذلك العمل إطلاقا :

*وقدمْنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا[53].

ولكن مع الإيمان يقبل الله العمل . وكذلك أيضا إن كان هناك إيمـــان بدون عمل فالأمر سيان كالعمل بلا إيمان . فهو لا يُقبل أيضا . وعلى هـــذا فإذا افتقد المسلمون والمؤمنون أيا من تلك الشروط السابق ذكرها فإن اختيـــار الله وتفضيله يتجمد ويتوقف وينتهى . ولا يكون هناك وزن لهم أو قيمـــة أو منزلة ومكانة عند الله وعند الناس .

وكان انتقال الاختيار بالأفضلية من بنى إسرائيل-بعد ما عصوا وكذبوا واعتدوا-إلى الأمة المسلمة سببا رئيسياً وهاماً لتمتلئ قلوب اليهود ومن على شاكلتهم من أهل الكتاب بالحقد والحسد والبغضاء تجاه الأمة المسلمة :

*ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل *والله أعلم بأعدائكم . وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيرا[54].

***ودّ كثيرٌمن أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسكم من بعد ما تبين لهم الحق[55].**

*ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (كل مايُعبد من دون الله) ويقولون للذين كفروا (من العرب) هؤلاء (المشركين والكفرة) أهدى من الذين آمنوا سبيلا[56] .

ولماذا قالوا ذلك ؟ لأنهم كرهوا أن يؤمن مشركوا العرب بالرسالة الجديدة فنفروهم منها حينما سألوهم عن الدين الجديد ومدى موافقته لشريعة موسى (عليه السلام) التى يعرفها اليهود . كان جوابهم يقطر غلاً وحسداً وحقداً لأنهم لم يشرفوا بحمل الرسالة الخاتمة . فوصموها - لعنهم الله - بالباطل . وقالوا إن الشرك الذى عليه العرب - وقتئذ - هو أهدى مما جاء ونزل على أولئك المسلمين :

*أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة (النبوة) وآتيناهم ملكا عظيما[57].

ولكى ينعم أهل الكتاب - وغيرهم -برضوان الله فعليهم أن يتطهروا من الحقد والحسد وأن يقيموا شريعة الله فيهم فالشريعة التى بين أيديهم - فى جوهرها - لاتخالف شريعة القرآن :

***قل ياأهل الكتاب لستم على شيءٍ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أُنـــزل إليكم من ربكم . وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانا وكفـــرا . فلا تأس (تحزن) على القوم الكافرين**[58].

وهذا هو قدر الأمة المسلمة التي اختارها الله لتكون طليعة وقائدة لباقي الأمم والشعوب . ولأن القيادة تكون للأفضل وللأَخْيَر فـــهي لا تكـــون أبـــداً للأكثر شراً وإضلالا وإفساداً وظلما ولكون الأمة المسلمة آمرة بـــالمعروف وناهية عن المنكر فإن تلك الميزة - مع الإيمان - يؤهلها لكي تنهض بالبشرية وترتقى بها على مبادئ المحبة والرحمة والعدل دون غيرها من الأمم التـــي تدعى لنفسها الأفضلية وتزكى نفسها دون سند أو برهان ودليل :

***وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا . قل بل مِلَّة (شريعة) إبراهيم حنيفـا وما كان من المشركين**[59].

والحنيفية السمحاء هي الميل عن الشرك والباطل إلى اتباع الدين الحق .

*** وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . قل فلِمَ يعذبكم بذنوبكـم بل أنتم بشر ممن خلق .** يغفر لمن يشاء ويعـــذب مـــن يشـــاء . ولله ملـــك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير[60] .

*ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات **وغرهم فى دينهم ماكـــانوا يفترون**[61].

*وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى **تلك أمانيّهم . قل هـــاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**[62].

يظنون أنهم ملكوا بأيديهم ملكوت السماوات والأرض فيقسمون رحمة الله بالناس على هواهم وينتحلون لأنفسهم القيادة - بعدما سلبها الله منهم - والخصوصية والأفضلية والتفرد :

*** قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير[63] .**

فقد شاءت قدرة الله تعالى أن يسلبهم الأفضلية والتميز بعدما نكصوا على أعقابهم فى هاوية الشرك والكفر وعصيان الله تعالى واهب النعم . وأصبحت تلك الفئة الآثمة من أهل الكتاب **تظهر المودة أحيانا وتبدى أفواههم البغضاء دائما . أما صدورهم فتخفى الكثير والكثير**.ويحذر الله المسلمين من ذلك:

*يأيها الذين آمنوا **لا تتخذوا بطانة** (فئة تخصونهم بأسراركم) من دونكم لا يألونكم خبالا (لا يتورعون عن إفساد دينكم).ودوا ما عنتم (يحبون مشقتكم) **قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون * ها أنتم أولاءتحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله** (كل الكتب السماوية) وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا (بأنفسهم) عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم . إن الله عليم بذات الصدور * **إن تمسسكم حسنة تسؤهم . وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها** . وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا . إن الله بما يعملون محيط[64].

وهنا يبين الله العليم الحكيم أن أشد وألد أعداء الإسلام والمسلمين هم اليهود فهم الأعداء الطبيعيين للفئة والأمة المسلمة لأنهم ظنوا وروّجوا

وصدقوا بعد ذلك أن هؤلاء المسلمين قد انتزعوا منهم - اليهود - حقاً كانوا هم الأَولى به ألا وهو قيادة البشرية بالرسالة الخاتمة .

ولذا فنراهم قد توددوا للفئة المسلمة فى المدينة المنورة - وفى كل مكان أيضا - لا حباً فيهم وإنما ليعرفوا أسرارهم ويقعوا على مصالحهم وخباياهم .ويتظاهرون للمسلمين - في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم - بالمودة فينخدع المسلمون فيهم ويمنحونهم الود والثقة فيسرون إليهم بدقائق أمورهم وأسرارهم . وعلى الجانب الآخر تجد اليهود يضمرون لهم الشرور والحقد ويحاولون إثارة الاضطراب وإفساد إيمان المسلمين وشريعتهم بالدس واللبس وإثارة السخط بينهم والإعنات والمشقة فى طريق دعوتهم وإيمانهم بالله . فيقولون لو أن الله والرسول يحبكم كما تدعون وتظنون لما كانت تلك القيود والشروط الكثيرة في كل أمر من أمور الدين والشريعة القرآنية . وأن في شريعتهم - التوراة والإنجيل - ما هو أيسر على البشر . ينخدع بعض المسلمين بهم فيتقربون منهم ويودونهم بينما يبادلهم اليهود ذلك الحب بالكره والبغضاء بدليل التآمر على الأمة المسلمة كلما سنحت لهم الفرصة التي يسعون إليها بدأب ودون كلل أو ملل . وإذا ما لقوا المؤمنين قالوا لهم آمنا قبلكم ومثلكم بما تؤمنون به . وإذا انفردوا بأنفسهم بعيدا عن أعين المسلمين عضوا أناملهم من الكمد والغيظ على رفعة المسلمين وعلى تمسكهم بدينهم وثقتهم فى نصرة الله لهم . إنْ أصاب المسلمين ملمّة أو مصيبة فرح اليهود لذلك وتمنوا زوال المسلمين وهلاكهم وإنْ أصاب المسلمين فضل من الله وخيراً اغتموا لذلك وأقاموا المآتم فى صدورهم وازداد حقدهم وكيدهم والله يعلم خباياهم ومافى صدورهم مهما حاولوا إخفاء شعورهم . ورغم هذا لايقابل المسلمون تلك الإساءات إلا بالإحسان والسماحة والعفو . معينهم فى ذلك الصبر الجميل وتقوى الله حيث يصبح كيد اليهود هباءً منثوراً لاضرر

منه بإذن الله العليم بحالهم الرءوف بهم.وقد أنصف النبى (ﷺ) أحد اليـــهود - رغم مكائدهم وكيدهم له - فى اتهام ظالم له بقتل مسلم ورد له اعتبـــاره دون النظر إلى جنسه أو ديانته أو كيده السابق واللاحق . وذلك امتثالا لأمـــر الله وتنفيذاً لشرعه بالعدل فى الأحكام بين المتخاصمين :

*ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا[65] .

ولكن هل صفت قلوب اليهود للنبي (ﷺ) وللأمة المسلمة التي تعاملهم بسماحة وعدالة وحب ورحمة . الجواب هو النفي .

وجاء فى الحديث الشريف :

***من ظلم معاهداً (من أهل الذمّة والكتاب) أو كلفـــه فـــوق طاقتـــه فأنـــا حجيجه**[66].

وجاء في السيرة أن جاراً يهوديا كان يؤذى النبي (ﷺ) بوضـــع الأذى (البراز) في طريقه وهو خارج من بيته. فلما افتقده النبي (ﷺ) ذات يـــوم زاره فوجده مريضا وتأثر اليهودي لتلك المعاملة الحسنة فأعلن إسلامه بيـــن يدي رسول الله (ﷺ).ورغم هذا ومما ترويه لنا كتب السيرة فإن اليهود هـــم أول من اصطدم بالدعوة الإسلامية فى المدينة المنورة وكان ذلـــك لأســـباب كثيرة :

فقد كان لليهود فى يثرب (المدينة المنورة) مركزاً ممتازاً لكونهم أهـل كتاب بين الأميين الوثنيين من العرب (الأوس والخزرج) ومع أن مشـــركى العرب لم يظهروا ميلا لاعتناق الديانة الموسوية (التوراة) إلا أنهم - اليـــهود - كان يُعدُّون أعلم منهم وأحكم بسبب مالديهم من التوراة . وكان هناك ظرفـــا

مواتيا لليهود فيما بين الأوس والخزرج من فرقة وخصام . وهى البيئة التي يرتع فيها اليهود ويصولون . فلما جاء الإسلام بالقرآن الذي كان مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل ومهيمنا عليه . آخى النبي (ﷺ) بين قبيلتي الأوس والخزرج بعد دخولهما الإسلام وأزال الفرقة التى كان ينفذ من خلال اليهود للدس والكيد وجر المغانم (كانوا يبيعون السلاح لكلا الطرفين المتقاتلين) . ووحد الصف المسلم . وأصبح الأوس والخزرج هم الأنصار الذين أووا المهاجرين (من المسلمين) من مكة . وكان من الطبيعي أن يدعوا

رسول الله (ﷺ) اليهود لتصديق دعوته والإيمان برسالته بحكم كونهم أهل كتاب وأجدر بالاستجابة من المشركين لدعوة الإسلام . كما أن كتبهم بشرت بالنبى الخاتم ورسالته الخاتمة إلا أنهم وقفوا موقف العداء والكيد منذ اللحظة الأولى لتواجدهم فى المدينة المنورة وهجرتهم إليها . ولئن آمن بعضا من أهل الكتاب(عبد الله بن سلام - أسد بن عُبيد - ثعلبة بن شعبة - كعب بن مالك) . إلا أن الغالبية العظمى من اليهود ظلوا على عدائهم للإسلام لآخر لحظة من تواجدهم بتلك البقاع . وكان بعض المسلمين ما يزالون على صلات منوعة بيهود المدينة . صلات اقتصادية وغيرها . **ولم تعرف اليهود - ولن تعرف - الأمن إلا فى ذمة المسلمين وجوارهم**. فهم حين يدخلون فى ذمتهم تُعصَم دماءهم وأموالهم إلا بحقها . وينالون الأمن والطمأنينة داخل المجتمع المسلم . ولكن اليهود لم تعادِ أحداً فى الأرض عداءها للمسلمين . ولم تضمر شرا مثلما تبطنه للمسلمين فاليهود فى المدينة المنورة لم يهادنوا الإسلام بعد وفوده عليهم مع هجرة النبى (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة إلا فترة قصيرة . **وكان الرسول (ﷺ) قد عقد معهم مهادنة.أول مقدمه إلى المدينة أوجب فيها النصرة والحماية مشترطا عليهم ألا يغدروا ولا يفجروا ولا يتجسسوا ولا يعينوا عدواً ولا يمدوا أيديهم للمسلمين بأذىً .**

التوكيد والإبرام والنفاذ (وقضينا) . وهـــذا القضاء جاء ذكره فى القرآن (فى الكتاب) . وجاءت كلمة (لتفسدن) بصيغة الاستقبال بمعنى لسوف تفسدن فى الأرض . واللام هنا للتوكيد هي والنون . وأيضا جاءت كلمة (ولتعلن) بنفس الكيفية . توكيد بصيغة الاستقبال بمعني ولسوف تعلن (اللام والنون للتوكيد) ثم يجيء توكيد آخر للعلو والإفساد بصيغة المبالغة (**علـــواً كبيراً**) .

أى أن قضاء الله وأمره النافذ فى بنى إسرائيل أن يكون **هناك إفساد بعد علو مرتين فى حياتهم اللاحقة لنزول تلك الآيات من القرآن** . وكما هو معلوم فإن سنّة الله فى خلقه دائما وعلى مر العصور هي :

كل علوٍ يتبعه إفساد تكون العاقبة هى التدمير .

وعلو بنى إسرائيل يشتمل على العلو الاقتصادي والمالي والعسكري والسياسي وخلافه . علو منزلة وقدْر وقدرة . هذا العلو إن اشتمل على الإيمان وكان فيه استمساك بشريعة الله المنزلة فلا غرو . ويكون معه التمكين في الأرض (شأنهم فى ذلك شأن كل أصحاب الديانات والشرائع) أما إذا واكب هذا العلو إفساد وضلال فالنهاية المحتومة هى الهلاك والتدمير . ولما كان بنو إسرائيل قد تمادوا فى إفسادهم قبل وبعد العلو المشار إليه وذلك بقتلهم الأنبياء بغير حق . وبالافتراء على الله كذبا وبالطعن في ذات الله العليّه حيث قالـــوا :

*إن الله فقير ونحن أغنياء[71].

*وقالت اليهود يد الله مغلولة . غُلّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء[72].

وكان كيدهم للجماعة المسلمة فى كـــل مكـــان . وتعرضـــوا للنبـــي بالاستهزاء والتطاول عليه حينما دعاهم للإسلام وتصديق نبوته ورسالته وأنها هى الرسالة الخاتمة للبشرية جمعاء . وهو الكيد الذى لم يسلم منه المســـلمون حتى الآن .

تمادى اليهود وتحدوا الرسول الكريم (ﷺ) وهم جواره فـــي المدينـــة المنورة ونقضوا مواثيقهم معه ومعاهداتهم التي قطعوها على أنفســـهم بعـــدم التعرض للمسلمين وإيذائهم أو التحالف ضدهم . وغدروا بهم فأوجب ذلك قتال النبي (ﷺ) والمسلمين لهم وإخراجهم من المدينة المنورة أولا ثم مـــن بـــاقي الجزيرة العربية إلى داخل حدود الشام في سلسلة متواصلة مـــن المواجـــهات والمعارك المظفرة .

(فإذا جاء وعد أولاهما) أي إذا حدث هذا الإفساد بعد العلو فإن وعـــد الله الأول الذي كتبه عليهم واقع لا محالة ومنفذ بأيدي عباد ابتعثهم الله لـــهذا الهدف (بعثنا عليكم عباداً لنا) . وانتساب صفة العبودية لله جـــل شـــأنه لا تكون إلا لعباد مؤمنين بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر . هؤلاء العبـــاد هـــم (**عباد الرحمن**) كما وصفهم الله تعالى فى سورة الفرقـــان وبيـــن صفاتـــهم الحميدة :

*وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قـــالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سُجداً وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنـــا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذيـــن إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما *والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل يلـــق أثاما*يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا*إلا من تاب وآمن وعمـــل

عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صُمّاً وعميانا *والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماما(73).

وصفاتهم أيضا تكررت في كثير من آيات القرآن الكريم وهم الموحدون المؤمنون الطائعون والواثقون في نصرته لأنهم نصروا الله في أنفسهم أولا :

*ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوى عزيز(74) .

ولقد وقع كثير من المفسرين والكتاب في خطأ كبير عند تفسيرهم (عباداً لنا) حيث قالوا إن بنى إسرائيل قد تعرضوا للتدمير من قبل أكثر من مرة وعدوا تلك المرات من التدمير الأول والثاني الذين ذُكرا في سورة الإسراء موضوع التفسير وقالوا إن التدمير قد حدث على يد الملك الآشوري (**سرجون الثاني**) عام 722 ق.م ثم على يد الملك البابلي (**نبوخذ نصّر**) عام 586ق.م ثم على يد القائد الروماني طيطس أو (**تيطوس**)عام 70م . وأخيراً على يد الامبراطور الروماني هدريان أو (**هدريانوس**)عام 135م .

وظنوا بل أكدوا أن التدمير في تلك المرات هو المحكي عنه والمقصود في آيات القرآن الكريم .

وكل تلك الاجتهادات والفتاوى لم تصب كبد الحقيقة من قريب ولا من بعيد لسببين هامين :

الأول :

إن هؤلاء الملوك والقواد والأباطرة وجنودهم كـــانوا مـــن الوثنيين والملاحدة والمجوسيين ولم يكونوا أبداً مؤمنين . ولا يمكن بأي حال مـــن الأحوال أن يكون من كانوا بتلك الصفات من الشرك والكفر أن يكونـــوا هـــم المعنيون في آيات الإسراء . وإنما المعنيـــون بعبـــاد الله هـــم الموحـــدون المؤمنون . أي عباد الرحمن كما سبق وأشرنا .

الثاني :

آيات سورة الإسراء المشار إليها نزلت قبل الـــهجرة بحوالـــي العـــام وكلماتها كما وضحنا تفيد الاستقبال لا الماضي . أي أن الأحـــداث المعنيـــة بالعلو والإفساد والتدمير لم تكن قد حدثت بالفعل بل هي آتية في المستقبل كما بيّنا (وقضينا - لتفسدن - ولتعلن) . ولنتأمل الآية التالية :

*فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا[75] .

فنرى كلمة (إذا) وهى أداة شرط تدل على أن الفعل سوف يأتى في المستقبل لا الماضي . والحال المستقبل المقصود في الآية الكريمة هو ما كان بعد نزولها لا قبلها . أي (إذا) حدث ذلك العلو والإفساد . (سيكون) أمـــر التدمير مقضيا وواردا حتما .

وهذا هو ما حدث بالفعل بعد الهجرة حيث دارت أحداث الوعـــد الأول من الله على اليهود . فقد كان العلو من اليهود فى يثرب (المدينة المنـــورة) واقعا قبل الهجرة وبعدها . وجاء الإفساد ضد الجماعة المسلمة والدين الجديـــد من طوائف اليهود المتعددة فى المدينة وما حولها .

وبالرغم أن آيات سورة الإسراء قد نزلت على قلب النبي (ﷺ) وهــو بمكة المكرمة قبل الهجرة **إلا أن الصدام لم يحدث فى مكة لسبب بسيط جداً .** وهو أن اليهود كانوا أصلا متمركزين في جنوب اليمن بعيداً عن مكة وكذلــك أيضاً في الشمال في وادي فَدَك وتَيْمَاء ووادي القــرى ويـــثرب (المدينـــة) وخَيْبَر . ووجودهم في مكة لم يكن وجود تجمعات أو طوائف أو مجتمعـــات ذات شأن بل فرادى متناثرين . ونزول آيات سورة الإسراء فى مكـــة وقبـــل الهجرة كان إعداداً من الله العليم الحكيم القدير للفئة المسلمة المجـــاهدة لمـــا سوف يلاقونه من يهود المدينة ليكونوا على حـــذر منـــهم وليعلمـــوا أنـــهم منصورون عليهم بإذن الله إذا ما ظلوا متمسكين بدينهم وإيمانهم لأن شريعتهم (الإسلام) هي المهيمنة على ما قبلها من الشرائع وكتابهم (القـــرآن) هـــو المهيمن والقائم على ما سبقه من الكتب التي أُنزلت من قبل . وكان التحذيـــر والإعداد الإلهي لتقوَى شوكة المسلمين المهاجرين منهم والأنصار وليتمســكوا وليلتفوا حول حبل الله المتين وقرآنه الكريم ليشتد ساعدهم وتقـــوَى شـــوكتهم فيستطيعون مواجهة طوائف اليهود طائفة تلو الأخرى.ولذلك عقد النبي (ﷺ) بعد الهجرة مباشرة المعاهدات والمواثيق مع اليهود بعدم الاعتداء والممـــالأة لتأمين ظهر المجتمع المسلم حيث كان اليهود فى يثرب وما حولها يتحكمـــون فى الاقتصاد والمال - كعادتهم وسعيهم - ويحتكرون صناعة الأسلحة . وكـــان المسلمون قليلي العدد والعتاد والمؤنة . وكان جلّ همهم العدو الرئيسي الـــذي تركوه خلفهم فى مكة - بعد الهجرة - وهم مشركو مكة وما حولها الذين مـــا فتأوا يناوشون المسلمين ليقضوا عليهم وينتهوا من أمرهم بمعونـــة المنـــافقين واليهود.ولقد استقبل اليهود الجماعة المسلمة في بادئ الأمر بالتوجس والريبـــة والمكر والدسائس والفتن التي يلقونها فى الصف المسلم . فشككوا فـــي نبـــوة النبي (ﷺ) ورسالته رغم أنهم يعرفون صفاته من كتبهم والبشـــارات التـــي

جاءت فيها . واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات والتهم والأكاذيب حـــول كل ما ينزل من القرآن والشرع القويم ولـــم يــتركوا فرصـــة واحــدة دون استغلالها أسوأ استغلال في ترويج أباطيلهم وسمومهم وافتراءاتهم على الديـــن الجديد نذكر على سبيل المثال ما حدث عند **تحويل القِبْلَة فى الصـــلاة** مـــن بيت المقدس إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة . **وحـــادث الإفـــك** الـــذي اُتهمـــت فيه أم المؤمنين وزوج رسول الله (ﷺ) عائشة بأبشـــع المفتريـــات وأحقرها . هذا بخلاف التحالف المستمر بينهم وبين منافقى المدينة ومشـــركي العرب رغم المواثيق والعهود التى عقدوها مع المسلمين بعدم الاعتداء وعــدم الممالأة وعدم الغدر وعدم إيذاء المسلمين . ولأن وعد الله نافذ :

* **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**(76) .

فإن النصرة والتمكين للفئة المسلمة نافذ وواقع لا محالة مـــهما أخــذ اليهود أهبتهم واستعدادهم ببناء الحصون المنيعة وتكديس الســـلاح والمــؤن والسيطرة على الاقتصاد وشئون التجارة والمال . هذا هو الوعد الذي أمضــاه الله عليهم على مراحل هي سلسلة متتالية من المعارك بالتمكين والنصرة على اليهود بما يضمن توالى اشتداد ساعد المسلمين وتنامى قدراتهم وقوتهم حتـــى وصل ذلك إلى الذروة في غزوة خيبر حيث تم إجلاء اليهود تماما من الجزيرة العربية بعدما غنم المسلمون الغنائم وقتلوا محاربيهم وأورثـــهم الله أرضـــهم وديارهم وأموالهم التي جمعوها وكنزوها . ومن تبقى من اليهود كان لا حول لهم ولا قوة . سلسلة من الانتصارات المتتالية جاس فيها المسلمون الموحدون (عباد الله) خلال ديار الشرك والإفك والبهتان . وكان وعد الله مفعولا . لـــم تستطع قوة اليهود ولا أموالهم ولا سلطانهم أن يوقفوا تيار المد الدافق بإذن الله حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولوكره الكافرون ولوكـــره المشـــركون .

كان الجند المسلم المؤمن الموحد هم جند الله وأداته وعباده الذين استحقوا شرف الانتساب لله العلى القدير . وكانوا أولى بأس شديد كما وصفهم الله تعالى . جاسوا خلال ديار اليهود وممتلكاتهم وحصونهم ومقدساتهم . وكان الرعب الذى قذفه الله فى قلوب اليهود أحد تجليات الله جل علاه على المؤمنين . كما تجلت عليهم الملائكة فى غزوة بدر من قبل . وكان نصر الله المبين مصداقا لقوله تعالى :

***فانتقمنا من الذين أجرموا . وكان حقا علينا نصر المؤمنين**[77] .

***إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (القيامة)**[78] .

تلك السلسلة المتصلة الحلقات بدأت بغزوة بنى قَيْنُقَاع وانتهت بيهود خَيْبَر وما حولها مروراً بيهود بنى النضير وبنى قُرَيظة ليتم وعد الله الأول . وكان خبر يهود بنى قَيْنُقَاع بعد غزوة بدر الكبرى . وغزوة بنى النضير بعد غزوة أُحُد . وغزوة بنى قُرَيظة بعد غزوة الأحزاب (الخندق) وغزوة خَيْبَر وما حولها بدأت فى العام السابع من الهجرة .



خبر يهود بني قينقاع

بعد انتصار المسلمين بقيادة النبي (ﷺ) في غزوة بدر الكبرى (العام الثاني من الهجرة - شهر رمضان) ذلك الانتصار المؤزر من الله تعالى ومن ملائكته الكرام الذين أوحى إليهم الله أنه – سبحانه - معهم ومع المؤمنين . وكان أمره إلى الملائكة أن ثبّتوا الذين آمنوا فى معركة الفصل والفرقان بين الحق والباطل . بعد هذا الانتصار كره اليهود المسلمين وحقدوا عليهم وخافوا أن يؤدى ذلك إلى إضعاف مركزهم فى المدينة المنورة بقدر ما يقوّى مركز المسلمين . وبلغ الرسول ما يتهامس به اليهود ويفكرون فيه من الشر فذكّرهم العهد الذى قطعه عليهم وحذرهم من مغبة نقض الميثاق معه فزادهم ذلك حنقا وغيظا حتى أنهم ردوا على النبي (ﷺ) رداً فيه غلظة وتهديد . فقالوا :

إنك لترى أنّا قومك (أي لسنا كأهل مكة ضعفاء) . لايغرنّك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس (أى سوف تعلم أننا الرجال والمحاربون الأشداء) .

كان ذلك الحوار فى سوق بنى قينقاع رداً على قول النبي (ﷺ) لهم :

يا معشر يهود . احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقّمة واسلموا . فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم[79] .

كان ردهم على النبي (ﷺ) وغلظتهم ثم تحرشهم بالمسلمين هي بداية النهاية لبنى قَيْنُقَاع أشجع يهود المدينة وأمهرهم في القتال.

وقد كان من أمر بنى قَيْنُقَاع بعد ذلك أن امرأة من المسلمين قدمت بجلب لها (بضاعة) فباعته بسوق بنى قينقاع . وجلست إلى صائغ لتشترى حلية منهم فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت . فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها (عورتها) وجسدها فضحكوا بها . فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا . فشدت اليهود على الرجل المسلم فقتلوه . فاستصرخ أهل الرجل المسلمين على اليهود . فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع[80] وحاصرهم الرسول حتى نزلوا على حكمه بالتقتيل فيهم لأنهم بذلك نقضوا عهدهم مع النبي (ﷺ) وآذوا المسلمين وقام عبد الله بن أُبَي ابن سلول رأس المنافقين حين أمكن رسوله منهم وقال :

- يا محمد . أحسن فى موالي (وكانوا حلفاء الخزرج).

فأبطأ الرسول (ﷺ) عليه فى الإجابة . فقال ابن سلول مرة أخرى :

- يا محمد أحسن فى موالي .

فأعرض عنه رسول الله (ﷺ) . فأدخل ابن سلول يده في جيب درع رسول الله (ﷺ) فقال له النبى (ﷺ) :

-أرسلني (أى اتركني) .

وغضب النبي (ﷺ) حتى رأوا لوجهه ظللا . وقال لابن سلول :

-ويحك . أرسلنى .

قال ابن سلول :

- لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي . أربع مائة حاسر . وثلاث مائة دارع (مسلح) قد منعوني من الأحمر والأسمر (أي كانوا يحمونه من أعدائه) تحصدهم فى غداة واحدة . إني والله أخشى الدوائر (أي عاقبة ذلك) .

فقال له الرسول (ﷺ) :

- هم لك[81].

وكان عبد الله بن أُبَي ابن سلول لا يزال صاحب شأن فى قومه . وكان فى حقيقة الأمر منافقا يوالى اليهود . وقبل النبي (ﷺ) شفاعته فى بنى قينقاع **على أن يجلوا عن المدينة** (أى النفى بدلاً من القتل) **وأن يأخذوا أموالهم ومتاعهم إلا السلاح. ورحلوا إلى الشام** (أذْرُعات) . ونزلت فيهم الآية الكريمة :

*كمثل الذين من قبلهم قريبا (المشركين فى بدر) ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم[82].

وتخلص المسلمون بذلك من طائفة يهودية ذات قوة عظيمة وشر ومكيدة .



غزوة بنى النضير

وقد وقعت فى السنة الرابعة من الهجرة بعد غزوة أحد وقبل غزوة الأحزاب . ذهب رسول الله (ﷺ) إلى حى بنى النضير مع عشرة من كبار أصحابه منهم أبو بكر وعُمَر وعليّ رضى الله عنهم جميعا يطلب منهم المشاركة فى أداء دية قتيلين قُتلا خطأ من قبيلة بنى عامر حليفة بنى النضير بحكم ماكان بينه وبينهم من عهد يستوجب ذلك . فاستقبله يهود بنى النضير بالبشر والترحاب ووعدوا بأداء ما عليهم . وقالوا له[83] :

- نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا :

- إنكم لن تجدوا الرجل (يقصدون النبى (ﷺ) على مثل حاله هذه . فمَن رجلٌ يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟

وكان النبي (ﷺ) جالسا إلى جدار من بيوتهم . وانتدبوا لتنفيذ تلك المؤامرة رجل منهم يدعى عمرو بن جحاش بن كعب فقال لهم :

- أنا لذلك .

فصعد ذلك اليهودي ليلقى عليه صخرة كما قال . فأُلهِم النبي (ﷺ) من الله تعالى ما يبيته اليهود من غدر . فقام كأنما ليقضى أمراً . فلما غاب استبطأه من معه من الصحابة فخرجوا من المكان يسألون عن النبي (ﷺ)

فعلموا أنه دخل المدينة . فلما بلغوه أمرهم بالتهيؤ للحرب ضد بنى النضير لظهور الخيانة منهم ونقض عهد الأمانة الذي بينه وبينهم . وكان قد سبق هذه المؤامرة إقذاع كعب ابن الأشرف النضرى (اليهودي) في هجاء رسول الله (ﷺ) وتأليبه الأعداء عليه . وما قيل من أن اتصال كعب ورهط (جماعة) من بنى النضير بقريش اتصال تآمر وتحالف وكيد ضد النبي (ﷺ) رغم سريان العهد بين النبي وبين بنى النضير مما جعل النبي (ﷺ) يأذن لمحمد بن مسلمة في قتل كعب ابن الأشرف فقتله . فلما كانت نية الغدر مبيته برسول الله (ﷺ) وهو فى مَحِلّة (ساحة أو حي) بنى النضير لم يبق مفر من نبذ عهدهم (المسلمين) إليهم (اليهود) كما أعلمهم الله بذلك في قوله تعالى:

***وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم (تحرر من عهدك معهم) على سواء إن الله لا يحب الخائنين[84].**

تجهز النبي (ﷺ) وحاصر محِلّة بنى النضير وأمهلهم ثلاثة أيام - وقيل عشرة أيام وقيل خمس عشرة ليلة[85] - ليفارقوا جواره ويجلوا عن المَحِلّة على أن يأخذوا أموالهم ويقيموا وكلاء عنهم على بساتينهم ومزارعهم . ولكن المنافقين في المدينة وعلى رأسهم عبد الله ابن أُبَي ابن سلول أرسلوا إليهم يحرضونهم على الرفض والمقاومة :

- اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم . إنْ قوتلتم قاتلنا معكم . وإنْ أُخرجتم خرجنا معكم .

فتحصن اليهود في الحصون التي أعدوها من قبل - كعادتهمْ - فأمر النبي (ﷺ) بقطع نخيلهم والتحريق فيها . فنادوه برجاء فيه غطرسة :

شيء قدير *ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُوْلَة بين الأغنياء منكم . وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . واتقوا الله إن الله شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله . أولئك هم الصادقون * والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم (الأنصار) **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة (حزازة) مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة** (احتياج) ومن يوق شح نفسه (بخلها) فأولئك هم المفلحون * والذين جاءوا من بعدهم (التابعين) يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غِلّاً للذين آمنوا . ربنا إنك رءوف رحيم * ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود) لئن أُخرجتم لنخرجن معكم ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً . وإنْ قوتلتم لننصرنكم . والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أُخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار (قبلهم) ثم لاينصرون * لأنتم (المسلمين) أشد رهبة في صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ***لا يقاتلونكم (اليهود)جميعا إلا فى قرىً محصنة أو من وراء جُدُر (حصون) . بأسهم بينهم شديد . تحسبهم جميعا (يد واحدة عليكم) وقلوبهم شتّى (متفرقة)** ذلك بأنهم قوم لا يعقلون * كمثل الذين من قبلهم قريبا (يهود بنى قَيْنُقَاع ومشركي العرب في بدر) ذاقوا وبال أمرهم (عاقبة كفرهم) ولهم عذاب أليم(90).

ونلاحظ في حالة غزوة بنى النضير لم توزع الغنائم كما في حالة بدر :

*واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل[91].

لأن في غزوة بدر كان هناك ترحال وركوب خيل وجمال وقتال وعناء ومشقة أما في حالة غزوة بنى النضير فلم يكن الأمر كذلك حيث قذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فطلبوا الجلاء الذي كتبه الله عليهم . ولذا فقد وزع وقسم الرسول الفيء الذي أفاءه الله جل وعلا على المؤمنين واختص به المهاجرين دون الأنصار الذين آثروهم على أنفسهم من قبل فى بداية الهجرة - حيث أشركوهم في تجارتهم وبيوتهم وزوّجوهم منهم - بل وعرضوا استمرار مشاركة المهاجرين لهم فى ديارهم وأموالهم كما كان الوضع قبل غزوة بنى النضير . وكان أمر الله في توزيع الفيء هو ما قام به الرسول الكريم (ﷺ) دون حزازة أو حسد من الأنصار . اللهم ما حدث من بعض المنافقين من تذمر مقصود به شق الصف المسلم .



غزوة بني قُرَيظة

كان نفر من اليهود من سلام ابن أبى الحقيق وحُيَي ابن أخطب وكنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عمار فى نفر من بنى النضير ونفر من بني وائل . **وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله (ﷺ) (في سنة خمس من الهجرة) وقالوا لهم**[92] :

- إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش:

–يا معشر يهود . إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد.أفديننا خيرٌ أم دينه .

قالت لهم اليهود :

–بل دينكم خيرٌ من دينه وأنتم أولى بالحق منه .

فسرت قريش من ذلك ونشطوا لدعوة اليهود لمحاربة الرسول (ﷺ) . وخرج بعد ذلك أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان - من قيس عيلان - ودعوهم إلى حرب الرسول (ﷺ) وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشاً تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه . فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب (ولم يكن قد أسلم بعد) وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَه بن حصن في بنى فزارة والحارث بن عوف من بنى مرة ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من قبيلة أشجع . فلما سمع بهم رسول الله (ﷺ) وما جمعوا لهم من الأمر ضرب الخندق حول المدينة المنورة فعمل في الخندق رسول

الله (ﷺ) وعمل معه المسلمون فيه بدأب وجد وأبطأ عن رسـول الله (ﷺ) وعن المسلمين في ذلك العمل رجال من المنافقين . وحين فرغ النبـي (ﷺ) ومعه المسلمون من حفر الخندق حول المدينة أقبلت قريش فى عشـرة آلاف من الجنود . ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة . وأقبلت غطفـان ومـن تبعهم من أهل نجد . وخرج الرسول (ﷺ) في ثلاثة آلاف مـن المسـلمين وجعل الخندق بينه وبين الأحزاب الذين تحزبوا وتجمعـوا بغيـة الخـلاص والقضاء على الجماعة المسلمة وخرج عدو الله حُيَي بن أخطب (زعيم بنـى النضير) حتى أتى كعب بن أسد (زعيم بنى قُرَيظة) وكان كعب قـد وادع النبى (ﷺ) وعاهده على عدم الغدر به أو خيانته . ولكن حُيَي بن أخطب ظل يراود كعب حتى استماله إلى جانب الأحزاب لبضع وعشرين ليلة لـم تكـن بينهم وبين المسلمين حرب إلا الرمى بالنبال والحصار . فلما اشتد على الناس البلاء بعث النبى (ﷺ) إلى عُيَيْنَة بن حصن وإلى الحارث ابن عوف وهمـا قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى الصلح عن ذلك كلاما وعندما كتبوه فـى صحيفـة وأشـار الرسول (ﷺ) على سعد بن معاذ (سيد الأوس) وسعد بـن عبـادة (سـيد الخزرج) بما انتواه رفضا التنازل عن ثمار المدينة لتلك القبـائل المشـركة وقالا :

- والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فناول الرسول (ﷺ) الصحيفة لسعد بن معاذ فمحا ما فيـها مـن الكتـاب . وقيّض الله نعيم بن مسعود بن عامر (من غطفان) ليسلم بين يدي رسول الله (ﷺ) ويعرض خدماته على النبي . فقام ببث الشك بين اليهود وبين الأحزاب ويوقع بينهم - دون أن يعرفوا بإسلامه - ويفسد الثقة بينهم حتى أوجس كـل

طرف من الآخر الخيفة والظنون . **وسلط الله أحد جنوده (الرياح) فى ليلة شاتية شديدة البرودة** فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم[93] :

***يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذْ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها[94] .**

فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح خيامهم وتثير الزوابع وسط الخيل والجمال فتفزع وتهرب منهم وتطفئ نارهم حتى قام أبو سفيان بن حرب قائلا في القوم :

-يا معشر قريش . إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام . لقد هلك الكراع والخُفّ (الخيل والجمال) وأخلفتنا بنو قُرَيظة . وبلغنا عنهم الذي نكره[95] (نقضهم لتحالفهم وعهودهم معهم) ولقينا من شدة الريح ماترون . ما تطمئن لنا قدر . ولا تقوم لنا نار . ولا يستمسك لنا بناء(خيام)[96] فارتحلوا فإني مرتحل[97].

وقال تعالى فى ذلك :

*وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا . وكفى الله المؤمنين القتال . وكان الله قويا عزيزا[98].

وارتحل الأحزاب إلى حيث أتوا و انتهت أيام الخوف والترقب وانتظار النصر بالمسلمين . وسرعان ما توجه النبي(ﷺ) والمسلمون معه إلى بنى قُرَيظة لاستئصال شأفتهم لما بدر منهم أثناء غزوة الأحزاب (الخندق) حيث نقضوا عهودهم مع النبي (ﷺ) وتحزبوا مع المشركين والمنافقين ضد الجماعة المسلمة . وكان نقض العهد من بنى قُرَيظة أشد وطأة على المسلمين من حصار الأحزاب خارج المدينة المنورة حول الخندق .

وحينما أرسل النبي (ﷺ) وفداً منه لبنى قُرَيظة ليقف على الحقيقة قالوا للوفد (سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جُبير رضى الله عنهم)[99] :

–من يكون رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد .

وحين أبلغ الوفد رسول الله (ﷺ) بما حدث قال لهم النبي(ﷺ) :

–الله أكبر . أبشروا يا معشر المسلمين .

وذلك تثبيتا منه للمسلمين من وقع الخبر السيىء أن يشيع فى صفوف المسلمين فتنهار قواهم المعنوية . ولما أيد الله تعالى نبيه بالنصر ورد أعداءه بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ورجع المسلمون إلى داخل المدينة مهللين ومكبرين (لا إله إلا الله وحده . نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده) وبعد أن وضعوا أسلحتهم جاء الروح الأمين جبريل (عليه السلام) بالأمر الإلهي للنبي (ﷺ) :

- إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قُرَيظة .

وكانت على بعد أميال من المدينة . فسار الركب المبارك إلى دار بنى قُرَيظة متعجلا المسير لبلوغ الهدف ولتنفيذ الأمر الإلهي . ولما وصل اليهود الخبر تحصنوا فى حصونهم وأغلقوا أسوارهم وطال الحصار لخمس وعشرين ليلة[100] حتى جهدهم الحصار وقُذف فى قلوبهم الرعب . فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ (زعيم الأوس) لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية . واعتقدوا أنه سوف يحسن إليهم كما فعل عبد الله بن أُبَي ابن سلول المنافق فى مواليه بنى قَيْنُقَاع حتى استطلقهم من رسول الله (ﷺ) وأجلاهم عن المدينة . ولم يعلموا أن سعداً (رضى الله عنه) كان قد أصابه سهم فى

أكحله أيام الخندق[101](وهو عرق رئيسي لا يبرأ منه المصاب إذا قُطع) فكواه النبي (ﷺ) في أكحله وأنزله في قبة في المسجد ليزوره بعد انتهاء غزوة الأحزاب . ولكن النبي (ﷺ) انطلق من الخندق إلى بني قُرَيظة امتثالا لأمر الله . وكان سعد قد دعا الله أن يستبقيه حياً لتقرّ عينه من بني قُرَيظة الذين خانوا الرسول وخانوا الله بموالاتهم للأحزاب ضد الجماعة المسلمة رغم ما كان بينهم من عهود ومواثيق .

وقدّر الله تعالى أن ينزل اليهود من بني قُرَيظة على حكم سعد بن معاذ باختيارهم . طلبا من تلقاء أنفسهم وبتدبير الله العليم الحكيم . وأرسل النبي (ﷺ) إلى سعد بن معاذ يستدعيه من المدينة . فلما وصل الركب جعل الأوس يلوذون به ويقولون له[102] :

–يا سعد إنهم مواليك . فأحسن عليهم .

يرققونه عليهم ويستعطفونه وهو صامت لايرد عليهم . فلما أكثروا عليه قال لهم :

–لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم .

فلما دنا سعد من الخيمة التي فيها رسول الله (ﷺ) قال النبي(ﷺ) :

–قوموا إلى سيدكم .

فقام المسلمون فأنزلوه إعظاما وإكراما واحتراما في محل ولا يته . فلما جلس قال له الرسول (ﷺ) :

–إن هؤلاء (وأشار إلى اليهود) قد نزلوا على حكمك . فاحكم بينهم بما شئت.

فقال سعد رضى الله عنه :

–وحكمي نافذ عليهم (يقصد بنى قريظة) ؟

قال له النبي (ﷺ) : نعم

قال سعد مستدركاً :

–وعلى من في هذه الخيمة (يقصد المسلمين)؟

قال النبي (ﷺ):نعم

قال سعد وهو يشير إلى الجانب الذي فيه النبي (ﷺ) وهو معرض بوجهه عن الرسول (ﷺ) إجلال وإكراما وتعظيما:

–وعلى مَن هاهنا .

قال له النبي (ﷺ) : نعم

فأجرى الله جل شأنه على لسانه الحكم قائلا :

– إنى أحكم أن تقتل مقاتلتهم (كل من يستطيع حمل السلاح) وتسبى ذريتهم وأموالهم (تنفى النساء والأطفال والشيوخ ويغنم المسلمون أموالهم) .

فقال له الرسول (ﷺ) :

- لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة (سماوات).

ثم أمر النبي (ﷺ) بحفر أخاديد فى الأرض (خنادق طولية) وجيء باليهود مكتّفين بالحبال والقيود ووضعوا فى تلك الأخاديد وضُربت أعناقهم وكان عددهم يتراوح بين السبع مائة والثماني مائة . وسبي من لم يبلغ (الغير قادر على حمل السلاح) مع النساء والأموال وكان ممن نفذ فيهم الحكم حُيَي ابن أخطب وكان قد دخل معهم فى حصنهم كما عاهدهم من قبل .

ومنذ ذلك اليوم ذلت اليهود وضعفت حركة النفاق فى المدينة لأنهم فقدوا مواليهم . وتبع ذلك أن المشركين لم يعودوا يفكرون فى غزو المسلمين بل أصبح المسلمون هم الذين يغزونهم حتى كان فتح مكة والطائف . وكان طرد اليهود وإجلائهم عن المدينة نهاية عهد وبداية عهد جديد فى الدعوة الإسلامية .

وقد يقول قائل لماذا كان تقتيل اليهود وضرب أعناقهم بعد استسلامهم ونزولهم على حكم سعد بن معاذ ؟ ألم يكن من الرحمة إجلاؤهم عن المدينة وكفى وأخذ أسلابهم وأموالهم عوضا عما فعلوه (بمولاة الأحزاب) كما سبق وجرى ذلك ليهود بنى قينقاع وبنى النضير ؟ .

وعن ذلك نقول . ماذا لو أن الأحزاب قد تمكنوا من هزيمة المسلمين بمعاونة اليهود كما كانوا يخططون ؟ . ما هو مصير زعماء المسلمين وعلى رأسهم النبى (ﷺ) هل كان يهود بنى قريظة – أو غيرهم من الأحزاب – سيرحمونهم ويطلقون سراحهم ويجلونهم خارج المدينة وكفى أم أن التقتيل والذبح وضرب الأعناق كان هو الذي سيحدث ؟

إن ما فعله يهود بنى قريظة وقت العمليات الحربية هو بمثابة خيانة عظمى وقت الحرب ليس لها عقاب إلا الإعدام فى ميدان القتال كما يحدث الآن فى العصور الحديثة . حيث يتم إعدام الخونة والجواسيس برميهم بالرصاص دون أن تأخذ القادة شفقة أو رحمة بهؤلاء . بل إنه فى أوقات السلم يتم إعدام الجواسيس دون هوادة ردعاً لمن تسول له نفسه خيانة الوطن . وقبل هذا وذاك فإن ما حدث برمته من إنطاق سعد بن معاذ بالحكم الذى أراده الله هو ما جاء به الوحي (جبريل):

*وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب (بنى قُرَيظـــة) مـــن صياصيـــهم (حصونهم) وقذف فى قلوبهم الرعب . فريقا تقتلـــون وتأســـرون فريقـــا *وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها . وكان الله على كـل شىءٍ قديراً (103) .



غـــزوة خَيْبَر

لم يقم النبي (ﷺ) بالمدينة بعد عودته من الحُدَيبية (حيث صلح وهدنــة الحُدَيبية مع أهل مكة سنة سبع هجرية) إلا خمس عشر ليلة أو شهر علـــى قول آخر[104] ثم أمر الناس بالتجهيز لغزو خَيْبَر على ألا يغزو معه إلا مــن شهد الحديبية إلا أن يكون غازيا متطوعا ليس له من الغنيمة – بـــإذن الله – شيء.وانطلق المسلمون فى ألف وستمائة ومعهم مائة فارس وكلــــهم واثــق بنصر الله . قطعوا مراحل الطريق ما بين خيبر والمدينة فى ثلاثة أيـــام مــا أحست بهم يهود خيبر حتى باتوا أمام حصونها . وأصبح الصباح وغدا عمال خيبر خارجين إلى مزارعهم فلمـــا رأوا جيـش المسـلمين ولّـوا الأدبـــار يتصايحـــون :

–هذا محمد والجيش معه .

وقال الرسول (ﷺ) حين سمع قولهم :

–خربت خيبر . إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وكان يهود خيبر يتوقعون بأن يغزوهم النبي (ﷺ) ولـــذا فقـد نصـــح بعضهم أن يبادروا إلى تأليف تجمُّع منهم يجمعهم ويهود وادي القرى وتيمـــاء لغزو المسلمين في يثرب (المدينة) دون أن يعتمدوا في ذلــك علـــى بطـــون العرب والمشركين . وبعضا من اليهود ارتأى أن يدخلوا في حلف مع رسول الله (ﷺ) لعل ذلك يمحو ما ثبت من كراهيتهم في نفوس المسلمين والأنصار منهم خاصة بعد اشتراك حُيَي بن أخطب (زعيم بنى النضير) وجماعة مـن

اليهود معه فى تأليب العرب لاقتحام المدينة وأخذها عنوة فى غزوة الأحـزاب (الخندق) وكانت اليهود على اتصال دائم بغطفان لموالاتهم.

وكانت موقعة خيبر من أكبر المواقع حيث كانت جموع اليهود المتمركزة في خيبر من أقوى الطوائف الإسرائيلية بأسا وأوفرها مالا وأكثرها سـلاحا . كما أن اليهود كانت لهم حصون منيعة فـوق الصخـور والجبـال . وقـف المسلمون أمام حصون خيبر متأهبين كاملي العدة . وأشار زعيم اليهود سـلام بن مِشْكَم عليهم بدخول النساء والأطفال ومعهم الصبيان حصنـي (-الوطيـح والسُلاَلم) . والذخائر وضعوها فى حصن (ناعم) والمقاتلة وأهل الحـرب دخلت حصن (نطاة) ودخل سلام معهم يحرضهم علـى الحـرب . ودارت معارك شديدة حول حصن نطاة قُتل فيها سلام بن مِشـكَم زعيمـهم فتولـى القيادة الحارث بن أبي زينب . وخرج من الحصن يريد منازلـة المسـلمين فدحره بنو الخزرج واضطروه للارتداد داخل الحصن . ضيّـق المسـلمون الحصار على الحصون واليهود يستميتون في الدفاع . وبعث الرسـول (ﷺ) أبا بكر إلى حصن (ناعم) كي يفتحه فقاتل ورجع دون أن يفتح الحصـن . وبعث النبي (ﷺ) عمر بن الخطاب في الغداة فكان كحظ أبى بكر . فـانتدب النبي (ﷺ) علياً بن أبى طالب ودعا له وطلب منه عدم العودة حتى يفتح الله عليه .فلما دنا من الحصن خرج إليه اليهود فقاتلهم قتالا شـديداً حتـى قتـل قائـدهم الحارث بن أبى زينب وفتح الحصن بإذن الله . وتحول المسلمون إلى حصن (القموص) ففتحوه ومن بعده تم لهم فتح حصن (الصعب بن معـاذ) حيث وجدوا فيه طعاماً كثيراً أفادهم في متابعة القتال وحصار اليهود في باقي حصونهم .

وفتحوا حصن (الزُبَير) بعد قتال عنيف وحصار متواصل . ولما قطعوا الماء عن الحصن اضطر اليهود إلى الخروج من الحصن لمقاتلة المسلمين الذين شدوا عليهم حتى اضطروهم للفرار إلى حصن (أُبـي) و (البريء) ووقعت الحصون وفُتحت واحداً بعد الآخر حتى لم يتبق سوى حصني (الوطيح والسُلاَلم) بمنطقة الكتيبة وكانا آخر حصنين منيعين لليهود. وباستمرار الحصار والقتال استولى اليأس على نفوس اليهود وطلبوا الصلح بعد ما غنم النبي (ﷺ) وأصحابه أموالهم الموجودة في حصون (الشق ونطاة والكتيبة) وطلبوا الصلح على أن يحقن النبي (ﷺ) دماءهم . وقبل الرسول الصلح وأبقاهم على أرضهم التي آلت له بحكم الفتح على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم.

ونلاحظ أن النبي (ﷺ) عامل يهود خيبر بغير ما عامل به بنى قينقاع وبنى النضير حين أجلاهم عن أرضهم . وبغير ما عامل به يهود بنى قريظة حين أعدم مقاتليهم **لأنه أمن بسقوط خيبر وانهزامهم بأس اليهود وأنه لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك أبدا.** كما أن بخيبر من الحدائق والمزارع والنخيل ما يحتاج إلى الأيدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام على زراعته ولما كان النبي (ﷺ) في حاجة إلى جيوشه للغزوات وللفتوحات (ومنها فتح مكة التي وعدها الله إياه بعد الحديبية) فقد آثر الصلح مع ما تبقى من يهود خيبر الذين انكسروا واندحرت فلولهم وانكسرت شوكتهم . وبعث النبي (ﷺ) إلى أهل فَدَك من اليهود ليسلموا ويؤمنوا برسالته أو ليسلموا أموالهم . فتصالحوا على نصف أموالهم من غير قتال .

وكانت فَدَك خالصة للنبي (ﷺ) لأن المسلمين لم يقاتلوا فيـــها ولــم يجلبوا عليها بخيل ولا جِمال . أما غنائم خيبر فكانت للمسلمين لأنهم حاربوا وقاتلوا لاستخلاصها . وتجهز النبي (ﷺ) بعد ذلك للعـــودة إلـــى المدينـــة المنورة عن طريق (وادي القرى) فتجهز يهودها للقتال ولكنهم اضطروا إلى الإذعان والصلح كما فعلت خيبر . أما يهود (تَيْماء) فقبلوا الجزية من غـــير حرب ولا قتال .

وبذلك دالت شوكة اليـــهود ودانـــت كلـــها لسلطـــــان النبـــي (ﷺ) والمسلمين . وانتهى ما كان لهم من قوة وبأس وسلطان ونفوذ في الجزيرة العربية وأصبحت الحدود الشمالية جهة الشام آمنة للمسلمين . ولم يفـــرض النبي (ﷺ) الجزية على يهود (البحرين) وإن ظلوا متمسكين بدين آبائـــهم . وصالح (بنى غازية) و (بنى عريض) علـــى أن لـــهم الذمـــة وعليـــهم الجزية[105] . ودان اليهود في شتى الأنحاء لســـلطان المســـلمين وتضعضـــع وضعف مركزهم في بلاد العرب حتى اضطروا إلى الهجرة منها بعد أن كانوا بها أعزة .

وقد كان لواقعة وفعلة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مِشْكَم زعيـــم اليهود الذي قُتل في غزوة خيبر أثراً في نفوس المسلمين حين أهـــدت النبـــي (ﷺ) شاةً مسمومة وبرّرت فعلتها بقولها :

-إن كان ملكا (من ملوك الأرض) اســـــترحت منـــه وإن كـــان نبيـــا فسيُخَبر[106] .

(وفى قول آخر قالت زينب : إن كان كذابا استرحت منه وإن كان نبيـــا فسيُخَبر)[107] وأوحِيَ إلى النبي (ﷺ) أن الشاة مســـمومة فلـــم يطعمـــها .

وكانت تلك الفعلة سببا فى عدم ثقة المسلمين باليهود مهما حدث من معـاهدات أو مواثيق (**حدث فى عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب أن أخرج يـــهود خيبر وفَدَك إلى الشام ولم يخرج أهل تيّماء ووادي القرى لأنهما داخلتان فى أرض الشام** ويرى أن مادون وادي القرى إلى المدينة حجاز ومَنّ وراء ذلـك مِنْ الشام) . وكان عمر قد بلغه أن النبى (ﷺ) قال فى مرضه الذي قُبض فيه :

*لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان(108).

وكما سبق وبيّنا كانت(فَدَك) بكاملها للرسول (ﷺ) خالصة وخاصـة وكان يعزل منها نفقة أهله لعام ثم يجعل ما بقى يصرفه فى مصالح المسلمين والكراع (الخيل) والسلاح. فلما مات (ﷺ) اعتقدت فاطمة وأزواج النبـي (ﷺ) – أو أكثرهن – أن هذه الأرض تكون موروثة عنه . ولم يبلغهن مـا ثبت عنه من قوله :

***نحن معشر الأنبياء لا نورث . ماتركناه فهو صدقة**(109).

وذكرهم أبو بكر حين ولى الخلافة بذلك الحديث وقال لهم :

–أنا أعول من كان يعول رسول الله (ﷺ) والله لقرابة رسول الله (ﷺ) أحب إلى أن أصل من قرابتي .

وكان رضى الله عنه فى ذلك منفذاً لما قاله النبى (ﷺ) ورأى أن حقـا عليه أن يقوم فيما كان يقوم فيه رسول الله (ﷺ) وألا يخرج من مسـلكه ولا عن سننه(110) .

وكان من السبايا في تلك الغزوة المظفرة (صفيّة بنت حُيَي بن أخطب) زعيم بني النضير (وكانت قد رحلت مع قومها من المدينة بعد غزوة بني النضير) وكانت زوجا لكنانة بن الربيع الذي قُتل في غزوة خيبر حين أنكر معرفته بكنوز وأموال يهود خيبر حين سأله النبي (ﷺ) عنها . وقال له :

-إنْ وجدناها عندك أأقتلك ؟

قال : نعم . وأقسم على عدم معرفته مكان الكنز .

وبعد البحث والتفتيش وُجد الكنز بحوزته وكان يخفيه في خربة (خرابة) ولما حفروها وجدوا الكنز بها[111].

وإكراماً وإعزازاً لصفيّة ولمكانتها بين قومها أعتقها النبي (ﷺ) بعدما أعلنت إسلامها . وصدق إيمانها واتخذها النبي (ﷺ) زوجاً له وأصبحت أماً للمؤمنين . وكانت وفية له طوال حياته وبعد وفاته (ﷺ) . وكان نسبها يعود إلى نبي الله (هارون بن عمران) أخي موسى (عليه السلام) وأمها برة بنت سموءل [112]. وكانت صفيّة قد تزوجت مرتين قبل خراب خيبر . تزوجت أولا من فارس قومها وشاعرها (سلام بن مِشْكَم) ثم خلف عليها (كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق) صاحب حصن (القموص) أعز حصن فى خيبر[113].

وعاد المسلمون آمنين بالمدينة المنورة ناعمين بفضل الله ورضوانه . وعاد جعفر بن أبى طالب والمسلمون معه من الحبشة بالهدايا من (النجاشى) ملك الحبشة وعادت معه (أم حبيبة) رملة بنت أبى سفيان بعد أن مات زوجها عبد الله بن جحش الذى ذهب إلى الحبشة مسلماً وتنصّر ومات على ذلك .

➢ **وقد يتطاول مغرض ومجادل فيقول :**

كيف يتأتى للنبي (ﷺ) أن يتزوج بابنة من قتل أبيها وهوالذي خان المسلمين وتآمر عليهم مع الأحزاب ويهود بنى قُريظة . أما كان على النبي (ﷺ) أن ينأى بنفسه عن ذلك وعن مصاهرة اليهود . أعداءه الألداء ؟ ألا يخشى غدر صفيّة؟ ورداً على ذلك نقول :

أخبرنا النبى (ﷺ) أن :

***الإسلام يجبُّ ما قبله والتوبة تجبُّ ما قبلها**[115](أى تمحو ما قبلها) .

*ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أخرى [116].

*قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغْفَر لهم ما قد سَلَفْ [117] .

وصفيّة (رضى الله عنها) لم تكن كافرة وإنما كانت من أهل الكتاب (يهودية قبل إسلامها) وهى كشأن أهل الكتاب تحل للمسلم أن يتزوجها وهى على دينها دون حرج كما شرع الله ذلك وبيّنه فى كتابه العزيز :

*اليوم أُحلَّ لكم الطيبات . وطعام الذين أوتوا الكتاب حِلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم . والمحصنات من المؤمنات (المسلمات العفيفات) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (اليهود والنصارى) من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن (مهورهن) محصنين غير مسافحين (غير زناة) ولا متخذي أخدان (خليلات) ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين[118] .

وإسلام صفيّة الذي أعلنته بين يدي رسول الله (ﷺ) يجبُّ عنها ما قد سلف ومضى . وكانت فى حكم السبايا والجواري . ولكن بإعلان إسلامها فقد أصبحت من الحرائر فأعتقها النبي (ﷺ) وتزوجها . وكانت صفية من أشراف قومها فهي ابنة سيد بنى النضير (حُيَي بن أخطب) واختيار النبي (ﷺ) لها زوجاً لنفسه وأمّاً للمؤمنين ليس وليد هوىً أو متعة جسدية يسعى إليها . بل شأنها كشأن أزواج النبى (ﷺ) أمهات المؤمنين يتزوجهن الرسول (ﷺ) بوحي من الله ولحكمة ولتشريع . أما البحث عن متع الدنيا فلم يكن وارداً فى فكر النبي (ﷺ) إطلاقا حيث كان جلّ هم النبى (ﷺ) فى حياته تبليغ دعوة الله جل شأنه إلى البشر أجمعين وتعليم شريعته لمن آمن به واهتدى برسالته ﷺ:

*إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل إمرىءٍ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها . أو امرأة ينكحها (يتزوجها) فهجرته إلى ما هاجر إليه[119] .

والنبي (ﷺ) هو الذي يوجهنا ويرشدنا ويعلمنا . فكيف يتجرأ قائل ويتهمه (ﷺ) بما يعنّ له من تطاول وتجاوز النبي منه براء . والنبي (ﷺ) هو إمام المتقين وهو الأسوة الحسنة وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف ولا يسعى إلى متاع الدنيا الزائل ولا إلى متعها وزينتها . فقد كان(ﷺ) كما وصفته عائشة:

***كان خلقه القرآن . وكان قرآنا يمشى على الأرض**[120].

وكان النبي (ﷺ) منفذاً لأوامر ربه على نفسه أولاً قبل أن يطالب بها المسلمون . ومع إسلام صفيّة (رضى الله عنها) تكون صلتها بالماضي قــد قَطعت وانتهت.وأصبحت أمّاً للمؤمنين مع أزواج رسول الله (ﷺ)وقد امتدحهن الله جل شأنه في كتابه الكريم وكرمهن بالانتســاب للنبــي المعصــوم (ﷺ) وشرّفهن ببيت النبوة :

* النبي أولِ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم . وأولوا الأرحام بعضــهم أَوْلَى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا . كان ذلك في الكتاب مسطوراً[121] .

***يا نساء النبي لستن كأحدٍ من النساء إن اتقيتن** [122].

ويقول الله جل شأنه رافعا الحرج عن النبي (ﷺ) فيما شرعه له ويفرضه :

*ما كان على النبي من حرجٍ فيما فرض الله له . سنة الله في الذين خلوا مــن قبل (من الرسل) وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً[123] .

*يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهــن (مهورهن) ومــا ملكت يمينك مما أفاء الله عليك (من السبايا) وبنات عمك وبنـــات عمـــاتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك (إلى المدينة) وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها (يتزوجها) خالصة لك من دون المؤمنين . قد علمنا مافرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج . وكان الله غفوراً رحيما [124].

➢ بعد انتهاء غزوة خيبر ورجوع جعفر بن أبى طالب من الحبشة محملا بالهدايا من نجاشى الحبشة اغتبط النبي (ﷺ) وسُرّ سروراً عظيما لنعم الله عليه ونصره المبين وظل متشوقا هو وأصحابه لأداء العمرة في العام التالي بعدماأُحصِروا (منعوا) من أدائها ذلك العام حيث تم توقيع معاهدة وصلح الحَدَيْبية مع أهل مكة ومن ضمن بنودها رجوع المسلمين دون أداء العمرة لعامهم على أن يأتوا في العام التالي دون سلاح لتأديتها . وراجت خرافات وأباطيل عن تلك الآونة من أن النبي (ﷺ) قد أصابه مسّاً من السحر بفعل (لُبَيد) حيث ادعى المتخرصون أنه (ﷺ) كان يفعل الشيء دون وعى أو أنه لا يفعل الشيء ويحسب أنه قد فعله بسبب السحر الذي أصابه.(افتراءً وكذبا) . وكل تلك الهرطقات والخرافات ما هي إلا تخرصات وافتراءات روّج لها المنافقون والمشركون والأعداء بغرض التشكيك فى صدق مبلغ الرسالة (ﷺ) ووعيه لما يبلغه عن الله . وقد رد الله جل شأنه على كل ذلك ووصم من ادعى حدوث تلك الادعاءات بأنه ظالم لنفسه وعقله فضل بذلك الفكر المنحرف :

*والله **يعصمك**(يمنعك ويحميك) من الناس . إن الله لا يهدى القوم الكافرين(125) .

***وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**(126) .

*نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ***انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا**(127) .

أى أن كل من ادعى ذلك فهو ظالم لأن الله يعصم نبيه(ﷺ) ويحميه مـن شرار الناس وشرورهم ويمنع عنه كيد الكائدين حتى يتم الله نوره ورســالته ولو كره الكافرون.ولو كره المشركون .



وبعد تلك السلسلة الظافرة من الانتصارات على اليهود بواسطة عباد الله المخلصين والمؤمنين والموحدين وعلى رأسهم رسول الله (ﷺ) (عباداً لنا أولي بأس شديد) إيمانهم لا يتزعزع وعزمهم لا يلين ولا يفتر حماسهم . وصدقهم واخلاصهم لدين الله الحنيف مشهود به .فإنهم قد جاسوا خلال ديار الكفر والبهتان والتآمر والكيد والتربص . دياراً أضحت مستباحة للمسلمين يفعلون بها ما يشاءون ويبغون . بفضل الله الذي نصرهم على أعدائهم نصراً مؤزراً بالرعب الذي أنزله فى قلوب أعدائهم وبجنده التي لا تُقهر :

يقول النبي (ﷺ) :

*** أُعطيت خمساً لمْ يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي . نصرت بالرعب مسيرة شهر** وجُعلت لىَ الأرض مسجداً وطهورا . وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل . وأُحلّت لىَ الغنائم . وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة . وأعطيت الشفاعة [128] .

***وقذف فى قلوبهم الرعب . فريقا تقتلون وتأسرون فريقا**[129]

فيلقى الله سبحانه الرعب في قلب أعدائه وأعداء الدين. وكان نصر الله لعباده المؤمنين المخلصين مؤزرا . وكان وعده سبحانه (مفعولا) فلا راد لقضائه وحكمه وأمره جل شأنه حتى يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون.ولو كره المشركون . وانتهى علوّ بنى إسرائيل وإفسادهم الأول في شتى أرجاء الجزيرة العربية . وسكنوا بعد إجلائهم بعيداً فى الشام ينتظرون موعدهم الثاني والأخير مع الله الذى قضى بذلك وكان أمره مفعولا . ومعلوم أن عمر بن الخطاب قد استكمل إجلائهم من الأرض المقدسة بفلسطين مع الفتح الإسلامي :

*وقضينا إلى بني إسرائيل فى الكتاب لتفسدنّ فى الأرض مرتين ولتعلنّ علوّاً كبيرا * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار . وكان وعداً مفعولا [130] .



الهوامش

---

1)سِفْر إشعياء : 42 : 10 – 12

2) سِفْر إشعياء :42 : 17

3) سِفْر التثنية : 33 : 1،2

4) تفسير القرآن الكريم للقاسمي : والمسمى (بمحاسن التأويل) للعلامة (محمد جمال الدين القاسمى) . المجلد (7) ص 93.

إنجيل برنابا : المقدمة (للشيخ محمد رشيد رضا) ص20 .

5) إنجيل يوحنا : 14 : 26 ، 28 ، 29 ، 30

6) إنجيل يوحنا:15 : 26 ، 27 .

7)إنجيل يوحنا : 16 : 7 – 15 .

8)سورة الأنبياء : 107 .

9) سورة سبأ : 28 .

10) سورة إبراهيم : 4 .

11)سورة الشعراء : 192 – 199

12)سورة فصّلت : 44

13) سورة الزمر : 28 .

14)سورة الشورى : 13

15)سورة البقرة : 135

16)سورة البقرة:142

17)سورة البقرة:143

18)سورة الحديد: 27

19) سورة التوبة : 31

20) سورة آل عمران : 19 .

21)سورة البقرة : 255.

22)سورة الزمر : 62 ، 63

23)سورة الكهف : 26.

24)سورة الإخلاص : 1– 4

25)سورة الشعراء : 77 – 81

26) سورة آل عمران : 19

27) سورة البقرة : 253

28)سورة المائدة : 14

29)سورة المائدة : 64.

30)سورة آل عمران : 69 .

31)سورة محمد : 17 .

32)سورة إبراهيم : 27

33)سورة آل عمران : 71 ، 72

34)سورة البقرة : 40

35)سورة البقرة:47

36)سورة البقرة : 41–43

37)سورة البقرة : 63

38)سورة البقرة:83 ، 84

39)سورة البقرة : 93

40)سورة البقرة : 100

41)سورة البقرة : 246

42) سورة آل عمران : 75 ، 76.

43) سورة آل عمران : 183

44)سورة آل عمران : 187 .

45)سورة النساء : 54 ، 55

46)سورة المائدة : 12 – 14

47) سورة المائدة: 70

48)سورة الأعراف : 168 ، 169

49)سورة المائدة : 13

50) سورة الجمعة : 2

51) سورة آل عمران : 110

52)سورة المائدة : 27

53) سورة الفرقان : 23

54)سورة النساء : 44 ، 45

55) سورة البقرة : 109

56)سورة النساء : 51

57)سورة النساء : 54

58)سورة المائدة : 68

59)سورة البقرة : 135

60)سورة المائدة : 18

61)سورة آل عمران : 24

62)سورة البقرة : 111

63)سورة آل عمران : 26

64) سورة آل عمران : 118 – 120

65) سورة النساء : 112

66) فقه السنة : (الشيخ سيد سابق) المجلد الثالث ص 71 .

67) سورة البقرة : 105

68)سورة الإسراء : 4، 5

69)سورة الإسراء : 2

70) سورة الإسراء:3

71)سورة آل عمران : 181

72)سورة المائدة : 64

73) سورة الفرقان : 63 – 74

74)سورة الحج : 40

75)سورة الإسراء : 5

76)سورة يوسف : 21

77)سورة الروم : 47.

78)سورة غافر : 51

79)سيرة ابن هشام : المجلد الثانىجـ 3 ص 8 - 10

سنن أبو داود : كتاب الخراج والإمارة والفيء . (أبو داود) باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة جـ3 ص 3001

تفسير الطبرى : (ابن جرير الطبرى) جـ3 ص 128 .

دلائل النبوة : (البيهقى) جـ3 ص 173 ، 174 عن طريق محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت . عن ابن عباس .

فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2846

80)سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ3 ص 8،9(عن طريق عبد الله بن جعفر).

فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2846.

عيون الأثر : (ابن سيد الناس) جـ 2 ص 444(عن طريق ابن إسحاق)

الرحيق المختوم : (صفى الرحمن المباركفورى) ص 256

81)سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 9 (عن طريق ابن إسحاق)

فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2846 ، 2847

تاريخ الطبرى : جـ2 ص 49 (الطبرى)

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ2 ص 29

امتاع الأسماع : المقريزى ص 104

عيون الأثر : (ابن سيد الناس) جـ2 ص 444(من رواية ابن هشام عن ابن إسحاق)

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 256 ، 257.

82)سورة الحشر : 15

83)فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2847

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص307 - 311

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ3 ص 157 ومابعدها

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ 2 ص 57

تفسير القرآن الكريم : (ابن كثير) جـ 4 ص 331

سنن أبى داود : كتاب الخراج والإمارة والفيء . (أبو داود) باب خبر بنى النضير جـ3 ص 3004 من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك .

84)سورة الأنفال : 58

85)السيرة النبوية : (ابن كثير) المجلد الثالث ص 146(طبعة الحلبي).
البخاري : كتاب المغازى جـ7 ص 4031 (فتح الباري) من حديث ابن عمر .
سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ3 ص 157 ومابعدها.
الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 308 – 310
86)السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ3 ص147 قال العوفى عن ابن عباس : رواه البيهقى .
الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 309 ، 310 .
سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ3 ص 159
87)سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ3 ص 159
السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3 ص 147 . قال ابن اسحاق .
88)فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد السادس ص 3520
الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 310
سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 160
89)فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد السادس ص 3520
90)سورة الحشر : 1 -15 .
91)سورة الأنفال : 41
92) فىظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2833 ، 2834
الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 314
البخاري : كتاب المغازى جـ7 ص 453 .
زاد المعاد : (ابن القيم جوزيه) جـ3 ص 269 .
سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 185
93) سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3ص 201 عن محمد بن إسحاق .

دلائل النبوة : (البيهقى) جـ 3 ص 445 ، 446
صحيح البخارى : كتاب الجهاد والسير جـ6 & 3030 (فتح البارى)
صحيح مسلم : باب الجهاد مجلد 3 جـ18 ح 1362
سنن أبو داود : ح 2636
سنن الترمذى : ح 1675
سنن ابن ماجة : ح 2833
مسند الإمام أحمد : جـ1 ح 90، 113 & جـ2 ح 312 ، 314

94)سورة الأحزاب : 9

95)حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 346.
سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 202
مسند الإمام أحمد : جـ 5 / 392 ، 393
البداية والنهاية : (ابن كثير)
تفسير الطبرى : (ابن جرير الطبرى) جـ 21 ص 80 من حديث حذيفة بن اليمان .
تفسير القرآن : (ابن كثير) جـ3 ص471
صحيح مسلم : كتاب الجهاد . باب غزوة الأحزاب جـ 3 ص 99 ، 1414 عن طريق إبراهيم التيمى عن أبيه عن حذيفة من طريق بلال العبسى عن حذيفة .
وأخرجه الحاكم (جـ 3 ص 31) والبزار فى المجمع (جـ6 ص 136).

96)فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2835
سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 202

وفى تفسير الطبرى وتفسير ابن كثير والحاكم ومسلم والبزّار (انظر (95))

97)أنبياء الله : (أحمد بهجت) ص 458.

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 202

وفى تفسير ابن كثير والطبرى والحاكم ومسلم والبزّار .

(انظر 95)

98)سورة الأحزاب : 25

99)فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2847 .

100)الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 330

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 205

دلائل النبوة : (البيهقى) جـ 4 ص7 من حديث عبيد الله بن كعب وعائشة .

الحاكم جـ3 ص 34 ، 35

سيرة ابن اسحاق : جـ 3 ص 230

زا د المعاد : (ابن القيم جوزية) جـ 2 ص 72 -74

101) فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2848

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 321

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3 ص 197 .

مسند الإمام أحمد : جـ 6 ص 141 من طريق زيد عن محمد بن عمرو .

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ 3 ص 421

أسد الغابة : (ابن الأثير) جـ 2 ص 373

الإصابة : (ابن حجر العسقلانى) جـ 3 ص 88

عيون الأثر : (ابن سيد الناس) جـ 2 ص 94 ، 95 من طريق ابن اسحاق .

تاريخ الطبرى : (ابن جرير الطبرى) جـ 2 ص 95

المجمع : (الهيثمى) جـ 6 ص 136 رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة .

102)فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الخامس ص 2848

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3ص 208 ، 209 .

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 328

سيرة ابن إسحاق : (محمد ابن اسحاق) من طريق عاصم بن عمر بن قتادة .

البخارى : كتاب الجهاد جـ6 ح 3043 (فتح البارى) & كتاب مناقب الأنصار جـ 7 ح 3804 (فتح البارى) من حديث أبى سعيد الخُدَرى .

صحيح مسلم : كتاب الجهاد جـ 3ص 64 - 66 (ح 5215 ، 5216) من حديث أبى سعيد الخَدَرى وعائشة .

103) سورة الأحزاب : 26 ، 27

104)حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 393

سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3ص 302

سيرة ابن اسحاق : (محمد ابن اسحاق) عن أنس بن مالك .

سنن النسائى : كتاب المواقيت (جـ1 ص 546)

الموطّأ : (الإمام مالك) جـ 2ص 468 / 48

مسند الإمام أحمد : جـ 3 ص 102 ، 64 ، 168 .

105)حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص398

106)حياة محمد : ص 398

سيرة ابن هشام : ص 313

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 383

107)السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3 ص 399 من طريق محمد ابن اسحاق .

108)نفس المصدر السابق : جـ 3ص 413 ، 415

البداية والنهاية : (ابن كثير) جـ 4 ص 219 عن طريق عمر .

الموطّأ : (الإمام مالك) جـ 2 ص 892 / 18 عن ابـن شـهاب &-45 -

كتاب الجامع - حديث رقم 17 ، 18 ، 19 (طبعة مؤسسة التاريخ العربى).

مسند الإمام أحمد : جـ 6 ص 275 (مطبعة الحلبى) عن عائشة .

التمهيد: (ابن عبد الله) جـ 6 ص 463

المصنف : (عبد الرازق) جـ 7 ح 7208 من حديث سعيد ابن المسيب.

السنن الكبرى : (البيهقى) جـ 9 ص 208 عن ابن شهاب.

التلخيص : (ابن حجر) جـ 4 ص 138 ,

109) السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3ص 385

110)نفس المصدر السابق : جـ 3 ص 385

111)سيرة ابن هشام : المجلد الثانى جـ 3ص 312

السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3ص 374 .

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 381

112)سيرة ابن هشام : جـ 3ص 344

تاريخ الطبرى : (ابن جرير الطبرى) جـ 3 ص 92

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ 2 ص 75

نساء النبى : (د. عائشة عبد الرحمن) ص 191

113) سيرة ابن هشام المجلد الثانى جـ 3 ص 351 (طبعة دار الحديث)

تاريخ الطبرى : جـ 3 ص 95، 178 .

الطبقات الكبرى : (ابن سعد) جـ 2 ص 77 (باسم كنانة بن أبى الحقيق) .

الاستيعاب : جـ 4 ص 1871 (ابن عبد البر).

114)حياة محمد : (محمد حسين هيكل) ص 401

115)تفسير القرآن الكريم : (ابن كثير) المجلد الثانى ص 308

116)سورة فاطر : 18

117)سورة الأنفال : 38

118)سورة المائدة : 5

119)رياض الصالحين : (النووى) ص 5 عن عمر بن الخطاب متفق على صحته (البخارى ومسلم) .

البخارى : 1- كتاب الوحى & 1- باب حدثنا الحميدى حديث (1)

صحيح مسلم : 33 - كتاب الإمارة ح 155 (طبعة مؤسسة التاريخ العربى . بيروت).

ورواه أيضا أبو داود والترمذى والنسائى فى سننهم .

120)تفسير القرآن الكريم : (ابن كثير) المجلد الرابع ص 402 .

صحيح مسلم : 6 - كتاب صلاة المسافرين وقَصْرها ح 139 عن عائشة .

121)سورة الأحزاب : 6

122) سورة الأحزاب : 32

123) سورة الأحزاب : 38

124)سورة الأحزاب : 50

125) سورة المائدة : 67

126)سورة الفرقان : 8 ، 9

127)سورة الإسراء : 47 ، 48

128)البخارى : المجلد الأول جـ 1 ص 87 ، 88 (حاشية السندى)٠

صحيح البخارى : 7 - كتاب التيمم & 1- باب قوله (فلم تجدوا ماءً فتيمموا)، ح 231 (فتح البارى) عن جابر بن عبد الله .

صحيح مسلم : 5 - كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح 3(طبعة مؤسسة التاريخ العربى بيروت)

129) سورة الأحزاب : 26

130) البداية والنهاية : (ابن كثير) جـ 8 ص 108 .

131)سورة الإسراء : 4،5

الفصل الثامن

وعد الآخرة

تمهيد

بنظرة أخرى متأنية لآيتَي الإسراء (4،5) نجـــد أن **وعـد الله النــافذ والمقضي فى بنى إسرائيل لم يحدد مكانا ولا زمــانا للنفاذ** . وإنما قال عنــه (فى الأرض) فأي أرض هي المقصودة ؟ لم تحدد الآية الكريمـــة ذلــك . والتحديد المكاني ليس شرطا لحدوث أمر الله المفعول . إنما الإفســـاد الـــذي واكب العلوّ والاستطالة هو الذي يستوجب ويستلزم وقوع التدمير والجــــوس خلال الديار (أي الطواف خلال ديار اليهود وبيوتهم للإغارة والقتل) وهـــو ما كان حادثا في غزوات الرسول (ﷺ) والمسلمين معه ضد بنـــى إســرائيل (غزوات بنى قَيْنُقَاع والنضير وقُرَيظة وخَيْبَر) **وتلك التجمعـــات اليهوديـــة والأحياء والمدن كانت مراكز حشد لليهود ومراكز قوة وسيطرة وســـلطان وتأثير حيث أن باقى تجمعاتهم الأخرى فى عالم الشتات فى كل بقاع الأرض هى تجمعات ضعف وذلة لا قوة وعلوّ** . سواء كان ذلك فى الشـــام أو بـــاقى آسيا أو أفريقيا أو أوروبا وكانت تلك التجمعات فى عالم الشـــتات تجمعـــات مذلة وهوان تحت نير الحكم الروماني ولم تكن أبداً تجمعات قوة أو علوٍ يتبعه الإفساد المعني فى الآيات الكريمة من سورة الإســـراء . والمكـــان الوحيـــد لتجمعات القوة فى ذلك العصر هو فى الجزيرة العربية وتحديداً فى المدينـــــة المنورة (يثرب) والتخوم المجاورة والقريبة منها فى فَـــدك وتيمـــاء ووادى القرى وخَيْبَر . وتجمعات السيطرة والعلوّ والسطوة تلك هى التى اســـتوجبت حكم الله فيهم بعد إفسادهم المتكرر فى تلك المدن والتجمعات وكيدهم ونقضهم لعهودهم مع النبى (ﷺ) والمسلمين . **وكانت أداة تنفيذ الوعد الإلـــهي الأول هي عباد الله المخلصين المؤمنين** (عباداً لنا) صفتهم (أولي بأس شـــديد) أى ذوي قوة وبطش بالأعداء عند القتال . لا يهابون الموت أو يخشونه لأنـــهم

اشتروا الجنة من الله بأنفسهم وأموالهم . وصدقوا عهدهم مع الله ولم ينقضوه لأنهم دعاة لدين الله القويم ولأنهم لا يشركون به شيئا ولا يخافون في الله لومة لائم . صدقوا في إيمانهم وأخلصوا النوايا . تلك هي السجايا والصفات التي تنطبق بجلاء على النبي (ﷺ) وصحبه الكرام الذين دانت لهم مشارق الأرض ومغاربها :

*إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . يقاتلون في سبيل الله . فيقتلون ويُقتَلون . وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله (لا أحد) فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به . وذلك هو الفوز العظيم *التائبون العابدون الحامدون السائحون (يتفكرون في خلق السماوات والأرض) الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . وبشر المؤمنين[1].

تلك هي صفاتهم وتلك هي عوامل التحديد وشروط الاختيار لأداة تنفيذ وعد الله الأول . وهي نفسها الشروط المطلوبة في الرجال لتنفيذ وعد الله الأخير والمقضي والمقدّر في بني إسرائيل . لأنه إذا انتفت تلك الشروط واختفت تلك الصفات ما تحقق وعد الله فيهم وحينئذ يستلزم نفاذ الأمر الإلهي وجود آخرين تتوافر فيهم تلك الشروط ليتم الوعد :

*وإنْ تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم[2] .

*وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكننّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمْنًا . يعبدونني لا يشركون بي شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون[3].

***يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه (أو نكص عن الجهاد) فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين . يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله واسع عليم[4] .**

- وقد يقول قائل : ولماذا بنى إسرائيل دون غيرهم من أصحاب المِلَل والديانات هم الذين استحقوا عذاب الله هكذا؟

وأرد فأقول :عليك بالرجوع إلى الفصلين الرابع والخامس من دراستنا هذه على وجه التحديد . ففيهما الجواب الشافى والرد القاطع .

- وقد يسأل آخر : ألا يستحق بنو إسرائيل رحمة الله ونور هدايته ليفلتوا من هذا المصير المحتوم والهلاك المبرم ؟

- وأرد قائلا (من كتاب الله وقرآنه الكريم الحكيم) :

*** كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البيّنات** (دلائل نبوته) والله لا يهدى القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين *خالدين فيها لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم يُنظَرون[5].

*قل أرأيتم إنْ كان (القرآن) من عند الله وكفرتم به . **وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله (التوراة) فآمن واستكبرتم . إن الله لا يهدى القوم الظالمين[6]**

والله جل علاه قد توعد الأمم والممالك المكذبة به وبرسله وكتبه بالهلاك والدمار إلى يوم القيامة مثل أقوام نوح وعاد وثمود وصالح ولوط

وشعيب وفرعون (طوفان – صيحة – حاصب – صاعقة – غرق – خسف) لأن هذه هى سنة الله فى خلقه . من آمن وعمل صالحا مكنه الله فى الأرض وأيده ونصره على من هم دونه . ومن كذب وعصى وافترى على الله الكذب وجحد بالرسل والرسالات استحق عذاب الله ونقمته وغضبه :

*وإنْ مِنْ قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديدا . كان ذلك فى الكتاب مسطورا (مقدّراً ومكتوبا)[7].

***فكأيِّن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئرٍ معطلة (لاماء ولا حياة) وقصرٍ مشيد[8].**

***وكأيِّن من قرية أمليت (أمهلت) لها وهى ظالمة ثم أخذتها (بالتدمير والعذاب) وإلىَّ المصير[9].**

فالأمر إذن لم يختص ويستأثر ببنى إسرائيل دوناً عن باقى الأمم . ولن يستثنها أيضا عن باقى الأمم . لأن سنّة الله ماضية فى خلقه الظالمين :

*** ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم . إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين[10] .**

ولأن الأمر لا مجاملة فيه ولا استثناء . وإمهال الله سبحانه وتعالى ليس نسياً ولا سهواً ولا إهمالا . وإنما هو إملاء لازدياد الظلم والمعاصى. والعاقبة هى العذاب المهين فى الدنيا والآخرة.وذلك لأنهم تطاولوا على الله وعلى أنبيائه ورسله وحرّفوا وبدّلوا وزوّروا فاستحقوا العذاب والتنكيل والبطش والتدمير حيث أنهم :

***قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء[11] .**

***وقالت اليهود يد الله مغلولة . غُلَّت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا[12]**

*** ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق.ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[13] .**

وكلما بعث الله فيهم رسولا أونبياً كذبوه :

*لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا . كلما جاءهم رسول بما لاتهوَى أنفسهم. **فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون[14]**

***وقالوا اتخذ الله ولداً . سبحانه[15] .**

*** كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين[16].**

والله جل شأنه توعدهم بوعد آخر للعذاب . وعيد مستمر إلى يوم القيامة جزاء استمرارهم فى تعنتهم وكفرهم وعنادهم وإفسادهم فى الأرض . هذا الوعيد أداة تنفيذه هم المؤمنون وغيرهم :

***وإذْ تأذَّن ربك ليبعثَن عليهم إلى يوم القيامة مَنْ يسومهم سوء العذاب.إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم[17].**

(وإذْ تأذن) أى وإذْ قضى الله أمره بعلمه وبحكمته (ليبعثن عليهم) واللام هنا تفيد التوكيد مع النون . وتفيد الاستقبال لا الماضي ولا الحال . أي أن الله تعالى قد تكفل ببعث أناسٍ وأقوامٍ وأممٍ على اليهود إلى يوم القيامة يذيقونهم العذاب والتنكيل بهم (مَنْ يسومهم سوء العذاب) على فترات مختلفة من

الزمانْ (الاضطهادات والمذابح المختلفة في أوروبا وغيرها) هـــذا العــذاب النافذ والسارى لن ينقطع ولن يتوقف إلى يوم القيامة . ينال منهم كلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا وبغوا في الأرض . تجيء الضربات عليهم من كــل مكــان ومن كل جانب واتجاه بيد أناس (مَنْ) أو قوى أو أمم لا يشترط فيها الإيمــان فكلمة (مَنْ) تفيد التنكير لا التعريف . ولم يصفهم الله أنهم عبادٌ له موحدون ومسلمون (كما اشترط ذلك فى الوعد الأول والثاني).وهؤلاء الذين يبطشون ببني إسرائيل سواء داخل مجتمعات (الشتات) أو فرادى لا يشترط كونـــــهم من أمم معينة إنما هم من شتَّى المِلَل والنِحَل . ومن مختلف الأمم . قد يكــون بينهم الموحدون والمؤمنون أو غير ذلك ممن يعتنق فكــــر معيــن أو منـــهج وعقيدة بشرية أو حتى من الملاحدة والعلمانيين . وقد كان ذلك جلياً في فترات اضطهادهم فى القرون الوسطى داخل أوروبا وآسيــا وغيرها (حدث ذلك فى روسيا وبولندا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وأسبانيا بصورة جماعية وفى غيرهــا من الدول بصورة فردية) وأشهرها هو ما حدث في ألمانيا النازية قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية .

وهذا الوعيد المستمر بلا انقطاع إلى قيام الساعة هو الجزاء الوفاق لما فعلـوه ويفعلونه .

* وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا . فبئس ما يشترون(18).

أخذ الله تعالى عليهم الميثاق بتبليغ الشريعة التى أنزلت عليـــهم وعــدم كتمان ما فيها وتبيانها للناس ولكنهم – اليهود – كعادتهم أهملوا الشريعة الحقة واستمسكوا بالمظاهر فى أداء الطقوس وتركوا جوهر الشـــريعة . وتحـــايلوا على أداء ما فُرض عليهم لقاء ثمن قليل هو الهروب من التكليفات والتبعات .

فأخذوا ما يحلوا لهم ويروقهم وتركوا وأنكروا وبدلوا نصوص الشريعة حتـــى أصبحت كتبهم التى استبدلوها واكتتبوها بأيديهم (الأسفار والتلمود وغـــيره) هى التوراة فى نظرهم . وأخفوا ما نزل من عند الله فطمس الله عليهم وطبـــع على قلوبهم وأصبحوا هم الخاسرون فى الدنيا والآخرة (فبئس ما يشـــترون) نتيجة اتباع أهوائهم وابتداع شرائع تروق لهم . وكما هو معلوم **فإن المشـــرّع هو الله وحده والحاكمية لله الواحد القهار . فلما فعلوا ذلك انتحلوا لأنفســهم صفة من صفات الخالق والإله عز وجل فاستحقوا عذاب الله وغضبه إلـــى يوم القيامة** لأنهم مازالوا يبدلون ويحرفون ويشرعون من عند أنفســـهم دون رادع أو رقيب من ضمائرهم التى ماتت من بعيد وإلى الأبد :

*سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة . **ومن يبدل نعمة الله من بعد مـــا جاءته فإن الله شديد العقاب**[19] .

***أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فماجزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا . ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب . وما الله بغافل عما تعملون**[20] .

وخزى الدنيا هو الذلة والصغار والمسكنة والمهانة والاحتقـــار. فـــهم منبوذون محتقرون بين كل شعوب الأرض . لا منزلة لـــــهم ولا مكانـــة ولا احترام مهما بلغوا من الرقي العلمي والثقافي أو المادي والعســكري . الكــل يتجنبهم ويتحاشاهم ويحذرهم.منبوذون بالسليقة وبالاكتساب من جراء ما فعلوا ويفعلون . وطبع الله على قلوبهم فأصبحوا قردة وخنـــازير لشـــعوب الأرض والأمم . وألقى – سبحانه – بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة . بأســـهم بينهم شديد تحسبهم جميعا (أي متكاتفين) وقلوبهم شتّى متفرقة (متباغضة). أما عذاب الآخرة فحدّث ولا حرج . الله كفيل بهم وعليم بما يفعلون ويجازيهم

أشد الجزاء دون هوادة أو رحمة . هم فى الدرك الأسفل من النـــار لنفاقــهم وقولهم الإثم وأكلهم السحت وإثارتهم الفتن بين الناس والشعوب والدول :

*** كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . ويسعون فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين[21].**

لذلك ولأكثر من ذلك (انظر الفصلين الرابع والخامس)هم يستحقون ما كتبه الله عليهم وقدره لهم دون أسف أو شفقة عليهم أو رحمة تأخذنا بهم :

***فلا تأسَ على القوم الفاسقين[22] .**

***ولا يُردّ بأسنا عن القوم المجرمين[23] .**

ولأن عقاب الله سريع وشديد وبأسه لا مردّ له فهو واقع بهم إلى يــوم القيامة . ولأنه سبحانه – غفور رحيم فإنه يقبل توبة من اهتدى وأناب وسعى إلى جنابه . ولكنهم أبداً ما سعوا للهدى والتوبة . بل ما فتأوا يصيبون النــاس بأذاهم ويصبّون أحقادهم وكراهيتهم على كل الشعوب لا فــرق بيــن مسـلم ونصراني أو حتى وثنى في نظرهم . فهم يعتبرون العالم كله سبباً فيمـــا آل إليه حالهم وفى شقائهم وفى شتاتهم على مدار السنين والقرون . ويريـدون الانتقام من كل البشر ويتمنون هلاك العالم كله من حولهم ويبقون وحدهــم ليسكنوا الأرض فى الكون كله دون جوار .

ولا يغرنا تقربهم إلى الأفراد والشعوب والدول فهؤلاء جميعـــاً هــم مطيتهم إلى تحقيق ماتهفوا إليه نفوسهم المريضة وقلوبهم الغُلف وعقولــهم المنحرفة .

* * * * *

وعد الآخرة

*وقضينا إلى بني إسرائيل فى الكتاب (القرآن) لتفسدنَ فـي الأرض مرتين ولتعلنَ علواً كبيرا * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولـي بأس شديد فجاسوا خلال الديار (عاثوا وأخذوا خيراتها) وكان وعداً مفعـولا *ثم رددنا لكم (لبنى إسرائيل) الكَرَّة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا(إعلاما طاغيا وسلاحا) * إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسـأتم فلها . **فإذا جاء وعد الآخرة (المرة الثانية والأخيرة) ليسوءوا وجوهكـم (ليخزوكم) وليدخلوا المسجد (يستبيحوا مقدساتكم) كما دخلوه أول مـرة وليتبروا ماعلَو تتبيرا (تدميرا)** * عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا .

وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا (مِهاداً ومستقرا)[24].

*وقلنا من بعده (بعد هلاك فرعون) لبني إسرائيل اسكنوا الأرض (كل الأرض) **فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا (جميعا . مختلطيـن)** * وبالحق (القرآن) أنزلناه وبالحق (بالحقائق) نزل . وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيرا[25].

ويقص الله جل شأنه علينا أنه بعد هلاك فرعون وغرقه حال خـروج بنى إسرائيل من مصر ومعاينتهم لهلاكه هو وجيشه فإنه جل شأنه قدّر لبنـي إسرائيل سكْنَى الأرض جميعاً بعدما تحقق وعيده لفرعون الذي كفر ولم يؤمن ووعده لبني إسرائيل بالنجاة من الأعداء والدخول إلى الأرض المقدسة التـي وعدهم سبحانه إياها . **وبعد تلك القرون الطويلة فـإن وعـد الله للمؤمنيـن**

ووعيده لبنى إسرائيل واقع لا محالة لأن الله على كل شىء قدير . وأمره لا يُردّ كما سبق أمره في شأن فرعون ونجاة بنى إسرائيل الذي لم يُردّ رغم ما اتخذه فرعون من التدابير وامتلك العدة والعتاد والسلاح للقضاء علــى بنــي إسرائيل . ولكن لأن طبيعة الشعب الإسرائيلي هي التشكيك والتكذيب.وما كان لهم فهو محقق وواقع وما كان عليهم فهم يكذبون حدوثه ويشككون فى تحقيقـه فالله يؤكد أن أمره نافذ كماسبق وتحقق . **والمسلمون يصدقون وعد الله دائما ويؤمنون بكل مانزل من عند الله فى قرآنه الكريم من الحقــائق (وبــالحق أنزلناه وبالحق نزل**) فبنى إسرائيل سكنوا الأرض كل الأرض (وقلنا مــن بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) حسب أوامر الله وتقديره . فى سيناء بعد الهروب والنجاة من فرعون وجيشه . ثم دخلوا الأرض المقدسة وعاشوا فيــها ماشاء الله وقدر . ثم أفسدوا وانحرفوا وزاغوا فأزاغ الله قلوبهم وسلط عليــهم – سبحانه – من سامهم سوء العذاب فقتلوا منهم الكثير ودمــروا مســاكنهم ومعابدهم . المرة تلو المرة وكلما حدث علو تبعه إفساد كــان التدمــير مــن نصيبهم . ثم تشردوا وتشتتوا فى مختلف بقاع الأرض فسكنوها تحت إمـــرة وسيطرة شتى الشعوب والأمم (يهود – الشتات) وحاق بهم الذِلّة والصَغَــار حتى إذا قرب وجاء وعد الآخرة الوعد الثاني والأخير بالتدمير والهلاك جمعهم الله جل شأنه بقدرته من كل شتات الدنيا فجاءوا (لفيفا) أى مختلطين يهوداً ومتهودين . اجتمعت الشراذم لتنشىء الدولة التى يحلمون بها والمجد والسؤدد الذى انتظروه قرونا طويلة يظنون أنه البعث الجديد لهم . وإعــادة السـطوة والعزّ الذى افتقدوه طويلا يظنون أنهم راجعون لبناء هيكلــهم الثــالث الــذى يحلمون به كرمز للعزة والمجد . هم يظنون بأنفسهم ولأنفسهم خيرا . ولكن الله غالب على أمره ومحقق وعده.والكرَّة التى ذكرها الله (ثم رددنا لكــم الكــرَّة عليهم) والغلبة لبنى إسرائيل على المسلمين هى كرّة قوة وســيطرة لليــهود

وضعف للمسلمين . ضعف إيماني قبل أن يكون ضعف عسكري. ضعف إيماني سببه فتور الهمم وخَوَر العزائم والتكالب على الدنيا والانسياق وراء الشهوات . فأمد الله بقدرته بني إسرائيل بالمزيد من الأموال والبنين (وهما زينة الحياة الدنيا) ليتساووا مع المسلمين في ثرواتهم ويتكاثروا مثلهم في نسلهم ولكنهم سلكوا في مسعاهم طرقا وأساليب غير مشروعة . فتكدست الثروات في أيديهم بالربا وتجارة المخدرات والرقيق وأكل السُحْت والرِشْوَة . وتكاثروا فى شتى بقاع الأرض (بلدان الشتات) واستعاضوا ما قُتِل منهم بشتى الطرق (بالتبشيروالتهود والتحول من الوثنية أو النصرانية إلى اليهودية) فأصبحوا أخلاطا.تحسبهم جميعاً (متكاتفين) ولكن قلوبهم شتى (متفرقة) . وتغلغلوا فى شتى مراكز القوة وصنع القرار وبيوت المال والإعلام فى العالم كله.وبتقدير ومشيئة الله أصبحوا أكثر أموالاً وبنيناً وسلاحاً(أكثر نفيراً) وأكثر جرأة ووقاحة فى الحديث علانية والإفصاح عن نواياهم ومخططاتهم بعد أن كانوا يتهامسون بها سراً . وأصبحوا بمشيئة الله وتقديره يمتلكون أهم وسائل ومراكز الإعلام فى العالم . وأكثر تأثيراً فى قرارات الساسة والقادة على مستوى العالم . وأكثر قوة وسلاحا . ورغم هذا لم تستكن نفوسهم أو تسترح بل يبحثون عن المزيد من القوة والسطوة والتحكم (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) فإنْ كان ذلك حسناً فى نظرهم فهو لهم . وإنْ كان سوءاً فلهم أيضا . لا ينتفع منهم أحد فى كلتا الحالتين ولا يستفيد بقوتهم أحد . فهم جُبلوا ودرجوا على الأنانية وحب الذات والشح . النفع لهم وحدهم . والضر لغيرهم ودونهم . وإن بدا منهم مايخالف ذلك فى الظاهر فهو تخييل وتمثيل على من يتعاملون معهم . فهم أبداً ما أحبوا الخير لغيرهم مهما عاونوهم أولئك الغير فى سعيهم ومخططاتهم . لأن هدفهم الأكبر هو إملاء كلمتهم وزعامتهم على العالم منفردين . ثم ليفنَ بعد ذلك الجميع _

حتى من عاونوهم –وليبقوا هم وحدهم فى هذا الكون الفسيح لأنهم ما برحـــوا يروجون لأفكارهم وتخرصاتهم أنهم شعب الله المختـــار . وأنـــهم أبنـــاء الله وأحباؤه . وأنهم الأجدر بالحياة :

***ولتجدنهم أحرص الناس على حياة** ومن الذين أشركوا (أيضا). يـود أحدهم لو يُعمَّر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر . والله بصـير بما يعملون [26].

هذا هو ماترسخ فى عقولهم . وهذا هو مايطالبون به دون مواربـــة . تأخذهم العزة بالإثم فلا يفيقوا من أوهامهم بعيدة المنال وأحلامهم غير المحققة بإذن الله . ولأنهم قد أتموا ماهو عليهم لتحقيق وعد الله الأخير . فلامناص من التنفيذ ولا مهرب من الرضوخ والامتثال مهما تحايلوا وفعلـــوا :

***والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**[27] .

***والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون**[28].

لقد أصبحت معظم الظروف مهيأة لحدوث أمر الله المقدر فـــى بنـــى إسرائيل . فقد أمدهم جل شأنه بالثروة **والذرية** والكثرة (وأمددناكم بـــأموال وبنين)وأصبح لهم الصوت العالي والمسموع فى العالم مع القوة العســـكرية التى تغريهم بذلك (أكثر نفيرا) مع سطوة المال والتغلغل في مراكز النفـــوذ الاقتصادي والسياسي والإعلامي في العـــالم . وبأموالـــهم يشـــترون الذمـــم والضمائر الخربة من القادة والساسة فى العالم ليضمنوا صمت زئير الأسود . ويتلاعبون باقتصاد الأمم بالتدخل فى أسواق المـــال والبورصـــات ليجعلـــوا المناوئين والمعارضين لهم تحت أقدامهم (بنوك التمويـــل وصنـــاديق النقـــد العالمية) وظنوا أنهم بذلك أكبر من أن يحيق بهم عذاب الله ووعيده . ورغـــم

أن الملاذ والنجاة من عذاب الله هو اللجوء لجنابه بالتوبة والإنابة والاستغفار فإنهم لن يفعلوا :

*وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا . فأنظر كيف كان عاقبة المفسدين [29].

وهم لم يتعلموا أبداً من التجارب التى مروا بها . فهم يجحدون بنعم الله وأمره ويتكبرون على الناس يظنون أنهم بمنأى عن وعد ووعيد الله وبطشه بهم . غرتهم فى ذلك قوتهم التى أمدهم بها الله ليتم وعده . وسبحانه قادر على أن يسلبها منهم فى أى وقت شاء سبحانه وتعالى وإن شاء أبقاها لتكون فتنة للذين آمنوا :

***وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين .** فاعتبروا يا أولى الأبصار[30].

يظنون أن قوتهم المالية والإعلامية والعسكرية مانعتهم من الله واهبها . ويعلنون : من أشدّ منا قوة ؟ قالوها ويرددونها كماقالتها قبلهم قوم عاد :

*فأما عادٌ فاستكبروا فى الأرض بغير الحق **وقالوا من أشدُ منّا قوة أو لم يروا أن الله الذى خالقهم هو أشدُ منهم قوة** وكانوا بآياتنا يجحدون[31] .

يظنون بأنفسهم ظن الجاهلية من الحماقة . ويمنعون عباد الله المسلمين مساجد الله فى الأرض المحتلة (فى القدس وغيرها) وهم يعلمون جزاء ذلك :

*ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذْكَر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ماكان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم [32] .

والتوبة التى فرضها الله نجاةً وملاذاً لكل عاص ومذنب يهزأون بـها . تماما كما فعل (أبو لهب) حين تكبر واستكبر وجحد بآيات الله وسخر من النبى (ﷺ) حين دعاه إلى الله وأن يتوب إليه ويستغفره فأنكر نبوة محمد (ﷺ) ابن أخيه وهزأ منه حين دعاه إلى الإسلام والتصديق بوعد الله للمؤمنين ووعيده للكافرين . وكذلك (إبليس) اللعين الذى استكبر وعصى الله حين أمره بالسجود لآدم تكريما وتشريفا لما خلق الله بيده . فأعلن العصيان والتمرد واستكبرعلى خالقه وابتدع سبباً للامتناع عن طاعته والامتناع عن التوبة والإنابة لله :

*قال مامنعك ألا تسجد إذْ أمرتك . قال أنا خير منه . خلقتنى من نار وخلقته من طين[33].

وكذلك أيضا حين ذهب (الوليد بن المغيرة) إلى رسول الله (ﷺ) ليحاجه فى الدين الذى جاء به من عند الله . فلما بلغه استمع إليه وهو يقرأ القرآن فعاد إلى مشركى مكة ووجهه ممتقع مماسمع وهو فصيح العرب الذى أعجزه ما سمعه من الآيات . فراجعه قومه فيما حدث فقال :

لقد سمعت منه (أى النبى ﷺ) كلاما ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة . وإن عليه لطلاوة . وإن أعلاه لمثمر . وإن أسفله لمغدق . وإنه ليعلوا ولا يُعْلَى عليه . ومايقول هذا بشر[34].

وبرغم هذا لم يسلم الوليد بن المغيرة ولم يتنازل عن الكِبْر الذى تمكن منه ولم يتب إلى الله وظل على عناده واستكباره وأنكر مقولته الأولى فى وصف كلام القرآن وعاد ليقول إنه لقول بشر . وأن شخصاً ماهو الذى أملاه على الرسول (ﷺ) فاستحق عقاب الله .

ومنطق (بنى إسرائيل) لايختلف عن منطق قوم عاد أو منطق أبى لهب أو منطق إبليس أو منطق الوليد بن المغيرة . فالكفر والجحود بآيات الله وآلائه ونعمه هو الذى يطمس العقول ويطبع على القلوب.والاستكبار والاستعلاء على خلق الله هو الذى يوجب العقاب الإلهى . ولما كانت سُنَّة الله فى خلقه لا تتبدل ولا تتغير **فإن الجزاء يأتى من جنس العمل** . فالإفساد والإضلال والاستكبار يستوجب العقاب . والدمار والهلاك خير جزاءٍ للعلو والإفساد فى أرض الله :

*استكباراً فى الأرض ومكر السيىء (كيد السوء) . **ولا يحيق (يحيط وينزل) المكر السيىء إلا بأهله** . فهل ينظرون الإ سنة الأولين (السابقين). فلن تجد لسنة الله تبديلا. ولن تجد لسنة الله تحويلا . أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة. **وماكان الله ليعجزه من شيءٍ فى السماوات ولا فى الأرض . إنه كان عليما قديرا**[35].

وعودة إلى سورة الإسراء والآيات التى تخبرنا بوعد الله ووعيده لبنى إسرائيل لنتدبر مافيها من أحكام ونستخلص منها ملابسات الوعد الثانى والأخير حيث يقول جل شأنه :

*إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإنّ أسأتم فلها[36].

أى إن آمنتم وصدقتم أن ما أنتم فيه وأصبحتم عليه من قـــوة ماديـــة وبشرية (أموال وبنين) وصوت يصل ويؤثر فى أسماع العالم يعززه قـــوة السلاح ويؤيده بطش وعلو واستكبار (أكثر نفيرا) كل هذا هو من فضـل الله عليكم . فإن أحسنتم **فى حياتكم ولم تتكبروا ولم تطغوا ولم تجحدوا نعــم الله عليكم . فسيكون مرد ذلك عليكم بالخير والنعم وأهمـــها الأمـن والأمـان والسلام والرحمة من الله . أما إن أسأتم بالكفر والجحود والطغيان فستكون العاقبة عليكم وبالاً وهلاكاً وتدميرا :**

*فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم (ليخزوكـــم) وليدخلـوا المســجد (المقدســات والحرمات) كما دخلوه أول مرة وليتبّروا (ليدمــروا) مــاعلوا تتبيرا [37].

وستكون أدة تنفيذ الوعد الإلهى هى عباد الله المخلصين المؤمنيـن (**كما حدث أول مرة**) يذيقونكم سوء العذاب الذى ستظهر آثاره على مقدســاتكم وحرماتكم ودياركم حيث يستبيحونها كماحدث من قبل . فسيكون – بإذن الله – السبْى والتقتيل من نصيبكم . وكل ما يستولون عليه منكم غنيمـــة للمســلمين وفىء من الله سيزهدون فيه ويتركونه للدمار والهلاك **لأن هــدف عبــاد الله الذى وهبوا له أنفسهم وهبّوا من أجله ملبين نداء الله فيكم هـــو تدمــيركم والقضاء عليكم وعلى كل أثر لكم فلا تقوم لكم قائمة بعد ذلك أبداً ولا يكــون لكم ذكراً وتعودوا إلى الشتات كما كنتم من قبل وستكون مدنكم أطلالاً تنعــى ذكراكم :**

*عسى ربكم أن يرحمكم . وإن عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكـــافرين حصيراً (مهاداً)[38] .

عسى ربكم أن يرحمكم إن كنتم تســتحقون تلــك الرحمــة. وكيــف تستحقونها وأنتم لم تتركوا نقيصة إلا وفعلتموها . ولم تخــترعوا وتبتكــروا جريمة إلا وارتكبتموها . ولم تتفننوا فى أذىً إلا ومارستموه.**فالرحمة فــرض مستبعد عليكم ويكاد يكون مستحيلا لأنكم لا تستحقونها** . وبفرض خطــأ ذلك الافتراض منا وكونكم عدتم إلى الله بالتوبة والإنابة . فــإن رحمــة الله واسعة . ولكنكم لن تفعلوا ذلك جحوداً واستكباراً ولذا فمصيركم فى الدنيا هــو التدمير والهلاك (وإن عدتم عدنا) أما فى الآخرة فلا مصير إلا الجحيم حيـث تكون لكم فراشا ومهاداً وغطاءً مع أعدائكم الأقدمين . فرعون وهامان:

*إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتّح لــهم أبــواب الســماء ولايدخلون الجنة حتى يلج (يدخل) الجمل فى سمّ الخياط (ثقــب الإبــرة) وكذلك نجزى الظالمين[39] .

هذا هو أمر الله فى بنى إسرائيل الذى قضاه عليهم فى القرآن الكريم . إفساد كبير يحدث مرتين . فى المرة الأولى يبعث الله عليهم عباداً له أولــي بأس شديد . مؤمنين وموحدين لايخافون فى الله لومة لائــم . ولا يــهابون الموت بل يطلبونه ثمناً للجنة التى تتشوق إليهم لتضمهم بين أرجائها الفسيحة ودرجاتها العلى . ومن صفاتهم البأس الشديد والصبر عند الحرب والصــدق عند اللقاء يسعون إلى الشهادة فى سبيل إعلاء كلمة الحق والدين فدانت لــهم الدنيا ومافيها . جاسوا خلال ديار اليهود بعون الله وتوفيقه فدمروا حصونــهم وقتلوا مقاتليهم وسبوا نساءهم . وغنموا أموالهم وأرضهم وأرضاً لم يطؤهــا من قبل وكان نصر الله عظيما وفىء الله كبيراً . صدقوا ماعاهدوا الله عليــه

من النفرة والجهاد فى سبيله تعالى . لم يتقاعسوا ولم يتباطأوا ، ثقتهم بنصر الله ووعده كبيرة وكانت المحرك الأول والدافع الأكبر للخروج جهاداً فى سبيل الله ولإعلاء كلمته . طاعةً وامتثالا . حباً لله وفى الله . كانت صدورهم عارية إلا من الإيمان يلاقون أعدائهم بصبر وجَلَد وعزم وإقدام . بقوة وشجاعة . فتحقق وعد الله بهم وعلت راية الإسلام والإيمان بين أيديهم . ودانت لهم الأمم والممالك . وأذلوا أعداء الله والدين . بدأوا بمشركي مكة ثم الأحزاب واليهود . قهروا أعتى الأمم والامبراطوريات والممالك **وكان عددهم أقل بكثير من قوات أعدائهم . وسلاحهم القليل كان بأيديهم أمضى من أسلحة الشرك والوثنية والإلحاد على كثرتها وتنوعها . كانت قوتهم وعظمتهم فى إيمانهم الذى ذلل لهم الصعاب وحقق لهم ماكان مستحيلا .**

- قد يقول قائل أن ماذُكر فى وعد أولاهما لم نلاحظ دخول المؤمنين المسجد ولا مقدسات اليهود (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) . ورداً على ذلك نقول :

فى حياة النبي (ﷺ) كما ذكرنا تم وعد الله الأول (وكان وعداً مفعولا) حيث تم تدمير حصون بنى إسرائيل وسَبْيهم واتخاذ أموالهم وممتلكاتهم وأراضيهم غنيمة للمسلمين. وتم كسر شوكتهم في سلسلة متواصلة الحلقات والمعارك بدءاً من غزوة بنى قَيْنُقَاع ثم غزوة بنى النضير ثم غزوة بنى قُرَيظة ثم غزوة خَيْبر وفَدَك وتَيْمَاء ووادي القرى . وانتهت سطوتهم تماما فى الجزيرة العربية ودالت دولتهم وسلطانهم فرحل أغلبهم إلى الشام وبقى القليل فى خيبر وغيرها تحت إمرة وسلطان وقهر المسلمين وكان النبي (ﷺ) قد صالحهم (وقت حصار حصنى الوطيح والسُلالم) على نصف أموالهم ونصف ثمار خيبر سنويا مقابل عملهم بفلاحة الأرض ورعاية الزرع

والشجر المثمر . وكذلك فعل النبى (ﷺ) مع يهود فَدَك أما يهود تُيْمَــاء فقــد قبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال (مع نزع سلاحهم تماما) وأوصى النبى (ﷺ) معاذ بن جبل بألا يفتن اليهود عن يهوديتهم ولم يفرض الجزيـــة على يهود البحرين وإن ظلوا على يهوديتهم وصالح بنى غازية وبنى عريض على أن لهم الذمة (والحماية) وعليهم الجزية . **وتضعضع مركز اليهود فـــى بلاد العرب حتى اضطروا إلى مهاجرة تلك البلاد وكانوا من قبل بها أعـزة . وتم جلاؤهم فى حياة الرسول (ﷺ) وبعد وفاته فى عهد أبى بكـــر وعُمَــر (رضي الله عنه)حيث أجلى عمر بن الخطاب يهود خيبر إلى أذْرُعات وغيرها عــام 20هـ وأجلى يهود نجران إلى الكوفة وقسم وادى القــرى ونجــران بيــن المسلمين** (هؤلاء اليهود لم يكن لهم عهد مع النبى ﷺ) وفى عهد أبى بكــر الصِدّيق كانت فلسطين من نصيب عَمْرو بن العاص. أما فى عهد عُمَر بـــن الخطاب فقد تم فتح جميع المدن الكبرى مثل نابلس واللدّ وعمـــواس وبيــت جرين والمدن المحيطة ببيت المقدس ثم حاصروا القدس فتحصن أهلها بالقلعة وظلوا يقاتلون . وفى تلك الأثناء منّ الله على فيلق أبو عَبيدة بن الجرّاح بفتـح أقاليم الشام ثم انضم للقوات المسلمة حول بيت المقدس فخارت قــوى أهلــها وطلبوا الصلح على أن يتم مع الخليفة عُمَر بن الخطـــاب بنفســه . **ووصــل الخليفة الراشد إلى بيت المقدس ودخلها . وعقد مع أهلها الصلح ودخـــل المسجدالأقصى ومضى نحو محراب داود وقرأ آية الســـجدة مـــن ســورة (ص).ثم أتى كنيسة النصارى وظل يتجول هنا وهناك** . وحضرته الصـــلاة وهوداخل الكنيسة فأقام الصلاة خارج ساحة الكنيسة فى مكـــان أصبــح الآن مسجداً يسمى (مسجد الصخرة)[40].

وسميت وثيقة الأمان مع أهلها بيت المقدس.(**بالعهدة العُمَرية**) التى نصت فى أحد بنودها على :

ولايسكن بإيلياء (القدس) معهم أحدٌ من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم (الرومانيين) واللصوص .

ولم يجرؤ اليهود طوال حكم الخلفاء الراشدين على الإقامة فى القدس . وهكذا كان الوعد الأول سلسلة متصلة ومتواصلة الحلقات من تدمير حصون ومعاقل اليهود وكسر شوكتهم واستئصال شأفتهم ودحر سطوتهم التى ظنوا أنها مانعتهم من الله ومن المسلمين . **وجاس المسلمين خلال ديار الزور والبهتان وديار الكيد للإسلام والمسلمين ودخلوا المسجد الأقصى (الأول أو القديم) أول مرة بعدما دخله النبى (ﷺ) فى حادثة الإسراء . دخلوه مع الفتح العربى الإسلامى للشام ودمروا ماعلا من الحصون والقلاع واستباحوا حرمات أعداء الله والدين .**

ووعد الآخرة أيضا سيدخل المؤمنون الموحدون – بإذن الله – المسجد الأقصى كما دخله السلف الصالح آمنين مرفوعى الجباه وسيدمروا –بعون الله – ماسوف يلاقونه أمامهم من حصون وقلاع ويستبيحون – بفضل الله– كل الحرمات والمقدسات اليهودية التى أحدثوا فيها من البدع والخرافات وأمور شِركية ووثنية بعيدة عما جاء به رسل بنى إسرائيل ونبى الله وخاتم المرسلين محمد (ﷺ) .



*لاتقوم الساعة حتي يقاتل الملسمون اليهود . فيقتلهم المسلمون . حتى يقول الحجر والشجر :يامسلم . ياعبد الله . هذا يهودى خلفى فتعال اقتله . إلا الغَرْقد فهو من شجر اليهود.

وهذا الحديث رغم أنه مشهور لدى كافة المسلمين إلا **أنه من أحاديث الإسرائيليات المدسوسة على السنة المطهرة** والتى قُصد بها تخاذل المسلمين وتواكلهم على أن يساعدهم الحجر والشجر . وفيم ؟ وعلام ؟ فى أن يدلهم على وجود يهودى خلفه . رغم أن اليهود مكانهم معروف لاحاجة بنا إلى دليل أو معين يدلنا عليهم حتى نحاربهم .

وبنظرة متأنية ومتدبرة نجد أن الحجر والشجر فى الحديث المنسوب - زوراً - للنبى (ﷺ) لم يقوما بمساعدة النبى (ﷺ) نفسه ولا المسلمين فى معاركهم وحروبهم ضد اليهود وغيرهم . ففى غزوة الخندق (الأحزاب) كان الحجر عنيداً وصلداً لدرجة أجهدت النبى (ﷺ) عند محاولة تفتيته بمعوله حين أعترض مسار حفر الخندق حول المدينة المنورة لمنع دخول قوات الأحزاب (مشركى العرب واليهود من ورائهم) إلى المدينة المنورة للإجهاز على الجماعة المسلمة . والحجر هو الذى أدمى قدمي النبى (ﷺ) الشريفتين عندما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام حيث سلط الكفار الأطفال والسفهاء كى يؤذوا النبى (ﷺ) ويقذفونه بالحجارة حتى أكرهوه على مغادرة مدينة الطائف دون أن يستجيبوا لنداء العقل والروح . والشجر هو الذى يُصنع منه الحراب والنِبال. **ولم يتكلم الشجر ولا الحجر عند محاربة المسلمين لليهود فى غزوة خيبر – وغيرها – ولم ينبِّها النبى (ﷺ) والمسلمين الأوائل (وهم الأَوْلَى منا بذلك . إن كان الأمر صحيحا) بأن هناك يهودى** (أو أكثر) **يختبئ خلف الجُدُر والحصون** وأنه سيقذف

المسلمين بالحراب والنبال فيصيب بها من أصاب من الصحابة والمسلمين. فيُجرَح بها من يُجرَح ويُستَشهد من يُستَشهد . وهذا الحديث المدسوس على النبى (ﷺ) لايراد به خيراً للمسلمين رغم أن ظاهره يوحى بذلك . **وإنما هى دعوة مقصودة للتراخى والتكاسل والتواكل .**

والله جل علاه لايريد من المسلمين ذلك بل يحثهم على اليقظة والحذر والحيطة دائما والاحتراس من أعدائهم :

***وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . ترهبون به عدو الله وعدوكم[41].**

***ياأيها الذين آمنوا خذوا حِذْركم . فانفروا ثبات (فرادى) أو انفروا جميعا[42].**

ودعوة الله للمسلمين هى اليقظة والجدية والحذر والاستنفار للجهاد فى سبيله وسبيل إعلاء كلمة الحق والدين دون تكاسل أو تراخٍ أو تواكل مثلما فعل بنى إسرائيل من قبل مع موسى (عليه السلام) حينما تعللوا – عند دعوته للقتال ودخول الأرض المقدسة -بأسباب كثيرة أهمها تزعزع إيمانهم بالله . وحبهم الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة . وخوفهم من الموت والأعداء.وإذا **كان هناك من هم أَوْلَى من مسلمى اليوم بمساعدة الحجر والشجر لكان النبى (ﷺ) وصحبه الكرام هم أُوْلَى بذلك منا .** يشهد لهم صدق إيمانهم وتقواهم لله وطاعتهم والعمل بماجاء به الدين الحنيف حتى أن الله جل علاه مكنهم فى الأرض فدانت لهم الأمم والممالك شرقا وغربا . ونصرهم الله بالرعب مسيرة شهر كماورد فى الحديث الصحيح :

*أعطيت خمساً لم يُعطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلـــى.**نُصـــرت بـــالرعب مسيرة شهر** وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهورا. وأيما رجـــل مـــن أمتـــى أدركته الصلاة فليصل (مكانه). وأُحلت لى الغنائم . وكان النبى يُبعث إلـــى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة(43).

وبنو إسرائيل يدركون كل تلك الحقائق أكثر من المسلمين . ويدركون تماما أن وعد الله حق . والوعد الأخير من الله آت لامحالة ولاريـــب فيـــه ولاشك . وكل ما يقومون به الآن – وقبل الآن– هو الفرقة بين المســـلمين وتصدير الخوف إليهم وتشتيت مجهودهم فيما لاطائل منه .يحاولون تأجيل – أو منع – أمر الله دون أن يفكروا إطلاقا فى التوبـــة والرجـــوع إلـــى الله . يختارون الطريق الأصعب رغم أنه لا يؤدى إلا إلـــى لاشـــىء . ويـــتركون طريق الهدى والرشاد والاستقامة الذي فيه النجاة لـــهم . يتبعـــون أهوائـــهم ويتعقبون خطوات الشيطان فأصبحوا هم شياطين الإنس ولا يسلكون طريـــق الرحمن ليرحمهم . فقد جاءتهم الرسل والأنبياء والرسالات على مدار حياتـــهم وعهودهم فلم يؤمنوا حق الإيمان بالله والرسالات بل عمدوا إلـــى الاســـتعلاء والاستهزاء بكلمات الله وشريعته فحذفوا منها وغيروا وبدلوا وضلوا وأضلـــوا وفسدوا وأفسدوا بما يفوق الشيطان نفسه . ورغم هذه العلو المادي والمـــالي والعسكري فلم يهنأوا أو ينعموا بالأمن والأمان . فلا الثروات والأموال التـــي بحوزتهم وتتدفق عليهم (تبرعات وإعانات وابتزازات) تشبع نهمهم المـــتزايد للتملك والاستحواز . ولا السلاح الذى يكدسونه داخل المعـــاقل والحصـــون ييعطيهم الأمن وراجة البال والاطمئنان علـــى حياتـــهم . ولا الأرض التـــى اغتصبوها ترضى نهمهم المتزايد للتوسع علىَ حساب الآخرين بـــل يســـعون للتنكيل بجيرانهم العزل من القوة والسلاح **ويظنون أن كل أرض وطأوها هـــىَ أرض تخصهم يحق لهم ملكيتها .** فأرض مصر التى عاشوا فيها قرون (منذ

دخول يوسف (عليه السلام) وأهله حتى خروجهم مع موسى (عليه السلام) وأرض فلسطين (كنعان) التي عاشوا فيها بضعة قرون وأرض بابل وآشور (العراق) التي آوتهم أيام السَبْي الآشوري والبابلي . **كل تلك الأراضي التي آوتهم وعاشوا فيها فترات من حياتهم اعتبروها مِلْكاً لهم فأعلنوا** : من النيل (بمصر) إلى الفرات (بالعراق) أرضك يا إسرائيل.يطلبون لأنفسهم الحياة وينكرونها على الآخرين . و(الآخرين) هم العرب عموما والمسلمون تحديدا . عداؤهم للإسلام والمسلمين منذ بعثة النبي محمد (ﷺ) وتكليفه بالرسالة وإلى الآن عداءً مرده الأحقاد والغل والضغينة التى سكنت قلوبهم ونفوسهم أن كان آخر الأنبياء والمرسلين من نسل إسماعيل (عليه السلام) لا من نسل يعقوب (عليه السلام) كماتمنوا وانتظروا وكأنهم يقسمون رحمة الله:

* أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا(44).

فهذا هو أمر الله فى ملكوته . هو وحده -سبحانه- المتحكم فيه والمهيمن عليه . ماشاء كان . ومالم يشأ لم يكن . فمن أطاع وصدق الرسل والرسالات كان بمنجاة من عذابه وبطشه جل علاه . ومن عصى وكذب فليس له إلا بطش الله وغضبه . والغيب الذى كشفه لنا الله سبحانه فى سورة الإسراء وسورة الأعراف والأمر الذى قدّره الله هو وحده -سبحانه -القادر على تحقيقه لاراد له وليس من دونه كاشف **وهو الأمر المحقق – بإذن الله – سواء أبينا أم رضينا . بنا أم بغيرنا (بهذا الجيل أو بغيره)** فالله قادر على نفاذ ما وعد وتوعد وهو على كل شىء قدير :

***إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شيءٍ قَدْرا[45]**

والله حين ينبئنا بذلك الغيب لم يحدد له موعداً وتاريخا محدداً وإنما وضع شروطا وظروفا يتم بموجبها التحقيق:

فقد أمد اليهود بأموال وبنين . وجعلهم أكثر نفيرا . أفسدوا في الأرض كثيراً بعد علوٍّ واستطالة واستعلاء على كافة شعوب الأرض خصوصا المسلمين منهم . **ويتبقى شرط أخير الله أعلم بموعد وزمن حدوثه . ألا وهو ابتعاث عبادٍ لله مؤمنين وموحدين وطائعين له . ولا يخافون لومة لائم في الحق ولايهابون الموت . أولي بأس شديد . واثقين في نصرة الله لهم . واثقين في وعده الذى قطعه -سبحانه – على نفسه:**

*ومن أوفى بعهده من الله[46].

*ومن أصدق من الله قيلا[47].

بالطبع لأحد .

ولكن لماذا يشكك المتشككون في وعد الله ووعيده والشواهد كثيرة على تحقيق وعد الله ووعيده . **ففى التوراة والزبور والإنجيل الكثير من النبوءات وأخبار المستقبل التى تحققت وتتحقق وفى القرآن الكريم العديد من النبوءات التى تحققت أيضا وتتحقق كل حين وآن** . وعلى سبيل المثال قوله تعالى :

*ألم . *غلبت الروم *في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سيَغْلبون *في بضع سنين . **لله الأمر من قبل ومن بعد** . ويومئذ يفرح المؤمنون *بنصر الله. ينصر من يشاء . وهو العزيز الرحيم ***وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون**[48].

وقد تحقق وعد الله ونصره للروم (الكتابيين) على الفرس (الوثنيين). فى تسع سنين (بضع سنين) بعدما كان الفرس (المجوس)هم المنتصرون على الروم (وهم أهل كتاب من النصارى) .

وغير ذلك كثير من النبوءات التى يعلمنا بها العليم الخبير القادر على كل شيء دون مسببات أو أسباب . **فسبحانه هو رب الأسباب كلها . ووعده دائماً وأبداً – هو الحق :**

***ولا ينبئك مِثْلُ خبير**[49].

***والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون**[50]



الهوامش

[1]) سورة التوبة : 11،112

[2]) سورة محمد : 38

[3]) سورة النور :55

[4]) سورة المائدة : 54

[5]) سورة آل عمران : 86–88

[6]) سورة الأحقاف : 10

[7]) سورة الإسراء : 58

[8]) سورة الحج : 45

[9]) سورةالحج : 48

[10]) سورة آل عمران : 178

[11]) سورة آل عمران : 181

[12]) سورة المائدة : 64

[13]) سورة آل عمران : 112

[14]) سورة المائدة : 70

[15]) سورة البقرة : 116

[16]) سورة المائدة : 64

[17]) سورة الأعراف : 167

[18]) سورةآل عمران : 187

[19]) سورة البقرة : 211

20) سورة البقرة : 85

21) سورة المائدة : 64

22) سورة المائدة : 26

23) سورة يوسف : 110

24) سورةالإسراء : 4-8

25) سورة الإسراء : 104 ، 105

26) سورة البقرة : 96

27) سورة الرعد : 41

28) سورة يوسف : 21

29) سورة النمل : 14

30) سورة الحشر :2

31) سورة فصِّلت : 15

32) سورة البقرة : 114

33) سورة الأعراف: 12

34) تفسير القرآن الكريم : (القرطبى) المجلد العاشر تفسير سورة المدثر .

35) سورة فاطر : 43 ، 44

36)سورة الإسراء : 7

37)سورة الإسراء :7

38) سورة الإسراء :8

39)سورة الأعراف : 40 ، 41

40) سيرة الفاروق : (شبلى النعمانى) ص 121

41) سورة الأنفال : 60

42)سورة النساء : 71

[43])البخارى : المجلد الأول جـ1 ص 87 ، 88 (بحاشية السندى)٠
جوامع الكلم : (صلاح الدين التجانى) ص130 ح (983) ٠
وورد الحديث برواية أخرى : عن ابن عباس عن النبى (ﷺ) :

أُعطيت خمساً لم يُعطهن نبىٌّ قبلى – ولا أقولهن فخراً – بُعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود . ونُصرت بالرعب مسيرة شهر . وأُحلّت لى الغنائم ولم تُحلّ لأحد قبلى . وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهورا . وأُعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتى فهى لمن لا يشرك بالله شيئاً .

مسند الإمام أحمد : جـ1 ص 301 طبعة الحلبى & حديث رقم 2742 (طبعة المعارف)

وروى الحديث أيضا عن عبد الله بن عمرو بن العاصْ قال رسول الله (ﷺ) :

لقد أُعطيت الليلة خمساً ما أعطهن الله أحدٌ قبلى . أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة . وكان مَنْ قبلى إنما يُرسل إلى قومه . ونُصرت على العدو بالرعب . ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملىء منه رعباً . وأُحلت لى الغنائم آكلها وكان مَنْ قبلى يعظّمون أكلها . كان يحرقونها . وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً . أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت . وكان مَنْ قبلى يعظمون ذلك إنما كان يصلون فى بيعهم وكنائسهم . والخامسة هى ماهي . قيل لى : سل . فإن كل نبى قد سأل . فأخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم . ولمن يشهد أن لا إله إلا الله .

(مروى فى مسند الإمام أحمد جـ2 ص 222 (طبعة الحلبى) والحديث رقم 7068(طبعة المعارف) .

وقال الحافظ ابن كثير : اسنادهما جيد قوى .

وروى الإمام أحمد بمعناه عن أبيْ عمر وأبى موسى . وهو ثابت فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله الأنصارى وذلك فى صحيحه :

مسند الإمام أحمد : 8 – كتاب الصلاة & 56 – باب قول النبى . (ﷺ) جَعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً .

البخارى : حديث رقم 231 .

صحيح مسلم : 5– كتاب المساجد ومواضع الصلاة . حديث رقم 3 (طبعة مؤسسة التاريخ العربى – بيروت)

سنن الدارميّ : 17 – كتاب السير & 28 – باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا ونصه :

عن أبى ذر (الغفارى) أن النبى (ﷺ) قال :

أُعطيت خمساً لم يُعطهن نبى قبلى . بُعثت إلى الأحمر والأسود . وجُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً . وأُحلت لى الغنائم ولم تُحلّ لأحدٍ قبلى. ونُصرت بالرعب شهراً يرعب منى العدو مسيرة شهر . وقيل لى : سل . تعطه . فاختبأت دعوتى شفاعة لأمتى وهى نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لايشرك بالله شيئاً .

44) سورة الزخرف : 32

45)سورة الطلاق : 3 .

46) سورة التوبة : 111 .

47)سورة النساء : 122 .

48)سورة الروم:1–6 .

49)سورة فاطر : 14.

50)سورة يوسف : 21.

الفصل التاسع

وبعد

كتاب الله والادعاء بالحق

التاريخي والديني

عن الحارث قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحـاديث . فدخلت على (عليّ) فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خـاضوا في الأحاديث ؟ قال : وقد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال : أما إني قـد سـمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ألا إنها تكون فتنة . قلت : ما المخـرج منـها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله . فيه نبأ ما كان قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله . ومـن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهـواء . ولا تلتبـس بـه الألسنة ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلق (أي يعجز) على كثرة الـرد . ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتـى قـالوا (إنـا سمعنـا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به) . مـن قال به صـدق . ومن عمل به أجِر ومن حكم به عدل . ومن دعا إليه هُدِيَ إلـى صـراط مستقيـم[1]:

وفي رواية أخرى جاء فيها :

*عن الحارث قال : دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون فى أحاديث . فدخلت على (عليٍ) فقلت : ألا ترى أن أناسا يخوضون فى الأحاديث فى المسجد فقال : قد فعلوها ؟ قلت : نعم . قال . أما إنى سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: ستكون فتن. قلت : وما المخرج منها ؟ قال :

كتاب الله . فيه نبأ ما قبلكم . وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . هو الذي من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . فهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلُق عن كثرة الرد . ولا تنقضى عجائبه . وهو الذي لم ينته الجن إذْ سمعته أنّ قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا) . هو الذى من قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن عمل به أُجِر . ومن دعي إليه هُدِىَ إلى صراط مستقيم [2] .

ويقول سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل :

- **إنّ هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون *** وإنه لهدىً ورحمة للمؤمنين * إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم[3] .

هذا هو وصف كتاب الله الحكيم الذي اتخذته – فى دراستنا هذه – حَكَماً عدلاً وهادياً لإحقاق الحق والحقائق وإزهاق الباطل والأساطير والخرافات.اتخذته فرقانا وفيصلاً بين الآراء والأهواء . بين الحقائق والأباطيل . بين الصدق والكذب والادعاء . بين شهادة العدل والزور والبهتان والضلال .

آثرت أن يكون هذا هو منهجي ومرجعي الأخير لتصحيح الكثير من المفاهيم التي شاعت وتشيع بين الناس فى كافة العصور والدهور وفى كافة البقاع والأصقاع . وحين أشرت إلى ذلك فى بداية هذه الدراسة الموسوعية (منهج البحث) كنت أدرك أن كثيراً ممن قرأ ذلك سيتهمنى بالغرور أو القصور أو بأنني أحاول تأويل كلمات الله – أعاذنا الله من ذلك – حسب هواى ومرادي للوصول إلى نتائج معينة أسعى إليها . والآن وبعد طرح كافة القضايا التاريخية والدينية المتعلقة ببني إسرائيل هل مازالت تلك الاتهامات تصمني وتعلق بى دون بينة أو دليل ؟ أم أن الحقيقة باتت الآن واضحة وساطعة لا يحجب ضياءها حائل . لن أزكي نفسي بل أقول متواضعا أنني أعلم أن دراستي هذه ستجد من يعارض بعض ما جاء فيها من اجتهادات (هى الحقيقة بعينها) إما لمجرد حب الاعتراض أو استنكاراً لما جاء بها من الحقائق التي دمغت الكثير من الأباطيل وكشفت العديد من الترهات والخرافات الشائعة بين كثير من الناس .

ومعذرة إذا كانت نبرة كلماتي قد بدت ساخنة وشديدة وحادة فى بعض المواقف لكنني – ويعلم الله ذلك – آثرت من البدء وحرصت أشد الحرص على أن تكون دراستي موضوعية إلى أبعد الحدود ومحايدة قدر الإمكان وبعيدة عن الإطناب والسفسطة والتهوين والتهويل والتجني . حرصت أن أكون عادلاً ما وفقني الله إلى ذلك سبيلا .

وتحاملي على بنى إسرائيل فى بعض المواقف ليس تحاملا وتجنياً على أتباع الدين اليهودي (وهم أهل كتاب وشريعة) وليس مقصوداً لذاته أو معنياً ومقصوداً به التجريح أو الاحتقار أو الاستعلاء دون مبرر . وإنما كان ذلك نابعا – وبصدق – من الأسى الذي يعتمل بداخلي كلما جابهت أفراداً أو

مجتمعات تلغى أهم ما يتميز به الإنسان على سائر مخلوقـــات الله ألا وهـــو العقل والإدارك والفكر . العقل الذي يهدى ويضل صاحبه .يرفـــع ويخفــض الشأن والمنزلة . العقل الذي لو تخلى عنه الإنسان للحظـــة أصبـــح يتصـــف بالحيوانية والبهيمية (أوالبوهيمية) حيث يغلب الهوى وتطغـــــى الغرائـــز . وبالعناد والاستكبار والغلو يصبح الفكر والإدراك والتوجهات كله معطوباً يناله الخلل .فالاستقامة على أمر ما منهاجه الفكر القويم الصائب . أما التخلي عـــن قيادة العقل والتنازل عنه للهوى فإن ذلـــك يفتـــح النوافـــذ والأبـــواب علـــى مصراعيها لنزغ الشيطان وكيده وإضلاله . فتضيع المبادئ والقيم . وتُـــهمل الشرائع وتنحدر السلوكيات حتى يصبح الإنسان دون منزلة الأنعام . وكما في الأفراد يحدث ذلك أيضاً في المجتمعات والأمم . فيقول قائل (منهم) لمـــاذا يضطهدني الغير دونما سبب واضح . ولماذا يزدريني الآخرون هكذا . بينمـــا لو أمعن الفكر قليلا لوجد أن الأسباب كثيرة هي التي دعـــت لذلـــك ولكنـــها الغشاوة التي تعمى الأبصار وتذهب بالعقول هي التي تعتبر المسئولة عن ذلك الاضطهاد المزعوم .

وبنو إسرائيل – كغيرهم من البشـــر – فـــى كـــل العصـــور ليســـوا مضطهدين لذاتهم دونما سبب وإنما الأسباب كثيرة (يرجى مراجعة الفصليـــن الرابع والخامس) . وهى أسباب جادة وواقعية وموضوعية لا افتراء ولا تجن فيها إطلاقا . **فما من شعب نال الاهتمام والرحمة والتوجيه من الله جل شأنه قدر ما نال هذا الشعب العاق والمتبطر على النعم والمتغطرس علـــى كافـــة الشعوب والأجناس :**

***وإذْ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذْ جعل فيكم أنبيـــاء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين [4].**

ونحن البشر إذا ما أصابنا عقوق ممن هم دوننا (أبناء أو خدم مثـلا) فإن النفس تكون ساخطة غير راضية . ولله المثل الأعلى . فقد منـــح بنـــى إسرائيل الكثير والكثير من النعم والآلاء . وكان مقابل ذلـــك كلـــه الجحـــود والنكران والإعراض والكفر بدلا من الحمد والشكر والتسبيح . والله جل شأنه غنى عن عباده ومخلوقاته . بل نحن الفقراء إليه وإلـــى عطائـــه ورحمتـــه ورضوانه جل علاه :

***يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله . والله هو الغنى الحميد[5].**

ولايزيد شكر العبد وحمده لله فى ملكوت الله شيئا . ولا ينقص أيضـــا كفره وجحوده من ملكوت الله شيئا :

***إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ٠ وإن تشكروا يرضه لكم[6] .**

وهو القادر سبحانه على إهلاكنا جميعا متى شاء وكيفما شاء . مـــن أعرض عنه – سبحانه – فله سوء العاقبة والمنقلَب . ومن أطاع واهتدى فلـــه الدرجات العلي فى الدنيا والآخرة . ولأنه سبحانه كذلك فليس لنا إلا الزلفـــى إليه والامتثال لأوامره وشرائعه التي ما أنزلها لنا إلا لينصلح حالنا ويحســـن مآلنا وتستقيم به الحياة والأمور . أما إذا تنكبنا الطريق المستقيم الـــذي فيـــه خيرنا وصلاحنا وانتهجنا طريق الشر والغواية والضلال فإنه سبحانه :

*** إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز[7] .**

وهذا هو ما حدث بالضبط لكل الأمم السابقة التي أهلكها الله وأبادهـا واستبدلها بأمم أخرى . فأين هم الفراعين . وأين هم الآشـوريون والبـابليون والفرس والتتار والمغول وغيرهم . وأين هم أقوام عاد وهود وشعيب ولوط . لقد كان من الأحرى ببني إسرائيل أن يكونوا أول الطائعين لله جل شأنه لكثرة نعمه عليهم (انظر الفصل السادس) وتفضيله لهم على الأمم التي عاصرتـهم . حتى أنهم ظنوا وروجوا وأشاعوا حتى صدقوا ما أشاعوه بأنهم مفضلـون ومميزون على باقي البشر مهما فعلوا وأساءوا وأضلوا إلى يـوم القيامـة . واعتقدوا أن غضب الله عليهم غير وارد . وعقابـه لـهم غـير محقـق أو مستوجب . وكأن لديهم العهود والمواثيق من الله بذلك :

* وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . **قل اتخذتم عنـد الله عـهداً فلـن يخلف الله عهده . أم تقولون على الله ما لا تعلمون** * بلى من كسب سـيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون [8] .

*ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات . وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون[9].

* وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . تلك أمانيـهم . قـل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين [10].

*وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه .قل فلم يعذبكم بذنوبكم بـل أنتم بشرٌ ممن خلق . يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. و لله ملك السـماوات والأرض ومابينهما وإليه المصير[11].

*قل يا أيها الذين هادوا إنْ زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين *ولايتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين [12].

وهذا هو منتهى عدل الله فيهم وفى غيرهم من الأمم. ولأنهم قد اغتروا كثيراً بأمانيهم فى الانعتاق من عذاب الله . فالله يحذرهم من فساد ذلك الاعتقاد .

* قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون *متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بماكانوا يكفرون (13).

*إن وعد الله حق . فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (14) .

إن ما يفعلونه فى كل زمان ومكان لا يستوجب الأسف عليهم لأنه :

***قل كل يعمل شاكلته . فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا**(15).

وإذا **مانظرنا** إلى ادعائهم بأن لهم (**حق تاريخي**) في أرض فلسطين فهذا الادعاء مردود عليه (يرجى مراجعة الفصول الأول والثاني والثالث والسادس) بأنه لو أخذنا بمنطقهم فى ذلك في أن الأرض التي جابوها شرقا وغربا وأقاموا فيها بعض الوقت على مدار تاريخهم يستوجب ملكيتهم لتلك الأرض (العراق – سوريا – فلسطين – الأردن – مصر) مدعين أن ملكهم هو من النيل إلى الفرات . لو أخذنا وطبقنا **هذا المنطق المغلوط** فإن مصر على وجه التحديد ملكيتها – بناء على ذلك – تمتد من العراق شرقا ومنطقة الشام بأكملها والسودان جنوبا حتى الحبشة وغربا لحوالي ثلث ليبيا . لأن الامبراطورية المصرية القديمة أخضعت تلك البلدان والممالك لسيطرتها عشرات القرون (امبراطورية أحمس الأول وتحتمس الثالث وما قبلهم وما بعدهم) **وأصبحت كل هذه الأراضي تابعة لمصر وتشكل أطراف وأجزاء الامبراطورية المصرية القديمة . وتلك السيطرة والهيمنة كانت لقرون تفوق إقامة بنى إسرائيل بفلسطين** . وإذا ما طبقنا نفس المنطق الإسرائيلي المغلوط

فإن **الامبراطورية العربية الإسلامية** في مشارق الأرض ومغاربها (من حدود الصين والهند شرقا إلى أسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا غربا . ومن حدود القوقاز شمالا حتى أواسط أفريقيا جنوبا) لقرون طويلة تنشر دين الله وحكمه العادل بين الشعوب بعدما حررت تلك البقاع المترامية من عبادة وسيطرة وحكم البشر إلى عبادة رب المخلوقات جميعها وشريعته السمحاء التي فاضت بالخير والرحمة والعدالة في كل تلك الأرجاء (لم تكن امبراطورية استعمارية أو استغلالية وإنما تحررية) **وبالقياس فإنه يكون من حق العرب والمسلمين المناداة بعودة تلك الأصقاع والبلدان – كحق تاريخي – لهم فتعود الأندلس (أسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا) وكذلك دول الجوار حتى بحر قزوين والبحر الأسود وغيرها من بلدان آسيا وأفريقيا .**

إن منطق بنى إسرائيل المغلوط هذا غير واقعي ولا يمكن الأخذ به لأن الألمان حينما حاولوا تطبيق هذا المبدأ واستولوا على دول الجوار (بولندا وغيرها) بحجة تبعيتها في وقت ما لألمانيا فما كان من باقي أوروبا والعالم إلا أن واجهوا التوسع الألماني وكانت الحرب العالمية الثانية بكل ما انتهت إليه من نتائج ومن إبقاء الأوضاع والحدود بين الدول على ما كانت عليه قبل تلك الحرب الضروس .

ومن الثابت المقرر في القانون الدولي أن ترك شعب لوطنه آلافاً سحيقة من السنين لا يمكن إلا أن يحرمه كل حق في المطالبة بالعودة إليه الآن . وفقهاء القانون الدولي يسخرون من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر . الأمر الذي يمكن أن يقلب صورة الدنيا رأسا على عقب بشكل ساخر وسخيف لا يمكن تصوره .

واليهود الآن حينما يحاولون إحياء الماضي بصورة دراماتيكية ساخرة وهزلية فإنهم يفعلون ذلك لا بحكم **الحق الديني (الذي انتهى بغضب الله عليهم فأصبح الشتات مصيرهم)** أو الحق التاريخي أو غيره وإنما لكونهم أداة تنفيذية (مرتزقة ومأجورة) سياسية وعسكرية لكل مخططات وأطروحات المشروع الاستعماري الغربي بكافة صوره القديمة والحديثة :

***وقطعناهم فى الأرض أمما[16] .**

أما لماذا تختار إسرائيل النموذج السحيق لـــها (أكـــثر مـــن ألفيـــن وتسعمائة عام) وهو نموذج مملكة داود وسليمان (عليهما السلام) . فيرجع ذلك إلى عامل نفسي بحت . وليس عاملا تاريخيا أو دينيا . وهـــو أن مملكـــة داود وسليمان (عليهما السلام) تشكل لبنى إسرائيل رمز الأمجاد والتمكيـــن فـــى الأرض وتشييد الهيكل المقدس (الذي خربوه من قبل بكفرهم وانحلالـــهم قبـــل أن يهدمه الغزاة على مر التاريخ) . رمز الرخاء والثراء . رمز القوة الماديـــة والعسكرية والاقتصادية وغيره . وهو الرمز الذى لم ولـــن يتكـــرر لبنـــى إسرائيل مهما سعوا لذلك . لماذا ؟ لأن التاريخ لكى يعيد نفسه لابد وأن تكون نفس الظروف المحيطة متماثلة فى كلتا الحالتين (قديما وحديثا) . وقبل هـذا وذاك – وهو الأهم – لابد أن تكون معية الله معهم لنصرتهم ولتحقيـــق مـــا يحلمون به . ومعيـــة الله كانت مـــع داود وسليمان تأييداً للدعوة والرسالة (التوراة والزبور) فكان التمكين في الأرض . وتذليل العوامل التي أدت في النهاية إلى قيام المملكة الموحدة لبنى إســرائيل (يمكــن مراجعــة الفصــل السادس) :

***قال (سليمان) رب اغفر لي وهب لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي . إنــك أنت الوهّاب**[17] .

وبدعوة نبي الله سليمـان تلك واستجابة الله له تحقق له الملك الـذي كان . **والذي لن يتحقق لأحدٍ من بعد سليمان مطلقا بنص القرآن الكريـم .** إذن فكل ما يحدث وسيحدث هو الهراء بعينه وهو جموح الخيـال وشـطط الذي لن يتحقق منه شيئاً مهما فعلوا لأن دعوة الأنبياء مسـتجابة عنـد الله . ولأن الله لا يخلف وعده إطلاقا . ولأن معيّته جل شأنه مع عباده المؤمنيـن فقط . والله لا يستجيب إلا للتقاة فقط فأين هم . ومن هم الآن ؟ .

*ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .والكافرون لهم عذاب شديد[18] .

* إنما يتقبل الله من المتقين[19] .

واليوم معية الله قد نبذت بنى إسرائيل من حسابها تماما منـذ آخرأنبيائـهم إليهم وهو عيسى (عليه السلام) . ومع بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم)- آخر الأنبياء والمرسلين-

وإعراض اليهود عن تصديق رسالته الخاتمة حقداً وحسداً لكونه ليس مـن نسل يعقوب وداود.والتكذيب بدعوته إليهم أن يسلموا ويؤمنوا به وأن يتمسكوا بشريعتهم الحقة المنزلة على موسى (عليه السلام) . مع بعثة النبـى (صلى الله عليه وسلم) انتفـت معية الله لبنى إسرائيل وانتهى تفضيله سبحانه لهم لكفرهم وعنادهم . وذكـر الله جل شأنه في قرآنه الكريم أسباب ذلك وأسباب غضبه عليهم ولعنتهم فـى الدنيا والآخرة (انظر الفصول الرابع والخامس والسادس) ولم يعد هناك مـا

يستوجب عفو الله عنهم . ولا استجد شيء في سلوكياتهم وإيمانهم يستدعى رحمة الله بهم . وإذا كان جل شأنه يملى لهم الآن بالقوة المادية وغيرها فإن ذلك ليس حباً فيهم كما يقولون ويتصورون . ولا كرماً منه – سبحانه – لأجلهم . وإنما كل ذلك لسببن هامين :

(1)**ليزدادوا طغيانا وإثما وعلواً وفساداً حتى يتم وعده للمؤمنين بالنصرة عليهم ووعيده لهم بالتدمير** وتحقيق وعده الأخير (وعد الآخرة) وعد عزيز مقتدر :

*ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم (نمهل) خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين[20].

(2) ليكون ذلك بلاءً وابتلاءً لكافة شعوب الأرض المسلمين منهم على وجه الخصوص . لأن قرآنهم قد فضح اليهود وذكر كل شيء عنهم من صفات ومكائد ودسائس وعقائد فاسدة وجحود واستعلاء وطبائع منحرفة معوجة لا ولن تستقيم أبداً حتى قيام الساعة .

***ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم (نظهرها)**[21].

*ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم . ولكن ليبلوا (ليختبر) بعضكم ببعض[22] :

هذه هى القضية بجلاء ووضوح دون التباس أو شك أو ادعاء .



حقيقة نزول المسيح (عليه السلام)

في حديث منسوب للنبي (ﷺ) يُروَى عن أبى هريرة جاء فيه أن النبي (ﷺ) قال :

*والذي نفسيَ بيده . ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَما مقسطا فيكسر الصليب . ويقتل الخنزير ويضع الجزية . ويفيض المال حتى لا يقبله أحد .

وفى رواية أخرى : ويقتل المسيح الدجال .

وفى نفس الموضوع تأتى روايات أخرى تردد كلاماً نحو هذا المعنى باختلاف فى النص.والنبي (ﷺ) **براءٌ من هذه الأحاديث الإسرائيلية المزعومة التى تُنسب إليه.وللرد على هذا الافتراء نقول :**

(1) بالأفكار الواردة في هذا الحديث المزعوم يحدث هدم لأركان وأساسيات هامة في عقيدة المسلمين وثوابتها التي وردت في القرآن الكريم .

(2) أى أمور أو قضايا تخص عقيدة الإسلام لم يتركها القرآن الكريم وتحدث فيها إجمالا وتفصيلا وفى مواضع مختلفة دون أن تُحال تلك القضايا والثوابت على السنّة وحدها. واتخاذ حديث يُنسب للنبي (ﷺ) دون أن يكون له ما يقابله من النص القرآني (خصوصا ما يمس العقيدة وأركانها وثوابتها) لم يرد فيه أية شواهد في السلف الصالح ولا في التابعين . **لأن النبي (ﷺ) بكل عظمته ومكانته عند ربه وفى قلوب المسلمين لا يشرّع من عنديات**

نفسه لأن التشريع والحاكمية لله وحده . والنبي (ﷺ) كما قــــالت الســـيدة عائشة أم المؤمنين عنه :

*عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

فإن خُلُق نبى الله (ﷺ) كان القرآن[23] **.**

(3)فى هذا الحديث والأحاديث – الإسرائيلية – المنسوبة للنبــى (ﷺ) والتـــى تشير إلى نزول عيسى (عليه السلام) قبل قيام الساعة بأربعين عامـــا (أو خمســين عاما فى رواية أخرى) هو محض افتراء على النبي (ﷺ) روّج لـــــه أهــل الكتاب من اليهود وأشاعوه وصدقه العامة من الناس دون سند من كتــاب الله الحكيم ولا السُنَة المطهرة الصحيحة عن النبي (ﷺ) . **فجميع الآيـــات التــي وردت في علامات الساعة وقيامها لم تشر في قريب أو بعيد إلى نزول نبــيٍ بعينه فى آخر الزمان** . والغرض من دس هذا الحديث واضح لإيجاد مرجعية لآخر أنبياء بنى إسرائيل كي يؤمنوا به – كما يزعمون – قبل قيــام الســاعة والحساب فيكون موتهم على الإيمان بعدما كفروا به عند بعثتـــه مــن قبــل وتطاولوا عليه بالقول والفعل وأيضا ليكون هناك – فـــي نظرهــم – تمــيزاً وتفضيلا لنبى بعينه رغم رسالة آخر الأنبياء والمرسلين (القرآن) التي تنفــى نزول أو بعث أنبياء آخرين بعد بعثة محمد (ﷺ) لكونـــه خــاتم المرســلين والنبيين .

*ماكان محمد أبا أحدٍ من رجالكم **ولكن رسول الله و خاتم النبيين** . وكان الله بكل شيء عليما[24].

(4) بالرجوع إلى (الفصل السادس) من دراستنا هذه والذي بيّنا فيه أن الله سبحانه وتعالى قبض روح عيسى (عليه السلام) قبل الرفع (شأنا ومنزلة) ليصبح مع الأنبياء والشهداء (أحياء عند ربهم يرزقون)وعن وفاته قلنا أن الله قد قبضه وأماته ميتة طبيعية حتى لا يقع بين أيدي أعدائه فيمثّلوا به كما كانوا يخططون.فأنقذه الله منهم ثم توفاه لأجله الذي قدّره ورفع مكانته وطهره من أيديهم الدنسة المخضبة بدماء الأنبياء الذين قتلوهم قبله :

*ومكروا (لقتله وصلبه) ومكر الله (بتدبيره ليفسد ما عزموا عليه) والله خير الماكرين * **إذْ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا** وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون[25].

وكلمات الله واضحة دون لبس.حيث يقول جل شأنه (إنى متوفيك) أولا ثم (ورافعك إلىّ) رفع تشريف وتكريم وعصمة ورفع منزلة (مثلما رفع إدريس (عليه السلام) (مكانا عليا)[26] ثم تأتى كلمة (ومطهرك من الذين كفروا) لتكون نتيجة لما سبق من الوفاة حتف أنفه (لا بالصلب والقتل) ورفع المنزلة والعصمة من أعدائه . أى أنه بذلك الذي حدث لعيسى (عليه السلام) يكون مطهّراً ومعصوماً من أعدائه الكائدين له. والرفع للروح لا الجسد كما يحدث للمقربين فى المنزلة والتشريف من الله وهم الأنبياء والشهداء والصديقون . وهذا التكريم من الله لأن عيسى (عليه السلام) هو آخر أنبياء بنى إسرائيل وأحد أولى العزم من الرسل .

- (5)قد يتقعر قائل بأن كلمة الوفاة قد تعنى النوم . أى أن الله قد ألقــــى علـــى عيسى (عليه السلام) النوم ثم رفع جسده وروحه إليه ليصبح حيـّـاً فـــى الســماء . وليتحقق بعد ذلك صدق ادعائهم بعودة عيسى (عليه السلام) آخر الزمـــان . وللـــرد على ذلك نقول :

***قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم ثم إلى ربكم تُرجعون**[27] .

***الله يتوفى الأنفس حين موتها**[28].

***ما المسيح بن مريم إلا رسولٌ قد خلَت من قبله الرسل**[29].

وكلمة (خلَت) تعنى مضت وانقضت وهلكت أى ماتت من قبله الرسل وتلك هى سُنَة الله فلا نبياً يخلد أبد الدهر.

ونفس الكلمة وردت فى حق النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لتعنى فناء وموت كـل الرسل من قبله ولأنه آخر الأنبياء والمرسلين فعليه يكون عيســـى (عليه السلام) قـــد مات :

***وما محمد إلا رسولٌ قد خلَت من قبله الرسل** . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم [30].

وكما نعلم فإن جميع الرسل قد ماتوا – كشأن جميع البشـــر– وآخرهـــم محمد (صلى الله عليه وسلم) :

***وما جعلنا لبشرٍ من قبلك (يا محمد) الخُلْدَ أفإن مِت فهم الخالدون *كـــل نفس ذائقة الموت**.ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون[31].

أي ليس هناك من البشر من يخلد حياً دون موت (من قبلك) فالبشر جميعا يموتون .

ويخبرنا رب العزة تبارك وتعالى وعلّام الغيوب بمشهد سيحدث يوم القيامة على لسان عيسى (عليه السلام) فيقول :

*ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم . **وكنت عليهم شهيداً** (شاهداً ورقيباً)**مادمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيءٍ شهيد**[32].

ومن الآيات السابقة نجد الدليل القطعي الذي تكرر في الآيات ليدل على موت عيسى (عليه السلام) لا على بقائه حياً إلى ما قبل الساعة بأربعين أو خمسين عاما .

(6) تحديد موعد لقيام الساعة (أربعون أو خمسون عاما من عودة نزول المسيح كما يدّعون) هو أمر مخالف للعقيدة . **لأن الساعة وموعدها لا يعلمه إلا الله . ومجرد تحديد حدث قبلها بزمن معين ينفى عنها أنها غيب يعلمه الله وحده دون سائر المخلوقات** . فعلم الساعة وموعدها **أحد الغيبيات الخمسة** التي انفرد بها سبحانه وتعالى حيث يقول في ذلك :

* **إن الله عنده علم الساعة** وينزل الغيث (المطر) ويعلم ما في الأرحام (وليس مَنْ فى الأرحام) وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً (من الرزق) وما تدرى نفس بأي أرض تموت (مكان وزمان الوفاة) . إن الله عليم خبير[33] .

***يسألونك عن الساعة أيان مُرْساها (موعد حدوثها)قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها (يظهرها) إلا هو . ثقلت (عظم أمرها ودنا موعدها)في السماوات والأرض . لا تأتيكم إلا بغتة (فجأة) يسألونك (يا محمد) كأنك حفيٌّ عنها (عالم بها)قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون**(34).

ومن الآية الأخيرة نجد أن الله – سبحانه وتعالى ينفى علم النبي (ﷺ) **بموعد القيامة وينسب علمها له جل شأنه** . ثم يبين سبحانه أن الساعة تأتي بغته (فجأة) دون دليل يسبقها بسنوات أو حتى بساعات ودون إنذار ينبئ وينبه بمجيئها وكل العلامات الأخرى التي ورد ذكرها في كتاب الله (في آيات أخرى) **إنما ستتم في لمح البصر** (دخان السماء – دابة من الأرض تكلم الناس – انكدار النجوم – جمع الشمس والقمر – تكوير الشمس – تسيير الجبال –حشر الوحوش –انفطار السماء – وانشقاقها – اشتعال البحار –انتثار الكواكب – الزلزلة ..الخ) وذلك لقوله تعالى :

***ولله غيب السماوات والأرض . وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب** . إن الله على كل شيء قدير(35).

(7)فى الأحاديث المشار إليها يقولون أن المسيح (عليه السلام) سيعود وينزل ليتم الشريعة ويحكم بالإسلام ويقيم العدل والسلام .

وكل هذه الافتراءات جد مضحكة . **فهل الشريعة الآن ناقصة لينزل المسيح (عليه السلام) أو غيره من الرسل أو الأنبياء ليتموها . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يحاسبنا الله على شريعة لم تكتمل ودين لم يتم ؟ .**

إن الحساب –حاشا لله – سيكون حينئذ جائراً وليس فيه عــدل . فمــا ذنب البشر الذين عاشوا في زمن لم تتم فيه الشريعة والدين حتــى يدخلــوا النار . وإذا كان الذى سيجيء به المسيح (عليه السلام) بعد نزولــه ثانيــة – كمــا يدعون – هو الإسلام فماذا يكون الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمــد (صلى الله عليه وسلم)؟ ألم يخبرنا الله من قبل أن الدين قد أتمه الله وأكمله :

* اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . **اليوم أكملت لكــم دينكم . وأتممت عليكم نعمتي (الهداية والإيمان) ورضيت لكــم الإســلام دينا**[36].

وهذا الدين الأخير هو نفسه بشرائعه التي جاء بــها إبراهيــم (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) وجميع الأنبياء من قبل . **لأن الدين والشريعة مصدرها واحد هو الله جل علاه :**

* قد أفلح من تزكى *وذكر اسم ربه فصلّى *بــل تؤثــرون الحيــاة الدنيــا *والآخرة خير وأبقى *إن هذا (الشرع المذكور فى الآيات)لفى الصحــف الأولى * صحف (كتب ورسالات)إبراهيم وموسى[37].

وآية سورة المائدة السابق ذكرها هي آخر ما نزل من القرآن الكريــم والتي أقر الله فيها أن الدين أصبح كاملاً لا نقصان فيه (اليوم أكملــت لكــم دينكــم) وأن الشريعة والهدى قد أتمه الله (وأتممت عليكم نعمتي) **ورضــى جل شأنه لعباده الإسلام منهاجا ودستوراً وشريعة قائمة يُعمل بها إلى قيــام الساعة دون إضافة أو حذف . ولأن الأمر كذلك فقد تكفل ســبحانه بحفــظ الشريعة كما أنزلها ولم يتركها للبشر يعبثون بها كما ســبق وفعلــوا فــي الشرائع والكتب السابقة حيث كان التحريف والتبديل والحذف والإضافة على**

شرع الله . أما ولأن القرآن الكريم هو الرسالة الخاتمة والدين الباقي والمستمر إلى قيام الساعة فإنه جل شأنه حفظه من كل ذلك وتكفل بذلك وحده :

*إنا نحن نزلنا الذكر (القرآن) وإنّا له لحافظون[38].

(8) أشار الله سبحانه وتعالى إلى أن محمداً (ﷺ) هو آخر الأنبياء والمرسلين إلى البشر حتى قيام الساعة ولذا جاءت رسالته لكافة البشر دون قوم بعينهم. حتى لا يدعى مدعٍ بأنه غير ملزم بما جاء به الرسول (ﷺ) وحتى لا يتوهم واهم منحرف الفكر فيقول أن رسولا سوف يأتى بعد محمد (ﷺ) يبعث لأقوام ما قبل وقوع القيامة لينشر دين الله فيهم ويقيم شرائعه التي أغفلها -كما يدعون – دين محمد (ﷺ) :

***ما كان محمد أبا (والد) أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليماً[39].**

فكيف بعد هذا التبيان من الله بأن محمداً (ﷺ)هو آخر الأنبياء والمرسلين إلى البشر يدعى متخرص أن هناك نبيا سيأتي من بعده . ولو حدث ذلك افتراضا – ولن يحدث بالقطع – لكانت تلك الآية الكريمة هي من التحريفات أو الإضافات في القرآن الكريم . وهو أمر مردود عليه ومفروغ منه لأن الله – كما سبق وبيّنا – هو الذي تكفل بحفظ قرآنه الكريم فلا يستطيع كائناً من كان أن يحذف أو يضيف أو يغير ما فيه من الآيات.ودليل آخر على أن محمداً (ﷺ) هو خاتم النبيين والمرسلين ولا نبيناً بعده أن الله سبحانه وتعالى كان يرسل الرسل والأنبياء على فترات متتالية من الزمن لا تزيد على ستة قرون :

*ثم أرسلنا رسلنا تترى (متتابعين) [40]

بل كان جل شأنه يرسل بعضهم فى وجود أنبياء آخرين مثلما حـــدث من بعثة لوط (عليه السلام) فى زمن إبراهيم(عليه السلام)وإسحاق وابنه يعقــوب (عليه السلام). ويوسف وأبيه يعقوب (عليه السلام) وسليمان وأبيه داود (عليه السلام) وعيسى فى وجــود ابن خالته يحيى (عليه السلام) . وقد مر حوالى 571 عام منذ بعثة عيســـى (عليه السلام) آخر أنبياء بنى إسرائيل إلى بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر المرسلين. والآن مر أكثر من 1400 عام منذ وفاة النبى (صلى الله عليه وسلم) ولم نسمع ولن نسمع ببعثة نبى آخـــر . ناهيك عن عودة نزول نبى أو رسول . لأنه بوفاة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) انقطـــع الوحى من السماء لتمام الدين واكتمال الرسالة :

*** وما أرسلناك إلّا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً ولكـــن أكــثر النـــاس لا يعلمــون[41].**

وليس المقصود أن الناس لا يعلمون ببعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن المعنـــى المقصود هو أن أكثر الناس لا يعتقدون أن بعثة النبي (صلى الله عليه وسلم) هي للناس جميعـا فى كل زمان ومكان لأنهم درجوا – قديما – على أن الله يرسل الرسل لأقـوام بعينهم :

***وأرسلناك للناس (جميعا)رسولا . وكفى بالله شهيدا [42].**

***وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (كلهم) [43].**

(9) نحن في هذا المقام لا نطعن فى عيسى (عليه السلام) كنبي أرسله الله إلى قومه (بنى إسرائيل)وإنما نطعن وننكر إعادته للحياة وإعادة بعثته برسالة ودين قبل يوم القيامة . يوم البعث والنشور لكل الخلائق ونحن لا نحط بذلك من منزلـــة

عيسى (عليه السلام) أو غيره من أنبياء الله وإنما – كما علّمنا الله – لا نفرِّق بين رسل الله ولا نفضل بعضهم على بعض :

***لا نفرِّق بين أحدٍ منهم (من الرسل) ونحن له (لله)مسلمون[44].**

(10) لو فرضنا جدلا أن المسيح (عليه السلام) سينزل آخر الزمان كما يدعون وأن الضمير في كلمة (موته) تعود على إعادة نزول عيسى (الحي في السماء كما يدعون) ليمكث في قومه أربعين سنة – أو أكثر –حتى يؤمنوا به فإن مفهوم سورة النساء (159) حينئذ (وإنّ مِنْ أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به) هو أن يؤمن به قومه (أهل الكتاب) قبل إعادة موته (أو حسب تصورهم موت عيسى الذي لم يتم في المرة الأولى بعد الرفع حيا) **وعليه فإن ذلك يستلزم – طبقا للادعاء الوارد – إيمان قومه جميعا به.أى إحياء قومه الذين ماتوا حتى يؤمنوا بعيسى قبل موته (هو لا هم) . وفى هذه الحالة فإن الأمر يستلزم إحياء جميع أهل الكتاب قبل نزول عيسى ليؤمنوا به قبل موته (المفترض). أى أن المدعين أوقعوا أنفسهم في إشكالية كبيرة تستلزم إعادة إحياء قوم عيسى (عليه السلام) (من أهل الكتاب) كلهم حتى يؤمنوا به قبل موته (المفترض حدوثه بعد النزول) وهذا هو الفرض المستحيل حدوثه لأن الله قد كتب الموت على جميع المخلوقات.والإحياء والبعث والنشور سيكون حتماً لهذه المخلوقات يوم القيامة فقط .** أى بعد النفخ فى الصور (المرة الثانية) لا قبلها (المرة الأولى لإماتة جميع المخلوقات) أى أن استدلالات المدعين باطلة من كل الوجوه . وكلمة (موته)تعنى موت أىٍّ من أهل الكتاب كما بينّا لا موت عيسى (عليه السلام). (انظر الفصل السادس – وفاة عيسى ورفعه). ولم يرد نص صريح بعودة نزول عيسى (عليه السلام) أو غيره لا فى القرآن الكريم ولا فى الإنجيل ولا حتى فى أى رسالة سماوية أخرى .

➢ يضيف الكاتب الإسلامي (**سيد صالح**)[45]على ما قلناه ما يلي :

أ–كيف يعود عيسى (ﷺ) وقد انتهى أجله وأدى رسالته أداءً كاملا . ووفاه الله أجله وفاءً تاماً فى الحياة الدنيا والمعروف أن سُنّة الله قد مضت بامتناع العودة لمن يتوفاهم الله (إلا يوم البعث والنشور) .

ب– كيف نصدق أن نبيا يُبعث مرتين مرة قبل محمد (ﷺ) ومرة بعده . أى مرة لقومه خاصة ومرة للناس عامة .

ج– ما هو دور عيسى عند نزوله ثانية أهو دور الرسول الجديد أم دور المتمم لرسالة كانت ناقصة لهذا الإتمام (أى رسالة محمد (ﷺ) التي أخبرنا بتمام ما فيها واكتماله) .

د– لا أرى من سبب لتحديد اسم عيسى (عليه السلام) في هذا الحديث إلا أنه دس من صنع المغرضين أصحاب الرغبة في وقوع الفتنة بين المسيحيين والمسلمين . **وإن كانت هناك عودة حقا فإن الأقرب للمنطق عودة إبراهيم (عليه السلام) باعتباره الوالد العالم للأنبياء وعودته – إن تمت – تكون إرضاءً لليهود والنصارى وللمسلمين أيضا .**

هـ– إذا كان الله تبارك وتعالى قد أخبر عيسى (عليه السلام) وقومه بمجيء محمد (ﷺ) من بعده في الإنجيل فكيف يقدر لعيسى (عليه السلام) مجيئا معاداً ومكرراً دون أن يخبرنا عن هذا المجيء في القرآن الكريم . والله يقول (ما فرّطنا في الكتاب من شيء)[46] **ويقول أيضا (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)** [47].

و- إن المسيخ الدجال ليس رجلا واحداً أعوراً كما يقول حديث باطل آخر وإنما هو كل ماسخ لجمال الحق وكل مبدل لشريعة الله وكل خارج على حدود ربه . ومثل هذا المسيخ موجود في كل زمان ومكان .

ر-عن الخنزير والصليب الذي سيكسره عيسى (عليه السلام)نسأل : أى خنزير سيقتل ؟ خنزيراً واحداً (كرمز) أم كل الخنازير التي على وجه الأرض ؟ وهل سيحطم كل الصلبان ويغلق مصانع إنتاجها عالميا . أم أنه سيكسر صليباً واحداً (كرمز) وليكن صليب البابوية فى روما مثلا .

ويتساءل الكاتب بعد ذلك هل يعوزنا فى رد هذا الحديث من دليل أكثر مما فيه من تعارض مع القرآن الكريم . **اللهم إن الحق الذي لا مراء فيه هو أن هذا الحديث باطل ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) برىء منه لأنه إسرائيلي الدس والصنع .**

➢ يتعرض الإمام الأكبر (**محمود شلتوت**)[48] لنفس القضية فيقول :

وردت إلى مشيخة الأزهر الجليلة من حضرة عبد الكريم خان بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه :

هل عيسى (عليه السلام) حي أو ميت فى نظر القرآن الكريم والسُنّة المطهرة ؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي ؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى ؟ وقد حول هذا السؤال إلينا فأجبنا بالفتوى التالية التي نشرتها مجلة (الرسالة)فى سنتها العاشرة بالعدد رقم 462:

أما بعد فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى (عليه السلام) فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور : آل عمران (52- 55) & النساء (157 ،158) & المائدة (116 ، 117) .

أ- **كلمة (توفى)قد وردت فى القرآن كثيراً بمعنى المـوت ولـم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر . وكلمة (توفيتنى) تعنى الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركـها مـن اللفظ والسياق الناطقون بالضاد (اللغة العربية) .** ولا سبيل إلى القول بـأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى (عليه السلام) بعد نزوله من السماء بناءً على زعـم من يرى أنه حي في السماء وأنه سينزل آخر الزمان . لأن الآيـة القرآنيـة ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد (صلى الله عليه وسلم) لاقوم عيسى (عليه السلام) .

ب- **الروايات التي تفيد نزول عيسى (عليه السلام) بعـد الدجـال هـي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمـع بينها وقد نص على ذلك علماء الحديث .** وهى فوق ذلك من رواية (وهب بن منبه) و (كعب الأحبار) وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسـلام . وقـد عُرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

ج- **الحديث المروى عن (أبى هريرة) هو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فـي شـأن المغيبات (الغيب) .**

د- فسر (الألوسى) قوله تعالى (إني متوفيك) أى إنـي مسـتوفى أجلـك ومميتك حتف أنفك (ميتة عادية طبيعية) لا أسلط عليك من يقتلـك . وهـو كناية عن عصمته من الأعداء .

وظاهر الرفع الذي يأتي بعد التوفية هو رفع المكانة لا رفـع الجسد خصوصا ما جاء بعد الرفع (ومطهرك من الذين كفروا) مما يدل علـى أن الأمر أمر تشريف وتكريم مثلما وردت صيغة الرفع فى آيات كثيرة منها :

*فى بيوت أذن الله أنْ تَرفع ويُذكر فيها اسمه[49].

*نرفع درجاتٍ من نشاء وفوق كل ذى علم عليم[50] .

*ورفعنا لك (يا محمد) ذكرك[51].

* يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات[52] .

والله جل شأنه بهذه الإماتة خيب مكر أعدائه وأنقذه منـهم بعزتـه وحكمته ورد كيدهم في نحورهم فلاهم قبضوا عليه ولا هم صلبوه ولا هـم قتلوه .

هـ- إنّ من أنكر أن عيسى (عليه السلام) قد رُفع بجسمه إلى السماء وأنه فيـها حي إلى الآن وأنه سينزل آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكراً لمـا ثبـت بدليل قطعي فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغي أن يُحكم عليه بالردة . بل هو مسلم مؤمن . إذا مات – على ذلك – فهو من المؤمنين يُصلَى عليـه كما يُصلَى على المؤمنين ويُدفن في مقابر المؤمنين . ولا شية في إيمانـه عند الله .

➢ نشر بعد ذلك الإمام الأكبر (**محمود شلتوت**) ردوداً علـى رسـائل القراء الذين عارضوه فيما أفتى به وذلك في مجلة (الرسالة) الأعداد 514 ، 517 ، 518 ، 519 من السنة الحادية عشرة وخلاصة ردوده هي :

أ – **عن وجاهة عيسى** (عليه السلام) التي وردت في القرآن الكريم:

*إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح **عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين** (53).

المقصود من وجاهة عيسى (عليه السلام) في الدنيا هي الرسالة المؤيدة بالمعجزات البينات (الواضحة) . وكيف يكون وجيها – كزعم من قال بعودة نزول عيسى – في الدنيا من غادر الأرض وترك أهلها (باعتبار الزعم أن الوجاهة هي الجاه) .

ب-يزعم المعارضون لفتوى الشيخ (محمود شلتوت) أن الآية من سورة النساء تقر بعودة عيسى (عليه السلام) لفهم خاطئ للمعنى :

* وإنْ مِنْ أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته (54) .

والمعنى واضح أن الضمير فى (به) يعود على عيسى (عليه السلام) وفى (موته) يعود على كل واحد من أهل الكتاب . أى **أنه مامن أحدٍ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن (قبل موته هو**) بعيسى (عليه السلام) . والإخبار بإيمان أهل الكتاب على هذا الوجه لا يتوقف على حياة عيسى (عليه السلام) الآن ولا على نزوله في المستقبل . **لأن المراد أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبي من البشر** أرسله الله **كسائر الأنبياء والمرسلين** .

وقد رجّح هذا الرأي الإمامان : (**النووى**) و (**الزمخشرى**) وغيرهما . وقد قال (ابن **حجر**) في (**فتح الباري**) :

ورجح جماعة هذا الرأي بقراءة أُبَيّ بن كعب : (إلا ليؤمنن به قبل موتهم) أى أهل الكتاب .

وقال النووى : معنى الآية على هذا **ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى (عليه السلام) كنبي وأنه عبد الله وابن أَمَتِهِ** . ولكن لا ينفعه هذا الإيمان في تلك الحالة لقوله تعالى :

* وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار[55].

ويقول الشيخ (**محمود شلتوت**) معلقا على تلك الآراء أن النتيجة الحتمية لهذا كله أن الآية **ليست ظاهرة فيما يقتضي نزول عيسى (عليه السلام) فضلا عن أن تكون قاطعة فيه** .

ج- الآية الواردة فى سورة الزخرف والتى تنص على :

*وإنه **لَعلَمٌ للساعة** فلا تمترنَّ بها واتبعون . هذا صراط مستقيم[56].

والرأي الراجح فى تفسير ذلك أن عيسى (عليه السلام) عِلْمٌ للساعة . ودليل على إمكانية البعث والنشور بإحيائه للموتى بإذن الله أمام أعين قومه . كما أنه مولود بغير أب ولأن الله قد فعل هذا سبحانه فإنه قادر جل شأنه على البعث والنشور فى يوم القيامة (الساعة) . والدليل على ذلك قوله تعالى (فلا تمترن بها) أى لا تشكّوا فى حدوث ذلك بعدما عاينتم وعلمتم كيفية إحياء الموتى . ويكون المعنى المقصود هو :

لاتشكوا فى الساعة . فإن الله الذى قدر خلق عيسى (عليه السلام) من غير أب قادر على غير ذلك .

د–جاء فى (شرح المقاصد) بعد أن قرر مؤلفها (السعد) أن جميع أحاديث أشراط الساعة أحاديث آحاد :

إن ماتدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها . فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك ومن أداه نظره إلى تأويلها فله ذلك شأن كل ظني في دلالته .

ومما تقدم يتبن جلياً أنه ليس في الأحاديث التي أوردوها في شأن نزول عيسى (عليه السلام) آخر الزمان قطعية ما. لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها .

هـ– إن الإجماع على تلك الأحاديث لا يعتبر من حيث هو إجماع . لأن المجمعين لا يعلمون الغيب . لأن الحسي المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه . فإن ورد به نص فهو ثابت به ولا احتياج إلى الاجماع وإن لم يرد به نص فلا مساغ للاجتهاد فيه . وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التي تتحدث عن أشراط الساعة ومن بينها نزول عيسى (عليه السلام) إلى مبدأ قطعية النصوص وظنيتها في الورود والدلالة . وعلى فرض أن أشراط (علامات) الساعة مما يخضع للإجماع الذى اصطلحوا عليه نقول :

إن نزول عيسى (عليه السلام) قد استقر فيه الخلاف قديما وحديثا .

و– قال (ابن حزم) في كتابه (مراتب الإجماع) ما نصه :

واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد (صلى الله عليه وسلم) ولا بعده أبدا .

وقد نص على ذلك أيضا (القاضي عيّاض) فى شرح (مسلم) و (السعد) في شرح (المقاصد) . وذلك قديما .

ز- أما حديثا فقد قرر ذلك كل من : الشيخ (**محمد عبده**) و السيد (**محمد رشيد رضا**) والأستاذ الأكبر الشيخ(**المراغى**).

فيقول الإمام الشيخ (**محمد عبده**) :

أن التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه هو الإماتة العادية . والرفع يكون بعده وهو رفع الروح . والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي وليس فى الباب حديث متواتر .

ويقول السيد (**محمد رشيد رضا**) في رده على سؤال من (تونس) عن الموضوع :

جملة القول أنه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى (عليه السلام) رفع بروحه وجسده إلى السماء حياً حياة دنيوية وليس في القرآن نص صريح على نزوله من السماء . وإنما هي عقيدة أكثر النصارى . وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها في المسلمين .

ويقول الأستاذ الأكبر (**الشيخ المراغى**) :

ليس فى القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى (عليه السلام) رفع بجسمه وروحه وعلى أنه حي الآن بجسمه. والظاهر من الآيات أن الله تعالى توفاه وأماته ثم رفعه . والظاهر من الرفع بعد الوفاة أنه رفع درجات عند الله كما قال في إدريس:

*ورفعناه مكانا عليا [57] .

وهو بهذا توفاه الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده . فهو حي حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

ثم قال الشيخ المراغى أن هذه الأجاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة . **والعقيدة لا تُجَبّ (لا تلغى) إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر . وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى** (عليه السلام) **حي بجسمه وبروحه** . والذي يخالف في ذلك لا يُعدّ كافراً في نظر الشريعة الإسلامية .

ويشير الإمام الشيخ (**محمود شلتوت**) في نهاية ردوده على المعترضين على فتواه بالرجوع إلى كتابه (**الإسلام عقيدة وشريعة**) في فصل (طريق ثبوت العقيدة) .



الإسرائيليـــات ومعرفة الموضوع من الحديث

ذكر المحققون أموراً كلية يُعرف بها أن الحديث موضوع منه[58] :

1-مخالفته لظاهر القرآن .

2-مخالفته للسَنّة المتواترة .

3-مخالفته للإجماع القطعي .

4-مخالفته للقواعد المقررة فى الشريعة أو البرهـــانْ العقلـــى أو للحـــس والعيان وسائر اليقينيات .

5-اشتمال الحديث على مجازفات في الوعد والوعيد والثواب والعقاب .

6-إذا كان مناقضاً لما جاءت به السُنّة الصريحة العملية .

7-إذا كان باطلا في نفسه أو ما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه .

8-إذا كان لا يشبه كلام الأنبياء أو كان بكلام الأطباء (الحكماء) أشبه .

9-إذا اشتمل على تواريخ الأيام المستقبلة (الغيب) .

10- أن يكون سمجا أو يُسخر منه أو يكون ركيكاً في معناه.

11- أن تقوم الشواهد الصحيحة أو تجارب العلم الثابتة على بطلانه .

وقال ابن قيم الجوزية[59] :

إن الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم . وينفر منه قلبه . **وقال إذا رأيت الحديث يباين المعقول أويخالف المنقول أو يناقض الأصول فـــاعلم أنه موضوع .**

وقال (الربيع بن خيثم) (60) :

إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه . وظلمة كظلمة الليل تنكره (رواه الخطيب) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن (ابن مسعود) [61] :

إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله .

وعن (ابن جبير) [62] :

ما بلغني حديث على وجه إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله .

وأخرج البيهقى بسنده عن (**ابن عباس**)[63] قال:

إذا حدثتكم بحديث عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه فى الكتـــــاب (أى القرآن) أو هو حسن فى أخلاق الناس فإنه كاذب .

وقال (عمر بن الخطاب)[64] :

-الحق أبلج (واضح) لا يخفى عن فَطِنٍ .

-إن الاقتصاد في السُنة خير من الاجتهاد فى الضلالة . فافهموا ما توعظـون به فإن الحريب من حرب في دينه (أى المسلوب)[65].

12- الحديث الصحيح لا يمجه الذوق السليم (**مثل حديث الذبابـــة**) ولا يخـــالف أغراض الإسلام العليا التي ترمى إلى سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة .

13- **الأحاديث الموضوعة لا تحتاج إلا لفراسة المؤمن الذي تذوق طعم القرآن .**

وللمزيد من الإيضاح يمكن مراجعة كتاب (**تحذير الخواص**) **للسيوطى** .

أما **الحديث الصحيح** الذي نطمئن له فهو :

1-الحديث الذي لا يخالف القرآن .

2-الحديث الذي يوافق القرآن في أحكامه وتشريعاته وتوجهاته وعقيدته .

* * * * *

فِرْيَة سِحْر النبي (ﷺ)

يقول الإمام (**محمد عبده**) [66] :

إن الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم(ﷺ) فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته . وعدم الاعتقاد بما ينفيه . وقد جاء بنفي السحر عنه (ﷺ) حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا . فإذن هو ليس بمسحور قطعا.

وأما الحديث – فعلى فرض صحته– هو حديث آحاد . والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد . وعصمة النبي (ﷺ) من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين . ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن . فإذا خولط النبي (ﷺ) في عقله – كما زعموا – جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه أو أن شيئا ينزل عليه (من القرآن) وهو لم ينزل عليه .

ما أضر المحب الجاهل وما أشد خطره على من يظن أنه يحبه ولو كان هؤلاء (المدعون)يقدرون الكتاب حق قدره ويعرفون من اللغة ما يكفي لعاقل أن يتكلم ماهذروا هذا الهذر ولاوصموا الإسلام بهذه الوصمة . لكن من تعود القول بالمحال لا يمكن الكلام معه بحال . نعوذ بالله من الخبال .

وقد نفى سحر النبي (ﷺ) كما يقولون بواسطة (لبيد ابن الأعصم) اليهودي العديد من العلماء ومنهم المفسر الفقيه (**أبو بكر الجصاص**) في كتابه (أحكام القرآن) .

وقد رد الإمام (**محمد عبده**) كذلك أحاديث كثيرة في أمور اعتقاديه وغير اعتقاديه **كحديث الغرانيق** وحديث زينب بنت جحش وغيرهما مما لا يتسع المجال لإيراد أقواله فيها هنا.ويقول (**محمد رشيد رضا**)[67] :

لا يجب العمل بأحاديث الآحاد إلا على من وثق بها رواية ودلالة ولكن لا يجعل ذلك تشريعا عاما . **وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد وإنما يؤخذ بها في الأحكام.الفرعية لأن العقائد دلائلها الأخبار المتواترة . ولا يصح أن يقال في حق من رأى عِلّة في رواية حديث فلم يصدقه بأنه مكذب لحديث كذا** . والأمة لم تتعبد إلا بخبر يغلب على الظن صدقه . ومن القواعد الجليلة المتفق عليها عند علماء الأصول : أن طروء الاحتمال في المرفوع من وقائع الأحوال يكسوها ثوب الإجمال فيسقط به الاستدلال .

والبداية أن اليهود قد افتروا على النبوة والرسالة والقرآن الكثير من المفتريات وحاولوا وصم الرسول (ﷺ) بأنه ساحر ومجنون . ولما لم يُجْدِ ذلك اتهموا الرسول (ﷺ) بأنه يفتري القرآن من عنده ولا يوجد تنزيل من السماء بذلك:

*وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا *وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلا[68] .

*ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . لسان الذين يلحدون إليه أعجمي (غير عربي) وهذا (القرآن) لسان عربي مبين[69] .

قالوا أنه تعلم ما يقوله وينشره على الناس (أى القرآن) على يد غـلام نصراني يقال له (جبر) وهو عبد لبعض بني الحضرمي . وقيل أنه تعلم ذلك ونقله عن رجل يدعى (بلعام) . ورد الله تعالى عليهم بأن هذيـــن الرجليـن أعجمين غير متكلمين أو ناطقين باللغة العربية . والقرآن الكريم نزل بلســان عربي واضح وبيّنٍ (لغة قريش العربية الفصحى) . ورد الله تعالى عليهم بأن النبي (ﷺ) كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة وأن ما ينقله للنــاس هـو تنزيل من رب العالمين :

*وما كنت تتلو من قبله مـــن كتــاب ولا تخطــه بيمينــك . إذن لارتــاب المبطلـــون [70] .

ورغم أمية النبي الخاتم فقد كانت معجزته الباقية إلى يوم القيامة هــي القرآن الكريم الذي أوحاه الله تعالى وأنزله عليه :

***قل نزله روح القدس (جبريل) من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهـــدىً وبشرى للمسلمين [71] .**

ثم روج اليهود أن النبي (ﷺ) قد سحره كاهن يهودي يُدعى (لبيـــد ابن الأعصم) ولذا – كما يدعون – فهو يهذى بكلمات غير مفهومة (يقصدون القرآن الكريم) وهى ليست بكلام البشر وليست من المألوف بين العرب . فلا القرآن هذا بالشعر ولا بالنثر . ورد الله تعالى عليهم بأن من ردد تلك المقولـة الباطلة فهو ظالم ظلما بينا واضحاً لا جدال فيه . والقائل والمروّج لذلك هــو المختلّ عقليا :

***نحن أعلم بما يستمعون به إذْ يستمعون إليك وإذْ هم نجـــوى . إذّ يقــول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربــوا لــك الأمثــال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا [72] .**

﴿وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا﴾ [73] .

والادعاء اليهودي بسحر النبي (ﷺ) هو للانتقاص من مكانة النبي وقدرته على تبليغ الوحي كما أُنزل . نوع من التشكيك ومحاولة لئيمة لهدم صرح الدين من الأساس بحيث يشك المسلمون فيما يقوله النبي (ﷺ) ويبلغه عن رب العزة . والقصة التي روّجها اليهود – وكذلك المنافقون – تدّعي أن النبي (ﷺ) حين قدم عليه جعفر بن أبى طالب من الحبشة ومعه عدد من المسلمين كانوا قد هاجروا إليها قبل هجرة المسلمين والنبى (ﷺ) إلى المدينة. ولما قدموا إلى رسول الله (ﷺ) كان مخيماً فى خَيْبَر بعد فتحها . فقبّل رسول الله (ﷺ) جعفر بين عينيه والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أُسَرّ . بفتح خيبر أم بقدوم جعفر (وفى رواية : والله ما أدرى بأيهما أفرح ؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر) [74] فأوعز اليهود للمنافقين أنْ يروجوا معهم أنّ النبي (ﷺ) قد أصابه مسٌّ من الجنون والسحر حتى أنه – كما يفترون بذلك – أصبح لا يدرى فعل الشيء وقوله أفعله وقاله أم لا . ولكن الله جل علاه وعاصم أنبيائه وصمهم هم بالظلم البيّن لتقوّلهم على الرسول بذلك . وأن كل من يروّج وينقل تلك الفِرْية ويرددها فهو الضال وهو الظالم فلا يهتدي أبداً لأنه بذلك يحاول النيل من قداسة الوحي الإلهي والتشكيك فيه .



فِرْية الدِرع المرهونة

وكما أشاع اليهود فِرْية سِحْر النبي (ﷺ) فقد أشاعوا فِرْيــة عظيمــة أخرى وقالوا أنه (ﷺ) مات ودرْعه مرهونة عند يهودي نظير صــاع مــن الشعير يساوى حفنة من الدراهم .

ولننظر بتمعن في مقصود تلك الفِرْية ومعناها . إنها تصم النبي (ﷺ) - حاشا لله - بالعوز والحاجة والفقر . وأنه لما رفض - هكــذا يقصــدون - أثريــاء المسلمين من الصحابة أن يقرضوه ذهب ليقترض من يهودي . هكذا ببســاطة يريدون إلصاق التهم بالرسول (ﷺ) وبالصحابة عليهم رضوان الله جميعــا ونسوا أو تناسوا عمداً أن الله تعالى وهو الرزّاق ذو القوة المتين لم يترك نبيه (ﷺ) هملا ولا جعله يتسول -حاشا لله - من الصحابة وغيرهم . فما بالنــا به يلجأ إلى يهودي ليقرضه . أليس فى صحابته عثمان بن عفان وأبى بكــر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أثرياء المسلمين مــن يقــترض منهم إن كان فاعلا .

وقد يقول متقول أنه (ﷺ) قد تحرج من أن يقترض منهم فكيــف إذن وفيهم أصهاره (أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان) وكلهم شديدوا القرب والقربىٰ منــه (ﷺ) . وكيــفَ يتركونــه

ليقترض من يهودي وهم أصهاره وحواريوه وخلفاؤه الراشدون من بعده وقبل هذا وذاك كيف يتركه رب العزة تبارك وتعالى وهو القائل جل علاه :

* ألم يجدك يتيماً فآوى *ووجدك ضالا (غافلا)فهدى (بالقرآن والنبوة)

ووجدك عائلا (فقيراً) فأغنى (منح وأعطى بسخاء) [75].

ألم يعطه الله من رزقه وأفاء عليه من الخيرات ما يغنيه عن السؤال وتلمس الحاجة عند الناس :

*ولسوف يعطيك ربك فترضى [76] .

ألم يمنحه الأنفال وغنائم الغزوات وأحلها له ولم تكن حِلاً للأنبياء من قبله :

*يسألونك عن الأنفال (غنائم الغزوات)قل الأنفال لله والرسول (ﷺ)[77].

أي أن الله جل شأنه وكّل نبيه (ﷺ) حق التصرف فى غنائم الغزوات يقسمها بينه وبين المسلمين المشاركين فى تلك الغزوات كيفما يشاء وعلى المسلمين الطاعة والسمع والرضا بما قسمه لهم الرسول (ﷺ). وفى طاعتهم تلك التقوى كل التقوى ودليل الإيمان بالله والرسول .

ثم أفاء الله على المؤمنين جميعا بسبب طاعتهم وامتثالهم للأمر وعلى النبي (ﷺ) خاصة فجعل خمس الغنائم لله وللرسول ورد أربعة أخماس الغنائم للمسلمين تفضلا منه جل شأنه :

***ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُوَلَة بين الأغنياء منكم** [78] .

*واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان (فى بدر) والله على كل شيءٍ قدير [79] .

أي أن غنائم كل غزوة يقسمها الرسول (ﷺ) (ومن بعده أولى الأومر والأئمة القائمون على شريعة الله المجاهدون فى سبيل الله[80]) :

أربعة أخماس للمقاتلين الذين شاركوا فى القتال . والخمس يتصرف فيه رسول الله (ﷺ) على النحو التالي :

ذوو القربى : خمس (خمس الخمس الأصلي)
اليتامى : خمس (خمس الخمس الأصلي)
المساكين : خمس (خمس الخمس الأصلي)
ابن السبيل : خمس (خمس الخمس الأصلي)

وبالطبع هناك (خمس الخمس الأصلي) الأول للرسول (ﷺ) ولمن يره فى حاجة غير المذكورين سابقا (لله وللرسول) وأولئك الذين لم يحضروا قتالا لسبب أو لآخر (ذوو الأعذار الذين أذن لهم الرسول (ﷺ) – الشيوخ – النساء – الأطفال – أولو الضرر وذووالحالات الخاصة من العجز البدني والصحي وغيره ..) .

ولنا أن نتخيل كم كانت تبلغ الأنفال وغنائم الغزوات . وكم كان نصيب النبي (ﷺ) وحده منها . هذا إذا علمنا أن السنوات العشر الأخيرة فى حياة النبي (ﷺ) كانت كلها سرايا وغزوات وفتوحات بدءا من غزوة بدر الكبرى (وما قبلها من السرايا) وانتهاءً بغزوة خيبر ثم تبوك .

ولنا أن نتذكر – على سبيل المثال – غنائم غزوة خيبر من الأموال وكنوز الذهب والفضة والحدائق والنخيل المثمر . وكانت – كماسبق وأشرنا فى الفصل السابع – (فَدَكّ) **خالصة للنبي (ﷺ) وحده** لأن المسلمين لم يقاتلوا فيها ولم يوجفوا عليها (يهبّوا ويركبوا إليها) بخيل ولا ركاب (جِمَال) بخلاف باقي غنائم خيبر فقد شارك فيها المسلمون بالقتال (وكان لهم أربعة أخماس الغنائم) . **وظلت حدائق فَدَك المثمرة ونخيلها من نصيب النبي (ﷺ) تدر عليه دخلا بثمارها حتى لقي ربه .**

وباقي الفِرْية أن النبي (ﷺ) الذي يمتلك كل هذا فى حياته يرهن درعه مقابل صاع شعيرٍ اقترضه من يهودي ليطعم به أهل بيته وأمهات المؤمنين بعدما نال منهم الجوع والنصب !!.

والرواية كما يُشتّم منها تنم عن توجه وفكر يهودي خبيث يرمى إلى مرامٍ بعيدة تغيب عن أذهان الكثير من الناس الذين صدقوا – للأسف – تلك الفِرْية حيث يفترض – كذبا – تبعاً لذلك أن النبي (ﷺ) قد رهن سلاحه الذي يجاهد به فى سبيل الله ويقاتل به أعداء الله والدين ومنهم اليهود . أى أن رسول الله (ﷺ) رهن وسلّم سلاحه طواعية لعدوه نظير ماذا؟ نظير صاعٍ من شعير لا يساوى دراهم معدودة لاتسمن ولا تغنى من جوع . فأي عاقل يصدق ذلك الافتراء ويروّج لهذا البهتان والإفك ويردده كل حين ويكفّر كل من ينكر هذا الحديث الإسرائيلي المدسوس على السُنة المطهرة .

إن العداوة التقليدية والمستمرة من اليهود للنبي (ﷺ) وأتباعه قد ناقشناها فى مواضع مختلفة من دراستنا هذه ونرى أنه لا داعي لتكرارها .

فهل يعقل بعد ذلك أن نصدق أن النبي (ﷺ) قد تصرف هكذا من عنديات نفسه ومن هواه . وهو الذي أرسل إليه رب العزة تبارك وتعالى جبريل (عليه السلام) يدعوه لمقاتلة يهود بنى قُرَيظة وإخراجهم من المدينة مباشرة بعد انتهاء غزوة الأحزاب حيث قال له :

*أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ . قال (ﷺ) : نعم .

قال (جبريل) : ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها . وهذا أوان رجوعى من طلب القوم . ثم قال (جبريل) : إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بنى قُرَيظة[81] .

وكان النبي (ﷺ) وأصحابه قد فرغوا لتوهم ونجاهم الله القدير من الأحزاب الذين أحاطوا بالمدينة فى غزوة الخندق . ولما كان اليهود أهل مكر وخداع وخيانة فقد تألبوا على النبي (ﷺ) وعلى المسلمين واتفقوا مع الأحزاب ضد المسلمين ناقضين عهدهم مع النبي (ﷺ) وتحالفوا ضده . فكيف والأمر هكذا . والعداوة قديمة بين اليهود والنبي (ﷺ) منذ بعثته وتكليفه بالنبوة والرسالة الخاتمة التي كانوا يظنون أنها من نصيب معشر اليهود من نسل داود ويعقوب (عليه السلام) كيف كل هذا والادعاء والافتراء والبهتان بأن النبي (ﷺ) قد أسلم درعه ليهودي مقابل صاعٍ من شعير . **كيف يفرط إمام الأمة ومجاهدها الأكبر فى سلاحه ويسلمه طواعية لعدوه** . وكيف يغيب عن النبي (ﷺ) – إن حدث – ما فعله اليهود معه ومع المسلمين بدءاً من تكذيبهم له ورفضهم الإذعان لدعوته لهم بالإسلام منذ الهجرة إلى المدينة وكيف يغيب عنه (ﷺ)ما فعله يهود بنى قَينُقَاع ومن بعدهم يهود بنى النضير ثم يهود بنى قُرَيظة ومن بعدهم يهود خيبر وفَدَك ووادي القرى وتَيْمَاء

وغيرها . ولكن هل غاب عنا نحن – أيضا – ما فعله اليهود على مر تاريخهم بأنبيائهم ورسلهم من بنى جلدتهم . ما فعلوه مع موسى (عليه السلام) حينما آذوه كثيراً فبرأه الله مما قالوا . وما فعلوه مع أنبيائهم حين كذبوهم وقتلوا منهم العديد . وما فعلوه مع آخر أنبيائهم عيسى (عليه السلام) حين اتهموا أمه مريم ابنة عمران الصِديقة العفيفة الطاهرة حين اتهموها بالزنا وقالوا – افتراءً – أن عيسى (عليه السلام) هو ابن سفاح – حاشا لله – ثم عادوا فقالوا أنه ابن الله ثم قالوا أنه هو الله – حاشا لله– فى صورته البشرية . ثم أنكروا كل ذلك بعد حين وأرادوا به كيداً. أرادوا أن يقتلوه كما قتلوا أنبياءهم من قبل ولكن الله نجاه منهم ومن مكرهم وكيدهم . ومع نبينا الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) حاولوا الكثير من التكذيب إلى الافتراء والبهتان وقول الزور عنه وعليه . وألصقوا به الأباطيل والاتهامات التي هو منها براء وحاولوا النيل من عصمته وصدقه فى تبليغ الرسالة كما أنزلها الله جل علاه . ولكن الله عصمه منهم ومن مشركي وكفار العرب :

*والله يعصمك من الناس . إن الله لا يهدى القوم الكافرين[82].

وهكذا نجد أن تلك الفِرْية التي حاولوا إلصاقها بالرسول الكريم (ﷺ) ليس لها أي أساس ولا دليل فى القرآن الكريم ولا فى السيرة المطهرة والسُنّة المطهرة لرسول الله (ﷺ) **وإنما هي محض افتراءٍ لتشويه صورته والنيل من عظمته والحط من سيرته وقدوته وهو الأسوة الحسنة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . وهى محاولة دنيئة من اليهود للكيد لنبي الإسلام (ﷺ) وللإسلام شأنها شأن المفتريات الأخرى (مثل قصة الغرانيق والسحر وغيرها) . كما فعل عتاة اليهود من المنافقين الذين أعلنوا إسلامهم ظاهريا حتى يجدوا لأنفسهم موضع قدم فيكيدوا للإسلام وهم فى داخله بأحاديث**

الإسرائيليات المدسوسة على السنة المطهرة بعدما تعذر عليهم الكيد وهم خارج حظيرته الوارفة الّتي شملت الجميع بالسماحة والرحمة . فهاهم ينسبون للنبي (ﷺ) الكثير من الأحاديث الكاذبة التى هو منها براء . وتساهل بعض المسلمين – بجهلهم وغفلتهم – ورووا تلك الأحاديث المكذوبة والموضوعة وعملوا بها وصدقوا ما فيها دون تمحيص ودون الرجوع إلى كتاب الله والسُنّة المطهرة . وقالوا إنها – الإسرائيليات – أحاديث تحث على الفضائل وأنها أحاديث للترغيب والترهيب وأنه لا بأس من الأخذ بها .

وكان من وراء تلك الإسرائيليات والمكذوبات (دهاة وعتاة المنافقين من اليهود الذين دسوا السم فى العسل كيداً فى الإسلام وحقداً وحسداً للمسلمين أمثال :

1- **كعب الأحبار** (الذي كان وراء اغتيال عمر بن الخطاب) (كعب بن مانع الحِمْيَرى من آل ذي رعين ويكنّى **أبا إسحاق**) .
2- **وهب بن مُنبه** (فارسى الأصل) .
3- عبد الله بن سلام (**أبو الحارث** الإسرائيلي) .
4- **عبد الله بن سبأ** . (المعروف **بابن السوداء** – يهودياً من حِمْير) .

والنجاة لنا معشر المسلمين والموحدين من تلك الإسرائيليات بالتمسك بالقول الفصل . قول الله تبارك وتعالى فى محكم التنزيل :

*وما أنزلنا عليك الكتاب (القرآن) إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون[83] .

*وأنزلنا إليك الذكر (القرآن) لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون[84].

ويمكن معرفة الحديث الصحيح من الموضوع وأحاديث الإسـرائيليات كمـــا سبق بيانه (يراجع ما تحت عنوان الإسرائيليات من هذا الفصل مـــن الكتاب)

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

شهد شاهدٌ من أهلها(*)

نشرت صحيفة (هاآرتس الاسرائيلية) بحثا علميا للبروفيسور (**رائف هيرتزوج**) أو زائيف هيرتزوج يقول فيه[85]:

سادت أوساط البحاثة الإسرائيلية ثورة أو انقلاب حقيقي حدث خلال الأعوام العشرين الماضية من ناحية نظرتهم إلى العهد القديم (التوراة والزبور) كمصدر تاريخي . حيث وضح للباحثين الآن أن شعب إسرائيل لم يقعد فى مصر ولم يته فى الصحراء ولم يحتل فلسطين فى حملة عسكرية ولم يملكها لأسباط إسرائيل الإثنى عشر . ومملكة داود وسليمان الموحدة لم تكن فى الواقع إلا مملكة قَبلية صغيرة فى حين أنه جاء وصفها فى التوراة على أنها دولة إقليمية عظمى . وثبت أن الديانة الإسرائيلية القديمة لم تعرف وحدانية الرب إلا فى أواخر فترة الملوك وليس على جبل سيناء .

ويضيف (هيرتزوج) :

بصفتي أنتمي للشعب اليهودي وتلميذاً فى مدرسة التوراة **أدرك عظم خيبة الأمل المتسببة عن الهوّة بين آمال إثبات التوراة كمصدر تاريخي وبين الحقائق التي تُكتشف على الطبيعة .**

وأنا ألمس هذا الإدراك فى بدني وأنا أتفحص وأدرس وأصحح شروحي واستنتاجاتي السابقة فى مقابلة الشروح والنقد الجديدة المتعلقة بأعمال زملائي . وأقصد عرض تاريخ علم الآثار المتعلق بفلسطين أمامكم باختصار لكي

(*)توجد صورة ضوئية للمقال فى آخر الكتاب (الملاحق) .

أؤكد مراحل الأزمة والانقلاب الذين وقعا خلال السنوات العشر الأخيرة . وفى النهاية سأحاول توضيح أسباب عدم دخول الحقائق الواضحة إلى وعى الجمهور العريض .

إن العالم كله سوف يرتعش عندما يطلعَ على هذه الحقائق المعروفة منذ زمن لعلماء الآثار الذين نقّبوا فى فلسطين فضلا عن ذهول سكان إسرائيل .

(هذا ما نشرته جريدة الأهرام المصرية فى 2001/1/12) منقولا عن الصحيفة الإسرائيلية . وهذا ما توصل إليه علماء آثار إسرائيل فى فلسطين يروّجون له ويشيعونه من وجود حقوق تاريخية لبنى إسرائيل فى فلسطين – وغيرها – مجرد وهم واختلاق . **وشهد شاهد من أهلها بكذب ادعاءاتهم وأن وجودهم الحالي بأرض فلسطين – بعد اغتصابها – هو مجرد صراع سياسي بحت لا يمت للتاريخ أو الدين بصلة حقيقية باعتبار أن إسرائيل أداة فى يد الامبريالية العالمية والاستعمار الغربي الذي لم يتوقف عن تغيير وتجميل صورته وتطوير أسلوبه منذ قرون مضت للسيطرة على ثروات الشعوب وللعبث بمقدرات الأمم والتحكم فى وطنية القرار واستقلاليته .**

ولا يخفى على أحد أن التاريخ (الآثار) قد باح منذ طويل زمن بكذب ادعاءات اليهود فى فلسطين . وأيضا الدين الذي بين أيديهم (العهد القديم والجديد) والدين والرسالة الخاتمة (القرآن) قد أفاض شرحاً وتوضيحاً وتفنيداً لكل ما روّجوه ويروّجون له فى كل زمان ومكان فى محاولات مستميتة لطمس الحقائق وتزييف الوقائع والشواهد البديهية واليقينية .



الأرقام من أحاديث الدجل(*)

هذا هو النص الكامل لما نُشر بقلمي فى جريدة (السياسي المصري) بتاريخ 2001/6/24 .تحت عنوان **(الأرقام من أحاديث الدجل) :(فى تقديم للأستاذ / محمود الخولى الصحفى بالجريدة** [86])

وصلنا من الباحث الإسلامي الدكتور / حسن عوض رداً على ما نشرته (السياسي المصري) فى أعدادها الأخيرة (أربعة أعداد متتالية) عن تحديد عام 2022 م موعداً لنهاية الكيان الإسرائيلي وفنائه من الوجود استدلالاً بالحسابات الرقمية لبعض الآيات التي تتحدث عن بنى إسرائيل فى سورتى الإسراء وسبأ وهو ما أشار إليه الداعية (أحمد الشيمى) ثم الاعتماد على مذنب هالى الذي يعتقد فيه اليهود ودوراته المختلفة فى التأكيد على نفس الموعد كنهاية لدولة إسرائيل وهو ما انتهى إليه الدكتور (عايد طه ناصف) مشيراً إلى أن مذنب هالى شهد أحداثا دينية عظيمة بدءاً من ميلاد الأنبياء ومروراً بإسراء الرسول الكريم (ﷺ) وانتهاءً بخراب إسرائيل التي قامت عام 1948 م . وهو ما أكدته التوراة والإنجيل . وقد رفض الدكتور (حسن عوض) ماانتهي إليه الشيمى وعايد ومؤخراً الدكتور (أحمد أبو النور) فى الاعتماد على الأرقام وحسابات الجُمَل والاعتداد بها فى تحديد أمور مستقبلية . مشيراً إلى أن ذلك على حد قوله (أي قولي أنا) **يُعدّ من قبيل**

---

*) توجد صورة ضوئية للمقال فى آخر الكتاب (الملاحق) .

الدجل والرجم بالغيب الذي يؤثر بالسلب على عقائد المسلمين فيما لو لم تقع هذه النبوءات عند حلول التاريخ المحدد لها .

و (السياسي المصري) تنشر رد الدكتور (حسن عوض) دون تعقيب :

القضية المثارة الآن عن موعد نهاية بنى إسرائيل (دولة إسرائيل وزوالها والقضاء على اليهود) قضية تقفز إلى السطح كلما تطورت الأحداث فى الأرض المحتلة أو حولها . وللأسف معظم الأقلام التي تناولتها – إن لم تكن كلها-حادت عن الحقيقة لسبب أو لآخر ولم تصل إلى كبد الحقيقة إلا من أطرافها التي يتمناها الناس تشوقا إلى الخلاص من الصداع المزمن الذي يسببه اليهود لشعوب الأرض كافة على مر السنين . والحَيْدة عن الحقيقة كانت لأسباب جوهرية لم يفطن إليها كل – أو أغلب – من تناول الموضوع متبعاً هواه دون تتبع الحقيقة بموضوعية وأسس المنهج العلمي السليم . والرؤية السليمة النابعة من تدبر آيات القرآن الكريم كما أنزلها الله .

وقبل عرض ملخص لتلك القضية أتناول ما نشرته الجريدة على مدى الأسابيع الماضية بتعليق أجده ضروريا قبل الخوض فى الموضوع :

فهناك محاذير ثلاثة لما رُوج له البعض – ومازالوا – من تناول القضية من جانبها الأسهل والمثير والسطحي – معذرة – والتبارى فى إبراز الحجج والأسانيد لكل الاجتهادات فى إطار (النبوءات) سواءً ما جاء فى أسفار العهد القديم أو آيات القرآن الحكيم تجاوزاً للحقيقة وتسلُّقاً لها للوصول إلى نتائج أهم ما فيها الإثارة و (الفرقعة) بشتى الطرق . وكل يدلى بدلوه

اجتهاداً أو نقلا أو تأويلا سواءً كان ذلك فاسداً أم صوابا . **وتلــــك المحـــاذير الثلاثة هى :**

أولا: الرجم بالغيب :

والكل يعلم أن الغيب لله وحده :

***قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله**[87] .

*** أم عندهم الغيب فهم يكتبون**[88].

وأعنى فى هذا المقام أن الكل يدلى بدلوه ويختار آيات بعينها أو أسفاراً محددة ينتقى منها ما يروق له فيحذف بعض الكلمات ويتوقف عنـــد بعــض الحروف لهوىً فى نفسه حتى يصل إلى رقم بعينه يكون له دليلا وسنداً فــى ادعائه ثم يبنى – تبعاً لذلك – النظريات والنتائج مباهيــاً بمــا وصــل إليــه وناســباً السَبْقَ له أو لغيره .

وطريقة حساب الأرقام للحروف الهجائية العربية معروفة مــن قديــم ولكن التناول والانتقاء والاختيار هو الذي يتطلــب بعــض الجــهد والحــذّق والمهارة والتجريب حتى يمكن الوصول إلى نتيجة بعينها . وكما نرى **فـالأمر لا تقنين فيه ولا تنظير ولا ضوابط تضبط إيقاع الاستخدام كي تصبح النتائج لا شبهة فيها للتأويل والمراوغة والانتقاء .**

وعليه فإن الأمر برمته لا يعدو إلا أن يكون هزلا – معذرة –لا جدَّ فيه حيث لا ضابط ولا شروط للاستخدام والتطبيق ولا قوانين حاكمة تنحّـــي الهواة وتترك الساحة للمحترفين والمتمرسين وحدهم .

ثانيا : التواكل :

وأعنى به أن المتلقي والممارس يركنا إلى النتائج الرقمية الملفقة – معذرة – بحسبها نظريات وقوانين واستنباطات لا يرقى إليها الشك أو الطعن لأن – فى تلك النظرية – كل حرف من حروف الهجاء العربية يساوى رقما معينا . وبجمع تلك الأرقام المستنبطة تكون النتائج كما أرادها الممارس تجريباً وانتقاءً . وتكون النتيجة فى غاية الخطورة حيث يصدق الممارس نفسه ويقتنع المتلقي بالنتائج لسبب أو لآخر. ويصبح كل منهما على يقين بما وصل إليه من النتائج تكون شغله الشاغل فيرفض ماعداه ويصير الصراع بين الممارسين والمتلقين حسبما توصّل كل منهم إلى نتائجه التي ينحاز إليها إن لم يقاتل من أجل نصرتها على كافة الاجتهادات الأخرى[89] ويتمادى فى استنباط الأسانيد والحجج والبراهين بما يؤيد دعواه وادعاءه . ولا يخفى على أحد أن الارتكان والتواكل إلى نتائج مرضية للنفس ومشبعة للهوى لها أثرها السيئ إن لم يكن المدمر نظراً لإحالة الأمر برمته إلى الغير فى تحقيق المراد وهو هنا الرجم بالغيب بناء على افتراضات واجتهادات لا أساس لها من الحقيقة .

ثالثا : الإحباط المؤدى إلى الكفران :

وهو النتيجة الطبيعية والمنطقية لعدم تحقيق النتائج حسبما تم التوصل إليه بالاجتهادات الفاسدة . وبوضوح أكثر . ماذا لو بلغنا – إن شاء الله – العام الذي تم تحديده كتوقيت للحدث المرجو ثم لم يحدث شيء على الإطلاق. بالطبع سيكون الإحباط – وقتها – عظيماً . وهذا الإحباط قد ينتج عنه قنوط ويأس وكفر بكل النتائج والمجتهدين والنظرية الرقمية لحساب الحروف وكل

ذلك بالتأكيد سيكون متبوعاً بكفر الذين آمنوا بتلك النتائج وصدقوها . وشماتة الذين لم يؤمنوا والذين كانوا على شفا الهلاك (أي اليهود) تبعا لما تم الترويج له من قبل[90].

بعد هذه المقدمة يعن لى أن أطرح رؤيتي باختصار شديد فى نقاط واضحة بعد ما تبين أن الأخذ بالنبوءات الدينية واللجوء إلى الكهانة وفساد الاستدلال الحسابي وبالتالي فساد النتائج كلها لا تصب كبد الحقيقة .

وعودة إلى القضية المثارة الآن (قضية الأرقام والحسابات التنبوءاتية) أقول أن كل تلك الحسابات ماهى إلا رجم بالغيب ودجل – معذرة – بات يمارسه المحترفون والهواة على السواء بلا ضابط أو رابط . فلا الحسابات تخضع لقواعد ثابتة معروفة ولا الاجتهادات تنطلق من أرضية شرعية واضحة المعالم بل كل شيء يخضع للتجريب حتى يصل الممارس (محترف أو هاو) إلى نتيجة ترضيه . **وعلى هذا فحديث الأرقام من أحاديث الدجل والافتئات على النصوص الدينية وتحميلها بما ليس فيها للوصول إلى نتائج بعينها . ولو كانت هذه الطريقة شرعية وصحيحة ومجدية لاستخدمها الصحابة (عليهم رضوان الله) ومن قبلهم النبي محمد (ﷺ)** الذي كان يتنزل عليه الوحي بالبشارات دون تحديد موعد للحدوث . كما حدث ذلك وهو راجع إلى المدينة المنورة بعد صلح الحُديبية جاءته البشارة بفتح مكة . متى يكون ذلك الله أعلم بموعد الفتح (تم فتح مكة بعد صلح الحُدَيبية بعامين) ولم يعلمه النبي (ﷺ) فى حينه لا عن طريق الوحي ولا عن طريق حسابات الأرقام والحروف كما يفعل الناس الآن . وغير ذلك من الأحداث والمواقف كثير وحتى موضوع مذنب هالى ودوراته (الأوج والحضيض) التي أشار إليها الدكتور عايد ناصف فيما نشر بالعدد رقم 1344 من(السياسي المصري)

الصادر فى 3 يونيو 2001 م هو مجرد اجتهادات وافتراضات . فقـــد أشـــار عالم الطبيعة اليهودي (إيمانويل فلايكوفســكى) فـــى كتابـــه (عوالـــم فـــى تصادم)[91] إلى معلومات أخرى تفيد أن المذنب المعنى بالأحداث الكونية التي واكبت خروج بنى إسرائيل من مصر وغيرها من الأحداث التوراتيـــة هـــو المذنب (تيفون) أو التنين أو بالاس وهو المتسبب في انفلاق البحر أثناء واقعة خروج بنى إسرائيل من مصر (نتيجة تبادل شحنات كهربائية عالية الطاقـــة بين المذنب والأرض حينما اقترب المذنب من الأرض[92]) . وفى موضـــع آخر من الكتاب المشار إليه قال (فلايكوفسكى) إن هـــذا المذنـــب مـــاهو إلا كوكب الزهرة قبل أن يصبح كوكباً ثابت المدار حول الشمس . ومن أســـماء مذنب الزهرة[93] :

بالاس – أثينا – عنات – فينوس – عشتار – عشـــتارت– ســـخمت – العرف – النجم المدخن – إيباج – تشاسكا – كوميت – ذو الشعر – بَعْـــل – ذو القرن (عشتروت كارنيم) – تستريا – ربة الحكمة – فيشنو – جـــولا – منيرفا . وغيرها من الأسماء التى تسمى بها كوكب الزهرة وهو ينتقل مـــن الحالة المذنبة إلى حالة الكوكب ثابت المدار حتى أصبح يُطلق عليه اسم نجـــم الصباح ونجم المساء . **وكان يُرمز للزهرة بالنجمة السداسية (نجمـــة داود)[94] فى بابل وأحيانا كشكل خماسي (خاتم سليمان) وأحيانا كصليب فى بابل والمكسيك .**

ويعزو (فلايكوفسكى) بعض الظواهر والمعجزات الدينية القديمة لكـــل من كوكب أو مذنب الزهرة ولكواكب أخـــرى منـــها جوبيـــتر أو زيـــوس (المشترى)[95] وإيروس أو مارس (المريخ)[96] . ويسوق (فلايكوفســـكى) التواريخ من كافة المصادر القديمة (الألواح المسمارية فى بابل وآشـــور –

النقوش القديمة في الصين والمكسيك – المزامير السومرية والبابلية – الأسفار التوراتية القديمة – الكتابات الصينية القديمة – كتب الأساطير وكتب الفولكلور القديمة لشعوب المكسيك والمايا والصين وغيرها) ويسوق الأدلة والبراهين لتأكيد افتراضاته **ولم يرد فى كتابه مطلقا اسم مذنب هالى** . وبين أن دورة مذنب الزهرة كانت اثنتين وخمسين عاما قبل أن يستقر المذنب (الزهرة) في مداره حول الشمس ويصبح كوكبا معلوم المدار(*) .

وهكذا نجد في كل حين من يعلن افتراضات معينة ويسوق الأدلة والبراهين على صحة تلك الافتراضات سواءً من أسفار العهد القديم أو الجديد أو من النقوش والكتابات القديمة أو من الحفريات والآثار .

ومرة أخرى نؤكد أن قضية الأرقام ما هي إلا افتراضات جدلية تصل إلى حد الدجل البين الذي لا سندَ له من الشرع القويم . وكلها افتراضات يُقصد بها الإلهاء عن الحقائق الثابتة في آيات القرآن الكريم المنزل من عند الله للهداية والتقويم لسلوكيات البشر وعباداتهم . وإلا فما قول الذين يدعون بصدق الطرق الحسابية للحروف والآيات الدينية (توراة – زبور – إنجيل – قرآن) فيمن قال أن نهاية الكيان اليهودي سيكون عام 2022 م . ومن قال إنها في عام آخر طبقاً للتخبط بين التقويم الميلادي والهجري في الحسابات المشار إليها . وكلها افتراضات لا تدعو لشيءٍ سوى التواكل والانتظار حتى الموعد المقترح . وذلك الأمر يذكرني بموقفين مشهورين :

---

*) أشار الدكتور عايد ناصف فى مقاله المشار إليه (3 يونيو 2001 م) بالجريدة أن مذنب هالى دورته كل 72 عاماً ميلادية أو 76 عاماً قمرية .

أحدهما عن دجّال(*) ذهب إلى أحد الملوك قائلا له أنه يستطيع تعليم الحمار نطق الحروف والكلام في غضون ثلاثين عاماً على أن يعطيه الملك مبلغا من المال نظير ذلك التحدي وإن لم يفعل يكن من حق الملك أن يعدمه. ووافق الملك (المغفل). ولما سئل الرجل أما يخشى من الإعدام لأن الحمار لن يتكلم مطلقا ولن يتعلم حروف النطق. قال الرجل الدجّال المخادع قولته المشهورة : **بعد ثلاثين عاما سيكون أحدنا قد توفى. إما الحمار وإما أنا وإما الملك.**

والموقف الآخر من السيرة النبوية العطرة حيث سأل رجل النبي (ﷺ) : **متى الساعة (أى القيامة ؟)**

فكان رد النبي (ﷺ) **المعلم للبشرية : وماذا أعددت لها ؟**

وبعدما سبق إيضاحه أكرر وأقول أن **حسابات الأرقام ما هي إلا رجم بالغيب ودجل لا أساس له من الشرع**. حتى ولو كانت الآيات القرآنية هي السبيل للإثبات فيما ذهب إليه المجادل. ولو أن الأمر بهذه البساطة و التسطيح لوجدنا حلولا لجميع مشاكلنا في الحاضر و المستقبل باتباع طريقة حساب الأرقام والحروف وأية طرق أخرى تستجد في المنظور الآتي. **إن الطريق الوحيد لتفهم النصوص الدينية هو التدبر في مضمون ومفهوم الآيات كما كان يفعل الرعيل الصالح (الصحابة والتابعين) فدانت لهم مشارق الأرض ومغاربها.**

وأعود وأؤكد أن تحقيق الوعد الأخير (**وعد الآخرة**) في بني إسرائيل مرهون **بالشروط** التي وضعها الله سبحانه صاحب الوعد :

---

*) يقال أن ذلك المشار إليه هو (جحا).

أولا : جمع اللفيف :

وقد تحقق بإنشاء دولة إسرائيل وإعلانها فى عام 1948 م .

ثانيا : الإفساد فى الأرض :

ونراه كل يوم وساعة .

ثالثاً : أكثر نفيراً :

وهو ما نلمسه وندركه فى الوقت الحالي حيث الإعلام الطاغي والسيطرة الإعلامية لليهود وتسليحهم بأسلحة الدمار والبطش والطغيان والغرور . ويعلنون ذلك فى كل مناسبة (من أشدّ منا قوة) تماماً كما قالتها قوم عاد من قبل . ولكنهم يعلمون :

*أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة[97].

رابعاً : عباداً لنا :

وهو **الشرط الأخير الذي لم يتحقق بعد** . فأين عباد الرحمن الذين يثقون فى نصرة الله ومعيته . أين عباد الله الذين يؤمنون بالله ويوحدونه ولا يشركون به شيئاً . وأين أولئك الذين باعوا أنفسهم وأموالهم امتثالاً وجهاداً وإيماناً وتصديقاً . لا يخافون لومة لائم . لا يخشون أحداً إلا الله . ولم يقولوا :

* نخشى أن تصيبنا دائرة[98].

(أى نخشى أن يعود علينا الدهر بنوائبه ومصائبه وتتكالب علينا الأمم) ولم يتقاعسوا ولم يتخاذلوا منتظرين تحقيق وعد الله يأتيهم على طبق من ذهب دون أى جهد أو جهاد . هذا هو الشرط الأخير الباقي لتحقيق الوعد :

*وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإيّاي فارهبون[99].

وحين يتحقق ذلك الشرط الوحيد الباقي سيدير الله جل شأنه المعركة كما يريدها سبحانه . وكما قضى بذلك أمره ووعده . وكما سبق وأدار جل شأنه معركة بدر الكبرى وغيرها :

* والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون[100].

د/حسن عوض

باحث إسلامي

* * * * *

إسرائيل طاعون العصر ودولة الإرهاب (*)

هذا هو عنوان مقالة الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ الدكتور / **مصطفى محمود** [101]**وبدأ مقاله** بسؤال :

ماذا يريد اليهود بالضبط ؟

اقرءوا ماذا يقول البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون .

ثم استعرض الكاتب الكبير فقرات مطولة من كتابي (الطبعة الأولى) و ذلك على حوالي أربعة أعمدة في جريدة الأهرام العدد الصادر في 23 يونيو عام 2001 م الصفحة الثالثة عشر (يوم السبت) ثم اختتم الفقرات مشيراً إلى المصدر (كتاب دولة اسرائيل للدكتور حسن عوض). ثم اختتم المقال بقوله :

إن ما يحدث سيكون عكس تصورهم . فالعدوان الإسرائيلي لن يحبط التجمع الإسلامي بل سوف يزيده . وميلاد القوة العسكرية الإسلامية سيكون بسبب الحماقة الإسرائيلية وبسبب هذا الجهل الأوروبي.وسوف يؤدى العدوان الإسرائيلي إلى عكس ما تصور المتآمرون الكبار فسوف يجمع العرب والمسلمين رغم أنوفهم . وما سوف يحدث سوف يكون بعكس ما تصورت إسرائيل وأعوانها.والمسلمون ليسوا تتار العصر القادم ولا يشكلون جبهة معادية للحضارة . وهم ليسوا جبهة عنصرية مثل

---

*) توجد صورة ضوئية للمقال فى آخر الكتاب (الملاحق) .

اليهـــود . والمسلمون ليسوا ضد النهضة العقلانية الأوروبيـــــة . بـــل إن النهضة العقلانية الأوروبية ذاتها خرجت من جلباب (ابن سينا) ومن فكـــر الإسلاميين القدامى . وعلوم الفلك وأسماء المجموعات النجمية التي دخلـت القاموس الإنجليزي بأسمائها العربية مازالت إلـــى الآن تكتـــب بأســـمائها العربية الأصلية . وهى تشهد جميعا بأن عصر العلم والعقلانية التي تعيشها أوروبا هي ميراث عربي .

لقد ظلموا الإسلام واتهموه بما ليس فيه . إنْ إسرائيل هي البـــلاء الحقيقي وهى التعصب وهى العنصرية وهى العمى الديني . إسرائيل هـــي طاعون العصر . ودولة الإرهاب . والدول الإسلامية قد أخـــذت التطعيـــم الكافي من كل ما يحدث من بلايا وأرزاء وسوف يكون لها قيامة من هـــذا النوم الطويل في القريب . ولكل فعل هناك رد فعل يـــأتى فـــي أوانــــه . والمستقبل كوارث وألغام .

والمأزق الآن هو .. نكون أولا نكون .. كما في النـــهايات الدراميـــة . وللأسف لا يوجد وسط . فإما الموت أو الحياة بكل مخاطرها . وإذا لم أكن مخطئاً فإن الله أراد هذه المواجهة . فلا شيء يحدث في الكون دون علمـــه ودون إرادته . **وأقول للأخوة العرب : إن الموت قادم بـــهذا الســـبب أو بدونه . فلا تموتوا خزايا . ولن ينفع نفساً ما ادخرت . بل ما عملـــت .** هبوا عباد الله إلى واجبكم فإن العبء جسيم والوضع أليم .ولا شيء يساوى خزي يوم الحساب . ولن يضيف هذا الخزى يوما واحدا إلى أعمـــاركم . ولن تنقص الشجاعة دقيقة واحدة منها . **إنما هـــي خطـــيٌ كُتبـــت علينـــا وامتحان للقلوب والعزائم** . والعاقبة خلود في الجنة أو خلود فى النـــار . ولا يوجد وسط إما أن تلقى كتابك بيمينك أو تلقاه بشـــمالك . ولا نعـــرف

وسطاً بين الاثنين . إلا ما يقوله أهل الحشيش .ومدمنو البانجو عن (الشيمين واليمال) بعد النفس العاشر والكركرة المتينة التى يغيب فيها العقل ويـــأخذ إجازة من كل شىء .

الدكتور / مصطفى محمود



خرافة الألفية اليهودية

فى الأساطير أن التاريخ هو الذي منح الحضور الجديد لأسطورة قديمة . فليس الماضي إلا تجسيداً سابقا للمستقبل. وليس المستقبل إلا استعادة للماضي تقوم على تكرار النماذج الأولى ورفض للزمان الواقعي . هذا هو النسّج الأسطوري للألفية وهو نسج أقدم بكثير من استعارات حاخامات وكتبة العهد القديم . وثمة ما يؤكد أن فكرة العود الأبدي والألفية كانت أبرز القواسم المشتركة بين الأساطير القديمة . فعند **الفرس** وبتأثيرات كلدانية نتعرف على سباعية التاريخ الأسطورى وأطوارها التي ترتبط بهيمنة ألفية لكل كوكب[102].

وحسب مأثورات **الأزتك** دمَّر العالم ثلاث مرات ولا يزال بانتظار الرابعة وبين المرة والمرة ألف عام[103] . وحسب نظرية **الاحتراق الدوري** التي تعود إلى الرواقية وزينون فإن المبدأ الفاعل هو النار . وعندما تأتى السنة الكبرى يكون قد تم الاحتراق الشامل ثم تعود الدورة الكونية على نفس النسق وبالموجودات نفسها والأحداث نفسها وهكذا إلى غير نهاية[104] . ولقد تكررت هذه التصورات في التراث **الجرمانى** . وحسب **المازدية** فإن الله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع —حاشا لله — وعلى هذا الأساس سيدوم العالم ست مراحل زمانية لانهائية . سيتغلب فيها الشر و ينتصر على الأرض.وفى غضون المرحلة (الألف) السابعة سيتم تكبيل أمير الأبالسة بالأغلال وعندها ستشهد البشرية ألف عام من

الاستقرار والعدالة المقيمة . وفى نهاية الألف (المرحلة) الثامنة سيخلق العالم خلقا جديداً ليبقى خالداً أبدا الدهر(105).

ولعل **الألفية الهندية** أكثر التصورات البدائية تماسكا داخل منظومة الموروث الفلسفي الهندي في محصلته الاجتماعية البدائية العامة . وتتألف الدورة الكونية الكاملة (الماها يوجا) من أربعة عصور أو يوجات ذات مدد زمنية متفاوتة ويكون أطولها في بداية الدورة وأقصرها في ختام الدورة(106). ورغم أن فكرة المجىء اليهودية ترتبط بالأسر البابلى والتيه فى سيناء. ودعوة الرب لشعبه واتحاده المقدس معه من خلال إعادة بناء الهيكل وقيام المسيح اليهودي من نسل داود . ورغم أن الحاخامات ظلوا يعيدون إنتاج هذا الوهم بين اليهود بين الحين والحين . إلا أن فكرة المجيء الألفية لم تحتل حيزها فى الموروث اليهودي نفسه إلا مؤخراً وبصورة مغايرة للفكرة اليهودية نفسها . **فلم يعد المخلّص ملكاً يهودياً من نسل داود بل أصبحت إسرائيل بكاملها . ولكن كمقدمة لانبعاث المسيح المسيحي وليس المسيح اليهودي باعتبار أن المسيح (عيسى) (عليه السلام) كان عبرانيا وسيكون كذلك دائما وأنه جاء وانتهى** . ويقول أحد زعماء اليهود الخبثاء لحلفائه المسيحيين :

إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى فلنبدأ أولاً بناء الهيكل وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سويا(107).

وبالتزوير التاريخي الذي ساد أوروبا فى فترة الإصلاح الكنسي البروتستانتي تسلل إلى العقل الأوروبي ما يسمى (**بالحق التاريخي**) لليهود فى فلسطين ولم تعد فكرة المجيء المسيحية مرفوضة مسيحياً باعتبار أن

المسيح قد جاء وانتهى بل أصبحت البرجوازية بما فيها التي تدين بالكاثولوكية أقرب إلى الفهم البروتستانتي وداعية إلى مصالحة تاريخية بين العهدين القديم والجديد (جرى إعلان مجمع الفاتيكان الثاني تبرئة اليهود من صلب المسيح وذلك عام 1964م كما أعلنت الوثيقة الصادرة عام 1985م أن المسيح كان عبرانيا) وكان ذلك فى إطار صفقة وتسوية ايديولوجية بين المسيحية والحاخامات .

إن فكرة الألفية (فكرة المجيء الثانية) ليست فكرة دينية فى العهدين القديم والجديد وإنما هي حاجة معاصرة للرأسمالية الغربية والأوساط اليهودية الآفلة وهى تقوم على أن :

1- فلسطين والأردن هي أرض إسرائيل التاريخية.

2- مجيء المسيح وانبعاثه لا يتم إلا بعد قيام إسرائيل وبناء الهيكل . ولذلك فالوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله وعدم مساعدة اليهود على استكمال السيطرة على فلسطين يعنى تأخير عودة المسيح ومجيئه .

ويشير إلى ذلك ما كتبه (ليلنتال)[108] :

إن كل من يعارض المطالب الصهيونية بأراضي دولة إسرائيل لا يكون يحارب إسرائيل فحسب بل المولى عز وجل والتاريخ أيضا .

3- يتم كل ذلك بعد **قيام صراع عالمي مدمر** تُهزَم في نهايته القوي المعادية في معركة (هرمجدّون) بفلسطين على نحو ما جاء في رؤيا (يوحنا) :

*ثم بوّق الملاك السادس فسمعت صوتا واحداً من أربعة قرون مذبح الذهب الذي أمام الله . قائلا للملاك السادس الذي معه البوق فُكّ الأربعة الملائكة المقيدين عند النهر العظيم الفرات . فانفك الأربعة الملائكة المعدون للساعة واليوم والشهر والسنة **لكي يقتلوا ثلث الناس** . وعدد جيوش الفرسان مائتا ألف ألف وأنا سمعت عددهم . وهكذا رأيت الخيل فى الرؤيا والجالسين عليها لهم دروع نارية وأسما نجونية وكبريتية ورؤوس الخيل كرؤوس الأسود ومن أفواهها يخرج نار ودخان وكبريت . من هذه الثلاثة قُتل ثلث الناس من النار والدخان والكبريت الخارجة من أفواهها(109) .

*ثم بوق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين(110).

*وانفتح هيكل الله في السماء وظهر تابوت عهده في هيكله وحدثت بروق وأصوات ورعود وزلزلة وبَرد عظيم (أى مطر شديد)(111) .

*ثم تبعه ملاك آخر قائلاً سقطت . سقطت بابل المدينة العظيمة لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها(112).

وسيبكى وينوح عليها ملوك الأرض الذين زنوا وتنعموا معها حينما ينظرون دخان حريقها . واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها قائلين ويل ويل . المدينة العظيمة بابل . المدينة القوية . لأنه فى ساعة واحدة جاءت دينونتك (113).

*ثم رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجدفيما بعد . وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها. وسمعت صوتا عظيما من السماء قائلا هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم إلها لهم . وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع فيما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت[114].

4- **نزوح اليهود إلى فلسطين مرحلة يعقبها ارتداد اليهود إلى المسيحية** حتى تُحقَق النبوءات التوراتية المتعلقة بنهاية الزمان بفعل عودة المسيح المخلص من آخر الأيام ليحكم العالم هو والقديسون لمدة ألف عام يسود فيها العدل والسلام . وحسب ما جاء في هذه الأسطورة والخرافة لن يتحقق الخلاص ولن يتم إلا باسترجاع اليهود لفلسطين ليتم تنصيرهم .

وقد ظهرت هذه العقيدة الألفية في كتب (الأبوكريفا) أى الكتب التي لا يعترف بها اليهود و (سِفر دنيال) . ومع إن قضية نزول المسيح وملكه الألفي تثير إشكاليات متعددة ومعقدة في الفكر المسيحي والصهيوني (السياسي) إلا أن الصهيونية استطاعت أن تتجاوز هذه الإشكالات بتبسيط القضية وربط نزول المسيح بقيام إسرائيل ومجيء يهود التيه وتدمير العالم الإسلامي . فمسيح الصهيونية / الصليبية مسيح عنصري قبلي جدول أعماله يقوم بإقامة إسرائيل الكبرى والقضاء على الفلسطينيين وإبادتهم ونهب العالم العربي والسيطرة على ثرواته والقضاء على سكان الدلتا فى مصر لتحويلها إلى مستعمرة إسرائيلية [115].

ويعتبر من أبرز مؤسسي دعاة الألفية في الولايات المتحدة على مـــدار القرنين التاسع عشر والعشرين[116]:

1-**جريس هالسيل فى كتاب** (الفكر التوراتى والحرب النووية):

2-**وليم ميلر مؤسس** (الأدفنتست السبتيين)فى القرن التاسع عشر.

3-**مايك إيفانز** صاحب محطة للبرامج الدينية .

4-**بات روبرتسون** صاحب محطة تليفزيون (س.بى.إن) ومحطة تليفزيونيـــة تبشيرية في جنوب لبنان وبرنامج نادى الـ700.

5-**جيمى سواجرت** . صاحب برنامج تليفزيوني يعرض كل أحد.

6 -**جيم بيكر** صاحب ثالث محطة تليفزيونية تبشيرية فى أمريكا .

7-**أورال روبرتس** صاحب برنامج تليفزيوني تبشيري .

8-**جيرى فولويل** يعطى دروساً تبشيرية أسبوعية .

9-**ريكس هميرد** صاحب برنامج تليفزيوني

10-**ريتشارد دى** هان صاحب برنامج (يوم كشف النظام) التليفزيوني .

11- **كيفين كوبلاند** صاحب برنامج تليفزيوني ويرى أن إســـرائيل الحديثـــة وصهيون الإنجيلية شيء واحد .

ويوجد أيضا فى أمريكا 250منظمة إنجيلية موالية لإسرائيل يبلغ عـــدد أتباعها 40مليون بينها :

مؤتمر القيادة الوطني المسيحية لإسرائيل – المؤتمر الوطني المسيحي – الاتحاد الأمريكي من أجل سلامة أمريكا – تاف الكاتدرائيـــة الإنجيليـــة – الائتلاف الأمريكي من أجل القيم التقليدية – الصـــوت المســـيحي – جماعـــة السفارة المسيحية الدولية فى القدس .

وأسفار العهد القديم (سِفر إشعيا11 ،34 ، 43 & سِفْر زكريا : 9 ، 11 ، 12 ، 13 ، 14 &سِفْر المزامير : 83وغيرها) نجد تشريع العنف ووصف التنكيل الذي يحل بالعراق والأردن وسوريا ومصر وفلسطين وغـيرهم مـن المسلمين والعرب .

وكل ذلك تعضيداً لخرافة الألفية التي حلت عـام 2001 وأسـطورتها المزعومة بسيادة اليهود للعالم وتدمير المسلمين لماذا ؟! .. لأنـهم أعـداء طبيعيين لليهود يجب إفنائهم وإهلاكهم بشتى الطرق والصور حتى لـو كـان ذلك بنسج أسطورة أو خرافة أو قصة تنتهي بهلاك المسلمين جميعهم وبقـاء اليهود وحدهم.هذا هو خيالهم وشططهم وهذا هو ما يسعون لتصديق وتحقيـق ما تخيلوه وابتدعوه حقداً وكيداً وغيظاً من الأمة التي اختارها الله جل عـلاه لتخلف الشعب المختار – سابقا – في أن تكون الأمـة الفُضلَـى وخـير أمة أُخرجت للناس على مر الزمان والدهر لنبذ اليهود الدين والشريعة وإن كـانوا يتظاهرون بتدينهم وأنهم محافظون على شريعتهم الموسوية وأنهم شـعب الله وصفوة خلقه . وهذا التوجه اليهودي / الصهيوني يلقى بطبيعة الحال القبـول والتعضيد والمساندة من كافة قوى الشر والبغي فى العالم حتى أنهم صدقـوا ماروجوا له من خرافات في محاولة فجة ويائسة لإلهاء أنفسهم أولا والمسلمين ثانيا عن الواجب المنوط بهم فى دحر أعداء الله وتنفيذ قضاء الله فيهم بعدمـا تجمع اللفيف من الشتات وبعدما ارتفع صوت الباطل أكثر مما يجب وبعدمـا ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله الذي قضى فيهم أمراً لا مفـر منـه ولا مهرب ولا طائل من محاولة التشويش عليه أو تعطيل حدوثه أو التشكيك فـي وقوعه . يظنون أنهم بترويج الخرافات والأساطير قـادرون علـى طمـس الحقائق البيّنة الجليّة . لكنه اليأس والرعب الذي يعتمل في صدورهم ويسيطر على مشاعرهم وأحاسيسهم فلا يجدون فى النوم راحة ولا في اليقظة سـلوى

وأمن . ومن خوفهم تراهم يتخبطون بين التظاهر بقوتهم التي تفوق قوى من حولهم عتاداً وسلاحاً وبين الجأر بالشكوى حين تلم بهم نازلة بفعل مقاومة العزل من الفلسطينيين بصدورهم العارية إلا من الإيمان بحقهم في العيش كغيرهم وتحرير أرضهم المغتصبة . ومع كل عملية استشهادية يطيش صوابهم وتطير عقولهم وتنخلع أفئدتهم هلعاً وخوفاً فهم لايدرون أين ومتى تأتى الضربة التالية . ولا من سيكون الضحية منهم فى الأرض المحتلة أو الأرض التي يحاولون بسط سيطرتهم عليها كل حين وآن .

وبرغم ما لديهم من شتّى الأسلحة فهم لا يأمنون على أنفسهم ولا على حياتهم ومعيشتهم . يعلمون ويدركون تماما أنهم مغتصبون ومزوِّرون ومدّعون . وأنه لا حق لهم الآن فى الأرض التي منحها الله لهم حينما كانوا أفضل الأمم في زمانهم ولأنهم بعصيانهم الله واعتدائهم على الشريعة التي أنزلها الله عليهم بالتحريف والتزوير وبقتلهم أنبياء الله ورسله إليهم وبكفرهم بآيات الله ورسالاته قد تنكبوا الطريق وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل فاستحقوا لعنة الله عليهم وغضبه وقضى الله عليهم بالشتات في شتى بقاع الأرض جزاءً بما فعلوا ويفعلون:

*وقطّعنا هم فى الأرض أمماً . منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون *فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب (التوراة) يأخذون عَرَض هذا الأدنى (شهوات الدنيا) ويقولون سيُغفّر لنا وإن يأتهم عَرض مثله يأخذوه . ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه (من شريعة ودين) والدار الآخرة خير للذين يتقون . أفلا تعقلون * والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين(117).

هذا هو منهجهم في الحياة . اللهث وراء شهوات الدنيا من مال وغيره والاستكبار والاستعلاء والبغي والكفر بما أنزله الله من شريعة وديـن رغم علمهم بأن ما جاءهم هو الحق من ربهم.ولكنه الكفر والتطاول على الأنبياء والرسالات والذات العلية . فاستحقوا اللعنة والغضب من الله خالقهم وبارئهم . وقضى الله فيهم أمراً هو واقع لا ريب فيه ولا رادّ له . **وتطاولهم وبغيهم إنما هو ابتلاءٌ من الله لعباده المؤمنين وهو إملاءٌ لهم (لليهود) حتى إذا أخذهم في الموعد الذي حدده جل شأنه ولا يعلمه إلا هو كان أخذه أخذ عزيز مقتدر ليكونوا – كسابقيهم من الطغاة –عبرة لغيرهم :**

*ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم . **إنما نملي لهم ليزدادوا إثما . ولهم عذاب مهين**(118) .

ورغم هذا فهم يعملون بدأب على إثبات أن خرافاتهم وادعاءاتهم حقيقة فيستميلون قوى البغي والشر في العالم في صفهم بادعاء أنهم – اليهود – هم خط الدفاع الأول والأخير عن تلك القوى الامبريالية العالمية وأنهم لو سقطوا فستسقط حتما دول الامبريالية العالمية الواحدة تلو الأخرى تحت طرقات المسلمين عدوهم المشترك . ولذا نجد كافة المساعدات تنهال على اليهود من مال وسلاح وتأييد سياسي واقتصادي وغيره في شتى المناسبات وكافة المحافل الدولية.وكلهم يظنون أنهم بذلك يحققون خرافة السيادة اليهودية على العالم في معركة وهمية ابتدعوها ووضعوا تفاصيلها في عقولهم السقيمة وحددوا موقعها في بلدة (مجدّو) الفلسطينية لتكون المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود (هرمجدّون) والتي يتخلص فيها اليهود ومعاونيهم من كافة المسلمين في شتى بقاع الأرض إلى الأبد وذلك قبل انتهاء السنة الحالية (بداية الألفية الجديدة 2001 م) . هكذا يتخيلون ويحلمون ويتناسون أن يد الله فوق

أيديهم وأن قضاء الله وقدره المقدور فيهم واقع لا محالة وأن الغلبة ســـتكون بإذن الله لعباده المؤمنين وصفوته من المسلمين الذين اختارهم جل شأنه علــى علم عنده وعلى موعد محقق منه في قرآنه الكريم :

*فإذا جاء وعد الآخرة (الوعد الأخير) ليســوءوا وجوهكــم (ليخزوكــم) وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا (يدمروا) ما علوا تتبيرا[119] .

ووقتها ستكون نهاية قوى الشر والضلال والبغي والفساد فى العالم ليسود الأمن والأمان والعدل والسلام كافة أرجاء العــالم وتعــود الحقــوق لأصحابها وتندحر قوى الباطل :

*وقل جاء الحق وزهق الباطل . إن الباطل كان زهوقا[120] .

*وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون[121] .

سيعلمون حينئذ أن الله لا يخلف وعده . وأنه جل شأنه على كل شــىء قدير وأنه يحيط بكل شيء علما . وأن كلماته هي النافذة ووعــده للمؤمنيــن محقق لا ريب فيه . ووعيده فيمن كفر نافذ لا مردّ له . وأن ما يدعيه اليــهود دوماً من أنهم شعب الله المختار في كل زمان ومكان ما هو إلا خرافة كبــيرة صدقوها واقنعوا بها الآخرين وأوهموهم بصدقها متباهين بقوتــهم ومنعتــهم ناسين أن الله الذي منحهم تلك القوة إنما هو تحقيق لوعده فيهم بأن يصبحــوا فى كثرة من المال والبنين وأكثر نفيراً حتى يغتروا بأنفسهم ثــم إذا أخذهــم بوعيده لهم لم يفلتهم . يأخذهم وهم فى أوج قوتــهم وجبروتــهم وغرورهــم فيظنون أن وعيد الله لهم غير محقّق . فإذا ما جاء وعده الأخــير بتدمــيرهم والقضاء عليهم على يد عباده المؤمنين المسلمين الطائعين الواثقين في نصرته

لهم كان يوماً شره مستطيراً ومحيطاً بمن شاقق الله ورسوله وبمن حـــادد الله ودينه وشريعته وبمن ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

تلك هي خاتمتهم ونهايتهم التي أخبرنا الله بها في قرآنه الكريم وذلـــك هو الوعد الحق من الواحد القهار الذي لا يعجزه شيءفـــي الأرض ولا فـــي السماء . وهذا هو القدر المقدور الذي قضاه وأبرمه العلي القدير :

***إنما أمره إذا أراد شيئا أنْ يقول له كن فيكون** *فسبحان الذي بيده ملكـــوت كل شيءٍ وإليه تُرجعون[122].

• **والله غالبٌ على أمره** ولكن أكثر الناس لا يعلمون[123].

* * * * *

الإسلام والامبريالية العالمية

إن الامبريالية العالمية وقوى الشر والقهر في عالمنا المعاصر تخص العرب خاصة والمسلمين عامة بالنصيب الأوفر من مخططاتهم وذلك لأسباب عديدة وبأساليب مختلفة منها :

1- ضرب الإسلام والمسلمين بكل وسيلة ممكنة ومحاولة القضاء على تطلعات شعوبها فى العيش فى سلام وأمان .

2- استغلال ثروات شعوب العالم الإسلامي بطريقة لإضعاف كيانهم الاقتصادي وبنيتهم الاجتماعية بحيث تكون لقمة العيش هي أكبر هموم المسلمين بدلاً من إعلاء كلمة الحق والدين والجهاد في سبيل الله .

3 -إفساد البني الاقتصادية والمالية للشعوب الإسلامية وتوجيه عائد ثرواتهم إلى مشروعات تستنفذ كل مدخراتهم وفائض ثرواتهم لعقود طويلة دون أن يكون هناك عائد مجز لهذه المشروعات بعد تمامها .

4- اليهود والصهيونية العالمية هم جزء أصيل من الامبريالية العالمية وأداتهم الهامة في تحقيق مخططاتهم على مستوى العالم الإسلامي والعربي على وجه التحديد .

5- توريط الدول والشعوب الإسلامية فى نزاعات فيما بينها وأخرى داخلية (حروب أهلية وطائفية)لاستنفاذ الجهد والمال والسلاح وأيضاً فى نزاعات عقائدية (سُنّة وشيعة – شمال وجنوب-عرب وبربر.. الخ)

6- تحديد وتقييد تسليح الدول الإسلامية لإضعاف قوتها الدفاعية بالمقارنة بجيرانها وخصومها (إسرائيل أكبر مثال لذلك).

7- تكثيف الغزو الثقافي الغربي وعلمنة ثقافة الشعوب الإسلامية للقضاء على الهوية الإسلامية وعقيدة شعوبها .

8- تجويع ومحاصرة كل القوى الصاعدة والتحررية الإسلامية (ليبيا – السودان –العراق..)لتقليل مخاطر تنامي قوتها الاقتصادية أو غيرها بالقياس إلى الدول الموالية والعميلة .

9- فرض برامج وخطط العلمنة والإلحاد الديني والعقائدي لضمان وجود أجيال مسلمة إسماً لا حول لها ولا قوة في مجال الفكر والرقي الديني والاجتماعي والاقتصادي وغيرها . ولوأد روح الجهاد والاعتزاز بالتاريخ العربي والإسلامي ونسيان أو تشويه ذلك التاريخ التليد .

10- سرقة العقول النابهة وإغرائهم لهجر بلاد العرب والإسلام والانتفاع بهم فى تطوير وتقدم مجتمعات الغرب وحده على حساب الشعوب الإسلامية .

11- تجنيد العملاء لبث أفكار الغرب المشرك فى أوساط المجتمعات الإسلامية والتجسس المنتظم والمنظم على ما ينتويه المخلصين من أبناء الشعوب الإسلامية لرفعة شأن بلادهم .

12- ربط اقتصاديات الدول الإسلامية بالتبعية والهيمنة الغربية .

13- التخلص من معارضي الغرب بطرق مختلفة منها القتل أو الترويع أو الابتزاز أو الاستمالة .

14- التخلص من علماء المسلمين النابهين في فروع العلم المختلفة (وخاصة العلوم الذرية وغيرها) إذا لم يرضخوا للتهديدات الغربية (الدكتور المشدَ – الدكتور جمال حمدان – الدكتورة سميرة موسى..).

15- الترويج للأفكار الهابطة والمشوشة عن الدين الإسلامي **ووصم معتنقيه من المجاهدين والإصلاحيين بالإرهاب ليكون الدين الإسلامي مجرد طقوس وشعائر كما فعل الغرب بشريعتهم :**

﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾[124] .

16 – تمويل الأنشطة المشبوهة وتكريس تسطيح مفهوم الدين عند المسلمين وإلهائهم في احتفالات شركية مختلفة مثل بدع الموالد (تستمر على مدار العام) والاحتفالات والأنشطة الصوفية **وغيرها والترويج للمحافل الماسونية وأنشطة النوادي العلمانية والتجسسية مثل نوادي الروتارى والليونز وعبدة الشيطان وغيرها .**

17- فرض الآراء الغربية فى المحافل الدولية . وتقنينها (مؤتمرات السكان مثلا) تحت لواء الأمم المتحدة لتقويض النظم الاجتماعية والقيم الدينية تحت مسميات الحرية والمساواة وحقوق الإنسان لضمان ضعفة المسلمين وتخلفهم **(تقنين وترويج الزواج العرفي والسري والإجهاض وحملات تحديد نسل المسلمين دون غيرهم والفوضى الجنسية تحت مسميات مختلفة مثل الحرية وحقوق الإنسان وحقوق المرأة والتحضر) .**

18- فرض ما يسمى بالعولمة وهى في حقيقتها فرض الوصاية والانتداب الغربي (الأمريكي تحديداً) على دول العالم الثالث وخصوصا الدول

الإسلامية والعربية منها . فلا يتم شيء ذي بال في تلك الدول إلا بموافقة ومباركة واستفادة الغرب الامبريالي .

19- التدخل في الشئون الداخلية للدول الإسلامية باسم حرية الرأي وحقوق الإنسان وكفالة ممارسة الشعائر للأقليات، وترهيب رجال الفكر الوطني وكافة الشرفاء والمخلصين من الوطنيين .

20 – وأد كافة خطوات الوحدة والتجمع الإسلامي والعربي كيلا تقوم قائمة لدولة أو كيان وحدوي قومي أو ديني يكون حجر عثرة في طريق الهيمنة الغربية .

21- الوقيعة المستمرة بين الدول الإسلامية والعربية بل وداخل الكيان الواحد بادعاءات مختلفة كالطائفية و الأقليات أو الإرهاب وبث الشكوك بين المسلمين بعضهم البعض واختلاق تهديدات مستمرة من الجيران وتخويفهم المستمر عن طريق عملائهم من الأفراد والأمم (العراق ودول الجوار في الخليج،إيران والمد الإسلامي وتصدير الثورة .. الخ)

22- استنزاف ثروات الشعوب الإسلامية وإعادة تصديرها لهم في صورة منتجات تامة الصنع يحتكرون تصنيعها ويفرضونها بالأثمان التي ترضيهم .

23- جعل السوق الإسلامي سوقاً رائجة لتصريف منتجاتهم خصوصا تلك التي تخضع للتجارب والاختبارات (الأدوية – المبيدات – التقاوي..) .

24- إجراء التجارب على كافة الأسلحة المستحدثة في مناطق النزاعات التي يختلقونها داخل العالم الإسلامي فيستخدمونها ضد شعوبهم . لاختبار مدى فاعليتها ولتجنيب شعوبهم الآثار الناجمة عنها . (القذائف والذخائر المخصبة والألغام ضد الأفراد وغيرها) .

25- تدبير الانقلابات العسكرية ضد معارضيهم والتصفية الجسدية للأفراد المناوئين ومعاونة من يوالونهم للوصول إلى مراكز القرار والسلطة (في الانتخابات وغيرها)لضمان الهيمنة والتبعية .

26- استمالة ضعاف النفوس من القادة والساسة لتنفيذ سياساتهم أو على الأقل لضمان عدم وجود معارضة لهم ولأنشطهم وتدخلاتهم المختلفة في كافة البلدان الإسلامية .

27- طمس الهوية الثقافية للشعوب الإسلامية ومحاولة مسخها بنشر ثقافاتهم وأفكارهم وعاداتهم التي تخالف التوجه الإسلامي في كل شيء (الإباحية - الفوضوية - الموضة - التقاليع - التدخين - المخدرات - الأفكار الهدامة للجماعات الملحدة- السينما - الأغاني الخليعة .. الخ) .

28- نشر كافة الموبقات بين الشباب المسلم لهدم عقيدته وصحته (الجنس - المخدرات - التقاليع الإلحادية -ازدراء الأديان .. الخ)

29- إغراق الدول الإسلامية في الديون والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية كيلا تنهض ولا تقوم لها قائمة فتظل تعانى من التخلف والفقر والمرض والجوع .

30- وأد روح الجهاد وإعلاء كلمة الله فى الكون بالتشكيك المتواصل في قدرة وقوة الدول الإسلامية مجتمعة وقدرة أعدائها وقوتهم وتسليحهم المتعاظم بهدف نفى وطمس - أو تأجيل - والتشكيك فى وعد الله للأمة المسلمة بكونها أداة تنفيذ الوعد الإلهي المكتوب والمقدر على بنى إسرائيل بالتدمير وخلاص العالم من شرورهم وإفسادهم .

31- **محاولة تحقيق خرافة الألفية** بإطلاق يد إسـرائيل ضـد الفلسـطينيين ووضع حجر أساس الهيكل المزعوم **وإلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين عامة والعرب خاصة** ومحاولة هدم المسجد الأقصى (حفر خنادق وعمل حفريـات وهمية للبحث عن الهيكل تحت المسجد)٠

32- إحياء مايسمى بصراع الحضارات وتصادمها لمحو الهوية الإسـلامية ومحاربة المسلمين تحت دعاوى مختلفة فى محاولة يائسة لمنع تحقيق وعد الله المقدر فيهم بالدمار لإراحة العالم من شرور اليهود .



جنـــود الله

كل ما سبق ذكره قليل من كثير . جلىّ وواضح أو خفـــي مســتور . الهدف الأسمى لقوى الامبريالية العالمية هو الإيهام باستحالة تنفيذ وعـد الله وقضائه فى بنى إسرائيل الذين هم الأداة التنفيذية لجميع مخططاتهم (انظر الفصل الثالث) أو محاولة إعاقة نهضة المسلمين والتفافهم حولَ حبــل الله المتين والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ألا وهى القرآن الكريم . شـريعة الله ورسالته إلى يوم الدين . الباقية مـــهما حــاول الكــائدون والأعــداء والمعاندون .

الأمر كله لا يعدو إلا أن يكون مسألة وقت فـــى يقيننـــا. ومنـــهج استقامه وإنابة واستمساك بتعاليم الله ودينه القويـــم وشــريعته العصمـــاء السمحاء . وقت تفيق فيه القلوب الغافلة اللاهية المسلّمة قيادهـــا لأعدائـــها دون أن تدرك مغبة ذلك الخذلان . فى بادئ الأمر كانت الأمة الإســـلامية هي التي تقوم بقيادة العالم كله (الدولة العربية الإسلامية) وبعد أن نـــال منها الفتور والوهَن وضعت رقابها فى أيدي أعدائـــها واستســلمت لذلــك المصير قرون عديدة منذ تحقيق وعد الله الأول على أيدي عباده المخلصين المؤمنين الأتقياء . محمد (ﷺ) وصحبه الكـــرام بإيمانـــهم واخلاصـــهم وصدقهم كانوا هم أصحاب ورجال الوعد الأول فمن تُرى يكـــون رجـــال وعد الله الأخير ؟ .

ولنعلم أنه مع التخاذل والنكول فإن لله جنود السماوات والأرض :

***وإنْ تتولوا يستبدل قوماً غيركم.ثم لا يكونوا أمثالكم[125].**

وقدرة الله لا يحدها شىء :

***وما كان الله ليعجزه من شىءٍ فى السماوات ولا فى الأرض .إنه كان عليما قديراً[126] .**

ولكن هناك من يتعلل بأسباب واهية ويلتمس لنفسه المعاذير والمخاوف بأن الأمم سوف تتكالب علينا فيصيبنا منهم الأذى والبطش :

*فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم (بالنكول)يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة (تتكالب علينا الأمم وتأتينا النوائب) فعسى الله أن يأتى بالفتح (النصر) أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين[127] .

وكل من يتخاذل ويولى الأدبار نتيجة وهمٍ يراوده ويسيطر على مشاعره فيصيبه بالإحباط والخوف (نخشى أن تصيبنا دائرة) فيظن أن الأمم ستتكالب على المسلمين وتأتينا نوائب الدهر ومصائبه وكنّا فى غنى عن ذلك فاعلم أن هؤلاء هم المنافقون والذين فى قلوبهم مرض . ولم ترتق نفوسهم إلى مستوى المسئولية الملقاة على عاتقهم من قِبَل الله . ولما كان الأمر كله لله فإن الله يتكفل بنصر المؤمنين الذين صدقوا عهدهم مع الله بالجهاد قولا وعملا . وصدقت نواياهم وأخلصوا دينهم لله . وحينئذ يصبح أولئك المنافقون فى ندم على ما أسروه وأخفوه فى أنفسهم من أن الهزيمة ستلحق بالمسلمين وحينئذ ترتفع كلمة الله فتكون هى العليا . وكلمة الذين كفروا السفلى .

ولنعلم أن لله جنود في السماوات والأرض يؤيد بـــها عبـاده المؤمنيـن ويخزى بها الكافرين والمنافقين . **وجنود الله هى:**

1-**الصيحة** : وهو صوت أشد وأقوى من صوت الرعد المعـروف (قـوم ثمود) .

2- **الحاصب** : أي الريح المحملة بحصىً من سجيل وهى ريح صرصـر عاتية وشديدة (قوم عاد).

3- **الخَسْف** : أى خسف الأرض وجعل عاليها سافلها (قارون) .

4- **الإغراق** : مثلما حدث لفرعون وملئه (فرعون) .

5-**الطوفان** : وهو أشد صور الإغراق (قوم نوح) .

6- **الزلازل** : وهى التى تدك كل ماعلى الأرض (قوم لوط).

7-**الظلّة** : أي السحاب الذي يمطر ناراً (قوم شعيب) .

8-**الخوف** : ببث الخوف فى قلوب الأعداء (يهود بنى النضير) .

9- **الرعب** : ببث الخوف الشديد فى قلوب الأعداء فينهزموا قبل أن يقاتلوا (يهود بنى قُريظة ويهود خيبر) .

10- **طير أبابيل** : وهى طيور تحمل فى فمها حجـارة محرقة ومهلكة (أصحاب الفيل / أبرهه) .

11 – هذا بخلاف جنود الله الأخرى من **الملائكة** وغيرهم من الجنود التي لا ترى **كالفيروسات والميكروبات** التى تسبب الأمراض الفتاكة والأوبئة التي تحصد الأرواح حصداً.وجنود أخرى لا يعلمها إلا الله ولا ترى :

*فأرسلنا عليهم **ريحاً وجنوداً لَمْ تَرَوها** وكان الله بما تعملون بصيرا[128] .

وكل ذلك تمكين للمسلمين الطائعين وابتلاء للنفوس الصابرة المخلصة المستقيمة على أمر الله . **فإن كان الصدق والإخلاص والإيمان يعمر القلوب فإن نصر الله لآت وعون الله لا ريب فيه ومعيّة الله حليف أصيل لعباد الله المؤمنين.**لأن علم الله غير محدود القدرة،وبصره – جل شأنه – يدرك ويحيط بكل شيء.فالله بصير بعباده وعليم بإيمانهم وجند الله لاشك ستكون معهم تؤيدهم وتثبتهم. وإذا ما حدث النكول والارتداد والشك فإن الله قادر على استبدال أولئك الناس بآخرين يحبهم ويحبونه :

*** يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . أذلة على المؤمنين (رحماء بهم) أعزة على الكافرين (أشداء عليهم).يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم**[129] .

والنبى (ﷺ) يبين لنا أن ابتلاء الله للمؤمنين فى المواقف المختلفة يتدرج حسب قوة الإيمان ودرجته . لماذا ؟:

* ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم .أولئك هم الخاسرون[130].

*عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبى وقّاص قال : قلت : يا رسول الله أى الناس أشد بلاءً ؟

قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يُبتَلى الرجل حسب دينه [131] .

*عن العلاء بن المسيّب عن أبيه عن سعد قال :

سئل رسول الله (ﷺ) : أي الناس أشد بلاءً ؟

قال : الأنبياء . ثم الأمثل فالأمثل . يُبتلى الناس حسب دينهم . فمن ثخن دينه (عظم) اشتد بلاؤه . ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه . وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه من خطيئة [132].



تذكرة

عن ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال :

يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأَكَلَـــة علـى قصعتها قلنا يارسول الله : أمن قِلّة منّا يومئذ ؟ قال : أنتم يومئذ كثير . ولكنكم غثاءً كغثاء السيل . تُنزَع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهَن . قالوا : ومالوهَن ؟ قال : حب الحياة وكراهة الموت[133].

وقد رُوى الحديث بعدة صيغ وكلها بذات المعنى . والحديث لا يحتـاج لأى تعليق منا فهو واضح المعنى . وهو تحذير للمسلمين فى كل زمان ومكان ونصيحة من النبى (ﷺ) لنا .

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا)[134] :

*لن يضروكم (يا مسلمين) إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكـم الأدبـار ثـم لا يُنصرون[135] .

*ولا تهنوا ولا تحزنوا (لا تضعفوا عن الجهاد) وأنتم الأعلَـون إنْ كنتـم مؤمنين [136] .

***بل الله مولاكم وهو خير الناصرين * سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا (برهانا) ومأواهم النـار . وبئـس مثوى الظالمين [137] .**

*إن ينصركم الله فلا غالب لكم . وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون [138] .

*الذين قال لهم الناس (المنافقون) إن الناس (الأعداء) قد جمعوا لكم (من السلاح) فاخشوهم . فزادهم (ذلك) إيماناً (يقيناً) وقالوا حسْـــبُنا الله ونعـــم الوكيل *فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . واتبعوا رضـــوان الله . والله ذو فضل عظيم [139].

*يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا (ثابروا) ورابطوا (تـــأهبوا للجـــهاد) واتقوا الله لعلكم تفلحون[140].

*ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا[141] .

*إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتـــون الزكـــاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فـــإن حـــزب الله هـــم الغالبون[142].

*ولقد كتبنا فى الزبور (كتاب داود) من بعد الذكـــر (التـــوراة) أن الأرض يرثها عبادي الصالحون[143].

* إن الله يدافع عن الذين آمنوا . إن الله لا يحب كل خوّان كفور[144].

* أُذِن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير[145] .

*ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز[146] .

*وكأين من قرية أمليت (أمهلت) لها وهى ظالمـــة . ثـــم أخذتـــها وإلـــىّ المصير[147] .

*وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كمـــا استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدوننى لايشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فـــأولئك هم الفاسقون(148).

*وكان حقاً علينا نصر المؤمنين(149).

*من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهـــم من قضى نحبه (أجله) ومنهم من ينتظر ومـــا بدلـــوا تبديـــلا *ليجـــزى الله الصـــادقين بصدقهم(150).

*استكباراً فى الأرض ومكر (كيد) السيىء ولا يحيق (يحيط وينزل) المكر السيىء إلا بأهله . فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديـــلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا *أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة . وما كان الله ليعجزه من شـــــىء فـــى السماوات ولا فى الأرض . إنه كان عليما قديرا (151).

* إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فســـبحان الـــذى بيـــده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون(152) .

* إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهـــــــــاد (القيامة) * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار(153).

*هو (الله) الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب (اليهود) من ديـــارهم لأول الحشر (لإجلائهم إلى الشام).ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقـــذف فـــى قلوبـــهم

الـــرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فـــاعتبروا يـــا أولـــى الأبصار[154] .

***لأنتم أشد رهبةً فى صدورهم من الله . ذلك بأنهم قـــوم لا يفقـــهون * لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرىً محصنة أو من وراء جُدُر . بأسهم بينهم شـديد (عداوة فيما بينهم) . تحسبهم جميعاً (متحدين ومترابطين) وقلوبهم شتى (متباغضة ومتباعدة) . ذلك بأنهم قوم لايعقلون[155] .**

*ألم تر كيف فعل ربك بعاد *إرم ذات العماد (الأعمدة) *التي لـــم يُخلَــق مثلها فى البلاد *وثمود الذين جابوا الصخر بالواد *وفرعون ذى الأوتـــاد * **الذين طغوا فى البلاد * فاكثروا فيها الفساد *فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد[156].**

*ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعـــل كيدهـــم فـــى تضليـــل (خســـران) * وأرسل عليهم طيراً أبابيل *ترميهم بحجارة من سجّيل (مثـل الجير الحي المحرق) *فجعلهم كعصف مأكول (مثل روث البهائم)[157].

* * * * *

وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً

لا مبدل لكلماته[158]

* * * * *

الهوامش

[1]) جامع الترمذى : 42 - كتاب ثواب القرآن باب ماجاء فى فضل القرآن .

[2])سنن الدارمى : 23 - كتاب فضائل القرآن 1-باب فضل من قرأ القرآن .

[3] .)سورة النمل : 76- 78

[4])سورة المائدة : 20

[5])سورة فاطر : 15

[6])سورة الزمر :7

[7])سورة فاطر : 16،17

[8])سورة البقرة : 80 ، 81

[9])سورة آل عمران : 24

[10])سورة البقرة :111

[11])سورة المائدة : 18

[12])سورة الجمعة : 6،7

[13])سورة يونس : 69،70

[14])سورة لقمان : 33

[15])سورة الإسراء : 84

[16])سورة الأعراف : 168

[17])سورة ص: 35

[18])سورة الشورى : 26

[19])سورة المائدة : 27

[20])سورة آل عمران : 178

[21])سورة محمد : 31

[22])سورة محمد : 4

[23])صحيح مسلم : 6- كتاب صلاة المسافرين وقَصْرِها .ح 139وهـو حديـث طويل يرويه سعد بن هشام عن بن عامر وفيه يقول :بعد أن استأذن علـى عائشة قال : فقلت : ياأم المؤمنين . أنبئيني عن خُلُق رسول الله . قـالت ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خُلُق نبى الله كان القرآن .

[24])سورة الأحزاب : 40

[25])سورة آل عمران : 54 ، 55

[26])سورة مريم : 57

[27])سورة السجدة : 11

[28])سورة الزمر : 42

[29])سورة المائدة : 75

[30])سورة ال عمران : 144

[31])سورة الأنبياء : 34 ، 35

[32])سورة المائدة : 117

[33])سورة لقمان : 34

[34])سورة الأعراف : 187

[35])سورة النحل : 77

[36])سورة المائدة : 3

[37])سورة الأعلى : 14-19

[38])سورة الحِجْر : 9

[39])سورة الأحزاب : 40

[40])سورة المؤمنون : 44

[41])سورة سبأ : 28

[42])سورة النساء : 79

[43])سورة الأنبياء : 107

[44])سورة البقرة : 136

سورة آل عمران : 84

[45])الأضواء القرآنية فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية :

(السيد صالح)جـ2 ص 164ومابعدها .

[46])سورة الأنعام : 38

[47])سورة النحل : 89

[48])الفتاوى : الإمام الشيخ (محمود شلتوت) ص 57 ومابعدها .

تفسير المنار : السيد (محمد رشيد رضا) تفسير سورة آل عمران

والنساء والمائدة .

[49])سورة النور : 36

[50])سورة يوسف : 76

[51])سورة الشرح : 4

[52])سورة المجادلة :11

[53])سورة آل عمران : 45

[54])سورة النساء : 159

[55])سورة النساء : 18

[56])سورة الزخرف :61

[57])سورة مريم : 57

58)أضواء على السنّة المحمدية : الشيخ (محمود أبو رية) ص113 ومابعدها (طبعة دار المعارف).

59) نفس المصدر السابق : ص 113 ، 114

الجواب الكافى : ابن القيم الجوزية ص 37 ، 38

تدريب الراوى : (السيوطى)ص180 .

تدوين السنّة: (إبراهيم فوزى)ص243

تفسير المنار : (محمد رشيد رضا) .

60)أضواءعلى السنّة المحمدية : (محمود أبو رية) ص114

61)نفس المصدر السابق : ص 114

62)كتاب المرقاة : (ابن حاتم) ص 39

63)مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة : (السيوطى) ص17

64)أضواء على السنة المحمدية : (محمود أبو رية) ص116

65)عبقرية عمر : (عباس محمود العقاد) ص204

66)تفسير المنار : (محمد رشيد رضا) ص183–186من تفسير جزء عم

67)تفسير المنار : ج 27 ص 784

68)سورة الفرقان : 5،4

69)سورة النحل : 103

70)سورة العنكبوت : 48

71)سورة النحل : 102

72)سورة الإسراء : 47 ، 48

73)سورة الفرقان : 9،8

74)الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 382

السيرة النبوية : (ابن كثير) جـ 3 ص 390

المعجم الصغير : (الطبرانى) جـ1 ص 19

زاد المعاد : (ابن القيم الجوزية) جـ 2ص139

[75])سورة الضحى : 6-8

[76])سورة الضحى : 5

[77])سورة الأنفال :1

[78])سورة الحشر : 7

[79])سورة الأنفال : 41

[80])فى ظلال القرآن : (سيد قطب) المجلد الثالث ص 1519

[81])نفس المصدر السابق : المجلد الخامس ص 2848

الرحيق المختوم : (المباركفورى) ص 326

[82])سورة المائدة : 67

[83])سورة النحل : 64

[84])سورة النحل :44

[85]) جريدة الأهرام المصرية : الأهرام العدد رقم (41679) السنة (126)

الصادر يوم الجمعة الموافق 2001/1/12 . ص10

[86])جريدة (السياسى المصرى) : دار التعاون العدد رقم (1347) السنة (26)

الصادر يوم الأحد الموافق 2001/6/24 ص 5

[87])سورة النمل : 65

[88])سورة الطور : 41

سورة القلم : 47

[89])ورد فى عدة أعداد من جريدة (السياسى المصرى) الصادرة عـن دار التعاون أن نهاية إسرائيل تكون فى أعوام 2022 &2023م

(غالبية الآراء) وعام 2257م (د.م / مراد محمد الدش) .

وعام 3257 م (د. أحمد حجازى السقا) والذى قال أن الإفسادة الأولى لبنى إسرائيل كانت عام ١٩٦٧م. وحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ هى محاولة لرد الإفساد وعلوه . وأن الإفساد للمرة الثانية (ورد فى سفر دانيال (الإصحاح : 12) سيكون بعد 1290 عاماً من الإفسادة الأولى (أى فى عام 3257 م) ونهاية إسرائيل ستكون 3302 م) .

[90]) وهذا ماحدث أكثر من مرة حين تنبأت العديد من الجماعات الدينية والإلحادية بأن نهاية العالم ستكون يوم كذا من سنة كذا . ولمّا لمْ يحدث شيئا من ذلك انتحر أتْباع تلك الجماعات فرادى وجماعات .

[91]) عوالم فى تصادم : (إيمانويل فلايكوفسكى) ص 117 ، 136، 138، 268

[92])عوالم فى تصادم : (فلايكوفسكى) ص 128 ، 129 ، 140 .

[93])نفس المصدر السابق : ص 242 ، 250 ، 257 ، 258 ، 264 ، 265، 267، 303 ، 310 ، 311

[94])نفس المصدر السابق : ص [illegible]

(نجمة داود) السداسية هى شكل الدرع الذى صنعه داود (عليه السلام) للجنود كى يكون سهل الحركة وخفيف الوزن ويسمح بالرؤية والمراقبة من خلفه دون مشقة بخلاف الدروع الأخرى المصمتة والثقيلة .

[95])نفس المصدر السابق : جوبيتر / زيوس / المشترى : ص 269 – 271

[96]) نفس المصدر السابق : مارس / إيروس / المريخ : ص 356

[97])سورة فصّلت : 15

[98])سورة المائدة : 52

[99])سورة البقرة : 40

[100])سورة يوسف : 21

101)جريدة الأهرام المصرية : العدد رقم (41837) الصادر فى يوم السبت الموافق 23 / 6 / 2001 م ص 13

102) أسطورة العودة : (مارسيا إلياد) ص 188

103)مظاهر الأسطورة : (مارسيا إلياد) ص58

104)أسطورة العودة : (مارسيا إلياد) ص184

105)نفس المصدر السابق : ص189

106)نفس المصدر السابق : ص 170 ، 171

107)المبشرون البروتستانت والنيّة القاتلة : (جريس هالسيل) منشور مترجم على حلقات فى جريدة الشرق الأوسط الدولية .

قبل أن يُهدَم الأقصى : (عبد العزيز مصطفى).

108)الاخطبوط الصهيونى : (ليلنتال) ص46

109)سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى : 9 : 13 – 18

110)نفس المصدر السابق : 11: 15

111) نفس المصدر السابق :11 : 19

112) نفس المصدر السابق :14 : 8

113) نفس المصدر السابق :18 : 9 ، 10

114) نفس المصدر السابق : 21 : 1–4

115)إسرائيل والصهيونية : (جورج ماكاى) .

116)دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص111–113

مجلة الكاتب الفلسطينى : (سعيد الشحات) عدد 26 / ص 26 سنة 1994

117)سورة الأعراف : 168 –170

118)سورة آل عمران : 178

119)سورة الإسراء : 7

[120])سورة الإسراء : 81

[121])سورة الشعراء:227

[122])سورة يس : 82 ، 83

[123])سورة يوسف : 21

[124])سورة النساء : 89

[125])سورة محمد : 38

[126])سورة فاطر : 44

[127])سورة المائدة : 52

[128])سورة الأحزاب : 9

[129]) سورة المائدة : 54

[130])سورة الأنفال : 37

[131])جامع الترمذى : 34 - كتاب الزهد - 57 باب الصبر على البلاء . عن سعد بن أبى وقاص .

وروى فى سنن ابن ماجة و الحاكم أيضا .

المرض والكفارات : (ابن أبى الدنيا) .

[132])صحيح ابن حبان : من رواية العلاء بن المسيب .

[133])الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى : (ابن القيم الجوزية) ص 48 .

مسند الأمام أحمد : (أحمد بن حنبل) . باب الزهد .

وفى رواية أخرى قال رسول الله (ﷺ) :

*يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكَلة إلى قصعتها :فقال قائل :

ومِن قِلّة نحن يومئذ ؟ قال : بل يومئذ كثير ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل .

ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم . وليقذفن الله فى قلوبكم الوهَن .

فقال قائل : : يارسول الله وما الوهَن ؟ . قال : حب الدنيا وكراهية الموت .

(هموم الأمة الإسلامية) : د. محمود حمدى زقزوق . ص 77 .

سنن أبى داود : كتاب الملاحم 5/ج 4 ص 483 (طبعة اسطنبول . الكتب الستة) مجلد (10) . أبو داود السجستانى .

[134]) سورة المزمل : 19

[135])سورة آل عمران : 111

[136])سورة آل عمران : 139

[137])سورة آل عمران : 150 ، 151

[138])سورة آل عمران : 160

[139])سورة آل عمران : 173 ، 174

[140])سورة آل عمران : 200

[141])سورة النساء : 141

[142])سورة المائدة : 55 ، 56

[143])سورة الأنبياء : 105

[144])سورة الحج : 38

[145])سورة الحج : 39

[146])سورة الحج : 40

[147])سورة الحج : 48

[148])سورة النور : 55

[149])سورة الروم : 47

[150])سورة الأحزاب : 23 ، 24

[151])سورة فاطر : 43 ، 44

[152])سورة يس : 82 ، 83

[153])سورة غافر : 51 ، 52

[154])سورة الحشر : 2

[155])سورة الحشر:13 ، 14

[156])سورة الفجر : 6 – 14

[157]) سورة الفيل : 1–5

[158])سورة الأنعام:115

المراجع

المـــــراجع

1) **القرآن الكريم .**

2) **تفسير القرآن الكريم (ابن كثير) الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي**
مكتبة التراث الإسلامي & مكتبة الإرشاد .
حلب سوريا . سنة 1980م.

3) تفسير القرآن الكريم : (الطبري) أبو جعفر بن جرير الطبري المسمى بـ
(جامع البيان) . دار الفكر بيروت . لبنان .

4) تفسير القرآن الكريم : (القاسمي) المسمى بـ (محاسن التأويل)
محمد جمال الدين القاسمي . مؤسســـة
التاريخ العربي. بيروت . لبنان سنة 1995

5) تفسير القرآن الكريم : (في ظلال القرآن) سيد قطب . دار الشـــروق
القاهرة . 1987. الطبعـــة 13 .

6) تفسير القرآن الكريم : (القرطبي) المعروف بـــ (الجـــامع لأحكـــام
القرآن) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصـــاري
القرطبي . دار الكتب المصرية . مصر.

7) **تفسير القرآن الكريم :** (المنار) محمد عبده & محمد رشيد رضا . دار المنار . سنة 1373 هـ . 1959 م . الطبعة الرابعة (مطبعة حجازي) القاهرة . مصر .

8) **فتح البارى :** ابن حجر أحمد العسقلانى . المطبعة السلفية . الروضة . القاهرة . مصر (لشرح أحاديث البخاري).

9) **صحيح البخارى :** أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري . دار التراث. القاهرة .

10) البخارى (بحاشية السندى) . دار إحياء الكتب العربية & دار التراث العربي . مطبعة الحلبي القاهرة

11) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى . دار إحياء التراث العربي & مؤسسة التاريخ العربي . بيروت لبنان .

12) مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل الشيبانى . دار الفكر العربي & مطبعة الحلبي & دار المعارف . القاهرة . مصر .

13) سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى .

14) **موطأ الإمام مالك :** مالك بن أنس الأصبحي. دار الشعب .القاهرة . مصر .

15) **جامع الترمذى :** أبو عيسى محمد بن سورة الترمذى . دار إحياء التراث العربي بيروت . لبنان .

16) **سنن أبى داود :** أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى. طبعة اسطنبول . الكتب الستة .

17) **السنن الكبرى :** أبو بكر أحمد بن حسين على (البيهقى).

18) **سننن الدارميّ :** أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي . دار إحياء السنة النبوية .

19) **صحيح ابن حبان :** أبو حاتم بن حبان البستي .

20) **سنن النسائى :** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي . (السنن الكبرى للنسائي) .

21) **الطبقات الكبرى :** محمد بن سعد الزهري البصري.دار صادر . بيروت لبنان .

22) **مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة :** (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد أبو الفضل .دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان .

23) السيرة النبوية : الحافظ (بن كثير) . مطبعة الحلبى . القاهرة. تحقيق د. مصطفى عبد الرحمن عبــد الواحــد . القاهرة . مصر . سنة 1965 (أربعة مجلدات) .

24) السيرة النبوية : أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى(سيرة ابن هشام) دار الحديث . القاهرة سنة1998م . (2 مجلد 4 أجزاء).

25) الرحيق المختوم : بحث فى السيرة النبوية . صفي عبــد الرحمــن المباركفورى . دار الوفاء . المنصورة . مصر . سنة 2000م(طبعة ثانية) .

26) سيرة ابن إسحاق : محمد ابن إسحاق بن يسار المطلبى .

27) أضواء علــى الســنة المحمدية : محمود أبو رية . دار المعارف . الطبعة الخامسة سنة 1980م . القاهرة. مصر .

28) البداية والنهايـــة : أبو الفداء إسماعيــل بن كثير الدمشـــقى (ابــن كثير) مكتبة المعارف . بيروت لبنان .

29) تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر محمد بـــن جريــر (الطــبرى) دار المعارف القاهرة . مصر .

30) تاريخ الحافـــــظ : ترجمة صدقة الدمشقى .

31) تاريخ ابن خلــدون : (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر) عبــد الرحمــن محمد بن خلدون . دار الطباعة الخديوية . بـولاق القاهرة . مصر .

32) دلائل النبـــــوة : أبو بكر أحمد بن حسين (البيهقى) . دار الكتــب العلمية . بيروت . لبنان .

33) تاريخ الطـــــبري : تاريخ أبى جعفر الطبري .

34) الترغيب والترهـيب : (الحافظ المنذرى) زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى . مكتبـــة الجمهوريـــة العربيـــة القاهرة مصر سنة ١٩٦٩ م. (أربعة مجلدات) .

35) رياض الصالحـين : أبو زكريا يحيى بن شـــرف (النـــووى) . دار الكتاب العربى . بيروت . لبنان سنة ١٩٧٦م .

36) حياة محمــــــد : (محمد حسين هيكل) الهيئة المصريـــة العامـــة للكتاب (مكتبة الأسرة) ســـنة 2001 . القـــاهرة . مصر .

37) **قصص الأنبيـــاء :** (ابن كثير) مجلـــدان . دار الكتـــب الحديثـــة . القاهرة . مصر سنة 1978 .

38) **قصص الأنبيـــاء :** (د. عبد الوهاب النجار) دار الجيل . الطبعـــة الثانية . بيروت . لبنان .

39) **أنبيـــــــاء الله:** (أحمد بهجت) دار الشروق.الطبعـــة الحاديـة والعشرون . القاهرة . مصر . سنة 1995 .

40) **جوامع الكلـــــم :** (من أحاديث سيد العرب والعجم) صلاح الدين التجانى . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبــة الأسرة) سنة 2000م . القاهرة . مصر .

41) **فقه السنـــــة :** (سيد ســابق) دار الفكــر . بـيروت (ثلاثــة مجلدات) سنة 1977م . لبنان .

42) **عيـــون الأثر :** (ابن سيد الناس) محمد بن محمد بن أحمد أبـــو الفتح .

43) **الكامل فى التاريخ :** (ابن الأثير) . طبعة بيروت . لبنان سـنة 1983 . أبو الحسن على بن محمد الجزرى الشيبانى (عـز الدين ابن الأثير) .

44) فتـــوح الشـــام : (الواقدى) محمد بن عمر بن واقد .

45) شذرات الذهـب : (أحمد بن محمد بـــن حنبـل الشـيبانى). دار الفكـر العربى & دار المعارف . القاهرة . مصر.

46) عبقرية عمـر : (عباس محمود العقاد) . دار المعارف . القاهرة. سنة 1979م .

47) نســـاء النبي : د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة سـنة 2000 م). القاهرة . مصر .

48) المعجم الصغير : الحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد (الطبرانى) . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

49) زاد المعاد : فى هدي خير العباد (ابن القيم الجوزيـــة) شـمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر ابن أيوب . المطبعـة المصرية .

50) مروج الذهب ومعـادن الجوهر : أبو الحسن على بن حسين بن على (المسـعودى) دار المعارف . بيروت.لبنان.

51) **المرض والكفارات :** (ابن أبى الدنيا) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبيد أبو بكر القرشى.

52) **الإصابة :** (ابن حجر العسقلانى) أحمد بن على بن محمد العسقلانى .

53) **أسد الغابة فى معرفة الصحابة :** (عز الدين ابن الأثير) . أبو الحسن على بن محمد الجزرى الشيبانى .

54) **المجمع :** (الهيثمى) على ابن أبى بكر بن سليمان الهيثمى (أبو الحسن) .

55) **التمهيد :** (ابن عبد الله) .

56) **المصنف :** (عبد الرازق) مصنف عبد الرازق .

57) **المرقاة :** (ابن حاتم) .

58) **المقاصد :** (السعد) .

59) مراتب الإجماع : (ابن حزم) علي بن أحمد بن سعيدبن حزم (أبو محمد الظاهرى) .

60) **الفتاوى :** (محمود شلتوت) دار الشروق الطبعة الثانية عشرة سنة 1983 . القاهرة . مصر.

61) **الأضواء القرآنية :** (فى اكتساح الأحاديث الإسرائيلية) . السيد صالح بكر . شركة مطابع محرم. الإسكندرية . مصر . 1974 م .

62) **سيرة الفاروق :** شمس العلماء (شبلى النعمانى) . ترجمة جلال السعيد الحفناوى . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . مصر سنة 2000م .

63) الاستيعاب : أبو عمر يوسف بن محمد القرطبى المالكى (ابن عبد البر) مكتبة نهضة مصر . القاهرة .

64) محاضرات فى النصرانية : (محمد أبو زهرة) دار الفكر العربى الطبعة الثالثة سنة 1966م & دار الكتاب الحديث . الكويت.

65) الكتاب المقدس : العهد القديم & العهد الجديد (الأسفار التوراتية & الأناجيل الأربعة) دار الكتاب المقدس . القاهرة سنة 1986م .

66) إنجيل برنابا : ترجمة د. خليل سعادة ، تقديم / محمد رشيد رضا . دار الفتح للإعلام العربي . القاهرة . مصر .

67) **المختـــــار من كتاب (الرد على النصارى) :** (أبو عثمان عمرون بن بحر الجاحظ) . اختارها عُبيد الله بن حسان . نقلاً عـــن النســخة التيمورية بالقاهرة رقم 19 أدب (1315هــ) منقولة عن نسخة كتبت فى (403 هــ) بخط أبى القاســم عبد الله بن على . مطبعة مشرَف . طنطا. مصر.

68) **الديانــة اليهوديـــــة وموقفها مـــن غـــير اليهود :** (إسرائيل شاحاك) دار سينا . القـــاهرة. ســنة 1994م .

69) **اليهودية :** (محمد بحر عبد المجيـــد) دار الكتـــاب العربـــي . القاهرة .مصر .

70) **المرشد الأمين :** (يوسف إبرا هام يمطوب).

71) **الفكـــر الدينـــــي الإسرائيلي :** (د. حسن ظاظا). معـــــهد البحـــوث والدراســات العربية . القاهرة . مصر سنة 1971 م .

72) **التقريب :** (الحافظ) .

73) **المستدرك :** (الحاكم) محمد بـــن عبـــد الله النيســــابورى أبـــوعبد الله .

74) أعلام النبوة : (الماوردى) على بن محمد بن حبيب أبو الحسن مبارك بن فضالة .

75) تاريخ الحكماء : (ابن القفطى) .

76) نهاية الرتبة : (الشيرزى) .

77) اليهود فى مصر : (قاسم عبده) القاهرة .

78) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : (ابن تغر ى بردى) جمال الدين أبو المحاسن الأتابكى . دار الكتب المصرية سنة 1930م .

79) تاريخ مصر الإسلامية : (جمال الشيال) من الفتح إلى نهاية العصر الفاطمي جـ1 دار المعارف . القاهرة . مصر سنة 1967م .

80) السلوك فى معرفة دول الملوك : (المقريزى) . (السلوك) . طبعة سنة 1934م . تحقيق محمد مصطفى زيادة . القاهرة .

81) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: (القلقشندى) . القاهرة .

82) العقد الفريد للملك السعيد : (ابن طلحة) القاهرة سنة 1306هـ

83) الأحكام السلطانية : (الماوردى) على بن محمد بن حبيب أبو الحسن مبارك بن فضالة .

84) أحكام أهل الذمّة : (ابن القيم الجوزية) محمد بن أبى بكر أبو عبد الله ؟ تحقيق صبحي الصالح . دمشق . سوريا . سنة 1961م .

85) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : (الخطط) (المقريزى) . القاهرة . مصر .

86) أهل الذمة : (قاسم عبده) . القاهرة سنة 1980م .

87) فتوح مصر وأخبارها : (ابن عبد الحكم) محمد ابن عبد الحكم. نشرة هنرى ماسية . القاهرة سنة 1914م.

88) الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين : (ابن دقماق) تحقيق محمد كمال الدين . عالم الكتب . القاهرة.سنة 1985م . مصر .

89) تاريخ وآثار مصر الإسلامية : (منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي) (أحمد عبد الرازق) . القاهرة سنة 1993م.

90) الإسلام وأهل الذِمّة : (على حسن الخربوطلى) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة سنة 1969م.

91) اليـــهود . تـــاريخ وعقيـــدة : (كامل سعفان) . القاهرة سنة 1988م.

92) معاملة غير المسلمين : (معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية). (نريمان عبد الكريم أحمد) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1996م .

93) مصــــر فـــي عصـــر الأخشيديين: (د. سيدة إسماعيل الكاشف). القاهرة سنة 1950م مصر .

94) مصر فى عصر الدولة الفاطمية : (حسن الدين سرور) القاهرة سنة 1960م.القاهرة.

95) مرآة الزمـــان وعـــبر اليقظان: (اليافعى) جـ2. طبعة حيدر أباد .

96) افحام اليهود : (ابن يحيى المغربى السموأل) تحقيق محمد عبد الله الشرقاوى . القاهرة سنة 1986م. مصر .

97) **التأثير الإسلامي :** (محمد جلال) . القاهرة .

98) **دلالة الحائرين :** (موسى بن ميمون).

99) **المجتمع المصري في مصر الإسلامية :** (من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي) (هويدا عبد العظيم رمضان) الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة 1994 .

100) **نهاية الأرب في فنون الأدب:** (النويرى) أبو القاسم النويرى .

101) **العقيدة الدينية :** (د. أنفت جلال) . القاهرة .

102) **طبقات الأطباء :** (ابن أبى أصيبعة).

103) هداية الحيارى : (ابن قيم الجوزية).

104) مركز المرأة فى الشريعة اليهودية : (السيد محمد عاشور) القاهرة سنة 1974م . مصر .

105) **المرأة وحقوقها :** (سوزان السعيد) القاهرة . مصر .

106) **عقود الزواج :** (ليلى أبو المجد) القاهرة . مصر .

107) الأعياد والاحتفالات اليهودية: (جيلان عباس) القاهرة . مصر.

108) الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود: (نبيل عبد المجيد) القاهرة . مصر .

109) الحياة الاقتصادية والاجتماعية لليهود : (عبلة حنفى) القاهرة . مصر .

110) فتاوى رابى ديفيد : (ابن زمرة) ربىّ دافيد بن أبى زماره .

111) الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين : (ابن شمعون) حاى بن شمعون . مطبعة كوهين وزرنتال . مصر سنة 1912م.

112) الأدب العبري القديم والوسيط : (د. ألفت جلال) مطبعة جامعة عين شمس . القاهرة سنة 1978م. مصر .

113) تاريخ اليهودية القرائية : (الجميل) .

114) نهر مصر : (بن شمعون) رابى رفائيل بن شمعون .

115) **الضوء اللامع :** الجزء الخامس .

116) **القراءون والربانيون :** (مراد فرج) القاهرة . مصر .

117) **الشخصية اليهودية :** (رشاد الشامي).

118) **الموسوعة العبرية الكبيرة:** Encyclopedia Judaica Jerusalem القدس سنة 1978م.

119) **مصادر وإيمان :** (مان) .

120) **مختارات أثرية :** (بنسكر) .

121) **القدس عبر التاريخ :** (ميخائيل مكسى اسكندر) .

122) **القدس الشريف :** (د. محمد عمارة) القاهرة . مصر .

123) **اليهود واليهودية :** (د. عبد الجليل شلبى) . كتاب اليوم . دار أخبار اليوم . القاهرة . سنة 1997 الطبعة الثانية .

124) **تاريخ القدس :** (عارف العارف باشا) دار المعارف . القاهرة سنة 1951م.

125) **القدس:** (عبد الحميد الكاتب) دار الشروق (مكتبة الأسرة) القاهرة سنة 1998م. مصر .

126) **الكنز المرصود فى فضائح التلمود :** (د. محمد عبد الله الشرقاوى) مكتبة الوعي الإسلامي . القاهرة .

127) **التلمود . تاريخه وتعاليمه :** (ظفر الدين خان) دار النفائس . القاهرة .

128) **تاريخ فلسطين القديم :** (جى ألستروم) G. Ahlestrom .

129) انبعاث أمة : (ريتشارد كروسمان).

130) رسالة في اللاهوت والسياسة : (باروخ سبينوزا) ترجمة د. حسن حنفى . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . القاهرة سنة 1971م . مصر .

131) **دورة الدين اليهودى :** (موفق محادين) دار الكنوز الأدبية . بيروت . لبنان سنة 1997م.

132) **اختيار التقاليد الفريسية :** (داكوستا) سنة 1624م .

133) **المفـــهوم المـــــــادي للمسألة اليهودية :** (إيرا هام ليون) دار الطليعة . بيروت . لبنان . سنة 1970 م. ترجمة / عماد نويهض .

134) **أركيولوجيا فلسطين قبل العصر الهلليني :** (هـ . ويبرت) H.Weippert .

135) **التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى :** (توماس . ل . طومسون) ترجمة صالح علي سوداح . بيسان للنشر والتوزيع . بيروت . لبنان سنة 1995م (الطبعة الأصلية في هولندا سنة 1992 م) .

136) عروبة بيت المقدس : (د. إسحاق موسى الحسيني) مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . لبنان .

137) القدس عربية إسلامية : (د. سيد فرج راشد) مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة . مصر . سنة 2000م .

138) احذروا الصهيونية : (يورى إيفانوف) دار التقدم . موسكو سنة 1991م .

139) الدولة اليهودية : (تيودور هرتزل).

140) التحرر الذاتي : (ليوبنسكر).

(141) **الأمميـــة الشـــيوعية وفلسطين :** (ماهر الشريف) دار بن خلـــدون . القـــاهرة – مصر سنة 1980م.

(142) **بروتوكولات حكمـــاء صهيون :** ترجمة / محمد خليفة التونســـي . دار الـــتراث . القاهرة . مصر.

(143) **اليد الخفية :** (دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والســرية) (د. عبد الوهّاب المسيرى) الهيئـــة المصريـــة العامة للكتاب (طبعـــة دار الشـــروق – مكتبـــة الأسرة) القاهرة – مصر – سنة 2000 م.

(144) سنة دخول القدس : الكتاب الثاني في سلسلة (رســائل آخر الزمن) (د. أحمد أبو النـــور) . دار وهـــدان للطباعـــة القاهرة سنة 1997م. مصر .

(145) قراءة سياسية للتوارة : (شفيق مقار) دار الريس . لندن إنجلترا . ســـنة 1991 م.

(146) اختلاق إسرائيل القديمـــة (اســـكات التـــاريخ الفلسطينى) : (كيث وايتلام) عالم المعرفة . الكويـــت . ســـنة 1999 م .

147) **أسفار العهد القديم فى التاريخ (اختلاق الماضي) :** The Bible in History المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة . مصر سنة 2000 م ترجمة عبد الوهاب علوب مراجعة وتقديم د. محمد خليفة حسن .

148) **اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى :** (د. جوستاف لوبون) . فصل من كتاب (الحضارات الأولى سنة 1889م) ترجمة / عادل زعيتر . مطبعة عيسى البابى (الحلبى) القاهرة سنة 1970م .

149) **كتاب الموتى الفرعوني:** برت إم . هرو . ترجمه عن الهيروغليفية : (والسن بدج) إلى الإنجليزية وترجمه إلى العربية (د. فيليب عطية). عن بردية آنى بالمتحف البريطاني . مكتبة مدبولى . القاهرة . سنة 1988م.

150) **موسوعة مصر القديمة :** (د. سليم حسن) ثمانية عشرة جزءاً . (مكتبة الأسرة) . القاهرة سنة 2000م . الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر .

151) **حضارة مصر الفرعونية :** (فرانسوا دوما) ترجمة / ماهر جويجاتى . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة سنة 1998م.

152) **فجر الضمير :** (د. جيمس هنرى بريستد) ترجمة د. سليم حسن . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة). القاهرة سنة 1999م.

153) **وصف مصر :** تأليف علماء الحملة الفرنسية على مصر والشام . الجزء الثاني . ترجمة / زهير الشايب . تحت عنوان (كيف خرج اليهود من مصر القديمة) الدراسة التاسعة والمقدمة إلى شعبة العلوم والفنون بمصر في أكتوبر سنة 1813م. تأليف (دى بو [illegible]) . تعريب الأصلي ([illegible] لإقامة العبرانيين في مصر وعن هروبهم إلى الصحراء) مكتبة مدبولي . القاهرة سنة [illegible]

154) دیانة الساميين : (روبرتسن سميث). المجلس الأعلى للثقافة . ترجمة د. عبد الوهاب علوب . مراجعة وتقديم د. محمد خليفة حسن . القاهرة سنة 1997م.

155) أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) مركز الحضارة العربية القاهرة . مصر سنة 1999م .

156) تــاريخ نقــد العــــهد القديم: (من أقدم العصور حتى العصر الحديث) الجزء الأول) (المــان شــازار) الرئيــس الأســبق لإسرائيل . المجلس الأعلى للثقافــة . القــاهرة . سنة 2001 م. مصر .

157) عصور في فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى) ترجمة د. رفعت الســيد دار سينا للنشر . القاهرة . سنة 1995م. مصر .

158) عوالم في تصادم : (إيمانويل فلايكوفسكى) ترجمة د. رفعت الســيد جماعة حور الثقافية . القاهرة . سنة 1999م .

159) تاريخ الخزر: ([illegible]) . [illegible] سنة [illegible]م

160) التاريخ العالمي لليهود : فصل عن (الخزر) للكاتب (دوغلاس م. دنلوب). نشر بجامعة برنستن . اسكتلندا . سنة 1954م.

161) القبيلة الثالثة عشــرة ويهود اليوم : (آرثر كيستلر)ترجمة د. أحمد نجيــب هاشــم . الهيئة المصرية العامة للكتــاب . القــاهرة ســنة 1991م. مصر.

162) اليهود أنثروبولوجياً : (د. جمال حمدان) الهيئة المصرية العامة للكتــاب (مكتبة الأسرة). القاهرة . سنة 1998م. مصر .

163) استراتيجية الاستعمار والتحرير : (د. جمال حمدان) كتاب الهلال . القاهرة سنة 1999م. مصر .

164) إسرائيل ركيزة الاستعمار بين المسلمين : (د. حسن ظاظا) مجمع البحوث الإسلامية . القاهرة سنة [illegible]هـ. مصر .

165) اليهود في مصر المملوكية : (في ضوء وثائق الجنيزة) (د. محاسن الوقاد) . الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة سنة [illegible] . مصر

166) تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية : (يعقوب لاندو وآخرون) ترجمة د. جمال الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد . تقديم ومراجعة د. محمد خليفة حسن . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة سنة 2000م.مصر .

167) حضارة العرب : (د. جوستاف لوبون) ترجمة / عادل زعيتر . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) القاهرة . سنة 2000م .

168) الكشف عن مكان عبور موسى : (د. مراد محمد الدّش). مطبعة الفجر الكويتية . الكويت . سنة 1997م.

169) **آرام دمشق وإسرائيل:** **(في التاريخ والتاريخ التوراتى).(فراس السواح).** دار علاء الدين . دمشق . سوريا سنة 1995 م.

170) **التوراة جاءت من جزيرة العرب :** (د. كمال الصليبى). مؤسسة الأبحاث العربية . بيروت . لبنان . سنة 1985م.

171) **الحدث التوراتى والشرق الأدنى القديم:** (فراس السواح).دار علاء الدين . دمشق . سوريا . سنة 1993م.

172) **أجناس أوروبا :** (رينى)سنة [illegible]م.

173) **تعاليم أمينموبي :** (ثلاثون فصلا [illegible]) . [illegible] البردية وقد اشتراها (واليس بدج)سنة 1888م. عن بردية مصرية [illegible] تاريخها فيما بين الأسرة الحادية والعشرين والثانية والعشرين .

174) **إمتاع الأسماع :** (المقريزى).

175) **جريدة الأهرام :** العدد رقم (41675) السنة (126) الصادر فى يوم الجمعة الموافق 12 / 1/ 2001م. القاهرة . مصر .

176) **جريدة الأهرام :** العدد رقم (41837) السنة (126) الصادر فى يوم السبت الموافق 23 / 6/ 2001م. القاهرة . مصر .

177) جريدة الرأي : العدد الصادر فى 2/9/ 1995م(كانتور) (الجريدة أردنية الصدور) عمّان . الأردن .

178) جريدة السياسي المصري : دار التعاون . العدد رقم (1347) السنة(26) الصادر فى يوم الأحد الموافق 2001/6/24م القاهرة . مصر .

179) جذور القضية الفلسطينية : (أميل توما) مركز الأبحاث الفلسطينية . بيروت. لبنان.سنة 1973م .

180) الدروب السرية : (جون & دافيد ليمخى) .

181) روما والقدس : (موسى هس).

182) نداء اليهود : (هنرى فنش) .

183) إظهار الحق : (رحمة الله الهندي) . القاهرة . مصر . سنة 1992. (طبعة ثانية) .

184) إسرائيل القديمة : (ن. بى . ليمشى) نيلر بيتر ليمش . Early Israel

185) المسألة اليهودية: (كارل ماركس) .

186) **كفاحي :** (أدولف هتلر)٠

187) **أركيولوجيا الاستيطان الإسرائيلي :** (فينكلشتاين) : The Archaeology of the Israelite Settlement .

188) **قصة الحضارة :** موسوعة (ول ديورانت) ترجمة محمد بدران وآخرون . الهيئة المصرية العامة للكتاب . (مكتبة الأسرة) القاهرة . مصر . سنة 2001 م.

189) **أسطورة العودة :** (مارسيا إلياد) وزارة الثقافة . دمشق . سوريا . سنة 1990م.

190) **مظاهر الأسطورة :** (مارسيا إلياد) وزارة الثقافة . دمشق . سوريا سنة 1990 .

191) **المبشرون البروتستانت والنية القاتلة :** الكاتبة الأمريكية (جريس هالسيل) مترجم ومنشور على حلقات بجريدة الشرق الأوسط العربية (الدولية) .لندن . إنجلترا .

192) **قبل أن يُهَدَم الأقصى :** (عبد العزيز مصطفى) دار التوزيع والنشر الإسلامية . القاهرة . مصر .

193) **الأخطبوط الصهيوني:** (ليلنتال) دار العلم للملايين . بيروت . لبنان سنة 1979م.

194) **إسرائيل والصهيونية :** (جورج ماكاى).

195) **مجلة الكاتب الفلسطيني:** (سعيد الشحات). دمشق . سوريا عدد 26/26 ص . سنة 1994م.

196) **الصهيونية غير اليهودية :** (ريجينا الشريف). عالم المعرفة . الكويت. سنة 1985م .

197) **الايديولوجيا الصهيونية :** (د. عبد الوهّاب المسيرى) عالم المعرفة . الكويت . سنة 1983م.

198) **ملاحظات أساسية حول المسألة اليهودية :** (نصر شمالي) مطبعة عكرمة . دمشق. سنة 1985م. سوريا .

199) **الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافي :** (ابن قيم الجوزية) شمس الدين محمد عبد الله بن أيوب .

200) **تدوين السنة :** (إبراهيم فوزي). رياض الريس للكتب والنشر . لندن . إنجلترا . سنة 1994م. (منشور باللغة العربية) .

201) **تدريب الراوى :** (السيوطى) جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى .

202) **هموم الأمة الإسلامية :** (د. محمود حمدي زقـزوق) مكتبـة الأسـرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة مصر سنة 2001م.

* * * * *

الملاحق

إسرائيل.. طاعون العصر ودولة الإرهاب



بقلم: د. مصطفى محمود

ماذا يريد اليهود بالضبط؟!
اقرأوا ماذا يقول البروتوكول التاسع من بروتوكولات حكماء صهيون.. إن لنا طموحا لا يحد وشرها لا يشبع ونقمة لا ترحم وبغضاء لا يدركها خيال.

نحن جيش خفي لا تدرك وسائله بالطرق المستقيمة فالمراوغة اسلوبنا والاستخفاء طريقنا.. والماسونية التي نتبعها لا يفهمها الخنازير الأغبياء من الأمميين.. «البروتوكول الحادي عشر».

ولكي نخرب صناعة الأمميين «غير اليهود» نصنع المضاربات ونرفع اسعار الضرورات الأولية وخامات التصنيع ونتحكم في البورصة ونشيع الفوضى بين العمال وننشر المخدرات ونطارد كل ذكاء أعمى «والمقصود بالذكاء الأعمى كل ذكاء عند غير اليهود» وننشر الفتن والنزاعات والعداوات بين الناس.. وعن طريق المحافل البريئة.. وهي المحافل التي نسمع عنها الآن مثل «نوادي الروتاري والليونز وشهود يهوه» نتحسس ونستشعر ما يجري في قلوب الناس وعقولهم.. «وهي إذن ليست محافل بريئة.. بل هي قنوات استشعار وعيون مبثوثة داخل كل بلد».. ولا يدرك جمهور العميان وسائلنا لأنهم غارقون في ملذاتهم وشهواتهم..

وماذا يقال الآن وقد جاء بعد الروتاري والليونز ما هو أسوأ «نوادي عبادة الشيطان ونوادي العري والشذوذ» وموضات السحر والشعوذة ؟ والفساد يخرج علينا بأسماء جديدة وموضات جديدة كل يوم ؟

والماسونية تحتفي لتعود بألف وجه ووجه.

و«الماسون» هم البناؤون الأحرار وهدفهم النهائي هو هدم العالم وإعادة بنائه على السياسة الصهيونية المثلى ليسود اليهود العالم. وهدم الأديان هدفهم فلا دين إلا دين موسى ولا ناموس إلا ناموس موسى ولا كتاب إلا التوراة. والعين التي في أعلى صورة الهرم المطبوع في ظهر الدولار الأمريكي هي العين الماسونية التي لا تنام . وعلى الوجه الآخر للدولار مكتوب باللغة اللاتينية.. النظام العالمي الجديد . NOVUS -ORDO-SECLORUM والمعنى باختصار. هو العولمة بمصائبها.. إن الأمور تجري كما يريدون حتى هذه اللحظة.. وهم قد حققوا ما كانوا يخططون له من زمن بعيد

والتوراة الأصلية يخفيها الأحبار والحاخامات ولا يعلم خفاياها وأسرارها غيرهم.. و«شهود» يهوه كلمة مشتقة من اسم الله الأعظم «هو» يناديه العابد.. يا هو.. في كتابهم العهد القديم.

وهم في نظر أنفسهم الأولى بهذا الاسم وحدهم.. فالله لهم وحدهم.. هكذا يعتقدون.

وأكثر الناس في نظرهم.. بهائم وسوائم.. خلقت ليركبوها وليقودوها.. فهم «الجوييم» غوييم أي السوقة والبهم الذين خلقهم الله لهم ليسوقوهم ويستغلوهم ويمتصوا دماءهم.

وهدم الكنيسة وهدم البابوية وهدم المسجد الأقصى . وهدم مسجد الصخرة . وهدم كنيسة القيامة من أهدافهم وأحلامهم وكارل ماركس اليهودي بشيوعيته وماركسيته هدم الكنيسة في أوروبا الشرقية بالفعل ولكن ما لبثت أن قامت قيامتها من جديد على يد ليخ فاونسا في بولندا وجورباتشوف في روسيا وبجهود القديس بولس في الفاتيكان ولكن الهدم مستمر بوسائل أخرى كثيرة ومتنوعة

والخطوة القادمة هي هدم الأقصى وبناء الهيكل وبالفعل

وهم يحرثون الأرض في فلسطين وينتزعون الفلاح الفلسطيني من أرضه كما ينتزعون الحشائش الفاسدة.. ويحرقون الكرمة ويهدمون البيوت على سكانها ويقتلون الأطفال والرضع والحوامل ويعيثون في الأرض فسادا تحت حماية كاملة ورعاية كاملة من الراعي الأمريكي.

ويعدهم بوش بنقل السفارة إلى القدس مكافأة لهم رغم أنف النصارى والمسلمين . ورغم البترول العربي والثروات العربية التي تتدفق من الأراضي العربية على الراعي الأمريكي ورغم السوق العربية التي فتحت أبوابها ونوافذها لكل وارد من الراعي الأمريكي.. ولكن السياسة الأمريكية مازالت عمياء تماما عن الحقوق العربية.. والصهيونية مازالت هي الحاكمة على كل قرار يخرج من البيت الأبيض.

وفي التلمود تعتبر روح اليهودي جزءا من روح الله كما أن الابن جزء من أبيه.. وأي روح غير يهودية هي روح شيطانية.. والجنة عندهم هي جنة الدنيا ولا يستحقها إلا اليهود أما باقي الشعوب فمأواهم الجحيم بين الزفت والنار.. وأموال المسيحيين مباحة لليهود كالأموال اللقيطة.

ومسموح لليهودي غش الأمي غير اليهودي

والله لا يغفر ذنبا ليهودي يحفظ للأمي ما له فاليهود هم أصحاب الحق في كل شيء

والرب أحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب

ورغم أن التوراة تبلغ الألف صفحة إلا أنه لا ذكر فيها للبعث ولا للحساب ولا للآخرة.

وفي سفر ارميا ينام الموتى نوما أبديا ولا يستيقظون

وعند أشعيا ٤٣ - ١٧، الموتى يضطجعون معا ولا يقومون.. فهم قد خمدوا كفتيلة انطفأت.

وفي المزمور ٦ «يارب نج نفسي خلصني من أجل رحمتك لأنه ليس في الموت ذكرك.. في الهاوية من يحمدك؟ :. أي من يحمدك بعد أن أصبحنا ترابا.. ومن يسبحك.. ومن يسجد لك؟!» لقد أصبحنا عدما وطوانا النسيان

ولم تظهر فكرة البعث بعد الموت عند اليهود إلا بعد الأسر البابلي.

أما قبل ذلك في سفر أيوب «الإصحاح ١٤» تقول التوراة.. الشجرة إن قطعت تعود فتنبت زرعا أما الرجل فيموت ويبلى ولا يبقى منه شيء.. النهر يجف والإنسان يضطجع ولا يقوم..

لقد شطب اليهود كل ما يخص بالآخرة من توراتهم وجعلوا الدنيا كل همهم

وما جاء بعد السبي البابلي من ذكر الآخرة ونعيمها كان أحلام السبايا والعانين المصفدين في الأغلال.. ولكن

البحث لا اصل له ولا حقيقة في التوراة.. واغلب الظن ان أيدى اليهود هي التي حرصت على محو كل ذكر للآخرة في التوراة حتى لا يفكر اليهودى ولا ينشغل إلا بدنياه وحيازتها وامتلاكها

ونفس التزييف حدث في كلام الصهيونية عن القدس واتخاذها عاصمة أبدية لليهود واختلاق أصل تاريخى لهذه الملكية.. رغم أن اورشليم وهو الاسم القديم للقدس هو اسم كنعانى فلسطينى.. وسليمان هو الذى تمسك بملكية القدس لتصفية خصومه وهو الذى بنى فيها الهيكل.. ولم يظهر ملوك إسرائيل ويهوذا في حروبهم الداخلية اى احترام لهذا الهيكل بل كانوا ينهبونه مع كل غزو ومع كل انسحاب.. وموسى مات ولم تطأ قدمه ارض فلسطين.. تلك التي تتمحور حولها احلام الصهيونية.. وتدعى ملكيتها بصك إلهي!. فأين ذلك الصك الإلهي؟! لقد حرم الرومان على اليهود دخول القدس نهائيا وطردوهم من فلسطين وكان هذا هو التاريخ الذى انتهت فيه علاقة اليهود بفلسطين سياسيا وسكانيا.. ويقدر عدد يهود الخروج بنحو اربعين الفا وبقيت شرائح قليلة في نابلس وفى بداية القرن التاسع عشر كان عدد اليهود في فلسطين كلها لا يزيد على عشرة آلاف

واورشليم هدمها بوخذ نصر ودمرها تيتوس واحرقها الإمبراطور هدريانوس وبعد حملة الآشوريين والبابليين والرومان لم تبق إلا قلة مستضعفة خاصة تعيش بالتزلف والمكر والوسائل الناعمة الملتوية فقد انقرضت العناصر المناضلة ولم يبق إلا عناصر الجبن والمسكنة والتذلل واصبحت عاصمة يهود الشتات هي

مدينة اليهود في اوروبا واكبر تجمع لهم كان في فرانكفورت بألمانيا

وجاءت العصور الوسطى بالحروب الصليبية التي اشعلت نار الاضطهاد الدينى ضد اليهود في اوروبا كلها وفي أواخر القرن الرابع عشر اختفى يهود فرنسا وتقوقع يهود إيطاليا وتعرض يهود ألمانيا للإبادة وبدأت هجرة الأمواج اليهودية من ألمانيا واسبانيا وجميع شعاب اوروبا إلى أمريكا هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة وكندا أكثر من مليون يهودى وصار هذا التجمع أكبر تجمع يهودى في العالم

وكل أحقاد هذا التجمع اليهودى بدأت تصب جام سخطها وانتقامها على العرب وعلى المسلمين من خلال الصهيونية وتخطيطها لإقامة إسرائيل الكبرى على انقاض فلسطين العربية بدعوة أنهم الأحق بالأرض.. وأنهم قوم موسى الأولى بتراثه.

وكان على عرب فلسطين أن يدفعوا ثمن ما جرى لليهود من طرد وإذلال وإبادة بطول العالم وعرضه.

وإسرائيل الآن التي تتألف من اليهود الأشكناز القادمين من ألمانيا واليهود السفارديم القادمين من أسبانيا ومن شرق أوروبا بتعداد كلي حوالى ١٣ مليونا هم بالفعل أوروبيون سلاف أو اريون أكثر منهم ساميون وصلتهم العرقية مقطوعة تماما بالأصول السامية التوراتية التي يدعونها فهم ليسوا من بني إسرائيل ولا من قوم موسى بل هم أخلاط من الشعوب السلافية والشعوب الآرية وبقايا شعوب الخزر في روسيا ومنطقة بحر قزوين. وليسوا ساميين ولا هم من قوم موسى بل هم شرائح وبقايا وأخلاط من جميع الأمم وشذاذ آفاق لا هوية لهم سوى الابتزاز

والاغتصاب والسطو على المال والأرض بالمساندة الأمريكية القاهرة والسكوت الأوروبى المريب وهذا التأييد الأوروبى والمساندة الأمريكية والسكوت الفرنسى والبريطانى وقوى الاستعمار القديم تخفي كلها حقيقة باطنة هي الخوف من يقظة إسلامية تقلب الموازين مما دعا كل الجبهات المعادية للإسلام إلى التفكير في منطقة مواجهة تكون جاهزة.. لتصد هذا الموج الإسلامى العارم المحتمل.. وفي تصور الكل أن إسرائيل هي المرشحة لهذا الدور فهى التي يمكن أن تقف في وجه هذا التيار وهى التي يمكن أن تصده.. وهى التي يجب دعمها لتقوم بهذا الدور التاريخى.. واستنتاج أصحابنا في غير محله فلا يوجد «تتار» إسلامى قادم ولا يوجد تنام لقوة السلاح الإسلامى في أى مكان وإنما هو تنام للوعى الإسلامى فقط وصحوة فكرية لا أكثر وهى صحوة سوف تزداد بوجود العدو الإسرائيلى ولن تنهزم بوجوده بل سوف تستمد منها أكبر مقوم «كتاب دولة إسرائيل للدكتور حسن ظاظا»

أن ما يحدث سيكون عكس تصورهم فالعدوان الإسرائيلى لن يحبط التنامى الإسلامى بل سوف يزيده وميلاد القوة العسكرية الإسلامية سيكون بسبب الحماقة الإسرائيلية وبسبب هذا الجهل الأوروبى

وسوف يؤدى العدوان الإسرائيلى إلى عكس ما تصور المتآمرون الكبار فسوف يجمع العرب والمسلمين رغم أنوفهم

وما سوف يحدث سوف يكون عكس ما تصورت إسرائيل وأعوانها

والمسلمون ليسوا تتار العصر القادم ولا يشكلون جبهة معادية للحضارة

وهم ليسوا جبهة عنصرية مثل اليهود

والمسلمون ليسوا ضد النهضة العقلانية الأوروبية بل إن النهضة العقلانية الأوروبية ذاتها خرجت من جلباب ابن سينا ومن فكر الإسلاميين القدامى

وعلوم الفلك وأسماء المجموعات النجمية التي دخلت القاموس الانجليزى بأسمائها العربية مازالت إلى الآن تكتب بأسمائها العربية الأصلية.. وهى تشهد جميعها بأن عصر العلم.. والعقلانية التي تعيشها أوروبا هي ميراث عربى.

لقد ظلموا الإسلام.. واتهموه بما ليس فيه..

إن إسرائيل هي البلاء الحقيقى.. وهى التعصب.. وهى العنصرية.. وهى العمى الدينى.

إسرائيل هي طاعون العصر.. ودولة الإرهاب.

والدول الإسلامية قد أخذت التطعيم الكافى من كل ما يحدث من بلايا وأرزاء وسوف يكون لها قيامة من هذا النوم الطويل في القريب.. ولكل فعل هناك رد فعل يأتى في أوانه.. والمستقبل كوارث وآلام.

والمأزق الآن هو.. نكون أو لا نكون. كما في النهايات الدرامية.. وللأسف. لا يوجد وسط. فإما الموت أو الحياة بكل مخاطرها

وإذا لم أكن مخطئا فإن الله أراد هذه المواجهة. فلا شىء يحدث في الكون دون علمه ودون إرادته.

وأقول للإخوة العرب.. إن الموت قادم بهذا السبب أو بدونه.. فلا تموتوا خزايا.. ولن ينفع نفسا ما ادخرت.. بل ما عملت.

هبوا عباد الله إلى واجبكم.. فإن العبء جسيم والوضع أليم

ولا شىء يساوى خزى يوم الحساب.

ولن يضيف هذا الخزى يوما واحدا إلى أعماركم ولن تنقص الشجاعة دقيقة واحدة منها.. إنما هي خطى كتبت علينا. وامتحان للقلوب والعزائم والعاقبة خلود في الجنة أو خلود في النار ولا يوجد وسط

إما أن تتلقى كتابك بيمينك أو تتلقاه بشمالك

ولا نعرف وسطا بين الاثنين

إلا ما يقوله أهل الحشيش ومدمنو السحر عن «الشمبين والبيمال» بعد العصر العاشر والكركرة المنبية التي يغيب فيها العقل ويأخذ إجازة من كل شىء.



بريشة : سهير الكيلانى

نداء للفنان فاروق حسنى

لوحة إسرائيل.. أكذوبة

ممدوح عتريس

القاهرة
13
الثلاثاء
٨ يناير ٢٠٠٢
8 Jan 2002

بالمتحف المصرى بالقاهرة بقاعة ١٣ بالدور الأرضى أثر مهم رقمه ٣٤٠٢٥ ويقول شرح الأثر يقول لوح من الجرانيت الأسود القاتم منقوش من وجهين ويرى على الظهر نصوص طويلة يذكر فيها أمنوفيس الثالث ما قام به من الأعمال، والذى استعمله مرنبتاح من رمسيس الثانى فى وصف انتصاراته على الليبيين، ثم تشير بعد هذه القصيدة إلى سقوط عسقلان وجازر وينوعم ببلاد فلسطين، ثم جاء فى النقوش «إن إسرائيل اندحروا ولم يعد لهم بذر»

ثم يفيدنا بيان شرح الأثر بأن هذا الذكر لإسرائيل هو الوحيد فى كل النقوش والآثار المصرية القديمة ومن هنا نشأت أهمية هذا الأثر [illegible] بالرغم من العنوان [illegible] انتصار مرنبتاح [illegible]

[illegible]

وقد [illegible] إسرائيل» كلمة [illegible] الأمر «كلمة

إسرائيل» وكمنها صالتهم المنشودة لكل أعمالهم ورغم تقديرنا لهؤلاء العلماء وتأكدنا من احتلالهم لتاريخنا، إلا أننا نعلم وندرك التأثيرات التاسوية حينذ والمعاهد اللاهوتية الأوروبية ونعلم كيف انهزم العالم «شمبليون» فى معركة «عمر الحضارة المصرية»، وكيف أسكتوه لأن ما أعلنه أحدث بلبلة عند اللاهوتيين عند المقارنة بين عمر الحضارة المصرية التى تتجاوز ٧٠٠٠ سنة ق. م، وعمر الخلق فى اللاهوت أقل من ذلك، ومازال هناك علماء يتعرضون للتنكيل إذا ما تعارضت نتائج فرضياتهم مع الرواية اليهودية للتاريخ الإنسانى وتاريخهم الخاص، ومازالت بعض التأثيرات العقائدية تتحكم فى بعض التوجهات البحثية فى تاريخ وآثار مصر والرافدين وفلسطين، ولذلك علينا أن ننتبه لذلك ونزيل الشوائب العالقة والمستهدفة من صفحات تاريخنا، ولنبدأ من هذه اللوحة وبالكلمة المزعومة والمدسوسة

«إسرائيل» فبالإطلاع على الكلمة بالنقش نجد أن ترجمة حروفها كالآتى:

إى، ز «س» يا، ر، ثم رسم «مخصص» معناه جماعة متمردون أو أعداء والكلمة إذن لا تخرج عن ثلاثة

١ - جماعة أزيرا «عزيرا» وهى جماعة ملك الأموريين بفلسطين

٢ - جماعة إسيار وهى جماعة الملك إرك والبعض أن توراة اليهود ذاتها تعترف بوجود هذه الجماعة وهى بفلسطين سفر التكوين إصحاح ١٤ آية ١

٣ - وبتطبيق نظرية Metathesis «القلب اللسانى» والمعروفة فى لهجات الشرق القديم.

يمكن أن تكون هذه الكلمة «إرسا» بدلا من «إسار» والمعروف أن إرسا فى التاريخ المصرى القديم جزيرة بالبحر المتوسط تمردت عدة مرات على الإدارة المصرية، فأخضعتها الإدارة المصرية هى ومناطق فلسطينية «أقوام البحر» أكثر من مرة وأعادتها لسلطتها

وإذا كانت ترجمة الكلمة لا تحتاج لتأويل أو [illegible]

[illegible]

[illegible] الهجائية المصرية والأبجديات الأخرى [illegible] لم تعرف حرف اللام، ثانيا أن أول ظهور لحرف اللام ورسمه عبارة عن «أسد رابض» فى اللغة المصرية كان فى العصر البطلمى وكذلك رسم «رأس أسد» وكان ينطق «ات» وأقدم نقش به حرف اللام فى مصر كان النقش على مسلة صغيرة موجودة بفرنسا «منقولة من جزيرة فيلة» عليها اسم كليوباترا وبطليموس الخامس، ولا يوجد قبلها وجود لحرف اللام

وحكاية الحرف تذكرنا بحكاية مسمار جحا، وإذا كان جحا عربيا فنحن لن نسمح بجحا عبريا، لذلك وكلنا ثقة وأمل ناشد المصرى الفنان الوزير فاروق حسنى فى إزالة هذا الكذب القبيح «والذى لا حقيقة علمية وتاريخية له» من وجه تاريخنا الجميل فهذا الدس الكاذب كان مسمارا لهم فى اختلاق أساطير وخرافات لهم عن الأهرام وعن مدن مصرية فى الدلتا، وغيرها وآخرها مسمارهم فى مدينة اللفنين أثناء الاحتلال الفارسى لمصر، فبإزالة كلمة إسرائيل من لوح انتصار القائد المصرى العظيم مرنبتاح وعودة تسمية اللوحة باسمه المستحق، ستمحو أى ذكر كاذب لهم فى آثارنا الخالدة، وبتصحيح ذلك تكون الحقيقة «إنه لم يرد لإسرائيل أى ذكر فى تاريخ مصر القديم».

باحث إسلامي يعلق على نهاية إسرائيل ٢٠٢٢

وصلنا من الباحث الاسلامي الدكتور حسن عوض رداً على ما نشرته «السياسي المصري» في أعدادها الاخيرة (الرهبة أعداد متتالية) عن تحديد عام ٢٠٢٢ موعداً لنهاية الكيان الإسرائيلي وإزالته من الوجود استدلالاً بالحسابات الرقمية لبعض الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في سورة الاسراء وهو ما أشار إليه الداعية أحمد الشيمي، ثم الاعتماد على منشف هالى الذي

الأرقام من أحاديث الدجل..

القضية المثارة الآن عن موعد نهاية بني إسرائيل (دولة إسرائيل وزوالها والقضاء على اليهود) قضية تقفز إلى السطح كلما تطورت الأحداث في الأرض المحتلة أو حولها. وللأسف معظم الأفكار التي تثار تباعاً إن لم يكن كلها - بعيدة عن الحقيقة لسبب أو لآخر ولم تصل إلى كبد الحقيقة لأسباب أهمها التي يتبعها الناس تشوقاً إلى الخلاص من الصراع المزمن الذي [illegible]

وأعود عرض ملخص لتلك القضية [illegible]

فهناك محاذير ثلاثة [illegible] من تناول القضية من جانبها الأسهل والأشهر والسطحي - معذرة - والتمادي في إبراز الحجج والأسانيد لكل الاجتهادات في إطار (التنبؤات) سواء ما جاء في أسفار العهد القديم أو آيات القرآن الحكيم تجاوزاً للحقيقة وتسلقاً لها للوصول إلى نتائج أهم ما فيها الإثارة و(الفرقعة) مشتتي الطرق وكل يدلي بدلوه اجتهاداً أو نقلاً أو تأويلاً سواء كان ذلك فاسداً أم صواباً - تلك المحاذير هي:

أولاً: الرجم بالغيب، والكل يعلم أن الغيب لله وحده.

قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله (النمل ٦٥)

أم عندهم الغيب فهم يكتبون (الطور: ٤١، القلم. ٤٧).

وأعني في هذا المقام أن الكل يدلي بدلوه ويختار آيات بعينها أو أسفاراً محددة ينتقي منها ما يروق له ليحذف بعض الكلمات ويتوقف عند بعض الحروف لهوى في نفسه عندما يصل إلى رقم بعينه يكون له دليلاً وسنداً في ادعائه. ثم يبني - تبعاً لذلك - النظريات والنتائج مباهياً بما وصل إليه ونانسباً السبق له أو لغيره.

وطريقة حساب الأرقام للحروف الهجائية العربية معروفة من قديم ولكن التناول والانتقاء والاختيار هو الذي يتطلب بعض الجهد والحذق والمهارة والتجريب حتى يمكن الوصول إلى نتيجة بعينها.

وكما نرى فالأمر لا تقنين فيه ولا تنظير ولا ضوابط تضبط إيقاع الاستخدام كي تصبح النتائج لا شبهة فيها [illegible]

[illegible]

المغامرين والمتلقين حسبما توصل كل منهم إلى نتائجه التي ينحاز إليها إن لم يقاتل من أجل نصرتها على كافة الاجتهادات الأخرى ويتمادى في استنباط الأسانيد والحجج والبراهين بما يؤيد دعواه وادعائه. ولا يخفى على أحد أن الارتكان والتواكل إلى نتائج مرضية للنفس ومشبعة للهوى لها أثرها السيىء إن لم يكن المدمر نظراً لإحالة الأمر برمته إلى الغيب في تحقيق المراد وهو هنا الرجم بالغيب بناء على افتراضات واجتهادات لا أساس لها من الحقيقة.

الاحباط المؤدي إلى الكفران: وهو النتيجة الطبيعية والمنطقية لعدم تحقق النتائج حسبما تم التوصل إليه باجتهادات فاسدة. وبوضوح أكثر ماذا لو بلغنا - إن شاء الله - العام الذي تم تحديده كتوقيت للحدث المرجو ثم لم يحدث شيء على الاطلاق. بالطبع سيكون الاحباط - وقتها - عظيماً. وهذا الاحباط قد ينتج عنه قنوط ويأس وكفر بكل النتائج والمجتهدين والنظرية الرقمية لحساب الحروف. وكل ذلك بالتأكيد سيكون متبوعاً بكفر الذين آمنوا بتلك النتائج وصدقوها، وشماتة الذين لم يؤمنوا والذين كانوا على شفا الهلاك تبعاً لما تم الترويج له من قبل.



د. حسن عوض

بعد هذه المقدمة يحق لي أن أطرح رؤيتي باختصار شديد في نقاط واضحة بعدما تبين أن الأخذ بالتنبوءات الدينية واللجوء إلى الكهانة وفساد الاستدلال الحسابي وبالتالي فساد النتائج - كلها لا تصب كبد الحقيقة.

وعودة إلى القضية المثارة الآن (قضية الأرقام والحسابات التنبوماتية) أقول إن كل تلك الحسابات ما هي إلا رجم بالغيب ودجل - معذرة - يمارسه المحترفون والهواة على السواء بلا ضابط أو رابط. فلا الحسابات تخضع لقواعد ثابتة

يعتقد فيه اليهود ونبوءاته المختلفة في التأكيد على نفس الموعد كنهاية لدولة إسرائيل وهو ما انتهى إليه الدكتور عايد طه ناصف (في العدد قبل الماضي) مشيراً إلى أن مذنب هالي شهد أحداثاً دينية عظيمة، بدءاً من ميلاد الأنبياء ومروراً بمعراج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وانتهاءً بخراب إسرائيل التي قامت عام ١٩٤٨ وهو ما أكدته التوراة والانجيل، وقد رفض الدكتور حسن عوض ما انتهى إليه الشيمي وعايد ومؤخراً الدكتور أحمد أبو النور في الاعتماد على الأرقام وحسابات الجمل والاعتداد بها في تحديد أمور مستقبلية، مشيراً إلى أن ذلك على حد قوله يعد من قبيل الدجل والرجم بالغيب الذي يؤثر بالسلب على عقائد المسلمين فيما لو لم تقع هذه النبوءات عند حلول التاريخ المحدد لها.. و«السياسي المصري» تنشر رد الدكتور حسن عوض دون تعقيبه

معروفة ولا الاجتهادات تنطلق من أرضية شرعية واسعة للعلم في كل شيء، يخضع للتجريب حتى يصل الدارس (محترف أو هاو) إلى نتيجة ترضيه وعلى هذا فحديث الأرقام من أحاديث السحر والافتئات على النصوص الدينية وتحميلها بما ليس فيها للوصول إلى نتائج بعينها ولو كانت هذه الطريقة شرعية وصحيحة ومجدية لاستخدمها الصحابة ومن قبلهم النبي (ص) الذي كان ينزل عليه الوحي بالبشارات دون تحديد موعد للحدوث، كما حدث ذلك وهو راجع إلى [illegible] (ثم بعد [illegible])

[illegible]

[illegible]

(إيمانويل فلايكوفسكي) في كتابه (عصور في فوضى) و (عوالم في تصادم) إلى معلومات أخرى تمهد أن المذنب المعني بالأحداث الكونية التي واكبت خروج إسرائيل من مصر وغيرها من الأحداث التوراتية. المذنب (تيفون) أو التنين أو بالاس وهو المتسبب في انفلاق البحر أثناء واقعة خروج بني إسرائيل من مصر. (نتيجة تبادل شحنات كهربائية عالية الطاقة بين المذنب وبين الأرض حينما اقترب المذنب من الأرض) وفي موضوع آخر من الكتاب المشار إليه قال «فلايكوفسكي» إن هذا المذنب ما هو إلا كوكب الزهرة قبل أن يصبح كوكبا ثابت المدار حول الشمس. ومن أسماء مذنب الزهرة بالاس أثينا وعنات وفينوس وعشتار وعشتارت وسخمت والعرف والنجم المدخن وايباج وتشاسكا وكوميت وذو الشعر وبعل وذو القرن (عشتروت-كارنيم) وتستريا وربة الحكمة وفيشنو وجولا وميكرفا وغيرها من الأسماء التي تسمى بها كوكب الزهرة وهو ينتقل من الحالة المذنبة إلى حالة الكوكب ثابت المدار حتى أصبح يطلق عليه اسم نجم الصباح ونجم المساء وكان يرمز للزهرة بالنجمة السداسية (نجمة داود) في بابل وأحيانا كشكل خماسي (خاتم سليمان) وأحيانا كصليب في بابل والمكسيك.

ويمرر فلايكوفسكي بعض الظواهر والمعجزات الدينية القديمة لكل من كوكب أو مذنب الزهرة وكواكب أخرى منها جوبيتر أو زيوس (المشتري) والمريخ ومارس (المريخ) ويسوق «فلايكوفسكي» التواريخ من كتابة العصر القديمة (الألواح السمارية من مثل وآشور - النقوش القديمة في الصين والمكسيك - المزامير السومرية والبابلية الأسفار التوراتية القديمة - الكتابات الصينية القديمة - كتب الأساطير وكتب الفولكلور القديمة لشعوب المكسيك والمايا والصين وغيرها) ويسوق الأدلة والبراهين لتأكيد افتراضاته

ولم يرد في كتابه [illegible]

[illegible] والآثار

ومرة أخرى نؤكد أن قصة الأرقام ما هي [illegible] الشرع الكريم [illegible] آيات القرآن الكريم المنزل من عند الله للهداية والتقويم لسلوكيات البشر وعاداتهم وإلا فما قول الذين يدعون بصدق الطرق الحسابية للحروف والآيات الدينية (توراة - انجيل - زبور - قرآن) فمن قال أن نهاية الكيان اليهودي سيكون عام ٢٠٢٢ م ومن قال أنها في عام آخر طبقا للتخبط بين التقويم الميلادي والهجري في الحسابات المشار اليها وكلها افتراضات لا تدعو لشيء سوى التواكل والانتظار حتى الموعد المقترح، وذلك الأمر يذكرني بموقفين مشهورين، أحدهما من دجال ذهب إلى أحد الملوك قائلاً له انه يستطيع تعليم الحمار نطق الحروف والكلام في غضون ثلاثين عاماً على أن يعطيه الملك مبلغا من المال نظير ذلك التحدي وإن لم يفعل يكن من حق الملك أن يعدمه - ووافق الملك (المغفل) ولما سئل الرجل الا يخشى من الاعدام لأن الحمار لن يتكلم مطلقا ولن يتعلم حروف النطق قال الرجل الدجال المخادع قولته المشهورة بعد ثلاثين عاما سيكون أحدنا قد توفى - إما الحمار وإما أنا وإما الملك - والموقف الآخر من السيرة النبوية العطرة حيث سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم): متى الساعة (القيامة)؟. فكان رد النبي (صلى الله عليه وسلم) المعلم للبشرية وماذا أعددت لها؟ وبعد ما سبق إيضاحه أكرر وأقول أن حسابات الأرقام ما هي إلا رجم بالغيب ودجل لا أساس له من الشرع حتى ولو كانت الآيات القرآنية هي السبيل للإثبات فيما ذهب إليه المجادل. ولو أن الأمر بهذه البساطة والتسطيح لوجدنا حلولاً لجميع مشاكلنا في الحاضر والمستقبل

.. ولا يوجد شيء أسمه مذنب هالي

بإتباع طريقة حساب الأرقام والحروف أو أية طرق أخرى تستخدم في التنجيم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ثالثاً أكثر ظهوراً [illegible]

[illegible] الإعلام [illegible]

[illegible] ونسلحهم بأسلحة [illegible]

والبعيد ويعلمون ذلك في كل [illegible] من أشد منا قوة) فسلطنا كما [illegible] ولكنهم لا يعلمون (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) (فصلت ١٥)

رابعاً عباداً لنا وهو الشرط الأخير الذي لم يتحقق بعد فأين عباد الرحمن الذين يثقون في نصرة الله ومعيته. أين عباد الله الذين يؤمنون بالله ويوحدونه ولا يشركون به شيئا. وأين أولئك الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله امتثالاً وجهاداً وإيمانا وتصديقا لا يخافون لومة لائم لا يخشون أحداً إلا الله ولم يقولوا (نخشى أن تصيبنا دائرة) ولم يتقاعسوا ويتخاذلوا منتظرين تحقيق وعد الله يأتيهم على طبق من ذهب دون أي جهد أو جهاد هذا هو الشرط الأخير الباقي لتحقيق الوعد. (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون) وحين يتحقق ذلك الشرط الوحيد الباقي سيدير الله جل شأنه المعركة كما يريدها سبحانه وكما قضى بذلك أمره ووعد. وكما سبق وأدار جل شأنه معركة بدر الكبرى وغيرها. (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف،٢١).

د.حسن عوض

باحث إسلامي



وفيما يلى توزع أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم فى الوقت الحاضر حسب احصائيات ١٩٩٢ .

الأمريكتان .

١ - الشمالية

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف
كندا	٢٧.٧٥٥.٠٠٠	٣٥٦.٠٠٠	١٢ ٨
الولايات المتحدة	٢٥٧.٨٤٠.٠٠	٥.٦٢٠.٠٠٠	٢١.٨
المجموع	٢٨٥.٥٩٥.٠٠	٥.٩٧٦.٠٠٠	٢٠.٩

(٢)

٢ - الوسطى

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود الى نسبة السكان فى الألف
الانتلير البولندية	١١٥ . . .	٤ .	٢ ٣
سما	٣ ٥٦٣ .	٥	٢
بورتوريكو	٣ ٦٢٦ . . .	١ ٥ .	٠ ٤
جامايكا	٣ ٤٩٥ . . .	٣٠٠	٠ ١
جزر البهاما	٢٦٨ . . .	٣٠٠	١.١
جواتيمالا	١٠.٠٢٩ . . .	٨٠٠	٠.١
الدومينكان	٧.٦٢١.٠٠٠	١٠٠	-
فيرجن ايلاند	١٠٧.٠٠٠	٣٠٠	٢ ٨
كوبا	١٠.٧٠٩.٠٠٠	٧٠٠	٠.١
كوستاريكا	٣.٢٧٠.٠٠٠	٢.٠٠٠	٠.٦
المكسيك	٨٩.٩٩٨.٠٠٠	٤٠.٠٠٠	٠.٤
بلاد أخرى	٢٥.٣٣٠.٠٠٠	٣٠٠	-
المجموع	١٥٦.٣٨٩.٠٠٠	٥١.٧٠٠	٠.٣

(ب)

٣ - الجنوبية:

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف
الارجنتين	٣٣.٤٨٧.٠٠٠	٢١١.٠٠٠	٦.٣
إكوادور	١١.٣١٠.٠٠٠	٩٠٠	٠.١
أوروجواى	٣.١٤٩.٠٠٠	٢٣.٨٠٠	٧.٦
باراجواى	٤.٦٤٣.٠٠٠	٩٠٠	٠.٢
البرازيل	١٥٦.٥٧٨.٠٠٠	١٠٠.٠٠٠	٠.٦
بوليفيا	٧.٧٠٥.٠٠٠	٧٠٠	٠.١
بيرو	٢٢.٩١٣.٠٠٠	٣.٠٠٠	٠.١
سورينام	٤٤٦.٠٠٠	٢٠٠	٠.٤
شيلى	١٣.٨١٣.٠٠٠	١٥.٠٠٠	١.١
فنزويلا	٢٠.٦١٨.٠٠٠	٢٠.٠٠٠	١.٠
كولومبيا	٣٣.٩٨٥.٠٠٠	٦.٥٠٠	٠ ٢
المجموع	٣٠٨ ٦٤٧ .	٣٨٢ ...	١.٢
المجموع الكلى للامريكتين	١٥٠ ٦٣١ .	٦.٤٠٩ ١٠٠	٨.٥٣

استراليا ونيوزيلاندا

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف
استراليا	١٧.٨٤٣. ٠٠	٩٠ ...	٥.٠
نيوزيلاندا	٣ ٤٨٧ ...	٤.٥٠٠	١ ٣
بلاد أخرى	٦.٦١٧ ...	١٠٠	–
المجموع	٢٧.٩٤٧.٠٠٠	٩٤.٦٠٠	٣.٤

(هـ)

أسيا.

نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
٨١٦,٥	٤,٢٤٢,٥٠٠	٥,١٩٥,٩٠٠	إسرائيل

الدول الآسيوية فى الاتحاد السوفييتى «سابقا»

نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف	عدد اليهود	عدد السكان	الدولة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	جورجيا
٠,٩	٥,٠٠٠	٥,٧٠٠,٠٠٠	طاجكستان
٠,٨	١٤,٥٠٠	١٧,٢٠٠,٠٠٠	كازخستان
٠,٨	٣,٧٠٠	٤,٦٠٠,٠٠٠	قريفيزيا
١,٦	١٠٩,٦٠٠	٦٩,٣٠٠,٠٠٠	المجموع

(ك)

بلاد آسيوية أخرى :

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف
إيران	٦٣.١٨٠.٠٠٠	١٦,٠٠٠	٠.٣
تايلاند	٥٦.٨٦٨.٠٠٠	٢٠٠	-
سنغافورة	٢.٧٩٨.٠٠٠	٣٠٠	٠,١
سوريا	١٣.٧٦٢,٠٠٠	١,٢٠٠	٠,١
العراق	١٩.٩١٨,٠٠٠	٢٠٠	-
الفلبين	٦٦.٥٤٣.٠٠٠	١٠٠	-
كوريا الجنوبية	٤٤ ٥٠٨ ٠٠٠	١٠٠	-
الهند	٨٩٦ ٥٦٧	٤ ٥٠٠	-
هونج كونج	٥ ٨٤٥ ٠٠٠	١ ٠٠	٢
اليابان	١٢٤ ٩٥٩ ٠٠٠	١,٠٠٠	-
اليمن	١٣.٩٧٧ ٠٠٠	١,٦٠٠	٠,١
بلاد أخرى	١.٩١٨ ٥٠٦ ١٠٠	٣٠٠	-
المجموع	٣.٢٢٦.٤٣١ ١٠٠	٢٦,٥٠٠	-
المجموع الكلى للبلاد الآسيوية	٣.٣٠٠.٩٢٧ ٠٠٠	٤.٣٧٨ ٦٠٠	١.٣

(هـ)

أفريقيا:

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
إثيوبيا	٥٤,٦٢٨,٠٠٠	١,٥٠٠	–
تونس	٨,٥٧٩,٠٠٠	٢,٠٠٠	٠,٢
الجزائر	١٩,٥٩٠,٠٠٠	٣٠٠	–
جنوب أفريقيا	٤٠,٧٧٤,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٢,٥
زائير	٤١,١٦٦,٠٠٠	٤٠٠	–
زامبيا	٨,٨٨٥,٠٠٠	٣٠٠	–
زمبابوى	١٠,٨٩٨,٠٠٠	١,٠٠٠	٠,١
مصر	٥٦,٠٦٠,٠٠٠	٢٠٠	–
بلاد أخرى	٤٢٧,٩٩٠,٠٠٠	٢٠٠	–
المجموع	٦٦,٨٥٧,٠٠٠	١٠٦,٧٠٠	١,٦

أوربا

الجماعة الأوربية

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
اسبانيا	٣٩ ١٥٣	١٢	. ٣
ألمانيا	٨٠ ٦٠٦ ...	٥ ...	. ٦
أيرلندا	٣,٤٨١,٠٠٠	١ ٨٠٠	٠,٥
ايطاليا	٥٧,٨٢٦,٠٠٠	٣١ ٠٠٠	٠,٥
البرتغال	٩,٨٧٠,٠٠٠	٣٠٠	–
بلجيكا	١٠,٠١٠,٠٠٠	٣١,٨٠٠	٣,٢
الدنمارك	٥,١٦٩,٠٠٠	٦,٤٠٠	١,٢
فرنسا	٥٧,٣٧٩,٠٠٠	٥٣٠,٠٠٠	٩,٢
لكسمبورج	٣٨٠,٠٠٠	٦٠٠	١,٦
المملكة المتحدة	٥٨,٠٣٩,٠٠٠	٢٩٨,٠٠٠	٥,١
هولندا	١٥,٣٧٠,٠٠٠	٢٥,٦٠٠	١,٧
اليونان	١٠,٢٠٨,٠٠٠	٤,٨٠٠	٠,٥
المجموع	٣٤٧,٢٩١,٠٠٠	٩٩٢,٣٠٠	٢,٩

باقي دول أوربا الغربية

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
جبل طارق	٣١,٠٠٠	٦٠٠	١٩,٤
السويد	٨,٦٩٢,٠٠٠	١٥,٠٠٠	١,٧
سويسرا	٦ ٨٦٢,٠٠٠	١٩ ٠٠٠	٢,٨
فنلندا	٥,٠٢٠ ٠٠٠	١,٣٠٠	٠,٣
النرويج	٤,٣١٠ ٠٠٠	١,٠٠٠	٠,٢
النمسا	٧,٨٠٥,٠٠٠	٧,٠٠٠	٠,٩
بلاد أخرى	٠٠١	١	٠ ١
المجموع	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الدول الأوربية في الاتحاد السوفييتي سابقا

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان في الألف
استونيا	١ ٦٠٠ ٠٠٠	٣,٤٠٠	٢,١
أوكرانيا	٥١ ٩٠٠,٠٠٠	٢٧٦,٠٠٠	٥,٣
روسيا	١٤٩,٠٠٠,٠٠	٤١٥,٠٠٠	٢,٨
روسيا البيضاء	١٠,٢٠٠,٠٠٠	٤٦,٠٠٠	٤,٥
لاتفيا	٢,٦٠٠,٠٠٠	١٣,٥٠٠	٥,٢
ليتوانيا	٣,٨٠٠,٠٠٠	٦,٥٠٠	١,٧
مولدافيا	٤,٤٠٠,٠٠٠	١٩,٤٠٠	٤,٤
المجموع	٢٢٣,٦٠٠,٠٠٠	٧٧٩,٨٠٠	٣,٥

(ع)

أوربا الشرقية :

الدولة	عدد السكان	عدد اليهود	نسبة اليهود إلى نسبة السكان فى الألف
ملغاريا	٨ ٩٢٦.٠٠٠	١.٩٠٠	٠.٢
البوسنة والهرسك	٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٠٠	٠.١
بولندا	٣٨,٥١٨٠٠	٣.٦٠٠	٠.١
تركيا «بما فى ذلك المناطق الآسيوية»	٥٩.٥٧٧.٠٠٠	١٩.٥٠٠	٠.٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]		
كرواتيا	[illegible]	[illegible]	[illegible]
المجر	١٠,٢٩٣ ٠٠٠	٥٦ ٠٠٠	٥.٣
يوغسلافيا	٩ ٨٠٠ ٠٠٠	١ ٧٠٠	٠.٢
المجموع	١٧٦,٦٩١,٠٠٠	١٠٨,١٠٠	٠.٦
المجموع الكلى لأوربا	٧٨١ ,٠٣٧,٠٠٠	١,٩٢٤,٣٠٠	٢.٥

(ط)



وفيما يلى جدول بعدد المهاجرين ونسبهم المئوية - حسب الموسوعة اليهودية - بين عامى ١٨٨١ و ١٩٤٨.

جهة الهجرة	عدد المهاجرين ١٨٨١-١٩١٤	النسبة	عدد المهاجرين ١٩١٥-١٩٤٨	النسبة
ولايات متحدة	٢ ٤	٨٠	[illegible]	٤٠
كندا	١ ٥	١	[illegible]	٤
الأرجنتين	١١٣	٥	٥	[illegible]
أمريكا اللاتينية	١٤	[illegible]	١٤	٩
جنوب أفريقا	٤٣ ...	٢	٢٥ ...	١٦/
فلسطين	٧٠ ..	٣/	٤٨٥ ...	٣٠/
بلاد أخرى	١٥ ...	٠٦/	١٢٥ ...	٨/

(٢)

وفيما يلي جدول الهجرات اليهودية منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٩٣

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	آسيا	أفريقيا	أوربا	أمريكا	غير معروف
١٨٨٢-١٩٠٣	٢٠,٠٠٠-٣٠,٠٠٠					
١٩٠٤-١٩١٤	٣٥,٠٠٠-٤٠,٠٠٠					
١٩١٩-١٩٤٨	٤٨٢,٨٥٧	٤٠,٨٩٥	٤,٠٤١	٣٧٧,٣٨١	٧,٧٥٤	٥٢,٧٨٦
١٩١٩-١٩٢٣	٢٥,١٨٣	١,١٨١	٣٢٠	٢٧ ٨٧٢	٦٧٨	٥,٢٢٢
١٩٢٤-١٩٣١	٨١,٦١٣	٩,١٨٢	٦٢١	٦٦,٩١٧	٢,٢٤١	٢,٦٥٢
١٩٣٢-١٩٣٨	١٩٧,٢٣٥	١٦,١٧٢	١,٢١٢	١٧١,١٧٣	٤,٥٨٩	٣,٩٨٩
١٩٣٩-١٩٤٥	٨١,٨٠٨	١٣,١١٦	١,٠٧٢	٦٢,٩٦٨	١٠٨	٤,٥٤٤
١٩٤٦-١٩٤٨	٥٦ ٤٦٧	١ ١٤٤	٩ ٦	٤٨ ٤٥١	١٣٨	٥ ٨٢٨
١٩٤٨	١٠١ ٨٢٨	٤ ٧٣٩	٨ ١٩٢	٧٦ ٥٥٤	٤٧٨	١١ ٨٦٥
١٩٤٩	٢٣٩ ٩٥٤	٧١ ٦٥٢	٣٩ ٢١٥	١٢١ ٩٦٣	١ ٤٢٢	٥ ٧٠٢
١٩٥٠	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١ ٩٥٤	[illegible]
١٩٥١	١٧٥ ٢٧٩	[illegible]	٣٠ ٣٨٢	[illegible]	١ ٢٨٦	٣ ١٤١
١٩٥٢	٢٤ ٦١٠	٦ ٨٦٧	١٠ ٢٨٦	٦ ٢٣٢	٩٥٠	٢٧٥
١٩٥٣	١١ ٥٧٥	٣ ٠١٤	٥ ١٠٣	٢ ١٤٧	٩٣٠	٣٨٢
١٩٥٤	١٨ ٤٩١	٣ ٢٥٧	١٢ ٥٠٩	١ ٣٦٩	١ ٠٩١	١٦٥
١٩٥٥	٣٧ ٥٢٨	١ ٤٣٣	٣٢,٨١٥	٢ ٠٦٥	١,١٥٥	٦١
١٩٥٦	٥٦ ٣٣٠	٣,١٣٩	٤٥,٢٨٤	٦ ٧٣٩	١,٠٦٧	١٠١
١٩٥٧	٧٢,٦٣٤	٤,٢٣٠	٢٥,٧٤٧	٣٩,٨١٢	١,٤١٠	١,٤٣٥
١٩٥٨	٢٧,٢٠٠	٧,٩٢١	٤,١١٣	١٣,٦٩٥	١,٣٢٠	٢٤١
١٩٥٩	٢٣,٠٠٠	٣,٥٤٤	٤,٤٢٩	١٤,٧٣١	١,١٤٧	١٣٧
١٩٦٠	٢٤,٠٠٠	١,٧٨٢	٥,٣٧٩	١٦,١٦٩	١,١٥٨	٢٠٤
١٩٦١	٤٧,٧٣٥	٤,١٤٩	٨,٠٤٨	٢٣,٣٧٥	١,٩٦٩	١٩٤
١٩٦٢	٦١,٥٣٣	٥,٢٥٥	٤١,٨١٦١	١١,٨٥٢	٢,١٨٧	٢٥٠
١٩٦٣	٦٤,٤٨٩	٤,٩٦٤	٣٨,٦٧٢	١٤,٢١٣	٦,٤٩٧	١٤٣
١٩٦٤	٥٥,٠٣٦	٥,٠٥٧	١٧,٢٤٠	٢٨,١٢٤	٤,٨٨	٣٢٧

(ب)

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	أسيا	أفريقيا	أوربا	أمريكا	غير معروف
١٩٦٥	٣١.١١٥	٥ ٣٢٢	٨.٥٣٥	١٣.٨٧٩	٦.٠٩٦	٣٨٢
١٩٦٦	١٥.٩٥٧	٣.١٣٧	٣.٠٢٤	٧.٤٣٥	٢.١٣٢	٢٢٩
١٩٦٧	١١٤.٤٦٩	١.٩٨٧	٦.٢٦٨	٤.٢٩٥	١.٧٧١	١٤٨
١٩٦٨	٢٠.٧٠٣	٤.٦٧١	٧.٥٦٧	٦.٠٢٩	٢.٢٧٥	١٦١
١٩٦٩	٣٨.١١١	٧.٠١٨	٥.٩٢٦	١٥ ٢٣٦	٩.٦٠١	٣٣٠
١٩٧٠	٣٦ ٧٥٠	٦ ٩٠٤	٣ ٧٨٥	١٤ ٤٣٤	١١ ٤٠٥	٢٢٢
١٩٧١	٤١ ٩٣٠	٥ ٧٧٨	٢.٢٥٤	٢٠ ٨٨٨	١٢.٨٨٥	٢٥
١٩٧٢	٥٥.٨٨٨	٣ ١٤٣	٢.٧٦٦	٣٩ ١٤٥	١٠ ٨١٤	٢٠
١٩٧٣	٥٤.٨٨٦	٢ ٠٢٥	٢.٨٣٩	٤٠.٤٩٢	٩.٥٢٢	٨
١٩٧٤	٣١ ٩٨١	١ ١٧٩	١.٢١٦	٢٢ ١٢٦	٦.٤٣٩	٢١
١٩٧٥	٢٠ ٠٢٨	٩٣٧	٦٨٩	١٣ ٤١٧	٤.٩٨٩	٦
١٩٧٦	١٩ ٧٥٤	١ ١٣٥	٦٩٧	١٢ ١٣٧	٥.٧٧٤	١١
١٩٧٧	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١٢ [illegible]	٦ ٢٠١	٤٠
١٩٧٨	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٦ ٣٠٥	١٢١
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٦٢
[illegible]	[illegible]	[illegible]	١ ٥٥٥	٦ ١٦٨	[illegible]	٤٦
[illegible]	[illegible]	٨٤٤	٣ ٠٩٤	٦ ١٥٤	٦ ٧٥٨	٥٦
١٩٨٤	١٩ ٩٨١	٧٠٠	٨ ٨٨٥	٥ ٤٨٥	٤ ٨٧٦	٣٥
١٩٨٥	١٠ ٦٤٢	٦٠٧	٢ ٣١٨	٣ ٩٦٤	٣ ٧٢٩	١٤
١٩٨٦	٩ ٥٠٥	١ ١٨٣	٩٨٢	٣.٦٧٥	٣ ٦٣٤	٣١
١٩٨٧	١٢ ٩٦٥	١.٨٨٨	١.٢٠٥	٦.٠٤٤	٣.٨١٢	١٦
١٩٨٨	٢٤.٠٥٠	١.٧٠٠	١.٣٣٤	٦.٠١٢	٣.٩٦٩	١٩
١٩٨٩	٢٤.٠٥٠	١٨٥	١.٨٦١	١٦.٧٦٦	٤.١٤٧	٩١

فترة الهجرة	مجموع المهاجرين	أسيا	أفريقيا	أوربا	أمريكا	غير معروف
١٩٩٠	١٩٩.٥١٦	٩٤٠	٤.٤٧٢	١٨٩.٦٥٠	٤.٣١٥	١٣٩
١٩٩١	١٧٦.١٠٠	٦٢٢	١.٢٥١	١٥٢.١٤٢	٢.٠٢٣	٦٢
١٩٩٢	٧٧.٠٥٧	٨٩١	٤.٠٧٥	٦٨.٩٦٢	٣.٠٠٦	١٢٣
١٩٩٣	٧٦.٨٠٥	١.٧٢٨	١.٤٣١	٧٠.٣١٥	٣.٢٨٢	٤٨

(حـ)

السنة	الولايات المتحدة	كندا	الارجنتين	البرازيل	أوروجواى	الدول الاخرى فى الامريكتين	جنوب افريقيا	فلسطين	الدول الاخرى	الاجمالى
١٨٤٠-١٨٨٨	٢٠٠,٠٠٠	١,٦٠٠	٢,٠٠٠	٥٠٠	-	١,٠٠٠	٤,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٢,٠٠٠	٢٢١,١٠٠
١٨٨١-١٩٠٠	١٧٥٠٠٠	١٠,٥٠٠	٢٥,٠٠٠	١,٠٠٠	-	١,٠٠٠	٢٣,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٤,٠٠٠	٧٦٤,٥٠٠
١٩٠١-١٩١٤	١,٣٤٦,١٠٠	٩٥,٣٠٠	٨٧,٦١٤	٨٠,٧٥٠	-	٣٠٠٠	٢١,٣٧٧	٣٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	١,٦٠٢,٤٤١
١٩١٥-١٩٢٠	٧٦,٤٥٠	١٠,٤٥٠	٢,٥٠٣	٢,٠٠٠	١٠٠٠	٥,٠٠٠	٩٠٧	١٥,٠٠٠	٥,٠٠٠	٨٩,٣١٠
١٩٢١-١٩٢٥	٢٨٠,٢٨٣	١٤,٤٠٠	٣٩,٧١٣	٧,١٣٩	٣٠٠٠	٧٠٠٠	٤,٦٣٠	٦٠,٧٦٥	١٠,٠٠٠	٤٢٦,٩٣٠
١٩٢٦-١٩٣٠	٥٤,٩٩٨	١٥,٣٠٠	٣٣,٧٢١	٢٢,٢٩٦	٦,٣٧٠	١٠,٠٠٠	١٠,٠٤٤	١٥,١٧٩	١٠,٠٠٠	١٧٢,٩٠٨
١٩٣١-١٩٣٥	١٧,٩٨٦	٤,٢٠٠	١٢,٧٠٠	١٢,٠٧٥	٣ ٢٨٠	١٥,٠٠٠	٤,٥٠٧	١٤٧,٥٠٢	٢٠,٠٠٠	٢٣٨,٢٥٠
١٩٣١-١٩٣٩	٧٩,٨١٩	٩٠٠	١٤,٧٨٩	١٠,٠٠٠	٧ ٦٧٧	١٥,٠٠٠	٥ ٣٠٠	٧٥,٥١٠	٦٠,٠٠٠	٢٦٩,٥٩٥
١٩٤٠-١٩٤٢	٧٠,٩٥٤	٨٠٠	٤,٥٠٠	٦,٠٠٠	١٠٠٠	٢٠٠٠	٢,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠	١٣٢,٣٥٤
المجموع	٤,٨٠٦,٨٩٠	٢٢٣,٤٥٠	٢٢٣,٥٤٠	٧١,٣٦٠	٢٢ ٣٢٧	٥٩ ٠٠٠	٧٧ ١٦٥	٢٧٨,٩٥٦	١٣١,٠٠٠	٣,٩١٧,٣٨٨

(ى)

عدد المهاجرين اليهود إلى كل من الولايات المتحدة وفلسطين فى الفترة ١٩١٥ - مايو ١٩٤٨.

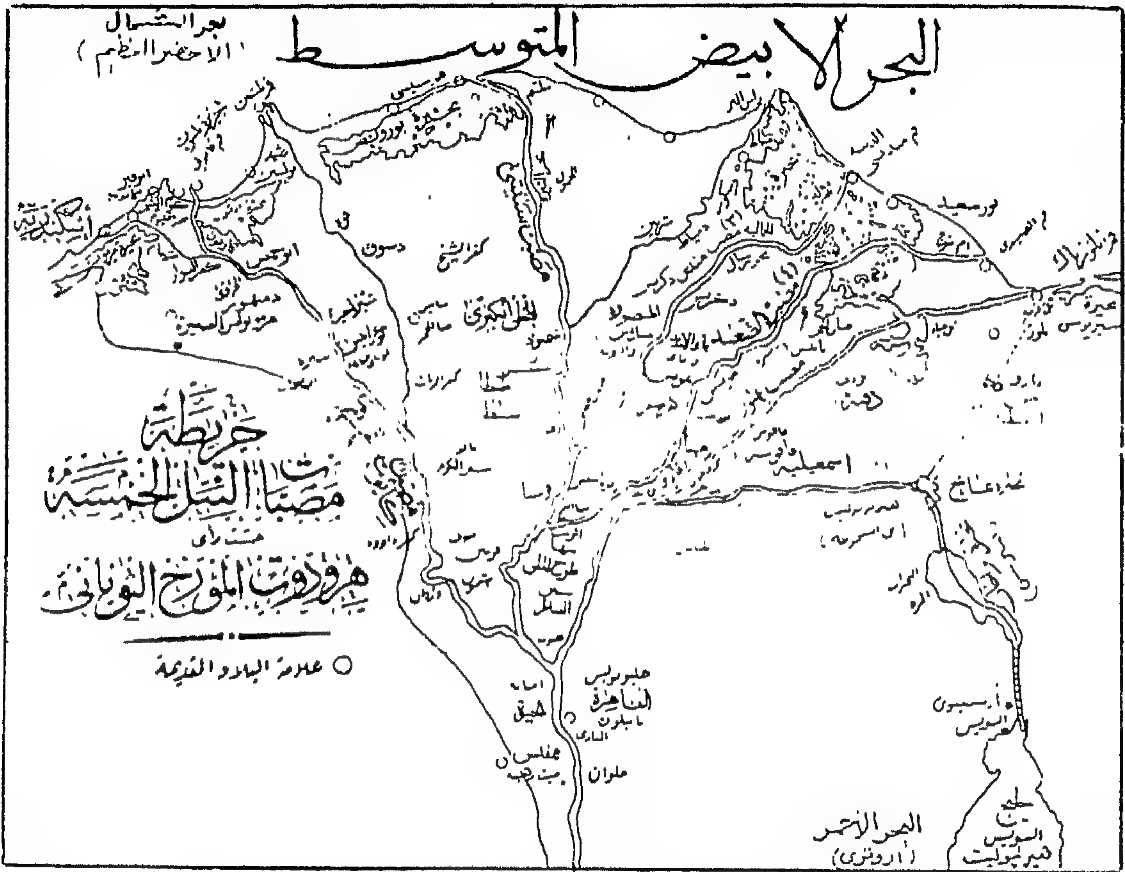
السنة	الولايات المتحدة	فلسطين	السنة	الولايات المتحدة	فلسطين
١٩١٥	٢٦.٤٩٧	-	١٩٣٢	٣.٧٥٥	١٢.٥٥٣
١٩١٦	١٥.١٠٨	-	١٩٣٣	٢.٣٧٢	٣٧.٣٣٧
١٩١٧	١٧.٣٤٢	-	١٩٣٤	٤.١٣٤	٤٥.٢٦٧
١٩١٨	٣ ٦٧٢	-	١٩٣٥	٤ ٨٣٧	٦٦ ٤٧٢
١٩١٩	٣.٠٥٥	١ ٨٠٦	١٩٣٦	٦ ٢٥٢	٢٩ ٥٩٥
١٩٢٠	١٤.٢٩٢	٨.٢٢٣	١٩٣٧	١١.٣٥٢	١٠.٦٢٩
١٩٢١	١١٩.٠٣٦	٨.٢٩٤	١٩٣٨	١٩.٧٣٦	١٤.٦٧٥
١٩٢٢	٥٣ ٥٢٤	٨.٦٨٥	١٩٣٩	٤٣.٤٥٠	٣١.١٩٥
١٩٢٣	٤٩.٧١٩	٨.١٧٥	١٩٤٠	٣٦.٩٤٥	١٠.٦٤٣
١٩٢٤	٤٩.٩٨٩	١٣.٨٩٢	١٩٤١	٢٣.٧٣٧	٤.٥٩٢
١٩٢٥	١٠ ٢٩٢	٣٤ ٣٨٦	١٩٤٢	١٠ ٦٠٨	٤.٢٠٦
١٩٢٦	١٠ ٢٦٧	١٣ ٨٨٥	١٩٤٣	٤ ٧٠٥	١٠ .٦٣
١٩٢٧	١١ ٤٨٣	٣ ٣٤	١٩٤٤	٥ ٥٥٣	
١٩٢٨	٦٣٩	٢ ١٧٨	١٩٤٥	٥ ٣٥٩	
١٩٢٩	١٢ ٤٧٩	٥ ٢٤٩	١٩٤٦	[illegible]	
١٩٣٠	١١ ٥٢٦	٤ ٩٤٤	١٩٤٧	٢٢ ٩٨	
١٩٣١	٥ ٦٩٢	٤ ٠٧٥	١٩٤٨	١٢ ١٦٥	

سنة	عددهم فى فلسطين	نسبتهم ليهود العالم
١٨٨٢	٢٤,٠٠٠	٪ ٠,٣
١٩٠٠	٥٠,٠٠٠	٪ ٠,٥
١٩٢٥	١٢٢,٠٠٠	٪ ٠,٨
١٩٤٠	٤٦٧,٠٠٠	٪ ٢,٨
١٩٤٨/١٠/٥	٦٥٠,٠٠٠	٪ ٥,٧
١٩٥١	١,٤٠٤,٠٠٠	٪ ١٢,٢
١٩٦٥	٢,٢٩٩,٠٠٠	٪ ١٧,١
١٩٧٥	٢,٩٥٩,٠٠٠	٪ ٢٠,٩
١٩٨٠	٣,٢٨٢,٧٠٠	٪ ٢٥
١٩٨٥	٣,٥١٠,٠٠٠	٪ ٢٧

(هـ)

* * * * * * * *

****


البحر الابيض المتوسط
بحر الشمال
(الاخضر المعظم)
خريطة
مصبات النيل الخمسة
حسب رأى
هرودوت المؤرخ اليوناني
○ علامة البلاد القديمة
دسوق
القاهرة
حلوان
البحر الاحمر
(أروثرى)

الوجه البحري

البحر الأبيض المتوسط

المصب الكانوبي

المصب البولبيتي

المصب السبنيتي

المصب التانيتي

المصب المنديسي

المصب البلوزي

الإسكندرية

بحيرة مريوط

بحيرة البرلس

أكسويس (سخا)

بلوز

بحيرة سربونيس

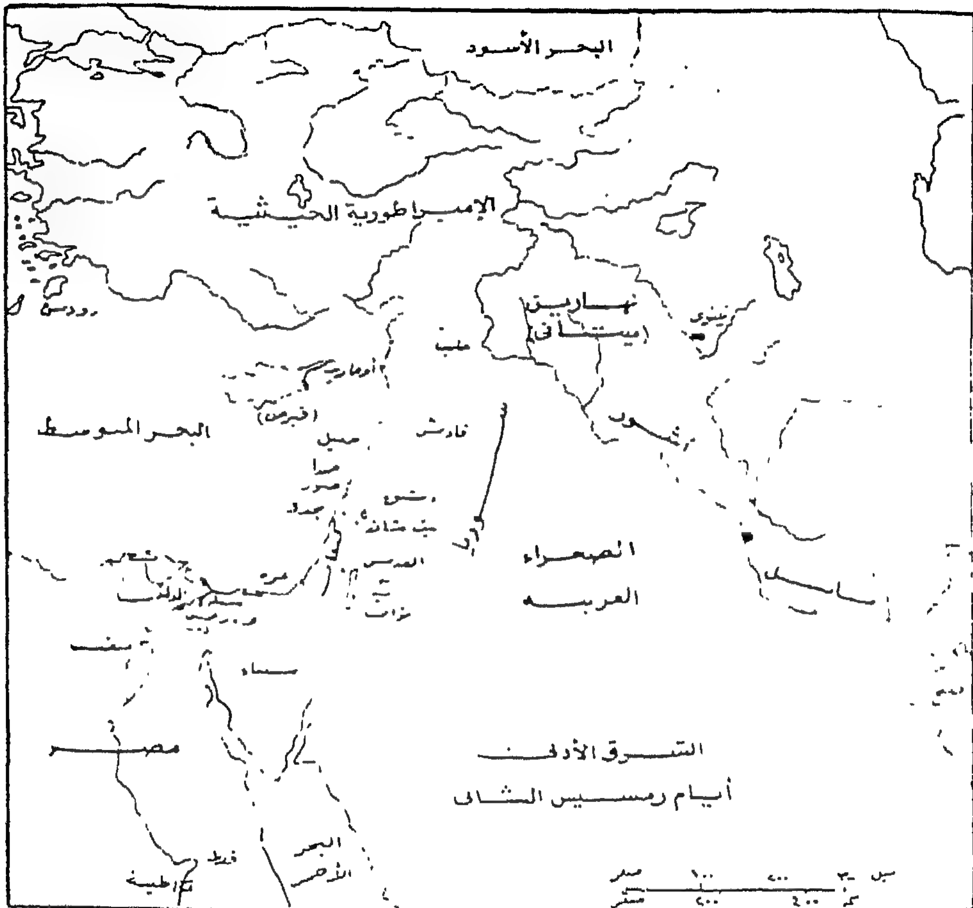
بحيرة التمساح

هليوبوليس (عين شمس)

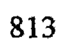
ليتوبوليس (أوسيم)

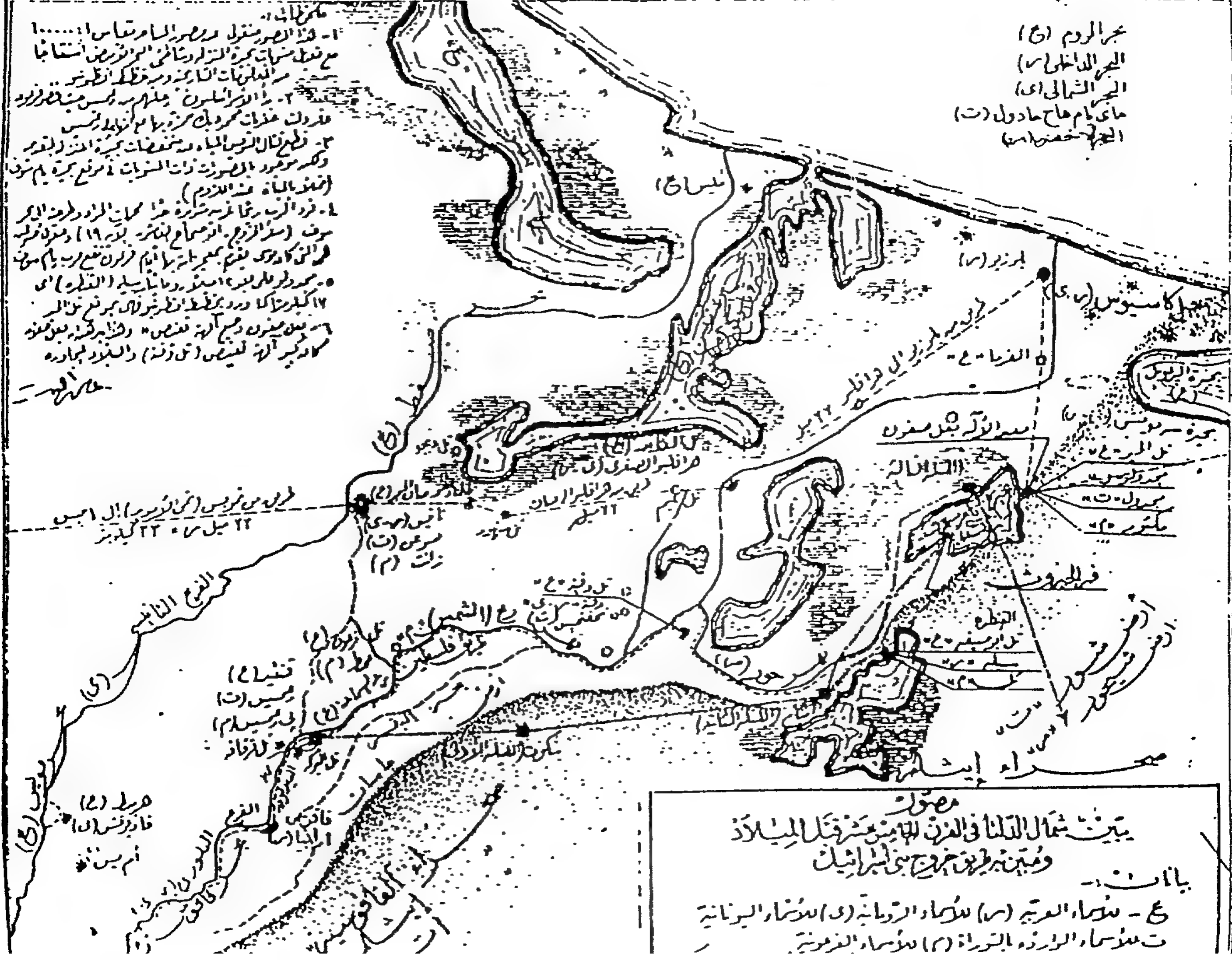
منفيس

(١) خريطة الوجه البحري

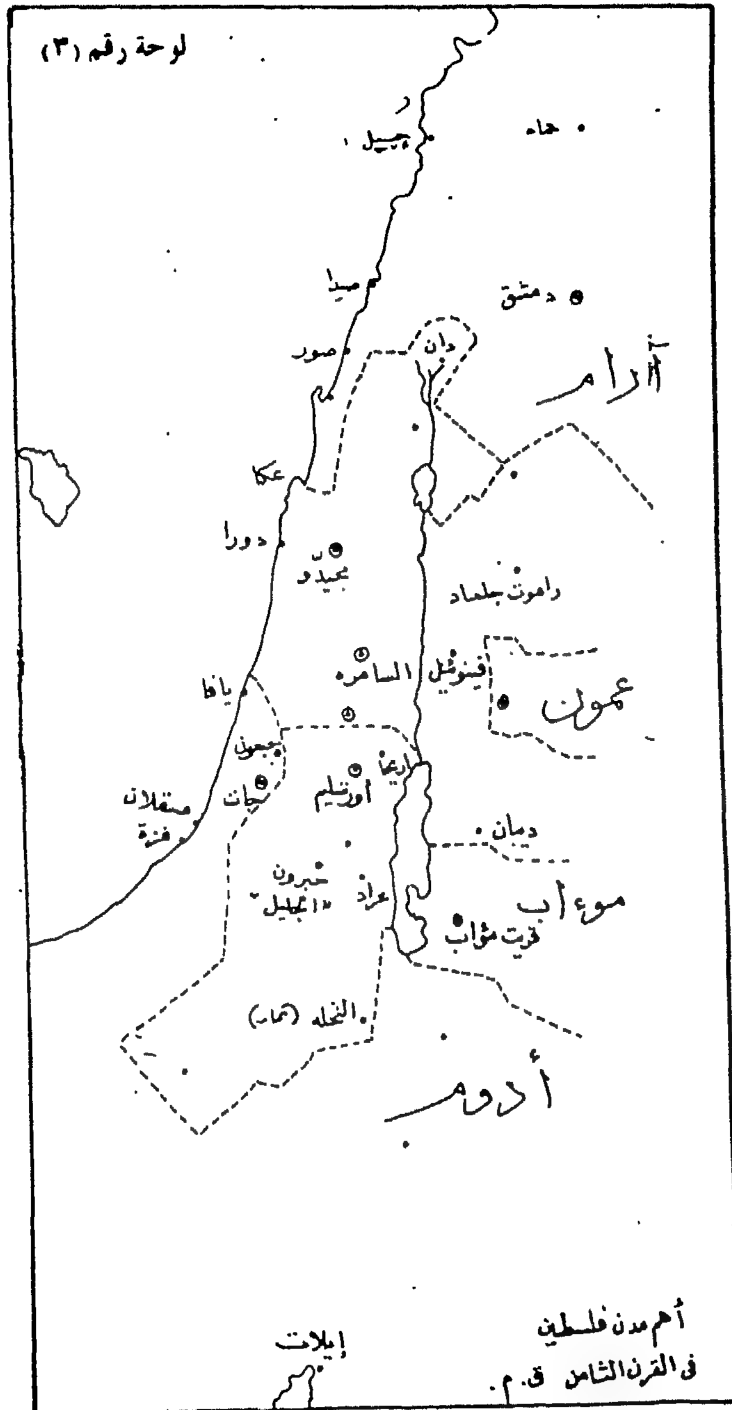


الشرق الأدنى أيام رمسيس الثانى

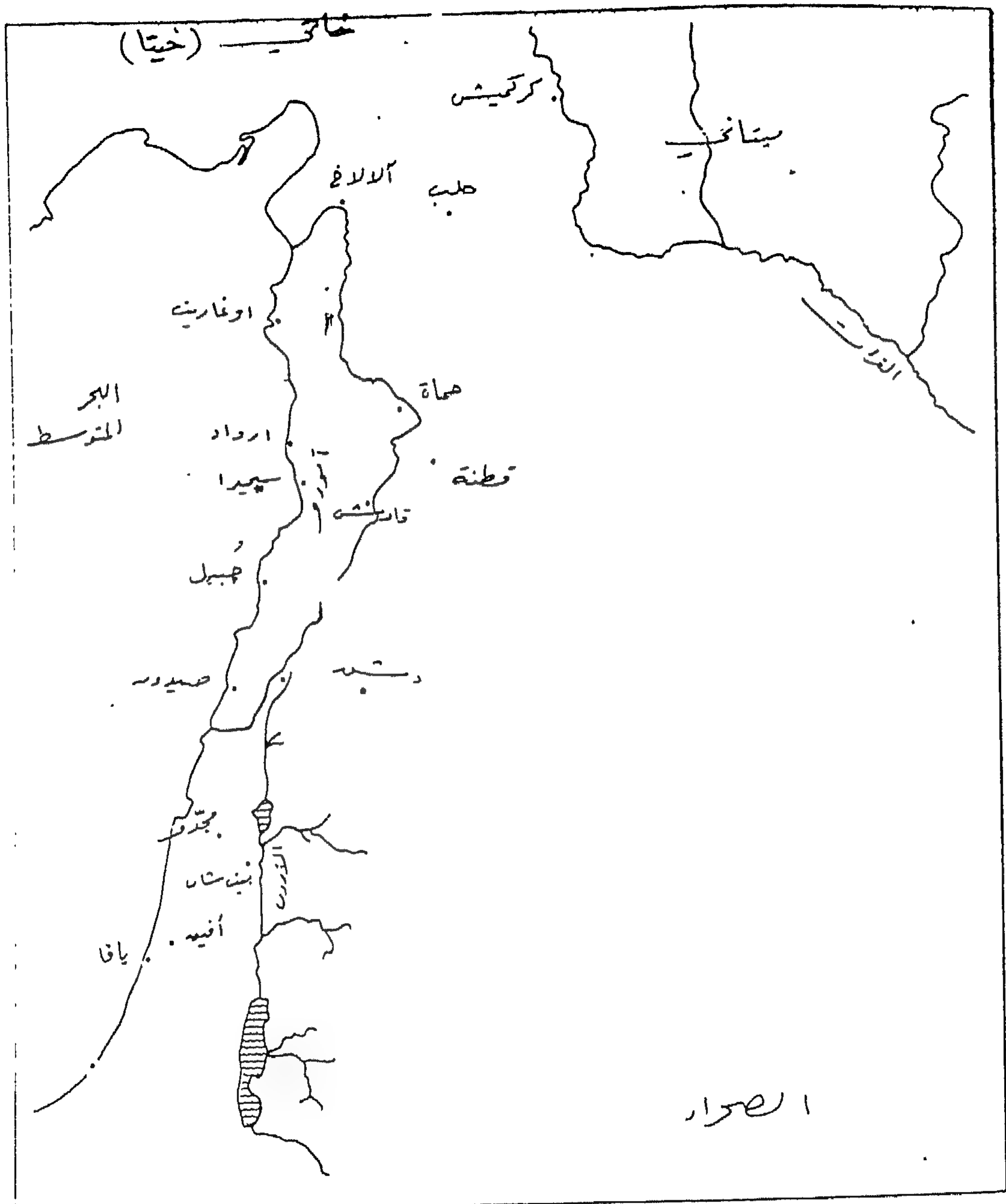



مصور
يبين شمال الدلتا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد
ويبين طريق خروج بني إسرائيل
بيانات:
ع - للأسماء العربية (ر) للأسماء الرومانية (ى) للأسماء اليونانية
ت للأسماء الواردة بالتوراة (م) للأسماء الفرعونية
بحر الروم (ع)
البحر الداخلي (ر)
البحر الشمالي (ى)
صحراء إيثام

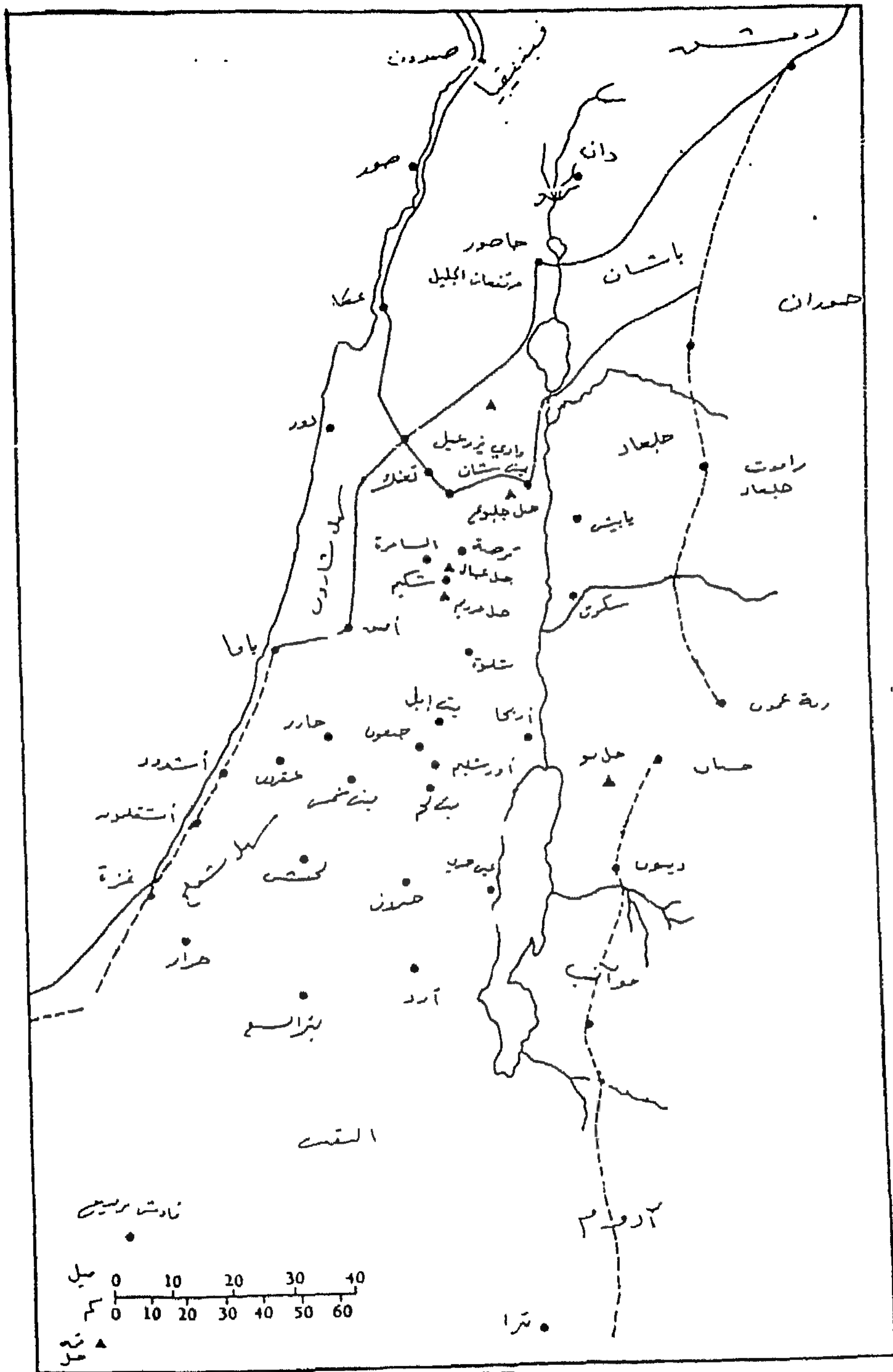
الخارطة رقم (١) ـ فلسطين الكنعانية



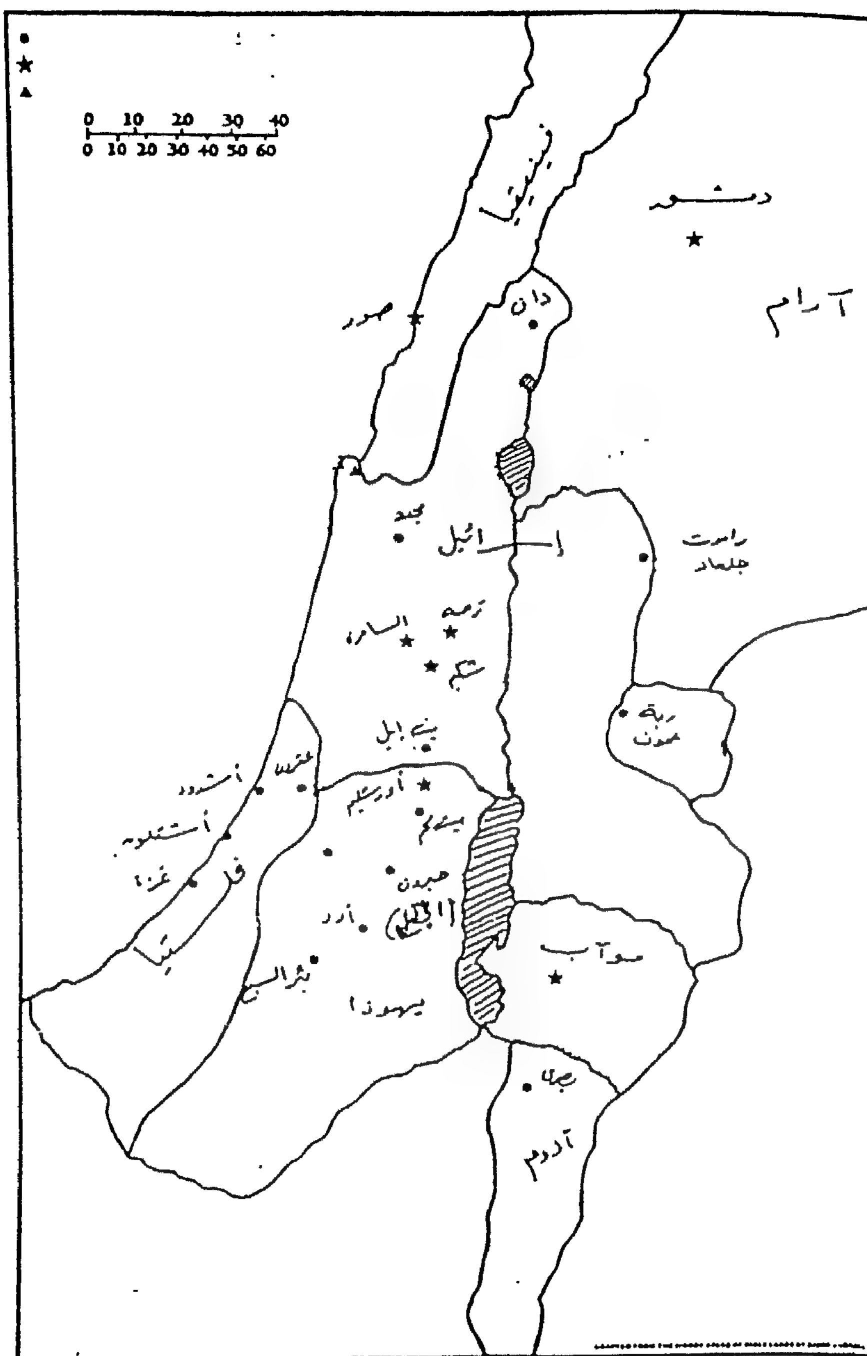
لوحة رقم (٣)
حماه
جبيل
دمشق
صيدا
صور
دان
أرام
عكا
دورا
مجيدو
راموت جلعاد
السامره
فنوئيل
عمون
يافا
جبعون
أريحا
أورشليم
جات
عسقلان
غزة
ديبان
حبرون
الخليل
عراد
موءاب
قريت مؤاب
النخله (تمار)
أدوم
إيلات
أهم مدن فلسطين
في القرن الثامن ق.م.



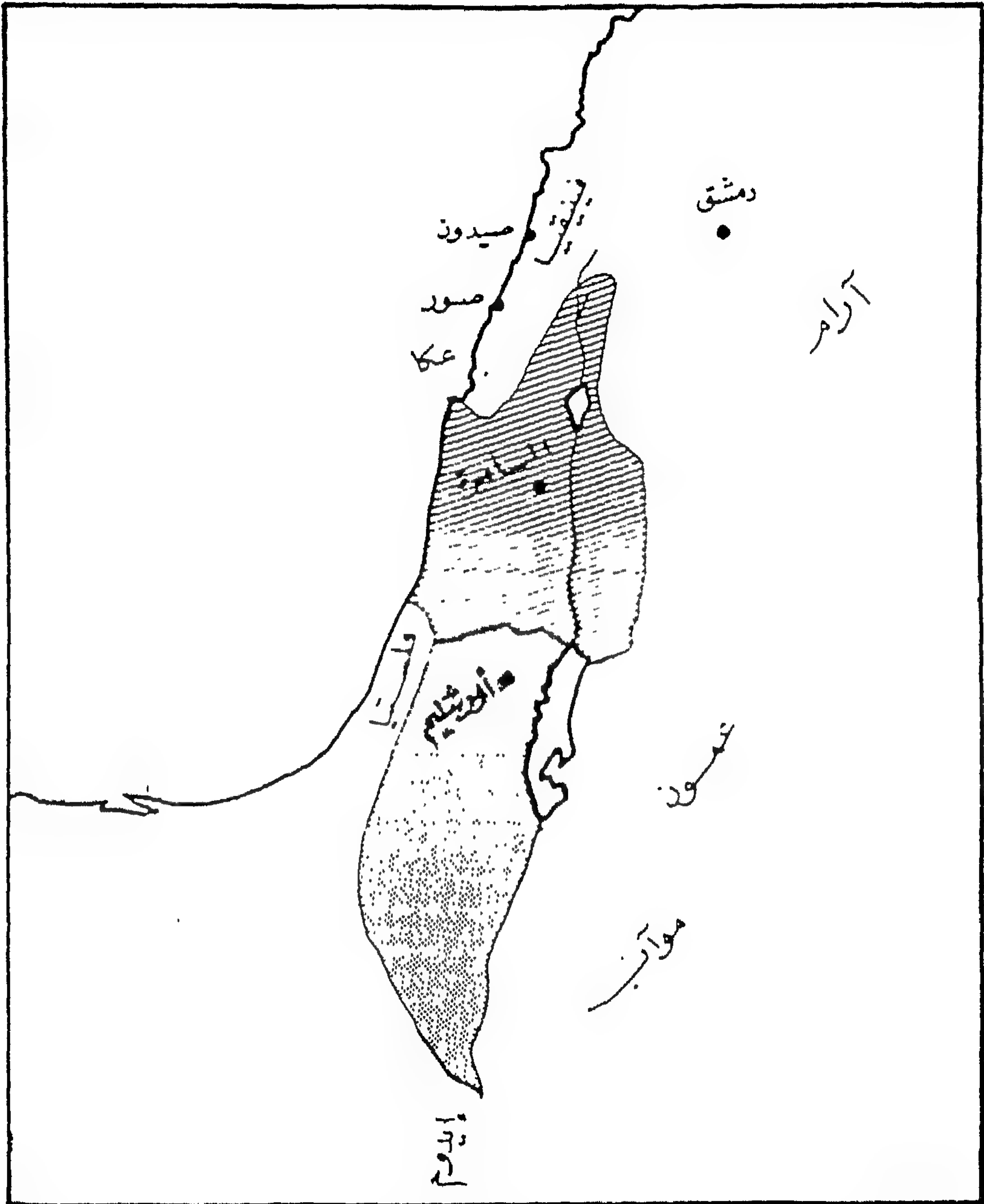
١ ـ سورية وفلسطين في عصر البرونز المتأخر



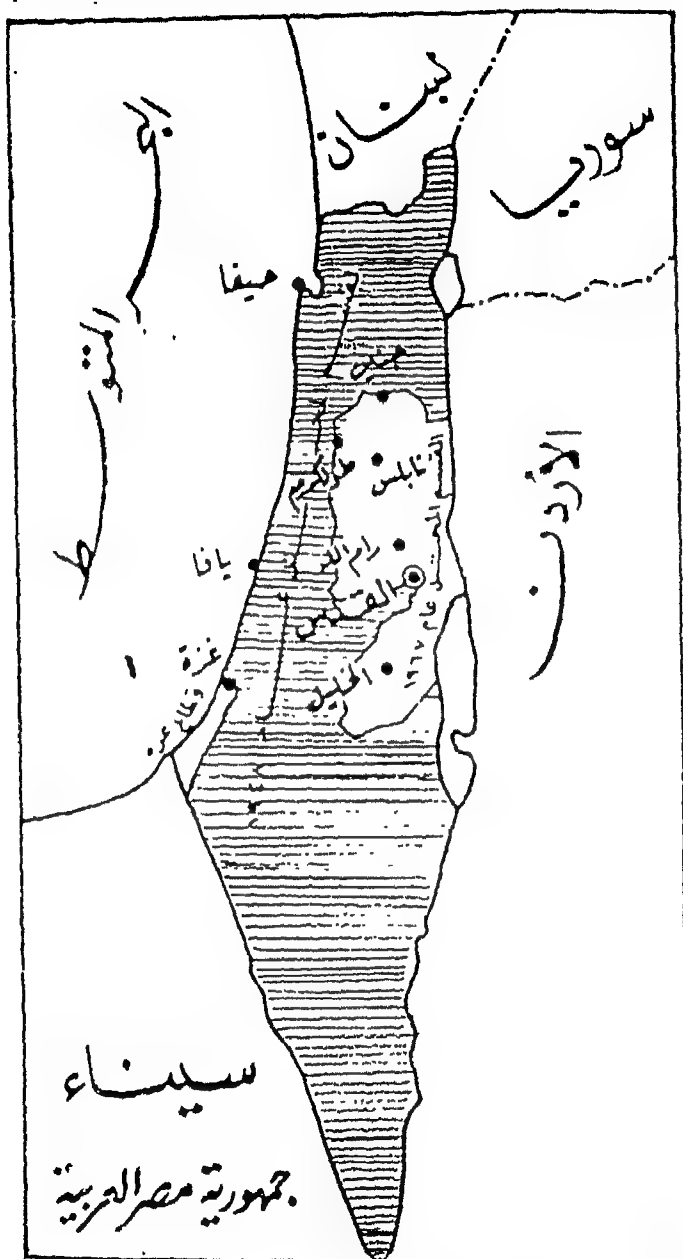
٢ ـ فلسطين في عصر الحديد



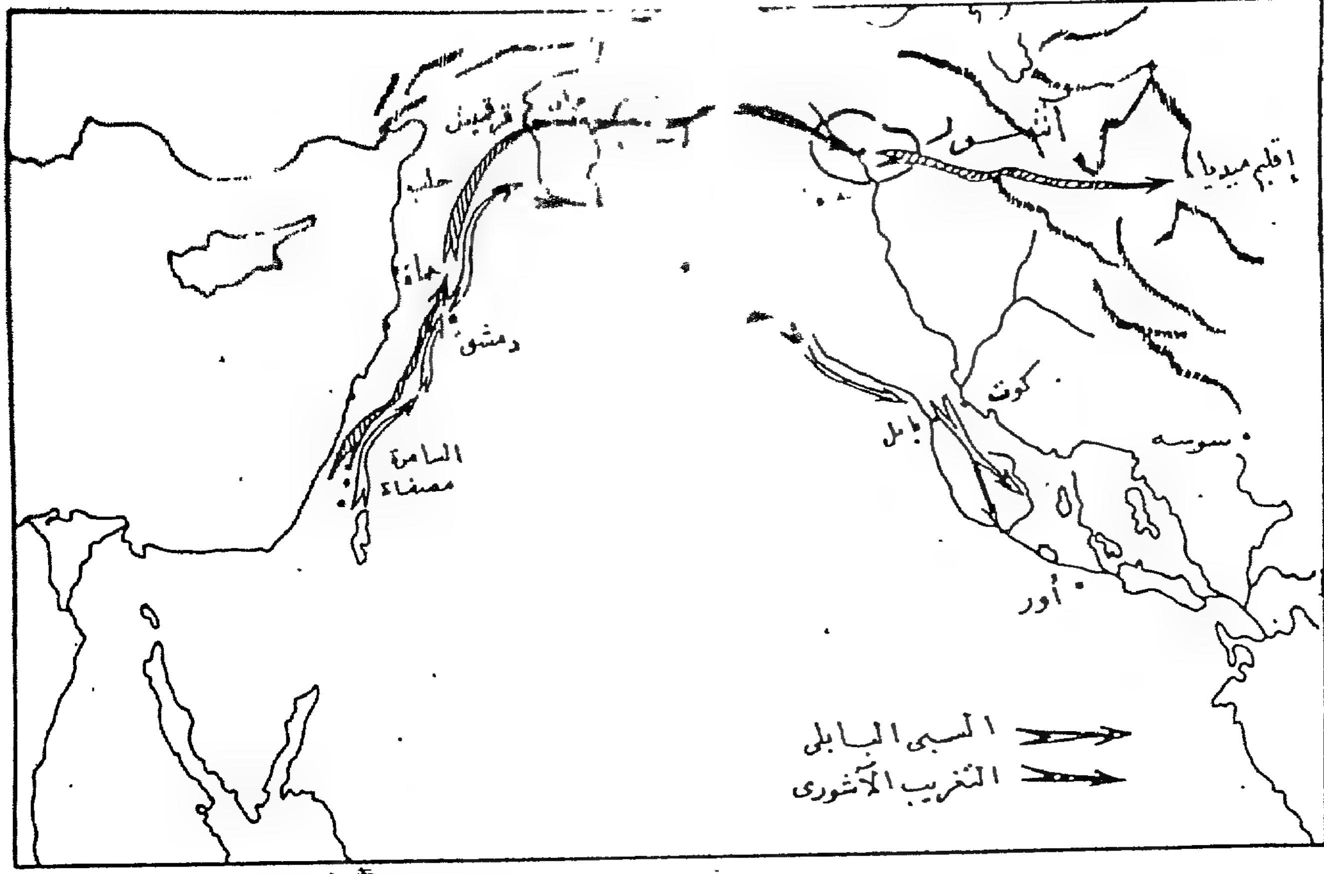
٤ـ مساحة كل من اسرائيل ويهوذا بعد المد التوسعي خارج المناطق الهضبية (وفق الرواية التوراتية)



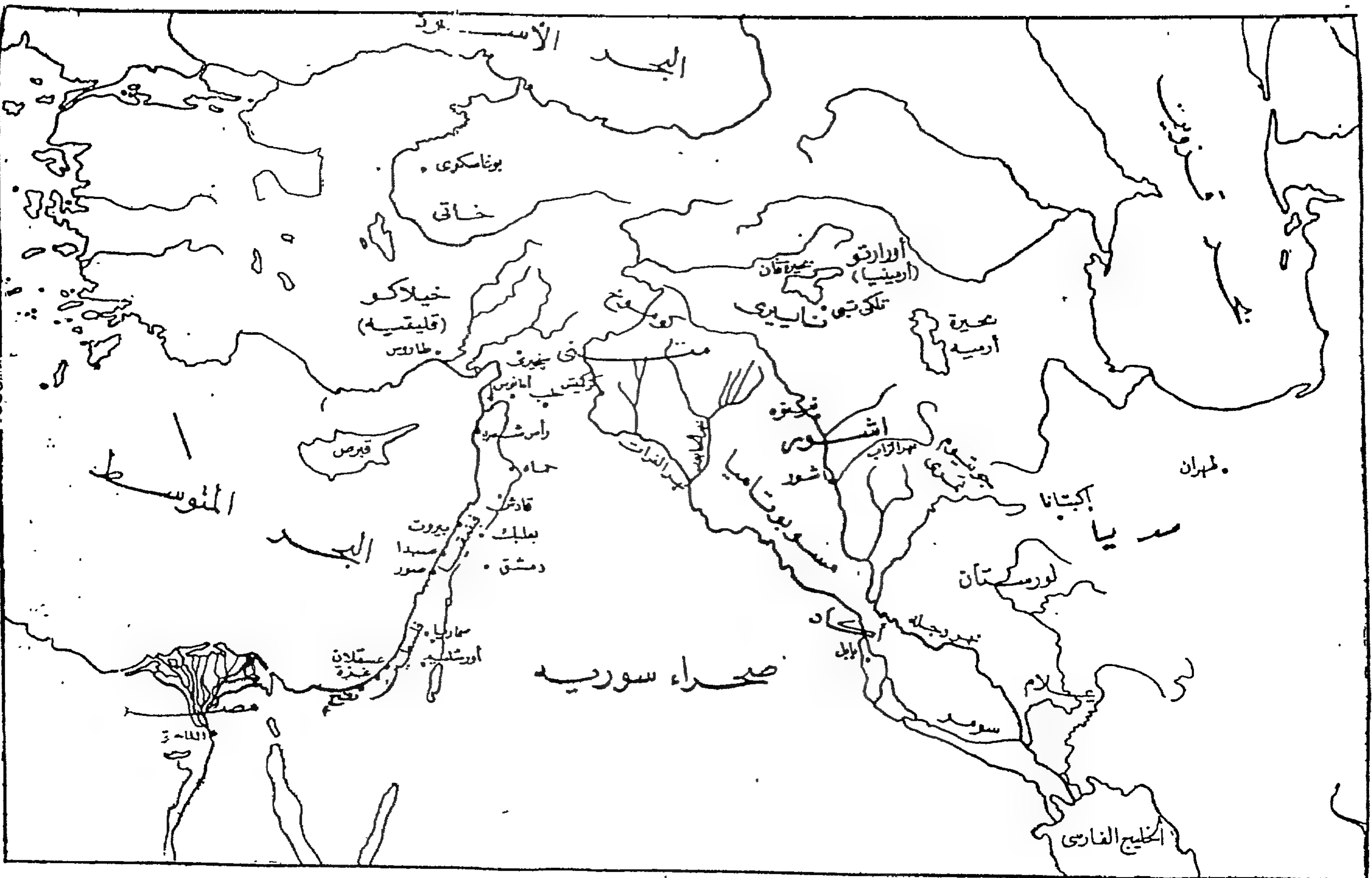
الخارطة رقم (٢) ـ مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا. (الموحدة)



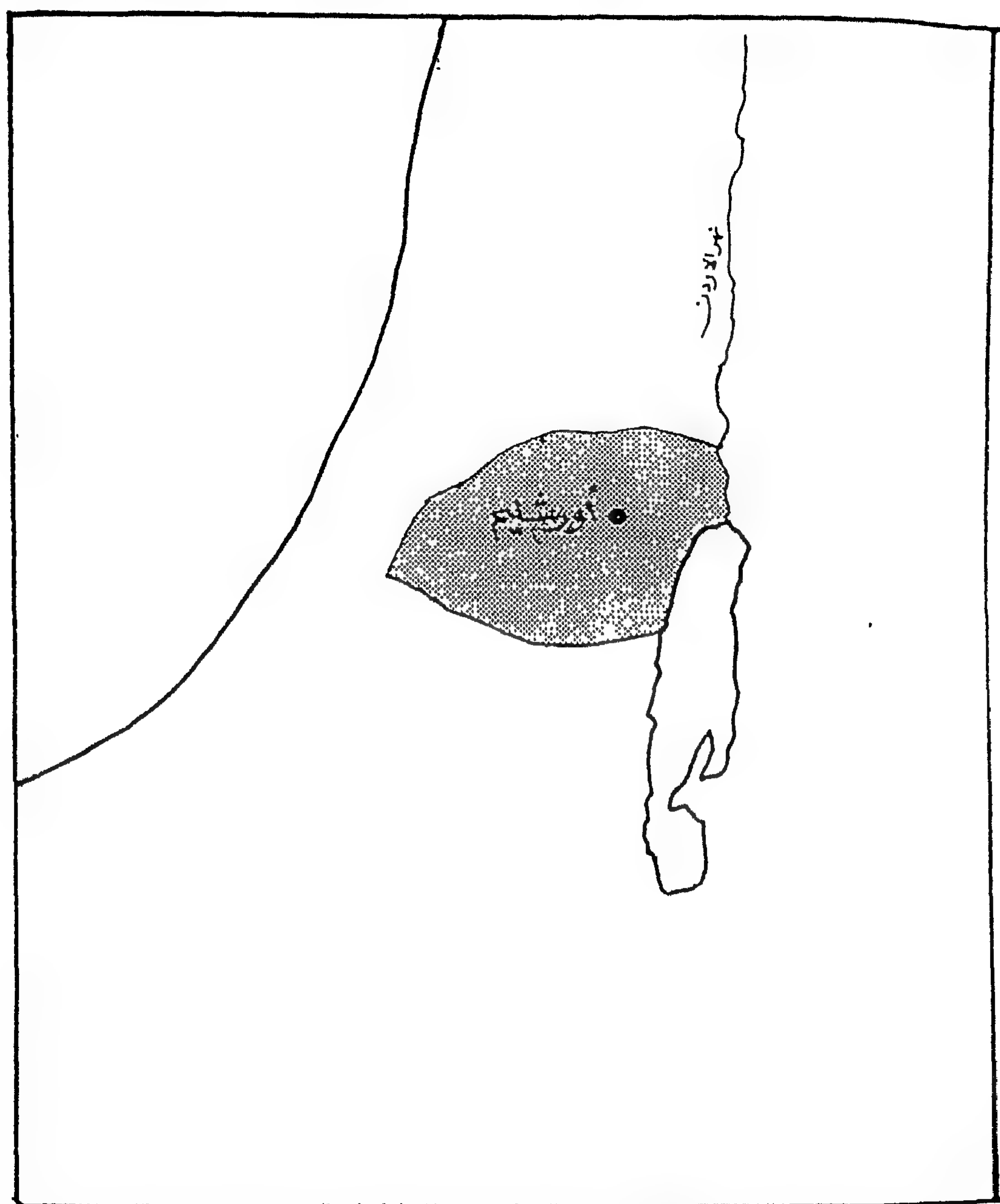
لبنان
سوريا
البحر المتوسط
حيفا
نابلس
يافا
القدس
الخليل
غزة
الأردن
سيناء
جمهورية مصر العربية



التغريب الآشوري لمملكة اسرائيل ٧٢٢ ق.م والسبي البابلي لمملكة يهوذا ومناطق النفي



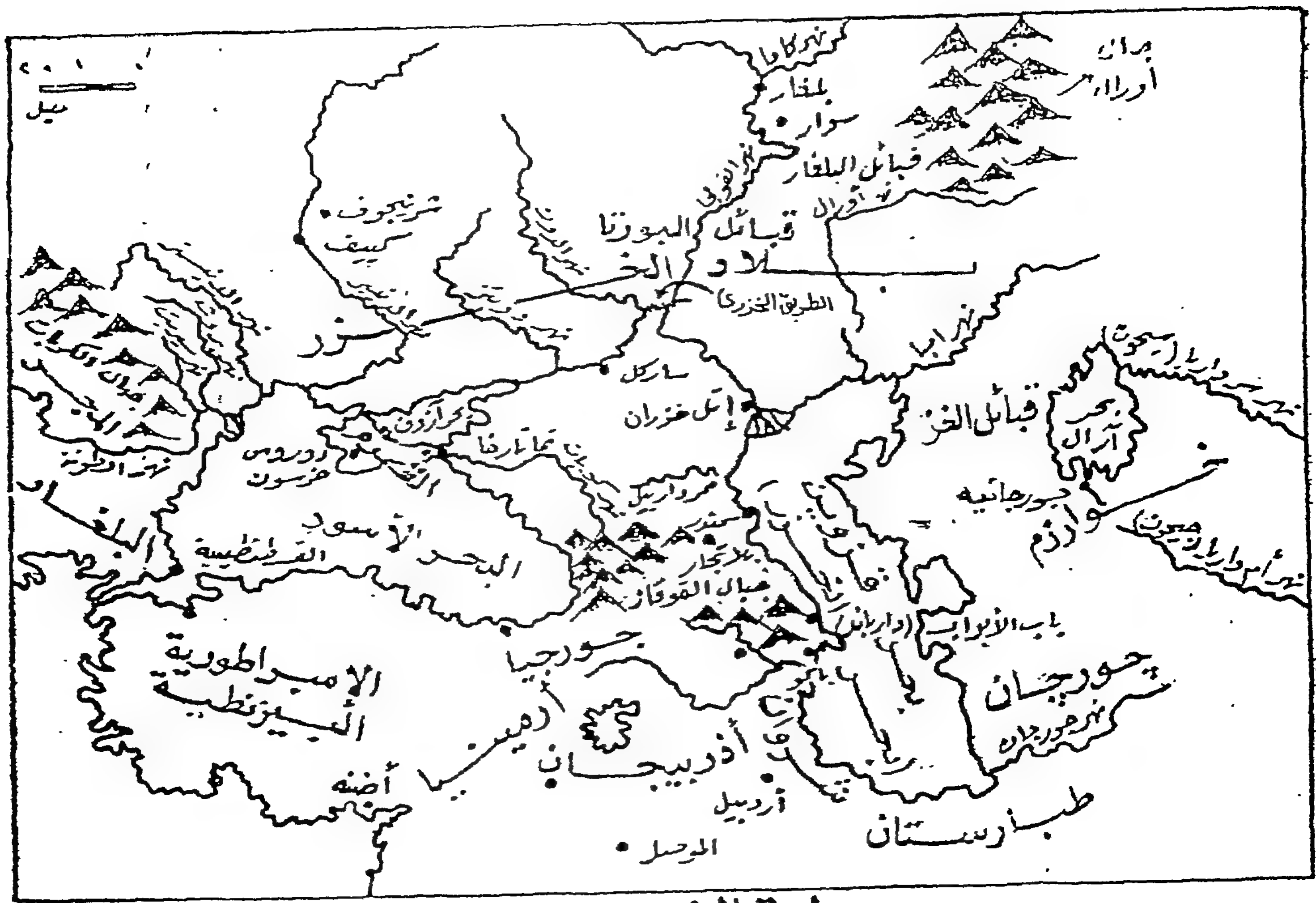
خريطة الامبراطورية الآشورية



الخارطة رقم (٣) - رقعة يهوذا بعد السبي

الممالك الهلنستية
٢٧٥ ق.م

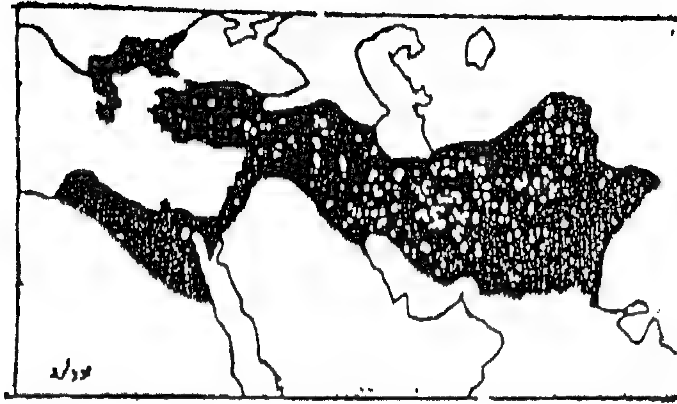
الصراع بين مصر ومقدونيا وسوريا



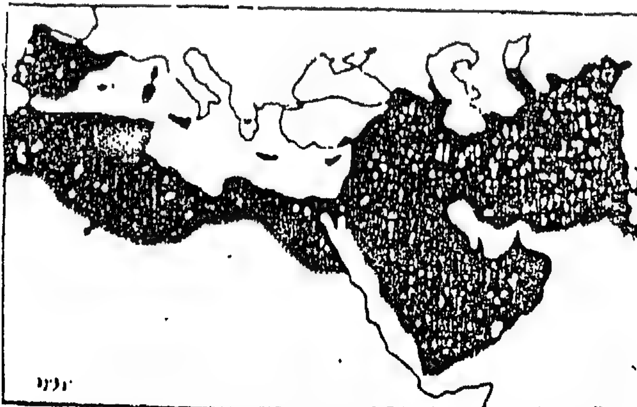
دولة الخزر وجيرانها



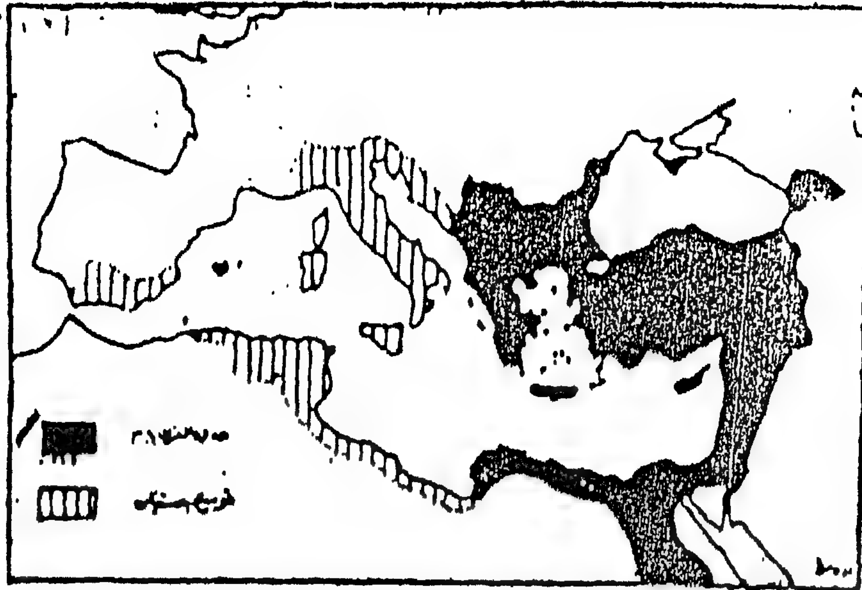
شكل (٢) الامبراطورية الرومانية



شكل (٣)
امبراطورية الاسكندر



شكل (٥) الدولة العربية الاسلامية : قوة برمائية اخضعت قوى البر والبحر



شـــــكل (٤)
الامبراطورية الرومانية
الشرقية (بيزنطة) .



شكل (٧) الامبراطورية العثمانية

* * * * * * * *

الفهـــرس

الفهرس



صدر للمؤلف

رحلة ورحيل (مجموعة قصصية)	1994
ألوان الطيف (مجموعة قصصية)	1994
قسمتين (شعر)	2000
خليك بعيد	2000
شاورلى عليه	2000
بعد الربيع	2000
غسق (رواية)	2000
القدس بتنادى (شعر)	2000
بداية ونهاية دولة إسرائيل ط1	2000
الحروف المقطعة فى سور القرآن الكريم (المعنى والمغزى)	2002
الحقيقة والادعاء فى المسألة الإسرائيلية	2002
بداية ونهاية دولة إسرائيل ط2	2002
الفياجرا وأخواتها بين العلم والدين	2002

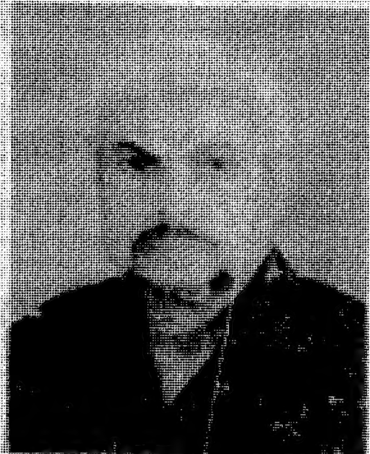
رقم الإيداع 4395 / 2002

الترقيم الدولى : 9-0424-17-977

دار هاجر للتصوير و الطباعة

بنها المنطقة الصناعية – مساكن الرملة

ت : 013260046



إلى كل باحث..

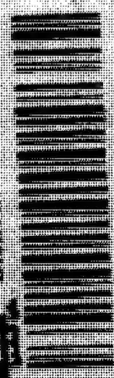
في مسألة

بني إسرائيل

ليطمئن قلبه!

د/ حسن عوض

بداية ونهاية دولة إسرائيل رؤية تاريخية ودينية ... عوض



الثمن ٢٥ جنيها